

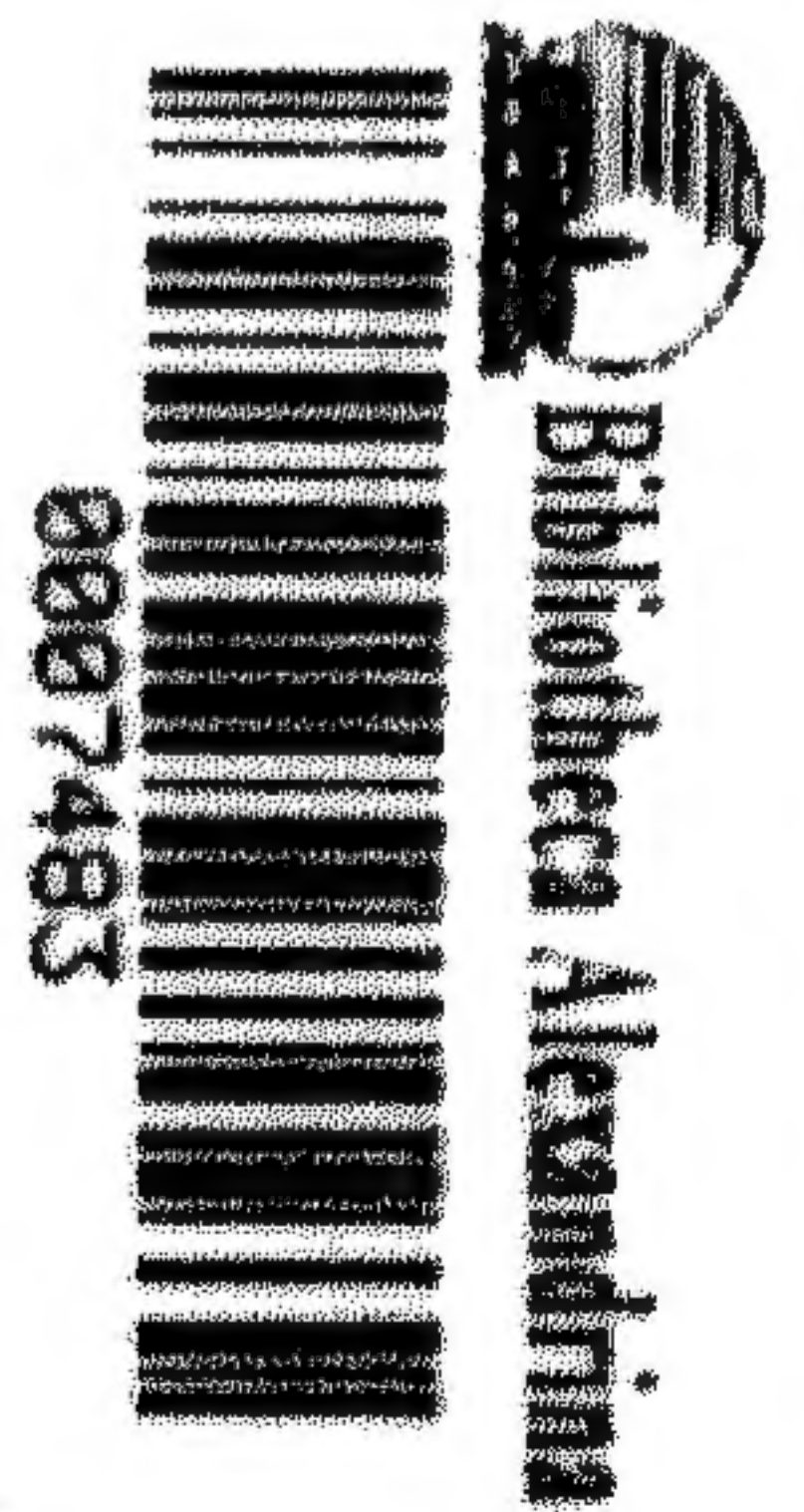
امير السجاني

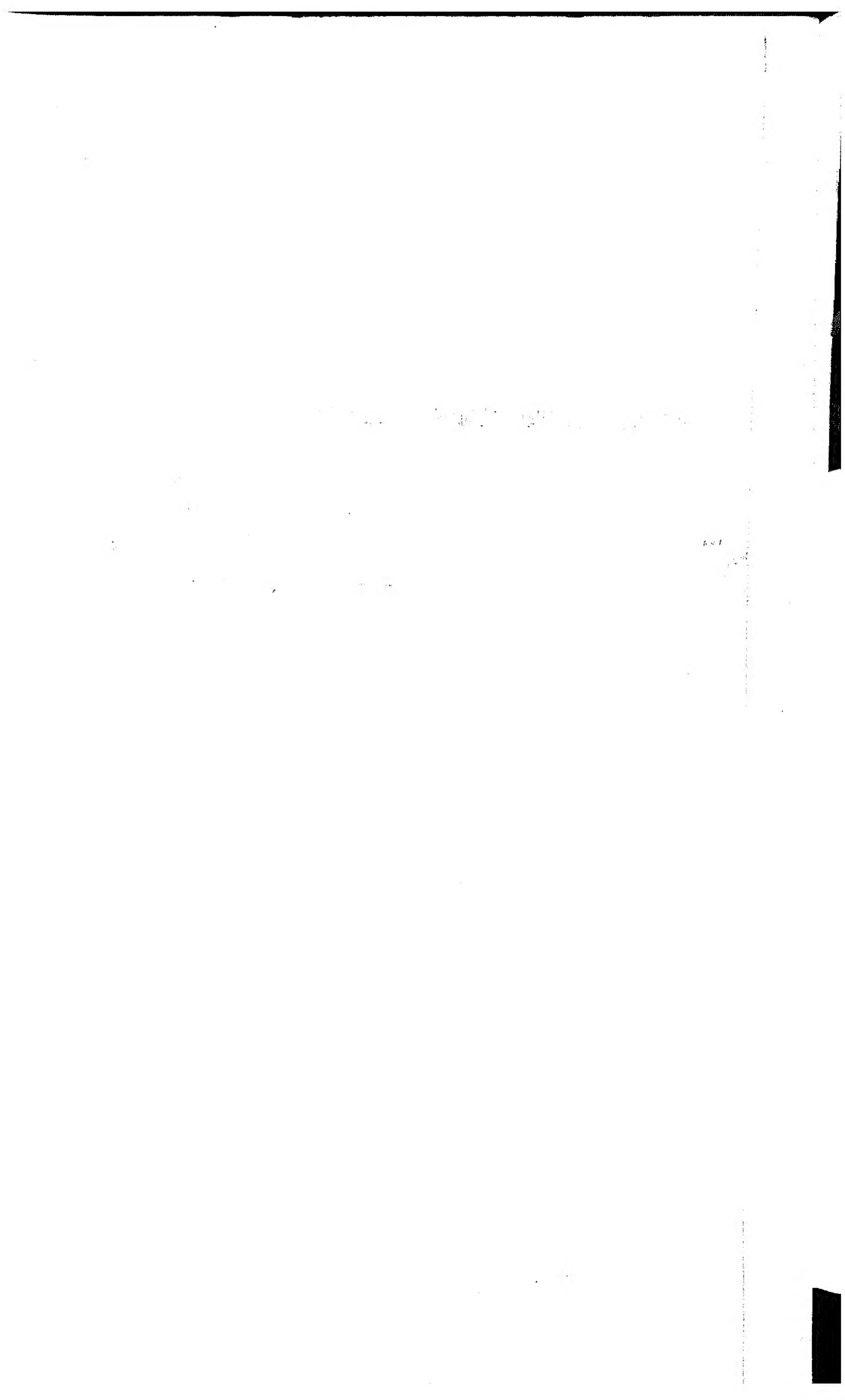


وسيرة

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود
ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

منشورات الفاخرية





المجلد الثاني من سلسلة

رقم القيد : 953.8

رقم التسجيل : 1444

أمين التريجاني

953.8

تاريخ

نجد وملحقاته

وتصویر على نذات ثلاث في

نواحي نجد

ومحمد بن عبد الوهاب والرواقية

والسعود منذ نشأتم إلى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد

وسيرة

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما

منشورات الفاخرية بالرياض

بالاشتراك مع دار الكاتب العربي في بيروت

الطبعة الخامسة ١٩٨١

نشرت باذن من عائلة المؤلف

الكلمة التاسعة

تلتقي في هذا الكتاب عبقريتان : عبقرية الأدب والفكر ممثلة في أمين الريحاني ، وعبقرية السياسة والفروسيّة والإدارة والحكم ممثلة في عبد العزيز آل سعود . ولا يمكننا فهم هاتين العبقريتين فهماً صحيحاً إلا إذا نظرنا إليهما من خلال العصر الذي عاشتا فيه ، والأوضاع التي سادت ذلك العصر ، والأحداث التي تعاقبت فيه .

لقد كتب أمين الريحاني الذي عُرف بلقب «فيلسوف الفريكة» وهي قريته المجاورة لقمة صنين في لبنان ، في معظم الفنون الأدبية من الرواية والشعر المنشور ، إلى الرحلة والتاريخ ، مروراً بالنقد الأدبي والاجتماعي ، فكان رائداً وناصباً ومجدداً في جميع هذه الميادين . وكانت رسالته مصالحة الحضارة العربية مع الحضارة الغربية ، والتوفيق بين روحانية الشرق ومادية الغرب ، في توازنٍ سليم بين العقل والروح . ولكن أبرز أعماله كانت ولا شك مؤلفاته في ميدان الرحلة والتاريخ وهي : ملوك العرب في جزئين ، قلب العراق ، قلب لبنان ، المغرب الأقصى ، تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز آل سعود ، التي لا تزال تعتبر مرجعاً مهماً في تعريف العرب ببلادهم وأهلهم . كما كتب باللغة الانكليزية في هذا الحقل نفسه : ابن سعود ونجد ، حول الشواطئ العربية ، بلاد اليمن ، فأثارت اهتمام الغربيين بهذه البقعة من العالم .

وكان أمين الريحاني الذي عاش في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (١٨٧٦ - ١٩٤٠) من رواد الحركة القومية حين كان العالم العربي في بدء يقظته الحديثة ، يشغله البحث عن هويته ، والتوصل إلى تحقيق ذاته ، والتحرر من السيطرة الاستعمارية ، فكانت القومية العربية وسيلة فيلسوف الفريكة في البحث عن

الذات، وقد اعتبر العالم العربي وطنه الأكبر، فقام برحلاته الرائدة في أرجائه المختلفة، حاملاً رسالة الوحدة العربية، حالماً بتوحيد العرب في ظل قائد عظيم، وطاف جميع أنحاء الجزيرة العربية واجتمع بملوكها وأمرائها، داعياً إلى اتحادهم ونبذ خلافاتهم، راغباً في جمع الشمل الشتيت، ساعياً إلى إيجاد حلف عربي يجمع ملوك الحجاز ونجد واليمن والأدرسي في امبراطورية عربية واحدة. ثم عاد من تلك الرحلات الشاقة واللقاءات النادرة ليعرّف العرب الآخرين بهذا الجزء الغالي من بلادهم، فكشف عن خفايا الجزيرة العربية، وكتب عن طبيعتها ومناخها، ووصف وهادها وجبالها، وسجل عاداتها وتقاليدها، وروى حكاياتها وأساطيرها، وعرض اتجاه السياسات المختلفة وصراع المطامع والمطامح في كل جزء من أجزائها، وجدّد دعوته إلى الوحدة قائلاً: «العروبة تجمعنا، العروبة توحدنا، العروبة تظهر القوى الكامنة فينا وتستنهضها»، مؤكداً «إن الوحدة العربية محققة حتماً لأنها مظهر من مظاهر التجدد والرقى ودرجة من درجات التطور القومي في كل مكان». ولم ينس الريحاني فلسطين فرأى أن مشكلتها هي مشكلة الأمة العربية بأسرها، وقال في خطاب له في أحد الأندية الأميركية: «كلنا في ما يهدد فلسطين فلسطينيون، هذه حقوقنا مهددة بقوات مالية وسياسية هائلة».

ويلخص الريحاني عقيدته السياسية بقوله: «إننا مهما استرسلنا بحب الإنسانية المطلق، لا ننسى إذا كنا منصفين، حب الوطن الخاص، وهذا الحب يحملني اليوم على السياحة في البلاد العربية، فإني وإن كان لبنان وطني الصغير، وسورية وطني الكبير، انتسب إلى البلاد العربية وطني الأكبر. وإني وإن كانت المسيحية ديني ودين أجدادي، أدين بدين كل من أقام حقاً وأزهق باطلاً، بل أدين بدين فلاسفة العرب وشعرائها الكبار كالغزالي وابن الفارض والمعري، بل أدين بدين كل من قال بالوحدة العربية وتجديد مجد العرب، وسعى في هذا السبيل سعياً شريفاً خالصاً لوجه الله، فمن أعز العرب أعز الإسلام».

وقد بدأ الريحاني يعدّ نفسه للقيام بهذه الرحلات في سنة ١٩٢٠، ومن أجل ذلك كاتب من أميركا حيث يقيم، صديقه قسطنطين يني وكان وزيراً في بلاط الشريف حسين ملك الحجاز، ومحمد كرد علي وكان رئيساً للمجمع العلمي في دمشق، والقاضي

يوسف صادر صاحب المجلة القضائية والمطبعة العلمية في بيروت ، فشجعه جميعهم على ذلك ثم دعاه قسطنطين يني باسم الملك حسين لزيارة الحجاز وجاء في رسالته له أن من رأي الملك «أن لا لزوم للسياحة في جزيرة العرب كلها ، فهو يساعدك على زيارة الحجاز من أقصاه إلى أقصاه ، ويعطيك المعلومات اللازمة ، ويطلعك على جميع العقود والنصوص والمفاوضات بينه وبين الدول من مطلع النهضة الى اليوم ، ليكون في استطاعتك تأليف كتاب عن العرب مستوف من جميع أبوابه . ومن رأيه أنك متى درست أخلاف قبائل الحجاز تكون درست أخلاق بقية القبائل لأنهم كلهم متقاربون بالعادات والمشارب . أما زيارتك الرياض وابن سعود فهذه مستحيلة لاستحكام العداء بينه وبين الحجاز» .

ولكن أمين الريحاني لم يتقيد بنصيحة الملك حسين لاعتقاده بأن زيارة الحجاز لا تغني عن زيارة بقية البلاد العربية ، ولتشوقه لمعرفة عبد العزيز آل سعود . وهكذا بدأت رحلته الى هذه البلاد بزيارة الحجاز في شباط - فبراير سنة ١٩٢٢ حيث كان الملك حسين في استقباله في جدة . ومن الحجاز سافر الى لحج حيث قابل السلطان عبد الكريم الفضل ، فاليمن حيث اجتمع بالإمام يحيى بن حميد الدين ، ثم شخص إلى عسير وكان له لقاء مع السيد الأدريسي ، وانتقل بعد ذلك الى الهند حيث حاول الاجتماع بغاندي في سجنه ولكن السلطة البريطانية لم تسمح له بذلك . ومن بمباي رحل الى العراق للالتقاء بالملك فيصل بن الحسين ، فالى البحرين حيث تعرف بشيوخها آل خليفة ، والكويت حيث اجتمع بأميرها الشيخ أحمد الجابر وبالشيخ خزعل أمير المحمرة .

ولما كان الريحاني في لحج كتب الى السلطان عبد العزيز عن طريق وكيله في البحرين ، يطلعه على الغرض من رحلته في البلاد العربية ويستأذنه بزيارته والسياحة في بلاده ، وبينما كان ينتظر في عدن الأذن بالسفر الى نجد أبلغته السلطة البريطانية هناك بأن لديها إذناً بسفره إلى العراق . وفي بمباي اجتمع بعبد الله القصيبي وكيل عبد العزيز في البحرين وكان يزور الهند ، فقال له : «وصلنا كتابكم بوقتته وأرسلناه إلى حضرة الإمام فجاء الجواب مرحباً بكم ، وقد أمرنا باعداد كل ما يلزم من أسباب السفر والراحة عند وصولكم إلى البحرين . . ونحن من زمان ننتظركم» . إلا أن السلطة البريطانية

أبلغته بوجوب سفره الى العراق . وفي بغداد بقي الأمين عدة أسابيع وهو يطلب الأذن له بالسفر إلى نجد، حتى سُمح له بذلك بعد الحاح وجهد كبيرين ، فسافر إلى البحرين برفقة السيد هاشم الرفاعي وهو كويتي يعمل كاتباً في ديوان سلطان نجد . وما كاد يصل إلى البحرين حتى أرسل إلى السلطان كتاباً مع السيد هاشم فلم ينقض أسبوع واحد حتى تلقى رسالة من السلطان عبد العزيز يرحب به فيها ويبلغه أنه أمر وكيله بأن يهيء له سفينة تقله إلى العقير وسوف يجد السيد هاشم في انتظاره هناك .

وما هي إلا أيام حتى حقق أمين الريحاني أمنيته في الاجتماع بالسلطان عبد العزيز، وكان اللقاء الأول بينهما في النفود . يقول فيلسوف الفريكة في كتابه «ملوك العرب» : «... وبعد هنيئة ضج المكان بموكب السلطان ، فأناخ عندنا على أكمتنا ، حول شراعنا الصغير ، مثنان من الركائب وهي تزبد وترغي . أخ . . أخ . . وصوت الخيزران على رقاب البعارين كصوت المطر على النخيل . ثم نصبت الخيام ، وشبت عشرات النيران ، وسمعت على الفور المداق في الأجران .

«خرجنا نبادر إلى استقبال الزائر الكبير ، فإذا هو قد خفّ إلينا وفي معيته اثنان فقط من حاشيته . قلت الزائر وهو الذي شاء تلطفاً وتنازلاً أن يعكس الآية . وكانت المشاهدة الأولى على الرمل ، تحت السماء والنجوم ، وفي نور النيران المتقدة حولنا . ألفيته رجلاً لا يمتاز ظاهراً بغير طوله ، وكان يلبس ثوباً أبيض وعباءة بنية وعقالاً مقصباً فوق كوفية من القطن حمراء .

«أين أبهة الملك وفخفة السلاطين؟ ! إنك لا تجدها في نجد وسلطانها . وإن أول ما يملكك منه ابتسامة هي مغناطيس القلوب . لست أدري كيف حييته وأنا في دهش وابتهاج من تلك المفاجأة الكبيرة . ولكنني أذكر أنه حياني باسمًا بالسلام عليكم وظل قابضاً على يدي حتى دخلنا الخيمة ، فجلس والكور إلى يمينه يستند إليه ، والنار قبالة تنير وجهه . ثم عرفني بمن كان في معيته وهما الدكتور عبد الله الموصلي وعبد اللطيف باشا المنديل ، فجلسنا كلنا في صف أمامه .

«وما أضعنا وقتاً في تبادل المبتذل من السلام والتحية . اعتذرت عن الإبطاء في الوصول إليه ورأيت أن أطلععه على حقيقة الأمر فيعلم أن الذنب ليس ذنبي ، فقال :

علمنا بذلك واستغربناه ، أما نحن فما ترددنا ولا أبطأنا في الجواب ، وكيف نرد من ينبغي زيارتنا وهو من صميم العرب ؟ قالوا لنا إنك أميركي جئت تنشر الدين المسيحي في البلاد العربية . وقالوا إنك تمثل بعض الشركات وجئت تبغي الامتيازات . وقالوا إنك قادم من الحجاز وإنك شريف تسمى لتحقيق دعوة الشريف . وقالوا غير ذلك . فقلنا إذا كان في الرجل ما يضر فنحن نعرف كيف نتقيه ، وإذا كان فيه ما ينفع فنحن نعرف أيضا كيف ننتفع ، ونحن أعلم يا حضرة الأستاذ بمهمتك ، بارك الله فيك .

« فاستأذنته إذ ذاك أن أخبره بالمقاصد الثلاثة في رحلتي فقلت : وقد تمّ الأول بمشاهدتكم ، وسيتّم الثاني بما سأكتب إن شاء الله في ما شاهدت . أما الثالث فلا يتم إلا بمساعدة ابن سعود . وإني متيقن يا مولاي أن الوحدة العربية لا تتحقق إلا باجتماع أمراء العرب كلهم للتعارف أولاً والتفاهم ، فهم اليوم في معزل بعضهم عن بعض ، إذا لم نقل في احتراب دائم ، ولا يعرف الواحد منهم الآخر معرفة حقيقية . »

وفي هذا الكتاب ، كتاب « ملوك العرب » الذي هو بحق من أجمل ما أبدعه أدب الرحلات في جميع اللغات ، يروي الريحاني كم قيل له أن « ابن سعود بدوي جاهل . ابن سعود جلف ، لا قلب له ولا دين » ثم يقول عنه : « ها قد قابلت أمراء العرب كلهم فما وجدت فيهم أكبر من هذا الرجل . لست مجازفاً أو مبالغاً في ما أقول ، فهو حقاً كبير : كبير في مصافحته ، وفي ابتسامته ، وفي كلامه ، وفي نظراته ، وفي ضربه الأرض بعصاه . يفصح في أول جلسة عن فكره ولا يخشى أحداً من الناس ، بل يفشي سره ، وما أشرف السر ، سرّ رجل يعرف نفسه ويثق بعد الله بنفسه . « حنا العرب » إن الرجل فيه أكبر من السلطان ، وقد ساد قومه ولا شك بالمكارم لا بالألقاب ! » .

ولما نشبت الحرب بين السلطان عبد العزيز والشريف حسين بن علي في مطلع سنة ١٩٢٤ ، ثم تنازل هذا عن الملك لولده علي بعد دخول النجديين إلى مكة ، بُدلت وساطات عديدة لدى السلطان لا قناعه بقبول الصلح مع الملك علي ، فجاء إلى جدة لهذه الغاية طالب النقيب وسان جون فيلبي وأمين الريحاني ، وتربط الثلاثة صداقة وثيقة مع السلطان . وكان عبد العزيز يقيم في مكة فكان الحاج حسين العويني يحمل رسائل صديقه أمين الريحاني إلى السلطان في مكة ويعود برسائل السلطان إلى أمين الريحاني

في جدة. وكان السلطان يجيب أميناً بأنه لا مطمع له في الحجاز وأنه ستركه لأهله
يقررون مصيره بأنفسهم، إلا أن الملك علي ما لبث حتى اضطر إلى مغادرة جدة إلى
العراق، وبايع الحجازيون السلطان عبد العزيز ملكاً على الحجاز، فتحقق بذلك حلم
قومي طالما تطلع إليه المخلصون.

وتوثقت الصداقة بعد ذلك بين الملك عبد العزيز وأمين الريحاني، وتحول
اعجاب فيلسوف الفريكة بعبد العزيز إلى اجلال واكبار، وبعد صدور كتابه «ملوك
العرب» في سنة ١٩٢٤، رغب في كتابة تاريخ نجد وسيرة عبد العزيز آل سعود فكان هذا
الكتاب الذي نقدمه في هذه الطبعة الجديدة إلى القراء بعد نفاد طبعاته السابقة، ثمرة
زيارات متعددة قام بها الريحاني إلى الرياض، وأحاديث خاصة دارت بينه وبين عبد
العزيز، ومراجعات لكتب التاريخ، ولقاءات مع رجال التاريخ المعاصرين.

ويمتاز أسلوب الريحاني في هذا الكتاب، وفي كتبه جميعاً، بلغته البسيطة
الأخاذة المتحركة الشفافة، وبالمقدرة الفنية، ودقة الملاحظة، والنكته الأدبية
البارعة، وسمو الخيال الشعري، وبراعة الوصف والتصوير.

وتتوقف سيرة عبد العزيز آل سعود في هذا الكتاب عند سنة ١٩٢٦ وهي السنة التي
كتب فيها، وما أكثر ما في سيرة البطل الراحل بعد هذا التاريخ من مواقف مشرفة
وأحداث بارزة وأعمال خالدة، بعد أن وُحِد شبه جزيرة العرب في مملكة واحدة تمتد من
البحر الأحمر إلى خليج العرب، ونقلها من بلاد ضائعة بين الرمال إلى دولة كبرى تلقي
ظلالها على العالم وتتجه إليها الأنظار من سائر أنحاء المعمورة، وظل رحمه الله حتى
ساعاته الأخيرة (سنة ١٩٥٣) يبني بيده ويوحي بعقله ويعطي من ثمار تجاربه، ويتألق
في مهد الوحي نور هداية، ويرتفع علماً فوق الأعلام، وذروة دونها كل الذرى، حتى
أعاد لدنيا الإسلام نضارتها، وتبرعت آمال العرب من جديد بإحياء ماضيهم التليد.

طلال بن عبد العزيز آل سعود

و دار الكاتب العربي

تقدمة الكتاب

صاحب الجلالة الملك عبد العزيز المعظم

يا طويل العمر :

منذ عهد الخليفة عمر حتى بداية عهدكم السعودي لم يسعد العرب بمن يجمع شملهم ، ويوحد كلمتهم ، ويعزز شوونهم ، فيجعلها تحت السيادة التي فيها الخير الاكبر للجميع ، اي السيادة العربية الواحدة .

كان في بني امية معاوية ، وفي بني العباس المأمون ، وفي الايوبيين صلاح الدين . ثلاثة من عظماء العرب ، بل من عظماء الرجال في التاريخ العام . ولكنهم وان وصلوا الى ذرى المجد ورفعوا أعلام العرب في اقاصي البلدان ، لم يتمكنوا من بسط سيادتهم على شبه الجزيرة كلها . ولا كان يهمهم العنصر الاكبر فيها ، اي البدو ، الا كحطب للحروب .

ما استطاع الامويون ان يوفقوا حتى بين القيسية واليمانية في الشام . ولا استطاع العباسيون ان يبسطوا نفوذهم حتى على عشائر الاحساء . وما فكر صلاح الدين ، على ما يظهر ، في تحسين احوال البدو ونزع العدوات المتأصلة بينهم .

ولت الالف والثلاثمئة سنة وهؤلاء العرب لا يزالون ، كما

كانوا • وما غير الزمان شيئاً في احوالهم المدنية او بالحري البدوية ،
ولا عمل فيهم عامل من عوامل التطور الاجتماعي •

ألف وثلاثمئة سنة ؟ حتى كتب لهم بعمر ثانٍ ، بُعث اليهم بعبد
العزیز بن سعود ليجمع شتملهم ، ويوحد مقاصدهم ، ويعزز جانبهم ،
ويؤسس ملكاً عربياً هو منهم ، وهو فيهم ، وهو لهم •

يا طويل العمر : ان ما قمتم به من تحضير البدو ، وتأسيس
الهجر لمن امجد ما ترككم القومية ومن خير اعمالكم الاصلاحية •
غير ان هنالك عمل آخر فيه كذلك الخير الجزيل ، بل فيه الخير
الشامل للعرب •

كانت الهجرة الاولى ، هجرة البدو ، من الشرك الى التوحيد في
الدين ، ومن البادية الى الحضارة • فعسى ان تكون الهجرة الثانية
من الامية الى الالفباء ، من الجهل الى العلم ، من الظلمات
العقلية الى النور •

بنيتم يا طويل العمر البيوت للبدو ، وهي الخطوة الاولى في
تمدينهم • فعسى ان تخطو الخطوة الثانية فتبنوا لهم كذلك المدارس
لان في المدارس تحقيق كل ما تنشدون • المدارس تكمل عمل السيف •
المدارس تمهد السبيل الى الوحدة العربية الثابتة ، الوحدة الشاملة ،
الوحدة العزيزة الوثيقة العرى •

واني اسأل الله ان يطيل ايامكم لتتمموا الاصلاح الذي
باشرتموه ، ولتحققوا الآمال العربية المنوطة بكم •

الصديق المخلص لجلالتكم وللعرب

امين الريحاني

في رجب ١٣٤٥ هـ (يناير ١٩٢٧ م)

المراجع والاسانيد

كنا في الرياض نسمر ورجال التاريخ من آل سعود ، المعاصرين منهم والاقدمين . وكان الفضل في السمر التاريخي للسلطان عبد العزيز الذي أرسل الي كتابين طبعا في الهند لاثنين من ادباء نجد ومؤرخيه ، الاول روضة الافكار لحسين بن غنام الحنبلي ، والثاني علو المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن عبدالله بن بشر .

قرأت التاريخ فصرت أحسن الحديث وعظمة السلطان عن اجداده ، وطالعت في « انروضة » شيئا كثيرا في محمد بن عبدالوهاب وله ، فصرت أفقه معنى النهضة الروحية التي قام بها في وادي حنيفة كبيران من ربعة هما التميمي ابن وهاب والمناعي الوائلي ابن سعود . ولكني وانا اطالع الكتابين اسفت لاسلوب مؤلفيهما القديم ، ذلك الاسلوب المكلف المسجع الذي لا يحب مطالعة التاريخ الى قراء هذا العصر ، ووددت لو ان احد المنشئين العصريين يلخص ابن بشر ، او يعيد كتابة نجد منذ قرن ونصف القرن ليطلع العامة والخاصة على ما جرى في وادي حنيفة من الامور الدينية والسياسية ، التي كان لها التأثير الاكبر في العرب بعد الرسالة النبوية .

وكنت قد تذوقت السمر السلطاني في العقير ، فروى عظمته شيئا من اخبار حروبه وابن الرشيد ، وكان في الرواية فصيحاً ، بليغاً ، جذاباً ومنصفاً لخصمه . فقلت في نفسي ، وقد فتح لي باب في الكتابة عجيب ، حبذا القصة كلها أدونها للناس - قصة هي تاريخ كله جديد ، واكثره لذيذ ومفيد .

لم اجرؤ يوم كنا في العقير ان افصح للسلطان عن رغبتني هذه ، ولكنني قلت لرفيقي السيد هاشم الرفاعي اني احب ان اكتب سيرة السلطان عبد العزيز ، واني مباشر العمل . وفي الحقيقة كنت قد دونت في مذكراتي الواقعة التي سمعت خبرها في الليلة السابقة .

وعندما جئت الرياض ، وبدا من عظمة السلطان ذاك التعطف الخاص الجميل ، فانزلني في القصر وكان يشرف منزلي كل ليلة بعد صلاة المساء ، تشجعت فاستأذنت بان اكون مؤرخه ، فأجاب ، وكان الجواب مبهجاً : ما يخالف (لا بأس) فاستويت واقفا وشكرته ، ثم قلت : وخير البر عاجله . لنبدأ اذا امرتم الآن .

— ما يخالف :

وكان على المنضدة الورق والحبر فجلست اكتب ما رواه تلك الليلة من اخباره الاولى في انكويت .

وبعد ذلك ، اثناء المدة السعيدة التي اقمته في الرياض ، اي ستة اسابيع ، كان عظمته يروي من اخباره ما يستغرق ساعة واحدة كل ليلة ، فنتعاون انا والسيد هاشم في التدوين . وكنت استوقف عظمته في بادئ الامر مرارا لفهم معنى لفظة من الفاظه او عبارة نجدية الاصطلاح . وكنا فوق ذلك ، رغبة في التدقيق والتحقيق ، نقرأ قبل ان نباشر الكتابة ما كتب الليلة السابقة ، فيصلح عظمته ما قد يكون فيها من الخطأ .

هوذا المصدر الاول الاعلى لهذا التاريخ ، اصف الى ذلك رسائل عدة ووثائق رسمية اطلعني عظمته عليها ، وأذن بنسخ بعضها .

بعد ان وصلنا في تاريخ نجد الحديث الى مؤتمر العقير عدت الى ابن بشر وعقدت النية على تلخيص ما جاء فيه من الاخبار . وابن بشر ، بقطع النظر عن اسلوبه ، مدقق في الاجمال وصادق الرواية . الا انه ينتهي في تاريخه عند سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) فيكون بينه وبين النكبة الاخيرة (أي خروج آل سعود من نجد) فترة مقدارها اربعون سنة ، لم يرو السلطان اخبارها لانه لم يكن متحققا منها كلها ، ولا اذن لاحد علماء الرياض ، للسبب نفسه ، بروايتها . ولكنه ، عندما ازمعت الرحيل ، اعطاني كتابا الى احد عماله في

شقراء ، هو الشيخ عبد الرحمن السبيعي ، يأمره بان يكتب الى الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى في اشيقر (قرب شقراء) ليرسل اليه تاريخه الخطي ، فاطلع عليه وانسخه ، ثم يعاد الى صاحبه .

جئت شقراء ، وراح نجّاب السبيعي الى اشيقر ، فوجد بيت المؤرخ مقفلا ، وقيل نه أن الشيخ ابراهيم في عنيزه . وكنا في طريقنا الى عنيزه ، فرجونا ان نجتمع بالمؤرخ فيها . ولكن السبيعي ، سلمه الله ، لا يثق كل الثقة بالتقارير ، فأمر نجابه بالرجوع الى اشيقر يوم رحلنا من شقراء وقال لي : اذا ظفر بالتاريخ ارسله اليك حيث تكون في بريده او في عنيزه ، او في الحفر . واذا اجتمعت بصاحبه في طريقك فامسكه يا امين بتلابيبه .

وصلنا الى عنيزه فلم نجد فيها المؤرخ ، ولا جاءنا من السبيعي التاريخ ، ولكن غداة دنونا من بريده خرج النجّاب يلاقينا ، وكان قد جاءها رأسا من اشيقر ، فسلم واخرج التاريخ من جيبه قائلا : بعد ان تنسخ حاجتك منه رده الى السبيعي فيرده الى صاحبه . وهكذا كان .

قد سرنني من تاريخ ابن عيسى ، على ما فيه من ركافة وسذاجة ، انه خلو من التقعر والسجع . واليك بمثال واحد منه :

« خرج عليهم (محمد ابن الامام فيصل على اهل عنيزه) واقتتل الفريقان قتالا شديدا ، وصارت الهزيمة اولا على محمد ابن الامام ومن معه ، وتتابعت هزيمتهم الى خيامهم ، فأمر الله سبيحانه وتعالى بالمطر ، وكان غالب سلاح اهل عنيزه البنادق ، فبطل عملها من شدة المطر ، فكرر عليهم محمد وأصحابه ، فهزموهم ، وقتلوا منهم اربعمئة رجلا . »

بابن بشر وابن عيسى معا يتم اذن تاريخ آل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد . ولولاهما لما تمكنت من

كتابة النبذة الثالثة من هذا التاريخ • على انه ، وانا اكتبها ، خطر لي ان اقابل بين المؤرخين الوطنيين والمؤرخين الاجانب ، وخصوصا في الحملات التي جردها على نجد محمد علي باشا وابناه طوسون وابراهيم •

والتاريخ ذو شجون ، فقد جرتني فتوحات سعود الكبير الى الحجاز ، فمكة المكرمة ، فانتقيت هناك ببعض الاوربيين المستشرقين المتكبرين فاستكشفت اخبارهم واثارهم لاطلع على رأيهم في الوهابية يومئذ وفي اهل نجد ، فعرفت ان السويسري بركهارت كان مقربا من محمد علي ، والاسباني «باديا إي لبلخ» كان جاسوسا لنابليون الاول • على انهما متفقان في نزعتهم العلمية ، وصدق الرواية ، وان اختلفا في المقاصد السياسية •

جاء بركهارت الحجاز ، قادما من السودان ، يوم كان محمد علي في الطائف • وعندما وصل اليها سأل الباشا عن احوال تلك البلاد التي كان يحكمها يومذاك ابنه ابراهيم •

قال بركهارت في رحلته العربية ، Travels in Arabia , John Lewis Burkhardt, (London : Henry Colburn, 1829) وسألني الباشا اذا كان ابنه محبوبا هناك فأجبته بلغة الصدق : «ان مشايخ القرى كلهم يكرهونه لانه ردعهم عن الاستبداد بالفلاحين • اما الفلاحون فيحبونه حبا جما » •

ولا شك ان محمد علي الكبير كان يحب بركهارت لعلمه ، ويحترمه لصدق لهجته ، فأذن له بالدخول الى مكة وبزيارة المدينة •

اما المستشرق الاسباني الذي انتحل اسم علي بك العباسي فلم يكن له من اولي الامر نصير ، وما فاز بغير جده ودهائه ، فأحببت أن اطلع على رحلته التي طبعت بالانكليزية بلندن ، فكتبت الى كتبي مشهور هناك اطلبها ، فأجاب ان الكتاب غير موجود في المكتبات ، وعرض ان يعلن في الجرائد لعل هناك احدا لديه نسخة يبيعها ،

فقبلت . وبعد شهر جاءني منه كتاب يقول فيه انه حظي بنسخة من الطبعة الاولى ، سليمة تامة ، مجلدة بجلد ثمين ، ثمنها عشرون ليرة انكليزية فقط !

وكنت يؤمئذ اراجع التواريخ الافرنسية عن نهضة محمد علي المصرية ، فقرأت ما كتبه ادوار غوان :

L'Egypte au XIX Siècles, Edouard Gouin, (Paris 1847)

ويمت المكتبة الشرقية لاطالع تاريخ مانجن

Histoire de l'Egypte sous le Gouvernement de Mohammed Aly, Felix Mengin, (Paris 1823)

فلم اجد منه غير الجزء الثالث ، وهو ملحق للتاريخ ، كتبه جومار E. F. Jomard فبحثت مكتبة الجامعة الاميركية ، فحظيت فيها ليس بمانجن فقط بل برحلة علي بك أيضا ! وهي طبعة اميركية عن الطبعة اللندنية الاولى .

Travels of Ali Bey, Philadelphia : John Conrad, 1816)

اما مانجن فقد وجدت في ما راجعت لغرضي انه ينقل احيانا عن تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والاخبار) ووجدت ان الرواية في ما يختص بحوادث نجد لا تختلف كثيرا عن رواية ابن بشر . الا ان في تاريخ المصري ، وبالتالي الافرنسي ، بعض الاشياء التي فات ابن بشر ذكرها ، او انه كان يجهلها . كالصندوق الصغير مثلا الذي حمله عبدالله بن سعود الى الاستانة ، وفيه بعض اعلاق الحجرة النبوية التي كان يأمل أن يسترضي السلطان بها ، فيعطيه الامان ويأذن له بالرجوع الى بلاده . هذا في ما يختص بالنبذة الثالثة .

اما النبذة الثانية ، محمد بن عبدالوهاب والوهابية ، فقد كان لي في كتابتها عون آخر غير ابن غنام . أجل ، قد طالعت ، وانا في الرياض ، رسائل ابن تيمية وغيرها من الرسائل الحنبلية في كتاب طبع بمطبعة المنار بمصر .

أما ، وقد ذكرنا النبذات عكسا ، في النبذة الاولى : نواحي نجد ، وهي لا تخلو من صعوبة اذا تحرينا التدقيق في ضبط الاسماء ، اسماء البلدان ، فكتب السياح المستشرقين تضلل غالبا في اعلامها ، وكتب الاقدمين العرب تروي اسماء بلدان دثرت ، واسماء للبلدان التي لا تزال في عالم الوجود غير المصطلح عليها لفظا ومبنى . لا بد اذن من الاستعانة بأحد علماء نجد المعاصرين . وبما ان الوقت كان قد ضاق دون ذلك ، يوم كنت في الرياض التمسست من عظمة السلطان ان يأمر احد العلماء بأن يرسل مطلوبى الى الفريكة . فأرسل الي بدل اسماء النواحي والبلدان نسخة من كتيب خطي عنوانه : مثير الوجد في معرفة انساب ملوك نجد ، تأليف راشد بن علي الحنبلي . فجاء عوننا لي في تحقيق انساب آل سعود ، وابن عبدالوهاب ، وعرب الشمال اي مضر وربيعة .

وكنت قد استعنت عندما مررت بعنيزة بالشيخ عبد الله بن محمد العبد العزيز البسام ، فكتب لي لائحة باسماء بلدان القصيم وسدير والعارض ، وبت انتظر وصول المعلومات الاخرى ، فمرت الايام ، وتزاحمت الحوادث في نجد ، ولم تكتب النبذة الارلى .

وكانت حرب الحجاز . وكان من حظي ان اتشرف ثانية بزيارة السلطان عبد العزيز . فذكرته ، ونحن في جدة ، بتلك النبذة وبما وعدني به لاتمامها ، فقال : ما يخالف . ولكنى وجدته مشغولا في مسائل أهم منها ، فسكت ثم سألت الدكتور عبد الله الدملاجي عن بعض البلدان فقال : لا يستطيع ان يجيب عن اسئلتك هذه غير السلطان ، وهو الملقب بجغرافية البلاد العربية .

السلطان الاستاذ ! ولحسن الحظ ، عندما جئته ذات يوم بعد

الظهر حسب العادة ، لقيته يطالع كتابا للسيد محمود شكري
الالوسي ، عنوانه تاريخ نجد (المطبعة السلفية بمصر) فسأله رايه
فيه فقال : لا بأس به ، ولكنه لا يخلو من اغلاط في اسماء البلدان .
فقلت ، وقد تمسكت بتلابيب الفرصة : اذن ، يا طويل العمر ،
عليكم باصلاحها .

واخرجت القلم والدفتري من جيبتي قائلاً :
أتأمرون بأن تكونوا الان الاستاذ وان اكون انا التلميذ ؟
أتأمرون ان ابدأ بأسئلتني ؟
فأجاب عظمته : وما هي ؟ فذكرت بعضها ، فقال : الامر يطول .
اتأذنون اذن بأن امد رجلي .
فقلت مبتسماً : وهل في ذلك اشارة الى قصة الامام ابي
حنيفة ؟ *

فرفع يديه ضاحكاً وقال : لا والله . لا والله . القصة لا تنطبق
عليك . وكانت ساعة نادرة ذكرتني بليالي الرياض ، ومكنتني من
كتابة النبذة الاولى .

اما مراجع هذا التاريخ الاخرى فأهمها ما يأتي :
الكتاب الاخضر النجدي . كتاب الوفد الهندي .
الكتاب الاحمر الحجازي .

تقرير المندوب السامي لحكومة بريطانيا العظمى في العراق من
اول اكتوبر سنة ١٩٢٠ الى اخر مارس سنة ١٩٢٢ .
تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد (المطبعة العصرية بغداد)
مذكرات الفريق شفيق كمال باشا (متصرف عسير والقائد
العام فيها من سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م الى سنة ١٣٣٠هـ ١٩١٢م ووالي
البصرة سنة ١٣٣١هـ ١٩١٣م نشرت تباعاً في جريدة الاهرام في شهري
نوفمبر وديسمبر سنة ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م) .

* كان ابو حنيفة يخطب في حلقة من تلاميذه في ان صلاة الفجر ينبغي ان تكون
قبل طلوع الشمس ، وبينما هو يخطب ، وقد جلس جلسة الالفه ومد رجله ، دخل
شيخ جليل الطلعة ، وتبوا مكاناً في الحلقة ، فترجع الامام اكراماً له ، واستمر في
كلامه ان صلاة الفجر ينبغي ان تصلى قبل طلوع الشمس ، فسأله الشيخ : واذا طلعت
الشمس قبل الفجر ؟ فقال الامام ، وهو يعود الى جلسته الاولى : عندئذ يمد ابو حنيفة
رجله ولا يبالي .

« عنوان المجد في احوال بغداد وبصرة ونجد تأليف ابراهيم
فصيح الحيدري البغدادي (نسخة خطية) .
ومن الكتب الانكليزية :

The Heart of Arabia, H. St. John Philby, قلب البلاد العربية
(Constable, London)

Wanderings in, Arabia, Charles الطواف في البلاد العربية
M. Doughty, (Duckworth, London)

The Penetration of Arabia, D.G. Hogarth, (Alston
Rivers, London) التغلغل في البلاد العربية

فانك ترى مما تقدم ان اهم مصادر النبذات الثلاث هي نجدية ،
اي ان ابن بشر هو ركن النبذة الثالثة ، وابن غنام وابن تيمية ركن
النبذة الثانية ، والسلطان عبد العزيز ، الملقب بجغرافية البلاد
العربية ، والشيخ عبد الله البسام الذي قال فيه عظمة السلطان انه
من العارفين المدققين ، هما مرجعي في النبذة الاولى .

اما السيرة فقد قصصت قصتها . وقد شفعت المصدر الاول
الاعلى بما استوجبه التدقيق من مراجعات ما طبع في البلدان المجاورة
لنجد ، وما نشره السياح المستشرقون ، وبعض الاتراك والعرب ، في
ما يختص بالبلاد العربية لخمسين سنة مضت .

ولا بد من ذكر مرجع اخر هو رحلتي العربية الاولى ، ورحلتي
الثانية الى الحجاز . فقد كنت اثناء ذلك استقي الاخبار من مصادرها
العليا ، واسمع من ذوي العرفان ممن حدثتهم ما يثبت او يكمل
الرواية السلطانية . فقد كان عظمته يقتضيه الكلام في ما يتعلق
بشخصيته ، فيمسك النفس عما فيه فخرها والثناء عليها . واني
اختم هذا الفصل بقصة واحدة من القصص العديدة التي كنت
اسمعها ، والتي تمثل الحلم والكرم في شخصية هذا العربي
الكبير .

عندما كانت الحرب قائمة بينه وبين اقاربه « العرايف » في
الحساء ارسل خصمه سلمان بن محمد بن سعود وفدا من قبله الى

قطر ، وعمان ، ومسقط ، والبحرين يستنجد شيوخها على السلطان عبد العزيز . وكان العجمان يومئذ حلف « العرايف » وكان احد رجال الوفد من هذه القبيلة ، فسافروا الى عمان ، ومنها جازوا الخليج الى لنجا على الشاطيء العجمي ، وهم يقصدون سلطان الحمادي حاكم تلك الناحية الذي يدعي ان العجمان من العجم ، فاعطاهم لذلك مئة بندقية واربعة الاف روبية . ثم جاءوا البحرين فاعطاهم الشيخ عيسى مئة بندقية واثنى عشر الف روبية . وقد ساعدهم آل زايد بعمان بأكثر من ذلك .

عاد رجال الوفد موفقين . وبينما هم مسافرون الى العقير التي كانت يومئذ بيد العجمان ، ومعهم ما جمعوا من الاسلحة والمال لمحاربة السلطان سعود ، علم بهم الشيخ عبد الرحمن بن سويلم امير القطيف . فسارع الى ارسال عساكر في مراكب شراعية ، وطاردوا مركب العدو بين البحرين والعقير ، ثم حاقوا به فحجزوه والقوا القبض على ثلاثة من رجاله .

حدثني احد الثلاثة ، وهو العجماني ، قال : جاءوا بنا الى القطيف وارسلونا مقيدين الى السلطان عبد العزيز بالحسا . فلما وصلنا امر بفك قيودنا وبأخذنا الى المضيف . وبعد ثلاثة ايام احضرنا الى المجلس وكل واحد منا لا يرى من قسمته غير الموت ، فخطبنا السلطان قائلا : يا عيالي نحن لا نقهر احدا . فمن كان منكم يبغي معزبه (شيخه أو أميره) فاليه به . ومن كان منكم يبغينا فأهلا ومرحبا . فقال واحد منا : انا يا طويل العمر افضل نارك على جنة سلمان ، فأمر له ببندقية وكسوة وادخله في الجيش . وقال الاخران : ودنا نروح الى معزبنا نعتز واياه وننذبح واياه . فأمر لكل منهما بكسوة ، وذلول ، وشيء من المال ثم اطلق سراحهما .

وفي التاريخ بقية القصة التي انتهت بتسليم العرايف ، فكان الحلم انجع بهم من السيف .

النبدّة الاولى

نواحي نجد

ليس في نجد ارض يستوي سطحها وسطح البحر • فانك اذا جئت البلاد من خليج العرب تمر بالحساء ، ثم تأخذ بالتصعيد - والعرب يقولون التسنيد - وتستمر مصعدا ، دون ان تدرك ذلك في اغلب الاحايين ، الى العارض (١٨٠٠ قدم) فالشعره (٢٠٠٠) فالحرة الصغيرة (٤٠٠٠) فرأس السيل (٤٥٠٠) ومن هناك تنحدر الى مكة •

واذا جئت نجدا من البحر الاحمر ، من جدة مثلا ، فتصعد الى الطائف (٦١٧٠ قدم) وتشرف بعد ذلك على جبل حضن - وفي المثل من رأى حضنا فقد انجد - ومنه تنحدر الى نجد ، وتستمر في الانحدار دون ان تدرك ذلك لانه في اكثر الاحايين غير محسوس ، حتى تصل الى الحساء •

وبكلمة اخرى اذا شطرننا شبه الجزيرة شطرين من جده الى العقير على الخليج ، يظهر نصفها في هذا الشكل :



(١) في كتاب الالوسي صفحات ٦ و ٧ و ٨ شيء من كلام الاقدمين المتناقض المتضارب في ما هو نجد وما هي حدوده ، فللقارئ الراغب بمثل هذا العلم أن يرجع اليه • اما حدود السلطنة النجدية الحاضرة فالذي قررته الطبيعة حد واحد فقط هو الاضفاف او الربع الخالي في الجنوب • اما الحدود الاخرى فقد قرر ابن سعود الشرقية والغربية منها بالسيف والحدود الشمالية ، والشمالية الغربية والشرقية ، ظاهرة في الخارطة الملحقة بهذا التاريخ •

ان نجدا ليصدق اذن معنى اسمه ، اي هو المرتفع من الارض .
وفي هذه الاراضي المرتفعة ، شمالا وغربا وجنوبا ، اماكن تختلف في
العلاء والوطاء بعضها عن بعض . فالقصيم مثلا يعلو الف قدم فوق
العارض ، وحائل تعلو نحو ذلك فوق القصيم ، واليمامة هي خمسمئة
قدم دون الرياض .

وفي هذه البلاد السهول والجبال ، وصحاري الرمال ، والاودية
والشعاب والواحات والقفار . وهناك من الاراضي المنبسطة الفسيحة
التي لا كلاً فيها ولا ماء كالصمان ، ومن صحاري الرمل التي تكثر
فيها المراعي كالدهناء ، ومن السهول التي تزرع مرتين في السنة
كالوشم ، ومن الواحات التي تغزر فيها المياه ، وتعدد البساتين ،
كالعارض ، والاحساء والافلاج . ومن البقاع العالية الطيبة التربة
والهواء كالقصيم وجبل شمر .

اما اطول سلسلة من جبالها فهي التي كانت تدعى قديما العارض
او عارض اليمامة . والعارض ما اعرض او برز في الارض . قال
الشاعر :

واعرضت اليمامة واشمخرت كأسيف بأيدي مصليتنا

وبما ان هذه السلسلة من الجبال تطوق قلب نجد من القصيم
الى وادي الدواسر فأهل نجد يسمونها جبل طويق . وبما ان الاسرة
السعودية اتخذت الرياض مركزا لها ، وقاعدة لبلاد نجد ، فقد
اطلقوا على البلد اسم الناحية اي العارض ، فنقول اليوم طويق
والعارض كما كان الاقدمون يقولون اليمامة .

واليمامة هذه ، التي كانت من اشهر البلدان النجدية قديما ،
والتي لا يزال اسمها في بعض كتب الادب والشعر ، هي اليوم واحة
صغيرة تكاد تخنقها النفود ، فيها اربع قرى وبعض « القصور »
مساحتها نحو ميل واحد مربع ، وعدد سكانها لا يتجاوز الالفين ،
كلهم مزارعون من بني مرة وقحطان وبني هاجر . وهم يزرعون في
بساتينهم الرمان والعنب والتين ، وبعض القطن ، والحنطة والبرسيم
الذي يسمونه البجت . هذه البقية من اليمامة هي في وادي الخرج

المنخفض الذي تصعد منه جنوبا الى الافلاج ، وشمالا الى الرياض .
ولكننا قبل ان نعود الى انعارض سنعلم القاريء بالنواحي الكائنة
جنوبا الى الافلاج ، وشمالا الى الرياض سنعلم القاريء بالنواحي
الكائنة جنوبا منه . ان اكبرها واخصبها .

الافلاج

التي تكثر فيها الآبار ، والعيون والنخيل ، وتزرع فيها الحبوب
والشمار وشيء من القطن . قاعدتها ليلي ، على سبع مراحل من
الرياض ، وأكبر قراها البديع ، والاحمر ، والهدار . وفي هذه
الناحية بقعة تدعى السبيح ، من العيون السائحة ، بل فيها بحرات عدة
هي من مياه جهل طويق التي تصب غربا بجنوب تحت ارض الوشم وفي
وادي حنيفة ، ثم تظهر على وجه الارض بصورة دائمة في الافلاج .
اما العرب الذين يقطنون هذه الناحية فهم من قحطان ، والدواسر ،
وسبيع . انه بعد الافلاج الى الجنوب الغربي .

وادي الدواسر

وفي طرفه الشمالي ناحية تدعى السلليل وفيها من القرى
الدام ، ومناجج ، ورويسه ، والفرعة وغيرها . وفي طرفه الجنوبي
ناحية تثليث ومن قراها العمق ، ومطيله ، وعين ، وخريقة . أما سكان
الوادي فاغلبهم من عرب الدواسر الاشواوس البدو منهم والحضر . بعد
الوادي جنوبا ، على ثلاثة مراحل منه .

نجران

لبني يام الذين كانوا في الماضي خارجين على كل سلطة مشروعة،
فما دأبوا لاحد غير شيوخهم . ولكنهم منذ ثلاث سنوات دخلوا في
المرعوية السعودية فصاروا يدفعون الجزية طائعين . ان اكبر قرى
نجران مخلاف وجبوتة ، وعند نجران تنتهي الحدود الجنوبية الغربية
لسلطنة نجد . نعود اذن شمالا بشرق الى الافلاج ومنها الى

الخرج

تلك الناحية الخصبة التربة ، الغزيرة المياه ، التي تزرع في ارضها الحبوب ، وفي بساتينها الثمار على انواعها ، من مشمش ودراق وتين وعنب ، وتربى فيها احسن الجمال . اما قاعدة الخرج فهي الذلم على ثلاث مراحل من الرياض ، وأهم بلدانها زميقه ، ونعجان ، واليمامة ، والسلمية في طرفها انشمالي .

ثم وادي الفرع الى الجنوب ، وفيه بلدان ، او بلادين كما يقول اهل نجد ، وسط جبل اليمامة ، اكبرها الحوطة التي تبعد عن الدلم جنوبا ثمانية واربعين ميلا . وفي اعلى الوادي الحريق على مسافة اربعة وعشرين ميلا من الحوطة . اما اهل البلدين فمن بني تميم الاشداء ، ومن غلاة الجنبلية المحافظين على تقاليدهم وعزلتهم ، الغيورين على استقلالهم .

عندما دانت بلاد نجد لابن الرشيد ظل اهل الحوطة ، التي تدعى حوطة بني تميم ، خارجين عليه متمردين . وعندما عاد ابن سعود ونازعه السيادة ابن عمه سعود العرافة ، نصر اهل الحوطة والحريق سعودا على الشاب عبد العزيز . وكان ما هو مدون في هذا التاريخ من انتصار عبد العزيز . ولكنه ضمن لاهل هذه الناحية ، اي الفرع ، استقلالهم النوعي شرط ان يعترفوا بسيادته ، فيدفعوا الجزية ويلبوا الدعوة للجهاد . ومن البلدان الاخرى في اقليم الحريق نعام والمفيعر ، اما الحلوة في اقليم الحوطة فيغلب في سكانها عرب عنزي .

ثم الحائر في طرف وادي حنيفة الجنوبي ، على مسافة خمسة وعشرين ميلا من الرياض ، وهي تدعى حائر سبيع لان سكانها من عرب هذه القبيلة النازحين من الغرب . وفيها ايضا السهول حلفاء سبيع .

ومن الحائر شمالا بعد بضع ساعات من السير ، نصل الى
البلدة التي كانت قديما تشاطر اليمامة الشهرة والمجد . هي منفوحة
بلدة الشاعر الأعشى الكبير القريبة من الرياض ، والتي أمست اليوم
منفوحتين الواحدة القديمة ولا تزال خرائبها بادية للعيان ، والثانية
الجديدة على رمية سهم منها .

ان السبب في بوار أودية مثل وادي الرمة (العرب يلفظونها
مخففة) ، وخراب مدن مثل اليمامة ومنفوحة ، هو اما انقطاع المطر
أعواما متوالية فتجف العيون والآبار فينزع أهلها ، واما تهطل
الامطار التي ترسل السيول في البلاد فتغمر ما يكون في طريقها من
ال عمران وتتركه خرابا يبابا . ان من هذه الاخرية ما نشاهده في
الخرج ، وفي وادي حنيفة ، وفي الباطن من وادي الرمة .

العارض

قلت ان العارض هو اسم الناحية والعاصمة معا ، فيه واحدة
جميلة تمتد من سفح جبل طويق شرقا بجنوب الى منفوحة وفيه
عيون الماء العذبة والقلبان - الآبار - المتعددة ، والبساتين التي يزدهي
فيها النخيل ، وتتماوج في ظلالها اخضرار الجت والبقول .

ويلحق بالرياض او العارض عدة قرى كبيرة ، كالدرعية
الجديدة ، على ثلاث ساعات الى الشمال منه ، وعرقه ، وابو الكباح
التي كانت مسكن آل سعود الاقدمين قبل ان اسست الدرعية ،
والعمارية ، والجبيلة ، احدى قرى بني حنيفة ومسكن مسيلمة
قديما ، والعُيُينة بلد آل معمر ومسقط رأس محمد بن عبد الوهاب .

وهناك جنوب العاصمة منفوحة ، والمصانع ، وحائر سبيع التي

مر ذكرها • وغربا منها ، في طرف الحمادة الجنوبي ضرمى (تلفظ
اضرمه) المؤلفة من قصور ومزارع عديدة تسمى المزاحميات • وجنوبي
ضرمى الغدافظ بلدة الاخوان المشهورين ببسمالتهم ، اخوان عتيبة •
ثم البراءة على مرحلة منه شمالا ، وهي أول بلدة في الجهة الجنوبية
من الوشم • اما

الحمادة

التي ذكرت فهي سهل يمتد من الشمال الى الجنوب بين جبل
طويق ونفوذ السر ، وفيه الزلفى وغيرها من القرى ، بعضها في
النفوذ الكائنة بينها وبين عنيزة ، وبعضها في السهل • ومن هذه
القرى مليح ، بين الزلفى وانغاط ، وفريشان ، وهما هجرتان من هجر
مطير • وجنوبي فريشان الداهنة من هجر عتيبة •

اما الغاط التي هي بين المجمع قاعة سدير وبين الزلفى ،
على مرحلة واحدة من الاثنتين ، فهي مشهورة بأنها مسكن « السدارة »
من أعيان أهل سدير ، الذين صاهرهم آل سعود قديما وحديثا *
وأمرهم في البلاد • فقد كان تركي السديري أميرا على عمان في
الزمن الغابر ، وكان ولده احمد ، جد عبد العزيز ، اميرا على الاحساء
في عهد الامام فيصل ، وولده محمد وعبد المحسن متولين الحكم في
القصيم وفي المجمع •

نعود الان الى النواحي التي هي شمالي الرياض ، وأولها :

الشعيب

التي تفصل بين العارض وسدير ، قاعدتها حريملة على مرحلتين
من الرياض ، (عمرت سنة ١٠٤٥ هـ) وأهم بلدانها القرينة (عمرت
سنة ١١٠١ هـ) وملهم ، وصلبوخ ، وسدوس التي فيها اثار قديمة
قيل انها حميرية • ثم

* والدة جلالة الملك عبدالعزيز من السدارة •

المحمل

وثادق قاعدتها ، التي عمرت سنة ١٠٧٩ هـ ، والصفراءات ، هي والبير تدعى كلها اللهزوم . اما الصفرات فهي عدة بلاد قريبة من ثادق . وهناك البير جنوبي انصفرات (عمرت سنة ١٠١٥ هـ) والرغبة (عمرت سنة ١٠٧٩ هـ) . من الشعيب والمحمل نستمر مصعدين في جبل طويق الى

سدير

اكبر نواحي الجبل ، وقاعدتها المجمة (عمرت سنة ٨٢٠ هـ) التي يقال لها ولحرمة منيخ ، والتي تبعد مئة ميل عن عنيزه الى الشرق ، تفصل بين البلدين نفود كبيرة تمتد جنوبا الى وادي السر . أما بلدان سدير فعديدة ، ومن اكبرها وأقدمها حرمة (عمرت سنة ٧٧٠ هـ) ووشي ، وجوي ، وجلجل ، والتويم (عمرت سنة ٧٠٠ هـ) والداخله ، والحصون ، والجنوبية ، والطار ، والجريفة ، والعودة ، وعشيرة ، والخطامة ، وتمير ، والخيس ، والروضة (روضة سدير)

الوشم *

هذه الناحية هي غربي جبل طويق ، وغربا بجنوب من سدير . قاعدتها شقراء ، وأهم بلدانها ثرمدا ، والجريفة والقراين ، وأشيقر على ساعتين من شقراء ، والفرعة على رمية سهم من أشيقر ، والقصب على ثمانية عشر ميلا من شقراء ، ومراة بلد امريء القيس ثم الحرقيق على مرحلة واحدة من روضة سدير .

القصيم

لم تكن تعتبر في الماضي من نواحي نجد ، وقد يجوز أن لا نعوها اليوم الا من ملحقاته . فقد طالما تنازعت السيادة فيه ، عنيزه وبريده ، ونزعت كلتاها الى الاستقلال عن ابن الرشيد وعن ابن سعود .

* راجع ملوك العرب - الجزء الثاني . صفحات ١٠٤ - ١١٩ الطبعة الخامسة .

ان في هذا التاريخ الكفاية عن البلدين وامرائهما ، وفي «ملوك العرب» * الكفاية في وصف اهل القصيم وسجاياهم المرنة التي تختلف عن سجايا اهل الجنوب .

أما أهم بلدان هذه الناحية ، بعد بريدة وعُنيزه ، فهي البكيرية (عمرت سنة ١١٨٩ هـ) والهاليلية ، والخبراء (عمرت سنة ١١٤٠ هـ) والبدايع . وكلها لا تبعد عن عُنيزه أكثر من خمسة وعشرين ميلا . ثم الرس وملحقاته ، وهي على مسافة خمسة وثلاثين ميلا غربي عُنيزه . ثم النبهاية على مرحلتين منها الى الغرب ، والمذنب على مرحلة منها الى الجنوب ، والقصيبا على مرحلتين وأزود منها الى الشمال ، والاسياح ، وعين فهد ، والطرفية على مرحلتين شرقا من بريدة . وهناك شمالا بغرب من القصيم ، على خمسة مراحل منه

جبل شمر

اي جبلا طيء ، اجا وسلمى ، وما يتبعهما من السهول والجبال . اما حائل ، عاصمة شمر ، فهي من اكبر المدن العربية واجملها ، سكانها نحو ثلاثين ألف وهم مثل اهل انقصيم يكثرون الاسفار والاتجار ، ويبارون بالترفة اهل الامصار ، وبالبسالة والشجاعة اهل القفار .

وهناك قرى عديدة منها قفار ، وقبه ، وبقعاء ، وسميراء ، وكهفة هي كلها تابعة لحائل . واذا سرنا منها شمالا بغرب واجتزنا النفود الكبرى نصل الى جوف آل عمرو او

وادي سرحان

التي كانت لعرب الرولة من عنزي فاستولى عليها ابن الرشيد ، ثم بعد سقوط حائل دخلت في حوزة ابن سعود . قاعدتها الجوف

وأهم قراها سكاكه ، وقاره وقريات الملح ، وأثره ، وقراقر . هناك عند الطرف الشمالي من وادي سرحان الحدود الشمالية الغربية لسلطنة نجد .

الاحساء

هي اكبر واخصب النواحي ، بعد جبل شمر والقصيم ، التابعة لسلطنة نجد . جاء في التكمال للمبرد * : « الحساء جمع حسي وهو موضع رمل تحته صلابة ، فاذا امطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة ان يفيض ، ومنع الرمل السمائم ان تنشفه . فاذا بحث ذلك الرمل اصيب الماء . يقال حسني ، احساء وحساء » .

هذا الوصف علمي صحيح . الا أن في الاحساء واحات متفرقة اهمها واحتا الحساء والقطيف ، وبينهما ارض رملية مثل التي وصفها المبرد . وفي هذه الواحات المياه الجارية ، والعيون العذبة ، والبساتين الغناء ، والارض التي تصلح للحرثة ، فتزرع فيها الحنطة ، والشعير ، والسمسم ، والذرة ، والارز . وفي الحساء قرب الهفوف عيون معدنية متنوعة ، ماؤها حار وبارد ، اهمها عين نجم قرب المبرز التي يتغنى الشعراء بمائها العجيب - مائها المعدني الحار .

قد كانت الحساء في ايام القرامطة عاصمة مقاطعة هجر ، ثم استولى عليها الامراء العيونيون ** وفي سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) في عهد السلطان سليم الاول ، دخلت في حوزة الدولة العثمانية التي كانت قد استولت على اليمن ، فعدت الحسا من الولايات اليمانية . ثم اخلتها الدولة فاستولى عليها بنو خالد الى حين ظهور آل سعود الذين ادخلوا بني خالد في طاعتهم .

وعلى اثر الشقاق الذي حدث بين ابناء الامام فيصل سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) يوم كان مدحت باشا متوليا على بغداد ، عادت

* الجزء الاول صفحة ٧٦ طبعة ليبسك سنة ١٨٤٦ م في اربعة اجزاء .

** راجع ملوك العرب - الجزء الثاني صفحة ٢٣٤ - الطبعة الخامسة .

الدولة الى الاحساء فاحتلتها ، واطلقت عليها تيمنا اسم لواء نجد .
ولكنها في مدة اربعين سنة لم تتمكن من بسط سيادتها علي باع من
الارض خارج الواحات .

هذه هي نواحي نجد وأهم ملحقاتها ، ما عدا عسير ، وفيها
يسكن الحضر من اهل البلاد . اما البدو فسكناهم الخيام ، وقد قل
عددهم في عهد السلطان عبد العزيز بسبب الهجر (القرى المستحدثة)
التي شرع في تأسيسها منذ عشرين سنة * فسكان نجد اذن هم اليوم
أساسا ثلاث طبقات البدو ، وأهل الهجر ، والحضر .

* في الملحق صفحة ٤٥٤ من هذا التاريخ اسماء هذه الهجر وعددها وعدد سكانها
وذلك سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م عند صدور هذا التاريخ (الناشر)

النبتة الثانية

محمد بن عبد الوهاب والوهابية

ولد سنة ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م

توفي سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م

من مؤلفاته

- التوحيد في ما يجب من حق الله على العبيد
- السيرة المختصرة
- كشف الشبهات
- اصول الايمان
- فضائل الاسلام
- احاديث الفتن
- مختصر زاد المعاد
- مختصر صحيح البخاري
- مسائل الجاهلية
- مجموعة الحديث - فيه كتاب للشيخ بعنوان نصيحة المسلمين
- وكتاب الكبائر
- استنباط القرآن
- رسائل عدة ذكرها ونقل بعضها حسين بن غنام في تاريخه

« ان الدعاء كله لله ، يكفر من صرف شيئا لسواه »

محمد بن عبد الوهاب

« محبة الاولياء والصالحين انما هي اتباع هديهم وآثارهم
والاستنارة بضياء أنوارهم » .

محمد بن عبد الوهاب

« المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا تعبد من دون
الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء
منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته »

من رسالته الى عبدالله بن سعيد

محمد بن عبد الوهاب

والوهابية

١

في وادي حنيفة ظهر مسيّلمة الذي حارب النبي والاسلام فكان مدحورا • قتله خالد بن الوليد في وقعة الروضة • وفي وادي حنيفة ، بعد الف ومئة سنة ، ظهر محمد بن عبد الوهاب الذي كافح البدع والخرافات فكان من الفائزين •

قبل ظهور هذا المصلح النجدي كان العرب في نجد ، بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة ، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف ومن الاهواز ، أو بالحري من بلاد فارس • فكان لا يزال للمقراطة أثر في الاحساء ، وكانت للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها ، فحلها الناس المحل الاعلى في العبادة والتوسل • والحق يقال ان هذه البدع ، او هذه الخرافات القديمة ، ابعدت العرب بادية وحاضرة عن حقيقة الدين الكبرى وجوهره الروحي •

ابعدتهم عن الاسلام الذي جاء يبطل عبادة الاوثان وكل ما فيه روح العبادة لغير الله • فعادوا الى ما كان فيه اجدادهم وامعنوا أكثر منهم في الخزعبلات والاضاليل ، فلم يتوسلوا فقط الى قبور الاولياء بل تعددت القباب فوق القبور فصارت الشفاعة الكبرى للاشجار • بل كانوا يعبدون حتى الاشجار ، فيعلقون على أغصانها الرقاع ويقدمون لها النذور ومن هذه الاشجار في نجد ، خصوصا في كهوف جبل طويق ووادي حنيفة ، ما كانت تفوق سواها شهرة ، وتمتاز اسما وفعلا ، في نظر عبادها الذين كانوا يجيئونها من أقصى نواحي الجزيرة متبركين متوسلين •

قلت ان هذه العبادات ابعدت العرب عن الاسلام بل انستهم حقائقه وأركانها ، فقلّ منهم من كانوا يقرأون القرآن ويفهمون . قال المؤرخ النجدي : « اهل الناس الصلوة والزكاة والحج وكانوا لا يعرفون حتى مركز الكعبة » . وبكلمة أوضح عادوا الى الوثنية ، فجاء ابن عبد الوهاب يعيدهم الى الاسلام . فكان منذ نشأته الى يوم وفاته يدعو للرجوع الى الكتاب والسنة ، وقد انتشرت دعوته في نصف قرن بين الحاضرة والبادية ، وعمت في عهد سعود الكبير البلاد العربية جمعا .

نعم قد كان في نجد علماء يتبعون الامام احمد بن حنبل في المذهب والاحكام . ولكن علمهم لم يخل مما يشوب طريقة المجتهدين المتصوفين . فكانوا من هذا القبيل يشبهون علماء الكنيسة المسيحية في القرون الوسطى .

ومن كبار اولئك العلماء النجديين جد صاحب الترجمة سليمان بن علي التميمي . فقد كان رجلا فاضلا كريما ، تولى منصب الفتوى في نجد ، ودرس علمي التفسير والحديث ، وكان لهبه العلم ينفق على الطلبة من ماله الخاص ناهيك عن بيته الذي كان على الدوام مفتوحا للفقراء والمظلومين اللاجئين الى بره واحسانه .

وكان ابنه عبد الوهاب مثله من رجال العلم والحجى ، تسولى القضاء في بعض بلدان العارض فكان عادلا حكيما ، وألف عدة رسائل في الفقه والتفسير ، ولقن ابنه محمدا شيئا من العلوم التي كان يحسنها أما سجيته الكبرى ، تلك التي تميز العالم الحقيقي عن سواه من الناس ، انما هي الوداعة والتواضع . وناهيك بها من سجية تحمل صاحبها على الاقرار بالفضل حيثما كان في ولد صغير ، أو في خصم كبير . فقد طالما استعان الشيخ عبد الوهاب بابننه محمد في حل العضلات الفقهية والدينية ، وهو القائل : « قد استفدت من ولدي محمد فوائد شتى في الاحكام » .

كانت ولادة محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي

في السنة الخامسة عشرة والمئة بعد الألف هـ . الموافقة (١٧٠٣ م) في
الدُّعَيْنِيَّة بِوَادِي حَنِيفَةٍ ، وَقِيلَ فِي 'حَرِيمَلَةَ' . عَلَى أَنَّ الْمَوْرَخَ ابْنَ بَشَرَ
يَزِيدَ عَلَى مَا أَرَى الرَّيْبَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُولَى إِذْ يَقُولُ . « وَلَدَ فِي الدُّعَيْنِيَّةِ
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلَّ أَبُوهُ إِلَى 'حَرِيمَلَةَ' . فَكَانَ عَبْدُ الْوَهَّابِ نَقَلَ يَوْمَ كَانَ
ابْنُهُ صَغِيرًا فَتَضَامَرَتِ بَعْدَئِذِ الْأَرْاءُ فِي أَيْةِ الْبَلَدَتَيْنِ مَسْقُطَ رَأْسِهِ .
وَالْأَقْرَبُ أَنِّي الصَّحَّةُ رَوَايَةُ ابْنِ بَشَرَ .

وَلَدَ مُحَمَّدٌ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّدُوذِ ، وَكَانَ سَبَاقًا فِي عَقْلِهِ وَفِي
جَسَمِهِ ، سَرِيعَ الْبُلُوغِ فِي الْإِثْنَيْنِ ، مَتَوَقِّدَ الذَّهْنِ ، حَادَ الْمَزَاجِ . فَقَدْ
اسْتَظْهَرَ الْقُرْآنَ قَبْلَ بُلُوغِهِ الْعَشْرَةَ ، وَبَلَغَ الْإِحْتِلَامَ قَبْلَ اكْمَالِ الْإِثْنَتَيْنِ
عَشْرَةَ سَنَةً . قَالَ أَبُوهُ : « وَرَأَيْتُهُ أَهْلًا لِلصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ وَزَوْجَتِهِ
فِي ذَاكَ الْعَامِ » . وَمَا عَتَمَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ حَجَّ وَأَدَّى الْمَنَاسِكَ عَلَى ائْتِمَامِ
وَإِطَاعِ شَهْرَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ . ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ وَأَخَذَ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى وَالِدِهِ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ فَرَحَلَ طَالِبًا الْمَزِيدَ . زَارَ الْحَجَّازَ وَالْأَحْسَاءَ
وَالْبَصْرَةَ مَرَارًا وَكَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ آلِ سَيْفِ النَّجْدِيِّ
وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَيَّوَةُ السَّنْدِيُّ الْمَدَنِيُّ مِنْ أَسَاتِذَتِهِ . فَغَرَسَتْ فِي ذَهْنِهِ
مَذَاهِبَ دَلَّتْ فِي نَمْوِهَا الضُّثِيلَ عَلَى مَا تَأَصَّلَ فِيهِ بِمَسْقُطِ رَأْسِهِ فِي
بَيْتِ وَالِدِهِ مِنْ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

وَقَدْ كَانَتْ أَكْثَرُ أَقَامَتِهِ فِي الْبَصْرَةِ حَيْثُ قَرَأَ الْكَثِيرَ مِنْ كُتُبِ
اللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْمَجْمُوعِيِّ ، وَلَمْ يَنْحَصِرْ جِهْدُهُ فِي
الدَّرْسِ بَلْ شَرَعَ يَبْشُرُ هُنَالِكَ بِمَا تَجَلَّى لَهُ مِنْ حَقَائِقِ التَّوْحِيدِ . فَهُوَ
الْقَائِلُ : « كَانَ أَنَاسٌ مِنْ مُشْرِكِي الْبَصْرَةِ يَأْتُونَ إِلَيَّ بِشَبَهَاتٍ يَلْقَوْنَهَا
عَلَيَّ فَأَقُولُ وَهُمْ قَعُودٌ لَدَيَّ ، لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا إِلَّا لِلَّهِ ، فَيَبْهَتُ كُلُّ
مِنْهُمْ ، فَلَا يَنْطِقُ فَوْهَ . »

أَمَّا النُّفُوزُ الْكَبِيرُ فِي الْبَصْرَةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ فَكَانَ لَا يَزَالُ لِلشَّيْعَةِ ،
مَكْبَرَةً الْأَوْلِيَاءِ . وَلَكِنْ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّابُّ لَمْ يَحْجَمْ عَنِ الْقَوْلِ الْحَقِّ

حسب اعتقاده ، فأدهش الناس وأثارهم عليه ، فأخرجوه ذات يوم من البصرة . مشى في الهجيرة مطرودا يقصد الى الزبير ، وكان في نيته أن يزور الشام ، ولكنه لضيق ذات يده انثنى عن عزمه وعاد الى نجد فأقام ووالده عبد الوهاب في حريملة . ثم شرع يبت مبدء التوحيد وينادي باخلاص العبادة لله وحده ، فكان شديد اللهجة ، قوي الحججة . وكان في حريملة قبيلتان لاحداهما رهط من العبيد كثيرو الفساد والفسق ، فحاول الشيخ محمد ان يردعهم فأغضبهم ، فقاموا عليه ذات ليلة يريدون قتله ، ففر هاربا الى العيينة .

بعد عودته الثانية الى مسقط رأسه بدأ فعلا نشر الدعوة . بل قد شبت هناك نيران حربها ، فرفعت بين الانصار اعلام التوحيد ، ولمعت سيوف الحق المسلولة . اردعوا المعاندين والمعارضين ! وكان الشيخ محمد يزداد شدة يوما فيوما ، فأشتهر امره في جميع بلدان العارض ، في حريملة والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة ، وتعدد أتباعه وأعداؤه . بل ظهر الانصار وكان ثنيان بن سعود وأخوه مشاري في طليعتهم .

وكان النصير الاول الكبير هو عثمان بن معمر الذي كان يومذاك امير العيينة . وقد اتفق بن معمر وابن عبد الوهاب على العمل الاول الخطير في نشر الدعوة ، العمل الذي أضرهم نار الحماسة ونار العداء في الناس . قلت ان عرب نجد كانوا في ذلك الحين يقدسون القبور ، بل كانوا يعبدون القباب فوق القبور ، والاشجار التي يزرعونها في ظل القباب . فأول ما باشر الشيخ محمد هو انه امر الامير عثمان تلميذه الاول من الامراء الحاكمين ، بهدم القباب والمساجد المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة ، وبقطع الاشجار التي كانت تتوسل اليها الناس .

قبل الامير ، وخرج والشيخ وجماعة من الانصار الى الجبيلة فهدموا قباب القصور ، قبور الصحابة هناك . ثم تناول الشيخ محمد الفأس بيده وانهال على الشجرة التي كانت مشهورة في وادي

حنيفة بعجائبها ، شجرة « الذيب » ولية الفتاة طالبة الحبيب ،
والارملة ذات القلب الكئيب ، والزوجة حاملة الطيب ، تبغي الابن
الحبيب .

صاتت الشجرة العجيبة وهي تهوي الى الارض ، فكان لصوتها
الرهيب صدى تردد في شعاب الوادي وفي جبال سدير . ثم اقتدى
التابعون بأمرائهم فشرعوا يهدمون القباب ويجعلون القبور مسنمة
كقبور الصحابة .

هذا هو الحادث الاول الخطير في تاريخ الدعوة . اما الحادث
الثاني فهو اشد منه خطورة لان فيه قطع امرأة لا قطع شجرة . انت
تعلم ان الشرع الاسلامي يوجب قتل الزانية رجما . ودعوة الشيخ
انما هي الرجوع الى الشرع ، الى القرآن قبل كل شيء . الزانية ،
هي ذي في العينة . وقد ثبت زناها باقرارها وبشهادة أربعة أعيان .
فجيء بها الى الساحة وأمر الشيخ ان 'تشد عليها ثيابها و'ترجم .
رمى الامير عثمان بن معمر الحجر الاول ، وتبعه الراجمون ليتم
الحكم المشروع بالسنّة والاجماع . لم يذكر التاريخ شيئا لهذه
الفاجعة ، فكان الشيخ رأى فيها الارهاب الكافي .

رجمت الزانية ! فسرى خبرها سير البرق في البوادي والحضر ،
ووقع وقع الصاعقة في القلوب الاثيمة والقلوب الطاهرة ، فسكت
أناس ، وصاح آخرون . ومن هؤلاء أهل الحساء الذين قاموا يحتجون ،
فقد كانوا كما قلت مستمتعين بأشياء من اباحية انقرامطة ، فكتب
اميرهم سليمان آل محمد رئيس بني خالد الذي كان عتيد حكمه حتى
في العارض ، وكان ابن معمر عاملا له ، يهدد الشيخ المصلح بالقتل
اذا كان لا يرجع عن غيه « في زيغ قلوب المسلمين وفساد دينهم » .

* وقيل ان امرأة بغى جاءت الى الشيخ تلتمس التوبة على يده فردها اولا وثانيا

وثالثا ثم حكم عليها بالرجم .

لم يرجع الشيخ المصلح عن دعوته . فأرسل الامير سليمان الى عامله الامير عثمان يأمره بقتل محمد بن عبد الوهاب . فرأى الامير ان خير طريقة لحفظ منصبه ، وخلص صاحبه ، هي أن يغادر الشيخ العينة .

رحل المصلح الى الدرعية * فكانت الهجرة الثالثة وهو في الثانية والاربعين من سنه . وقد نزل هناك ضيفا على احد تلاميذه احمد بن سويلم ، فتهافت عليه الانصار وبالفوا في اكرامه . الا ان محمد بن سعود امير الدرعية تردد في مقابلته ، فالح عليه بذلك اخواه ثنيان ومشاري ، فظل مترددا . ثم لجأ الى زوجته * وكانت من النساء العاقلات النبيلات ، فأخبرها بما يدعو الشيخ اليه وبما ينهى عنه ، فارتاحت الى ذلك ووعدتهما خيرا . وهذا ما يدل على ما للمرأة حتى داخل الحريم ووراء الحجاب من التأثير الطيب اللهم اذا كانت عاقلة ، وعالمة بشؤون الامة . قالت هذه « الخديجة » الفاضلة لاميرها ابن سعود : « ان هذا الرجل ساقه الله اليك وهو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به » .

قبل الامير قولها « ووضع الله في قلبه محبة الشيخ ومحبة ما دعا اليه » فأراد ان يدعو للمقابلة ، فقال اخوه مشاري : « سر برجلك واظهر تعظيمه وتوقيره ليسلم من اذى الناس » فسار محمد بن سعود الى بيت ابن سويلم ورحب بابن عبد الوهاب قائلا : « ابشر ببلد خير من بلادك وبالعز والمنعة » . فقال الشيخ : « وأنا ابشرك بالعز والتمكين اذا عاهدتني على كلمة التوحيد التي دعت اليها الرسل كلهم » .

وفي ذلك اليوم عقد العهد الذي اجمع بين عقيدة المصلح وسيادة

* كتاب « ملوك العرب » (الجزء الثاني) الطبعة الخامسة ، فصل الوشم ص ١١١

وما يلي منه وصف لوادي حنيفة وبلدانه .

* هي موسى بنت ابي وهطان من آل كثير .

الامير - بين المذهب والسياف - فتعهد محمد بن سعود بنشر دين التوحيد في البلاد العربية ، وتعهد ابن عبد الوهاب بأن يقيم في الدرعية معلما ، وان لا يحالف أميرا آخر من أمراء العرب .

ولا يزال هذا العهد مرعيا بين البيتين بيت سعود وبيت الشيخ* حتى اليوم .

٢

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقد الرابع من العمر عندما بايع ابن سعود (١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م) على أن يكون أماما يتبعه المسلمون ، وتعاهد الاثنان على كلمة التوحيد ونشرها بين العرب .

ولما علم الامير عثمان بن معمر بذلك جاء يسترضي صديقه ويسأله الرجوع الى العيينة فلم يفر ببعيته . ذلك لان الشيخ عاهد ابن سعود على أن يقيم في الدرعية ، فجعلها مقره الدائم ، فأصبحت في الشطر الثاني من حياته قطب دين التوحيد ، ومطلع انوار العلم التي كانت تنبثق من شمسها المشرقة . فقد تخرج عليه اناس كثيرون ، كان يرسلهم الى البلدان القاصية والدانية مبشرين ، معلمين مرشدين ، منذرين .

كانت الدرعية يومئذ بلدة صغيرة قليلة أسباب الرزق والثروة . ولما كثر الوافدون على الشيخ ضاق بهم العيش فكانوا يحترفون في الليل ويتعلمون في النهار . وما دنا القرن الثاني عشر من الزوال حتى أصبحت اكبر مدينة في البلاد العربية ، يقيم فيها العرب من اليمن وعمان ومن الحجاز والعراق والشام .

قد رأى ابن بشر الدرعية في زمن سعود بن عبد العزيز فدهش مما شاهد من مظاهر الثروة والعمران . وقد وصف موسمها فقال

* في نجد يعرف محمد بن عبد الوهاب بالشيخ وتدعى سلالة آل الشيخ .

« نظرت الى موسمها وأنا في مكان مرتفع وهو في الموضع المعروف بالباطن بين منازلها الغربية التي لآل سعود المعروفة بالطريف ، وبين منازلها الشرقية المعروفة بالبجيري التي فيها ابناء الشيخ ، ورأيت موسم الرجال في جانب ، وموسم النساء * في جانب آخر وما فيهما من الذهب والفضة ، والسلاح والابل والاغنام ، وكثرة ما يتعاطون من البيع والشراء ، والاخذ والعطاء . وهو كمد البصر تسمع فيه الاصوات كدوي النحل ، والدكاكين الى جانبيه الشرقي والغربي وفيها من الثياب والقماش وأنواع الالبسة والسلاح مما لا يوصف » .

عُمرت كلمة التوحيد الدرعية ، فأصبحت في أيام سعود الكبير عاصمة البلاد العربية ، وصار الشيخ محمد فيها المرجع الاعلى في العلوم والاحكام . على أنه ظل مع ذلك يعلم ويبشر ويؤلف ويراسل ويناقش ناشرا مذهبه مدافعا عنه . حتى ان اولاده الخمسة حسن وحسين وعلي وعبد الله وابراهيم كانوا عوناً له في التعليم . قال ابن بشر : « قد رأيت لهؤلاء الخمسة مجالس ومحافل للتدريس في بلد الدرعية ، وعندهم اطلبة الكثيرون من سائر نواحي نجد ومن اهل صنعاء وزبيد وعمان وغيرها من الاقطار .

اما التعليم فقد كان مجانياً ، بل كان للطلبة تنفق من بيت المال ، وللاذكياء منهم جوائز فوق ذلك من مال وكساء . هناك تلالات أنوار الدين والفقه والحديث ، فكانت الدرعية في تلك الايام مثل رومه في العهد المسيحي الاوسط ، وكانت مدارس الشيخ محمد وأولاده مثل المدرسة الكبرى برومة لنشر الايمان . ولد هذا النجدي الكبير ونشأ في بيت العلم والزهد فأشرب روحه بنيه ، وأخذ احفاده وأبنائهم العلم عنهم وعنه ، فهم لا يزالون حتى اليوم محافظين على هذا الارث الثمين ، الا انه ينقصهم شيء من المرونة العقلية والروحية،

* بقي للنساء في نجد حتى ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م سوق خاص بهن يبعن ويشترين فيه .

يعادون عبثا سنة التطور وال عمران .

لم يتدخل الشيخ محمد في شؤون الملك المدنية ولكن الامير محمدا وابنه عبد العزيز كانا يستشيرانه في الاحكام الشرعية ، وكانت له الكلمة الاولى في المبايعة على الامامة .

٣

ظلت الدرعية قطبا للعلم والتعليم الى يوم دمرها ابراهيم باشا المصري . وبعد أن استوطنها الشيخ شرع يكاتب الرؤساء والمشايخ يحذرهم من الشرك ويدعوهم لدين الله ودين التوحيد . وكان سليمان آل محمد أمير الحساء ، وابن مقلق أمير القطيف ، وابن تويني أميراً في انبصرة ، وابن دواس حاكماً مستقلاً في الرياض ، وكلهم اعداء لمذهب التوحيد . هم الامراء الاعداء . وهناك العلماء السنيون والشيعة الذين سخرؤا منه ، وافترؤا عليه ، وشرعوا يتهمونه بما اتهم به الخوارج من قبل . حتى ان بعضهم سعى لدى الحكام لقتله .

أول من ضلله وكفره وسعى الى العلماء في البصرة والاحساء والحرمين في مقاومته وقتله ، اثنان من مطاوعة الرياض هما محمد بن سحيم وابنه سليمان ، فقالا ان ابن عبد الوهاب خارجي ، بل من اقبح المضللين والكفار ، وشر الخوارج والفجار . ومن جملة من رفض دعوته ورد عليه في بادئ الامر اخوه سليمان بن عبد الوهاب الذي كان متولياً انقضاء في حريملة . ولكنه اهتدى بعدئذ وتاب ، فأقر بخطئه وقال ان كتابه لم يكتب لوجه الله .

حارب المصلح العلماء أعداءه بالعلم . ولكن الجهلة ، أي عامة الناس الذين اثارهم العلماء عليه ، لا يقرأون ، وقلما يفهمون فلا يميزون بين الزيادة والعبادة مثلاً ، وبين الاكرام والتوسل . قيل لهم ان ابن عبد الوهاب ينكر كرامة الاولياء ، وهو لا ينكر غير الدعوة لهم . وقيل انه يحرم زيارة القبور وهو لم يحرم غير عبادتها والتشفع

بها . ولكن العربان لا يقرأون ولا يفهمون غير لغة العنف والقوة .
وقد احرز المصلح في تحالفه وابن سعود سيفاً بتاراً . فالذي لا يفهم
بالقلم يفهم بالسيف ، والذي لا يرتدع بالحسنى 'يردع' بابن عمها . . .

استل محمد بن سعود الحسام وراح ينهي الاعراب عن افعال
الجاهلية ، ويدعوهم لدين الحق الذي هو الاسلام المجرد من الخرافات .
ويأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة . وكان اتباع ابن عبد الوهاب يدعون
أنفسهم بالمسلمين وأعدائهم بالمشركين .

'شهرت الحرب على المشركين في السنة الاولى (١١٥٧ هـ)
من العهد الوهابي السعودي ، فكانت الواقعة الاولى في الرياض بين
رجال ابن سعود ورجال دهام بن دواس . ودهام هذا عصامي دون
فضيلة اخرى تذكر له الا الثبات . اغتصب الامارة ، وهو من خدام
القصر واستمر أميراً ثلاثين سنة في زمن الزعازع الدينية والفتن
والحروب .

كان دهام خادماً لعبد يدعى خميش قتل قاتل أمير الرياض زيد
ابن موسى ابا زرعة وتولى مكانه . ثم فر هارباً فتولى الامارة دهام
خادمه ، فقامت عليه الاهالي ، فاستنجد بابن سعود فأنجده وأقره
في مركزه . ولكن العبيد مناكيد فكيف بخدامهم ؟

دعا ابن سعود صديقه ابن دواس لدين التوحيد فأبى . ثم
انذره فاستكبر وقال : ومن هو ابن مقرن ليحمل مفاتيح الجنة وينذر
الناس بالنار ؟ شبت الحرب . وكان ابن دواس فيها أشد أعداء
التوحيد وآل سعود ، حاربهم في اندور الاول عشر سنين وهو يحتل
اليوم بلدة ويخليه غداً . وحاربهم كذلك بالدسائس والفتن ففسد
ظهرت الردة في سنة ١١٦٧ هـ في بعض بلدان العارض التي كانت
في حوزة ابن سعود وكان هو من عواملها الخفية .

ولكن المصلح غلب الفتن • بادر الشيخ محمد الى نجدة ابن سعود في تأديب المرتدين • جاءت الكلمة النارية تشحن السيف وتعضده • فقد دعا الشيخ الرؤساء والزعماء من جميع البلدان الى الدرعية ، وخطب فيهم باسم الله ، فأعاد الى قلوبهم قبس الايمان ، وأضرهم فيهم ثانية نار الجهاد •

ومع ذلك فقد استمر ابن دواس يحارب ابن سعود عشرين سنة ، يحاربه بالمقاتلة والمخاتلة • والاه ثم عاداه مرارا • عاهداه اربع مرات حبا بدين الله والسلام ، ونكث اربع مرات عهده حتى انه انضم مرة الى جيشه وحارب المشركين • على انه بعد تعدد الوقعات والهذات والمعاهدات والخيانات دحر في سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٢ م) الدحرة التامة النهائية • دحره الامير عبد العزيز بن محمد الذي دخل الرياض ظافرا • ولكنه لم يفز بدهام الدواس الذي فر هاربا الى بلاد الخرج وتوفي هناك •

وكان للموحدين خصم آخر لدود يدعى عريعر ، خلف الامير سليمان رئيس بني خالد في الحساء • فقد جاء بجيش جرار من العربان ، وفيهم جنود من عنزى كبيرهم ابن هذال * ، وبمدافع حملتها الجمال فاجتازت بها الدهناء • نصبت المدافع وحوصرت الدرعية • وانضم الى العدو كثيرون من اصحاب الردة ، ومن أهل الوشم وسدير الذين ترددوا في قبول التوحيد •

وقد كان عريعر صاحب مكر وحيلة ، بل كان مخترعا • فبعد أن حاصر الدرعية شهرا دون نتيجة يشكر عليها اختراع آلة جديدة للحرب سميت الزحافة • وهي صندوق من خشب يسير محمولا على دراجات ، يجلس فيه من العشرة الى العشرين رجلا وهم في امن من رصاص العدو فيسوقونه الى السور يريدون هدمه • وما أشبه زحافة عريعر بدبابة اليوم • ثم حاول عريعر ان ينصب مدفعا كبيرا يدمر به الدرعية فأمر بجمع الحديد والنحاس لهذه الغاية وبأشر العمل •

* كانوا ولا يزالون من أعداء التوحيد وآل سعود • وكان كبيرهم فهد بك الهذال شيخ العمارات ، فخذ من عنزى •

شبت النيران ، ونفخت المنافخ ، وذابت في المراحل المعادن ولكنها في النهاية صدت الطالب ، وعصت القلب . قال مؤرخ ذلك الزمان : « كلما أفرغها في القلب أبت » .

وكان لعريعر ابن اسمه سعدون لم يرغب مثله في التوحيد فحمل على أهله في الجنوب . اجتاز الدهناء بجيشه ، ومعه المدافع أيضا ، وهو يبغى الإمامة لينجد أهلها على الموحدين . ولكنه ، بعد ان جاء الإمامة بمدافعه ، عاد منها بدونها ، مثلما عاد أبوه من الدرعية . ولا تزال هذه المدافع محفوظة في بريدة .

كسر الاب وكسر الابن ، فعادا للمرة الثالثة موحدين قواهما - لا بد من التوحيد على الاقل في القتال - وحاصرا بريدة ، فاستمر الحصار أربعة أشهر . واستخدمت فيه الزحافات التي لم تخفف عن الاب والابن وجيوشهما ذل الخيبة والاندحار .

ولكن أهل التوحيد لم يستفيدوا من هذه الغلبات المتوالية لأن وجود العدو في نجد كان يشجع على العصيان أولئك الذين اكرهوا في دينهم ، وأولئك الذين تخاذلوا . لذلك تعددت الردات في الشمال وفي الجنوب . فكان الموحدون اذا امسكوا القصيم يتفلت من أيديهم الخرج واذا وجدت المجمععة تعود الإمامة الى شركها القديم .

اول من باشر الجهاد في سبيل الدعوة الامير محمد بن سعود واخوانه . ولكن بطل التوحيد الاول هو عبد العزيز بن محمد الذي كان يغزو في الجزيرة شمالها وغربها وشرقها وجنوبها ست غزوات في بعض الاعوام ، فوصل في الجنوب الغربي الى وادي الدواسر ، وفي الشمال الشرقي الى السماوة بالعراق . بدأ الغزو في سبيل التوحيد وهو شاب ، وباشره كذلك ابنه سعود - سعود الكبير فاتح الجزيرة .

قد عاش محمد بن عبد الوهاب ليسمع بهذا النصر المبين ويشاهد ثمار دعوته في من كانوا يؤمنون الدرعية من سائر الاقطار ليسلموا عليه . ولكنه لم يعيش لسمع بفتح الحجاز ودخول سعود ظافرا الى مكة المكرمة . فقد كانت وفاته قبل ذلك باثنتي عشرة سنة ، اي في السنة السادسة والمئتين والالف هـ . الموافقة (١٧٩٢ م) يوم كان سعود يحارب عرب المنتفق خارج البصرة ، ويوم كانت جيوش الشريف غالب زاحفة من الحجاز لمحاربة اهل نجد .

٤

ان في الصفحة الثالثة من كتاب * يتضمن عدة رسائل لمحمد ابن عبد الوهاب وابن تيمية ما يلي :
اعلم رحمك الله انه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بها :

أولاً - ان الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا بل أرسل الينا رسولا فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار . والدليل قوله تعالى :

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ، فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا

(سورة المزمل آية ١٥)

الثانية - ان الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحدا ، ملك مقرب ولا نبي مرسل . والدليل قوله تعالى :

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا .

(سورة الجن آية ١٨)

* طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار بمصر بنفقة عيسى بن ربيع من أهالي نجد وهو يوزع مجانا . وكذلك « التحفة السنية » التي طبعت بنفقة الامام جلالة الملك عبد العزيز .

الثالثة - أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب . والدليل قوله تعالى :

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ

(سورة المجادلة آية ٢٢)

انك ترى اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مثل ابن تيمية والامام احمد بن حنبل ، يعود في هذه الاصول الى المصدر الاول الاعلى - الى القرآن فكل ما هو مبني عليه من العقائد والاحكام لا يرد ولا ينتقد . ولكن الحنابلة والوهابيين لا يختلفون في هذا مع الائمة الاخرين انما الخلاف في التفسير والاجتهاد . فالجعفريون أي علماء الشيعة ، وهم على جهة الاجتهاد في التطرف ، يفتحون الباب على مصراعيه والحنابلة وهم على الجهة الاخرى المناقضة يقفلون . يقرأ الجعفريون بين سطور الكتاب ، وفي تلايف الآيات . يبنون عليه الاحكام ، وما لا يخلو في بعض الاحايين من ابهام ، فيتخذون التفسير وسيلة للفرار من معنى الآية الحرفي . ويقول العلماء الحنابلة ان لا باب بعد الخلفاء الراشدين للاجتهاد ، ان كل ما في الكتاب واضح جلي . وهناك بين الفريقين ، علماء المذاهب الاخرى اي الحنفيون والشافعيون والمالكيون الذين يشبتون حق التفسير ولا يغالون في استخدامه .

بعد الكتاب تجيء السنة وهي محترمة متبعة عند الحنابلة والوهابيين . ولكن الاسناد في السنة لا يكون دائما محققا فيثبت بعض المحدثين اعمال النبي وأقواله ، ويثبت كل المحدثين بعضها ، يختلف المحدثون في جملة منها وهذا منشأ الاختلاف بين الشارحين والمفسرين .

ولكن الامام احمد بن حنبل اهتدي علي ما رأي الي الطريق

التي فيها العلم الوضعي ، الواضح الجلي ، في ما هي السنة • وكأنه
غربل الاحاديث ونبد كل ما ليس بالاجماع ، فلا يقبل الا ما يثبت به
الائمة أجمع • وقد توصل والحال هذه الى أصح الطرائق العملية
وجاء بمذهب في الانتخاب ، ولنا ان نقول في التفسير ، يصح أن
يدعى بالمذهب العقلي الوضعي •

هي القاعدة التي وضعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في
قوله : « الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب ، وما قاله
وعمل به الاصحاب ، وما اختاره الائمة الاربعة المقلدة في الاحكام
المتبعة ، فقد انعقد على صحة ما قالوه الاجماع » • ثم قال « والسنة في
عرف العلماء المتأخرين هي السالبة من الشبهات في الاعتقادات » •

وقد قام ابن تيمية في القرن الثامن للهجرة ينصر ابن حنبل
وينشر مذهبه ، بل ينصر ما رآه حقا ، ويبين ان مذاهب الائمة كلها
لا تختلف في الحق بعضها عن بعض • فألف الرسائل في الحديث
والعبادات ، وفي زيارة القبور • فكان ابن تيمية للائمة مثل الرسول
بولس للمسيح •

قد اسلفت القول ان أهل نجد ، على ما كانوا فيه من سخيف
العبادات هم أصلا حنابلة • وقد كان جد الشيخ محمد وأبوه وغيرهما
من القضاة يستخرجون الاحكام على مذهب الامام احمد • أما الشيخ
محمد نفسه فقد طالما تمثل بهذه الابيات :

بأي لسان أشكر الله انه	لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
هداني الى الدين القويم تفضلا	علي وبالقراآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد بن حنبل	عليه اعتقادي يوم كشف السرائر

قد كان الشيخ محمد معجبا أيضا بابن تيمية مكثرا من مطالعة
كتبه • وهو القائل : « لست اعلم أحدا يجاري ابن تيمية في علم
الحديث والتفسير بعد الامام احمد بن حنبل » • انك ترى اذن ان

المذهب الوهابي هو في اصوله المذهب الحنبلي • وازيدك علما (ان كثيرين من اهل نجد - من اهل التوحيد - يدعون انفسهم حنابلة ويؤثرون هذا اللقب على سواه •

ما فضل ابن عبد الوهاب اذن ؟ ان فضله بالرغم عما ذكرت لعظيم • ليس من الواجب ان يكون المصلح مبتكرا طريقته أو مكتشفا لناموس جديد في الكون أو في الحياة • ان المصلح المخلص أولا في يقينه لا يهاود فيه ولا يحابي ، وهو مخلص في عمله لا يخرج فيه عن يقينه • وانه اذا ما بلغ هذه الدرجة من الاخلاص لمتعصب • والمتعصب مقاتل حتى يستقيم المعوج ، وتصفو موارد العبادة واليقين •

أما مواد العمل واسباب الاصلاح فقد يجدها مدفونة في زوايا النسيان ، في ظلمات الماضي ، مكفنة بالغبار والصدأ والعنكبوت ، ولا يزال الرمق فيها • لا تزال ، رغم ما أثقلت به من الخزعبلات والخرافات ، على شيء من الحياة ان المصلح ليجدها هنا دعوته ومصدر العمل والالهام • أجل ، حيثما الحياة فهناك أيضا بذورها ، وحيثما البذور فهناك النشو والنمو والخلود •

اننا نقول اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذي انقذ المذهب الحنبلي مما كان يكتنفه في نجد من اسباب الفساد والاضمحلال • هو الذي اكتشف بذور الحياة فيه فأعاد زرعها وجدد موسمها • فهل ندعوه مجددا ؟ انه كذلك وفوق ذلك • هل ندعوه مصلحا ؟ قد كان ولا شك الباعث الاكبر لاصلاح كبير في نجد ، ولكنه قصر ، اذا توسعنا بمعنى الكلمة ، دون الاصلاح الاكبر في الاسلام • عاد الشيخ محمد الى الكتاب والسنة فجاء في حملاته على الشبهات والخرافات شيء من الشدة في التحريم لا نظنها تدوم • هل ندعوه معلما ؟ نعم هو معلم كبير ، وقد تجاوز في رسالته التعليم • فقد علم اهل نجد دين التوحيد الذي كانوا قد نسوه ، ونفخ فيهم

فوق ذلك روحا قومية عظيمة ، تلك الروح القومية التي مكنتهم ، وهم محصورون في بواد من الرمال في قلب البلاد العربية ، من التوسع والاستيلاء ، فقلدتهم من القوة سيفنا نبويا ، ومن التفوق رمحا حنفيا ، ومن التقشف والصبر والثقة بالنفس ، بعد الثقة بالله ، درعا من دروع الصحابة . هو ذا الفضل الاكبر للشيخ محمد بن عبد الوهاب . ان دعوته في نتائجها سياسية كما ترى ودينية معا . وما كانت كذلك لولا تمسكه في اكثر الاحايين بمعاني الكتاب والاحاديث الظاهرة اي بمعانيها الجوهرية .

خذ لك مثلا مسألة من أدى الشهادتين ولم يصل ولم يزكي . فان الامام الشافعي وايا حنيفة لا يحكمان بكفره ، اذا كان لا يجحد الصلاة وغيرها من أركان الاسلام . وحجتهم في ذلك حديث رواه عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله (صلعم) يقول : خمس كتبهن الله على العباد من اتى بهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، ان شاء عذبه وان شاء غفر له . اما الامام احمد فيحكم بكفره ، ويحتج باحاديث منها : بين الرجل وبين الشرك والكفر ، ترك الصلوة . ومنها : امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ، ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقىموا الصلوة ويأتوا الزكاة .

وهناك مسألة أخرى في الصلوة والعبادة . يقول العالم الوهابي من قال : لا اله الا الله ومحمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال . اما اذا وحّد الله تعالى ولم يشرك به شيئا ولكنه ترك الصلوة والزكاة تكاسلا فقد اختلف العلماء في كفره . ولا عصمة للعلماء الا في الاجماع . كل واحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله . جاء في الكتاب : فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله . وقال العلماء : الرد الى الله هو الرد الى كتابه .

العود اذن الى الكتاب وما فيه من آيات يلزمها شرح او تفسير ،
 وغيرها ما هي واضحة جلية الا انها انزلت لغرض معلوم ، في وقت
 معلوم . فمن عاد الى التاريخ ، ولجأ الى مفاتيح التفسير ، رحب
 لديه ولدى اتباعه مجال الفكر ، وضاق غالبا مجال اليقين . ومن
 تمسك بالمعنى الظاهر كانت النتيجة عنده وعند اتباعه عكس ما
 ذكرت . أما اليقين فقد يضيع أو يضعف في تعدد الشروح والتفاسير ،
 والعزم يضعف في ضياع اليقين ، ونشر المذهب اذا ضعف العزم في
 رجاله لا يتم وقد يستحيل .

٥

لم يكن محمد بن عبد الوهاب خشن الطبع قاسي القلب عتيا ،
 بل كان في حياته الخاصة والعامة لطيفا ، محسنا ، شفيقا ، حلما .
 على انه في يقينه ، شأن كبار المصلحين ، لم يكن ليهود او يلىن .
 علّم الناس معرفة الله ومعرفة النبي ومعرفة الدين بالادلة القرآنية ،
 والاحاديث النبوية ، على طريقة الصحابة ، خلافا لعلماء المسلمين في
 الامصار الذين يعلمون هذه الموضوعات الثلاثة على طريقة المتكلمين .
 قد ناله من الجهلاء وادعياء العلم ما نال كل مصلح كبير . ولا سيما
 وقد جاء يردعهم عن عادات الآباء الاسلاف الذين درجوا على حسب
 البدع والخرافات . على انه لم يكفر أحدا من هؤلاء بل كان يقول :
 معاذ الله ان أكفر من قال : لا اله الا الله . ولكنه في رجوعه الى
 الكتاب والسنة اصطدم بآيات وأحاديث نبهت فيه نكرة الاقدمين
 فحرض على الاعمال التي شوهت في الماضي كل دين . على ان
 الاصلاح ، في بادئ امره ، لا يكون بغير الهدم ، ولا يقوم بغير شيء
 من الارهاب .

قد جد الشيخ محمد واجتهد في نفع الناس ، ولكنه رآهم
 واكثرهم من البدو لا يفقهون دقيق الكلام ، ولا يساقون بالبرهان ،

فقال بالجهاد ، خصوصا والكتاب يقدم السلاح ، والسنة تقدم الذخيرة .

« وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا »

(سورة الجن آية ١٨)

أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقيموا الصلوة ويأتوا الزكوة (الحديث) .

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

(صورة الزمر آية ٢٥)

عليهم اذن فانهم وان قالوا : لا اله الا الله وهم يرجون شفاعته غيره ، او يشركون بالشفاعة غيره ، انهم لمشركون . قد أمرت ان اقاتل الخ . هو ذا مصدر الشدة ، ومبرر القتال . وقد كتب الشيخ محمد الى عبدالله بن سحيم مطوع الرياض يقول :

« الغلو في علي بن ابي طالب مثل الغلو في المسيح . من غالى في نبي ، او صحابي ، او رجل صالح ، وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول : يا سيدي فلان اغثنني . او انا في حسبك ، فهذا كافر يستتاب فان تاب والا قتل » . ومن كتاب اليه ايضا :

« المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثانا تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته » .

وقد قال النبي : خير القبور الدوارس . . ان الشيخ محمد ليستشهد اذن بالكتاب والحديث ، وبأقوال الصحابة والائمة الاربعة ، على قتل الكفار والمشركين . ولكنه في بعض رسائله يشكو ويعتذر . فقد جاء في واحدة منها :

« ولا يخفاكم ان الذين عادونا في هذا الامر هم الخاصة لا العامة »

فكاتبناهم وخاطبناهم بالتي هي احسن وما زادهم ذلك الا نفورا •
 وفي كتاب الى عبد الرحمن السويدي في العراق يقول :
 « أما القتال فلم نقاتل أحدا الى اليوم الا دون النفس والحرمة
 وهم الذين اتونا في ديارنا ولا ابقوا ممكنا • ولكن قد نقاتل بعضهم
 على سبيل المقابلة • وجزاء سيئة مثلها » •

ان هاهنا شيئا من الغلبة للطبع الانساني ، ولكنها غلبة لا تثمر
 دائما ، خصوصا اذا اصطدمت بالنزعات والنعرات ، فتقوم الآيات
 مقام الحسنات ، فلا يرى المصلح اذ ذاك غير مشرك حلال الدم والمال ،
 وقبور ذي قباب لا تصلح لغير الهدم • ولكن الاشراك درجات ، وفي
 الآيات معان ظاهرة او باطنة يتسلح بها من قاوموا الشيخ وضللوه •

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ .

(سورة السبا آية ٢٢)

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (الاية)

(سورة البقرة آية ٢٥٦)

قال المقاومون : ورسول الله مأذون ، وبالتالي ملائكته ، فتوسع
 المتطرفون في المسألة وقالوا : والمقربون كذلك من رسول الله
 وملائكته ، أي الاولياء مأذونون ، فجّر ذلك الى الشرك العميم ،
 والكفر الذميم •

هي ذي حجة ابن تيمية وابن عبد الوهاب الكبرى • ليس
 للملائكة ولا لاحد من المخلوقات سهم واحد في ملك الله ، وليس له
 اعوان تعاونه كما تكون للملوك اعوانا •

ولكن - ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له « (الآية) •
 اذن هناك شفاعة ، وهي تنفع اذا كان المشفع به مأذونا له •
 وها هنا اختلف العلماء والمفسرون • كيف السبيل الى معرفة من

ان له الله بالشفاعة ؟ قد اجاب ابن تيمية عن هذا السؤال واحسن التلخيص فقال : « وفي كل حال الاذن من الله فالامر اذن كله له تعالى » . لا نزال في الدائرة التي لا نهاية لها . انت تردني الى الكتاب وانا اردك الى الله . واذا رددتني الى الله اردك الى كتابه تعالى وسنة رسوله .

اما الدعاء وهو نوع من التشفع ، فقد حلله ابن تيمية في قوله ما معناه : ان كل ما لا يستطيعه الا الله لا يجب ان يطلب الا منه تعالى * ولا يجوز ان يقول الانسان لملك أو لنبي أو لشيخ ، سواء كان حيا أم ميتا ، اغفر ذنبي أو انصرني على عدوي الخ . ومن سأل ذلك فهو من المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصور والتماثيل . ولكن هناك نوعا من الدعاء يجوز ، كأن تقول لجيرانك عند ارتحالك عنهم : ادعوا لنا بالخير والسلامة . هذا ما يسميه العلماء اجابة غائب لغائب . ثم توسعوا فيه فقالوا ان الناس لما أجدبوا سألوا النبي أن يستقي لهم فدعا الله لهم فسقوا . وفي الصحيحين أيضا ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس فدعا فقال : اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا فسقوا .

هي ذي حجة أصحاب الاولياء . فاذا استجاب الله طلبه النبي وعم النبي افلا يستجيب كذلك طلبه صهره وابنته وابنيها والصالحين من سليلتيهما ؟ ولكن ابن تيمية وابن عبد الوهاب يردان عليهم في قولهما ان هذا من باب طلب الانسان الحي ما يقدر عليه فأن حقيقة التوسل بالنبي وبعمة هو طلب الدعاء منهما في حياتهما . وذلك جائز . اما الميت فلا يستطيع امرا .

قد نهى النبي حتى عن التعظيم . لذلك لا يقبل أهل نجد يد

(١) قد ذكر ابن تيمية شفاء الامراض - امراض الادميين والبهائم - والنصر على الاعداء وغفران الذنوب ، وتعلم القرآن ، واصلاح القلوب ، كلها من الامور التي لا يجوز ان تطلب من غير الله .

سلطانهم ولا يخضعون امامه او يطأطئون له الرأس . لا يجوز
السجود والتعظيم لغير الله . وقد نهى النبي عن الصلاة عند طلوع
الشمس وعند غروبها ، فتصلي صلوة الفجر قبل الشروق وصلوة
المغرب بعد الغروب ، ليبعد المسلمين عن العقائد التي كانت شائعة
في الجزيرة خصوصا في اليمن وفي الاحساء ، أي عقائد عبدة الشمس
والكواكب ، المجوس والصائين ، فلا يسجدون مثلهم للشمس .

اما زيارة القبور فمشروعة شائعة عند الوهابيين ، والدعاء
للميت هي بمنزلة انصلوة على جنازته . فأهل نجد الذين يواظبون
على هذه العادة يقولون : سلام عليكم اهل ديار قوم مؤمنين وانا ان
شاء الله بكم لاحقون . يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين .
نسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمننا اجرهم ولا تفتننا بعدهم .

هو دعاء جميل . واجمل منه جواب النبي لرجل قال له : ما
شاء الله شئت . فقال النبي « أجعلتني لله ندا . ما شاء الله وحده »
وقد قال ايضا : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا
ما شاء الله ثم ما شاء محمد » . وهذي هي القاعدة التي يجري عليها
اليوم اهل نجد فيقولون مثلا : ما شاء الله ثم ما شاء ابن سعود ،
نسأل الله ثم ابن سعود ، لولا الله ثم ابن سعود لهلكنا .

اما التوسل فهو على ثلاث درجات :

الاولى - ان يأتي المرء الى قبر نبي أو ولي أو ما يعتقد أنه قبر
نبي أو رجل صالح ويسأله حاجته في ما لا يقدر عليه الا الله ، فهذا
شرك صحيح يجب ان يستتاب صاحبه . فأن تاب ، والا قتل .

الثانية - ان يطلب المرء من النبي أو الولي أو الشيخ الصالح
ان يدعو له كما يقول للحي : ادع لي كما كان الصحابة يطلبون من
النبي الدعاء . هذا مشروع في الحي لا في الميت من الانبياء والصالحين .

دليل ذلك ان الناس في زمن عمر استغاثوا بالعباس عم النبي ولم يجيلوا قبر النبي مستغيثين به . وقد قال النبي لا تتخذوا قبوري عيدا ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلواتكم تبلغني * .

الثالثة - ان يقول المرء : اللهم بجاه فلان عبدك او ببركة فلان ، او بحرمة فلان ، اسألك كذا وكذا . هذا شائع بين الناس ولكن لم ينقل عن احد من الصحابة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء . وانهم اذا أجازوا التوسل بحق الصالحين او بشفاعته فيجب ان يكون ذلك في حياته وحضوره .

هذه هي درجات التوسل انثلاث ، ومنها واحدة فقط فيها الشرك الصحيح فيحلال ابن تيمية وابن عبد الوهاب قتل صاحبه ان لم يتنب . اما الدرجتان الثانية والثالثة فالدنب فيهما شبيه بالخطيئة العرضية عند المسيحيين ، ولا يجوز قتل من 'عَد توسله منهما .

* ليس في المذهب الوهابي او الحنبلي ما يمنع المسلم من الحج او يوجب هدم قبر النبي ولكن الحنابلة والوهابيين يختلفون عن سواهم من المسلمين في انهم يزورون القبور للسلام كما قلت والدعاء لا للتوسل والاستغاثة . وقد كان الصحابة اذا زاروا قبر النبي يسلمون عليه فاذا ارادوا الدعاء ينحرفون عنه ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده . وكانوا ينهون عن التمسح بالقبر والتقبيل . قال ابن تيمية . * ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها الا الحجر الاسود . وقد ثبت في الصحيحين ان عمر رضي الله عنه قال : والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله يقبلك ما قبلتك .



النبذة الثالثة

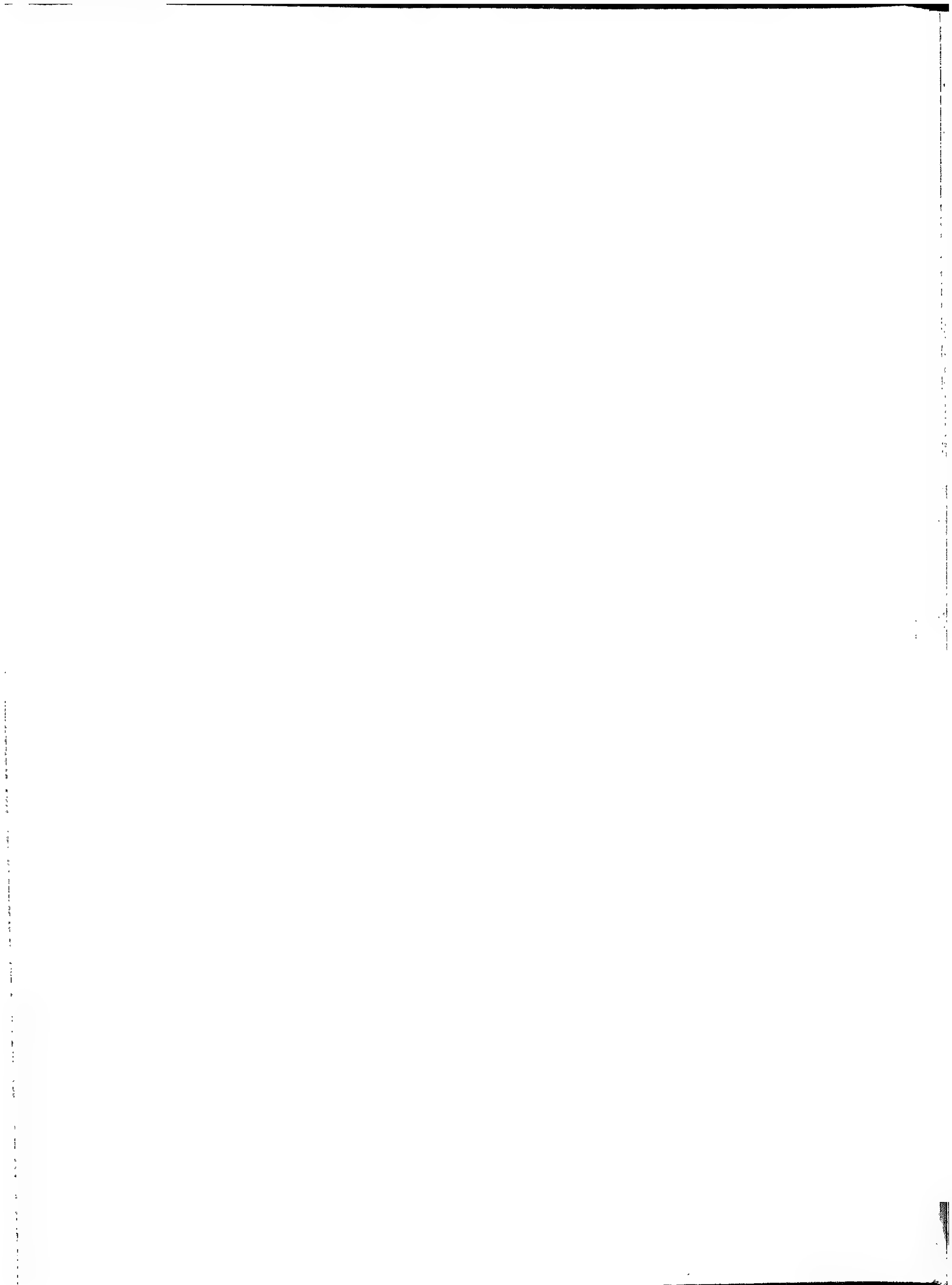
آل سعود

منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد

١١٥٧ — ١٣٠٩ هـ

١٧٤٤ — ١٨٩١ م

وفترة الاستيلاء كانت نحو عشر سنوات . اما الملوك الثلاثة
« صفحة ٦٠ من هذا التاريخ » المذكورة اسماءهم بعد هذه الفـ
فنكمل بهم شجرة آل سعود حتى تاريخ الطبعة الرابعة من هـ
الكتاب .



امراء آل سعود

١١٤٠ هـ	توفي	سعود بن محمد بن مقرن
١٧٢٧ م		
١١٧٩ هـ	توفي	محمد بن سعود تولى الامارة بعد ابيه
١٧٦٥ م		
١٢١٨ هـ	توفي	عبد العزيز بن محمد تولى الامارة
١٨٠٣ م		
١٢٢٩ هـ	توفي	سعود بن عبد العزيز تولى الامارة
١٨١٣ م		
١٢٣٤ هـ	توفي	عبد الله بن سعود تولى الامارة
١٨١٨ م		

فترة الاستيلاء المصري .

محمد بن مشاري بن معمر | تنازعا الامارة نحو سنة ونصف سنة
ومشاري بن سعود

تركه بن عبد الله بن محمد بن سعود تولى الامارة | ١٢٣٦ هـ توفي ١٢٤٦ هـ
١٨٢٠ م ١٨٣٠ م

مشاري بن عبد الله بن حسن بن مشاري بن سعود حكم ٤٠ يوماً

فيصل بن تركي (الدور الاول) تولى الامارة | ١٢٤٦ هـ تنزل ١٢٥٥ هـ
١٨٣٠ م ١٨٣٩ م

١٢٥٧ هـ	توفي	١٢٥٥ هـ	خالد بن سعود بن عبد العزيز تولى الامارة
١٨٤١ م		١٨٣٩ م	
١٢٥٨ هـ	توفي	١٢٥٧ هـ	عبد الله بن ثنيان بن سعود تولى الامارة
١٨٤٢ م		١٨٤١ م	
١٢٨٢ هـ	توفي	١٢٥٨ هـ	فيصل بن تركي (الدور الثاني) تولى الامارة
١٨٦٥ م		١٨٤٢ م	
١٢٩١ هـ		١٢٨٢ هـ	عبد الله وسعود ابنا فيصل
١٨٧٤ م		١٨٦٥ م	من تنازعا الامارة تسع سنوات
١٣٠٢ هـ	تنزل	١٢٩١ هـ	عبد الله بن فيصل تولى الامارة
١٨٨٤ م		١٨٧٤ م	
١٣٠٧ هـ	الى	١٣٠٢ هـ	محمد بن الرشيد تولى على نجد من
١٨٨٩ م		١٨٨٤ م	

عبد الرحمن بن فيصل حكم نحو سنة

فترة الاستيلاء الرشيدى نحو عشر سنوات

١٣٧٢ هـ	توفي	١٣١٩ هـ	الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن تولى الحكم
١٩٥٣ م		١٩٠١ م	
وبقي فيه		١٣٧٢ هـ	الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود
حتى ١٩٦٢		١٩٥٣ م	تولى الملك
		١٣٨٢ هـ	الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود
		١٩٦٢ م	تولى الحكم

الدور الاول - الفتوحات

في عهد السلطان احمد الثالث { ١١١٥ - ١١٤٣ هـ } وقبله ، ايام
 { ١٧٠٣ - ١٧٣٠ م }

كانت بلاد الشام تن من مظالم الولاة وفضائح الانكشارية ، لم يكن
 للدولة العثمانية اثر يذكر او يشكر في شبه جزيرة العرب . ولكن
 شبه الجزيرة نفسها لم تكن في حال تغبطها عليه جارتها سوريا
 والعراق . فقد كان الاشراف يحكمون في الحجاز وعسير ، والسادة
 العلويون يحكمون اليمن . وكان الامراء وشيوخ القبائل كل في قطره ،
 وفي قبيلته ، يحكم مستقلا عن الامراء الآخرين ومعاديا لهم في اكثر
 الاحايين .

وكانت بلاد نجد والاحساء من الشعري الى قطر والكويت ومن
 الافلاج الى جبل شمر ، مقطعة الاوصال ، مشتة الاحوال لا صلة
 لقبيلة باخرى تثمر خيرا او تدوم ، ولا بين الحواضر المستقلة بعضها
 عن بعض صلات ولاء الا نادرا .

لم يكن والحق يقال غير السيف فاصلا واصلا ، ولم يكن غير
 الغزو سبيلا الى الاستيلاء ، وسبيلا رحبا الى الرزق والثراء .

اجل قد كان القتل طمعا بالاستيلاء من الامور المألوفة . وهناك
 بيت من الشعر طالما سمعت امراء العرب يتمثلون به :

بسفك الدما يا جادتي تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل

هذا اذا استقام الامر لامير واحد فيحكم في الجميع حكما ابويا
 ركناه المساواة والحكمة . اما العدل فامراء العرب على الاجمال
 يعرفونه ويعززونه غالبا في احكامهم . ولكن القتل عندهم لا يكون
 دائما دون الحرمة والنفس ، ولا يكون دائما من اجل المساواة والعدل .

وقد كان القتل على الاجمال الطريق الاقرب والاسهل الى الاستيلاء والسيادة . انا صاحب الرياض وانت صاحب الدرعية ، فاما ان اقتلك او اغلبك ثم اخلوك عن البلاد واستولي عليها واما ان تفعل انت ذلك فيكون لك في ما اريده فيك . السابق الى القتل الفائز .

ولم يكن القسم الجنوبي من نجد الذي يدعى بالعارض ليخرج عن هذه القاعدة . فقد كانت بلدانه في حوزة امراء من بيوت وقبائل شتى يتوالون ويتغازلون عملا بمصلحة ، او طمعا بكسب او دفعا لمحنة او خطر . هذه اليمامة وهي في عزلة عن منفوحة . وهذه هي منفوحة وهي تابعة للرياض اليوم ولخصم الرياض غدا . وهذه هي الرياض وهي مستقلة عن الدرعية ، والدرعية وهي لا تقر بالسيادة لا للعيينة ولا للرياض ، وقس على ذلك . اما المسافة بين اقصى البلدين من هذه البلدان فلا تتجاوز الخمسة والسبعين ميلا .

ومن اولئك الامراء حكام ذلك الزمان مقرن بن مرخان الذي مت بنسبه الى بكر بن وائل ، فجديلة ، فربيعة * . ومن كبار اجداد مقرن الاولين الامير مانع الذي بسط سيادته على الاحساء وقطر والقطيف . هو جد الموانة الاسرة المعروفة في نجد ، ومؤسس الدرعية . ولكن ملكه الذي تجاوز حدود نجد لم يدم طويلا ، ولم يكن ملك ابنائه ليختلف كثيرا عن ملك سواهم من الامراء ، فما اشتمل على غير بلدين او ثلاثة والقرى التابعة لها . هي حال بني مقرن في طليعة القرن الثاني عشر للهجرة ، فقد كان محمد بن سعود بن محمد بن مقرن سيد الدرعية ، وهو على ولاء وابن معمر رئيس العيينة وابن دواس رئيس الرياض . وفي عهده ظهر محمد بن عبد الوهاب مجدد المذهب الحنبلي ورسول التوحيد ،

* كل من انتسب الى بكر بن وائل ومت بنسبه الى ربيعة بن نزار يجتمع مع النبي في نزار بن معد بن عدنان .

فعمد بينهما العهد الذي جاء ذكره في النبذة السابقة ، وكان
 سيد الدرعية واخوانه ثنيان ومشاري وفرحان أول مسن
 ١١٦٧هـ ١٧٤٤م
 باثروا الجهاد في سبيل الدعوة الوهابية .

اما اول من قاوم المجاهدين فهو كما اسلفت القول دهام بن
 دواس او دياس صاحب الرياض . قد حدثت المناوشات الاولى في
 منفوحة ، التي حمل عليها دهام لان بعض اهلها تمذهبوا بالمذهب
 الجديد فبادر ابن سعود الى الدفاع عنهم وعن بلدتهم . وهذه كانت
 فاتحة الحرب الدينية السياسية بين صاحب الدرعية وصاحب
 الرياض ، ثم بين صاحب نجد واصحاب الاقطار العربية الاخرى .

وقد انتصر اهل التوحيد انتصاراتهم الاولى في البلدان المجاورة
 لهم بوادي حنيفة ، اي في العيينة والجبيلة وحريملة وقراها . ثم
 استمروا غازين متقدمين حتى وصلوا شمالا الى الزلفي وجنوبا الى
 الخرج . على ان المناوشين في وسط البلاد « في الوشم وسدير ، ظلوا
 يقاومونهم اكثر من عشرين سنة وهم يحالفون اعداءهم الكبار مثل
 الدواس والعريعر عليهم .

قد كان محمد بن سعود اذا اخذ بلدا يولي عليه احد ابنائه ،
 أي أبناء الوجهاء في ذلك البلد ، ففعل كذلك الشيخ محمد بن عبد
 الوهاب في العيينة التي كان عثمان بن معمر متوليا الرئاسة فيها
 لصاحب الحساء . فقد تذبذب عثمان وتردد بين صاحبه وبين
 الموحدين ، فقتل في المسجد بالعيينة ، فولى ابراهيم بن مشاري بن
 معمر مكانه . وذلك برأي محمد بن سعود كما يقول ابن غنام « لا
 برأي الناس الذين ارادوا انقراض بيت معمر » . وهذه الخططة خطة
 الملك عبد العزيز كذلك .

قلت ان اهل الوشم وسدير لم يقبلوا في اول الامر التوحيد بل
 ظلوا يقاتلون اهلهم ، ويعيشون في بلدانهم ، فيغرونهم على الردة .
 لولا ذلك لما تمكن ابن دواس من محاربة آل سعود ثلاثين سنة ،

فكان اذا ضاق في الجنوب ذرعا يشغلهم بالدسائس في الشمال .
ولم تكن الوقعات في بادىء الامر كبيرة . - واشتد القتال في
وقعة دلقة في قلب الرياض امام القصر فقتل من الفريقين عشرون
رجلا . ولم تكن الغارات كلها ويلا وثبورا . - شن ابن سعود ورجاله
الغارة على دهام في قصره بالرياض فرموه بالرصاص في عليته وخرجوا
سالمين . كأنهم خرجوا الى الصيد . او لنزهة

الا انها حرب في تأثيرها بالناس وفي اعم نتائجها ، حرب
متقطعة طويلة الامد . وقد كانت الوقعات تزداد والقتلى يزدادون
عددا كلما توسعت سيادة ابن سعود . بيد انه لم يقتل في مدة
ثلاثين سنة غير اربعة الاف من العرب ، الف وسبعمئة من الموحدين
والفان وثلاثمئة من اعدائهم ، اي مئة وثلاثة وثلاثون رجلا كل سنة .
وقد لا يخلو حتى هذا العدد من المبالغة ، خصوصا اذا كانت الوقعات
او اكثرها مثل التي يصفها ابن بشر في قوله .

« وفي هذه السنة سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز الى
الرياض وجرت وقعة عظيمة على اهل الرياض تسمى وقعة ام
العصافير قتل فيها اربعة من اهل الضلال ولم يقتل من المسلمين غير
واحد . ثم انقلب المسلمون الى بلادهم ، بعد تحصيل مرادهم » .

« وقعة عظيمة » قتل فيها « اربعة من اهل الضلال » . هذا
الذي يحملني على الاعجاب بابن بشر . فهو المؤرخ العربي الوحيد ،
على ما اظن ، الذي لا تصعد ارقامه في عد الجيوش والقتلى الى
الآلاف ، الا في الفتوحات الكبرى التي سيجيء ذكرها .

بعد محمد بن سعود واخوانه الانصار ظهر عبد العزيز بن محمد
الذي شرع في عهد ابيه يشن الغارات ، فحمل رايات التوحيد الى
اقصى الاقطار العربية وبسط نفوذ السيادة السعودية في البوادي

والحضر . ولكنه على تعدد غزواته واتساع مجال جولاته ، لم يكن غير ممهد السبيل لابنه سعود الفاتح الاول الاكبر .

١١٧٧ هـ وصل عبد العزيز في غزواته الغربية الجنوبية الى وادي
١٧٦٤ م الدواسر ، فخرج عليه اهل نجران ، فتقهقر الى بلاد الخرج
فتبعوه . وقد اصطدم الجيشان في حائر سبيع فكانت الغلبة لاهل
نجران الذين قتلوا اربعمئة من الموحدين . اما الفاجعة الاخرى في
هذه الواقعة فهي ان دهام بن دواس الذي كان قد حالف آل سعود
خذلهم بل خانهم فانضم بجيشه الى اهل نجران . ولما رجع عبد
العزيز من هذه الوقعة الكبيرة عزاه الشيخ محمد بن عبد الوهساب
قائلا : لا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .

وفي السنة التالية لوقعة حائر سبيع توفي الامير محمد فبويج
على الامامة ابنه عبد العزيز الذي ظل يغزو الغزوة تلو الاخرى
واكثرها على الرياض حتى تمكن من فتحها بعد خمس سنوات من
امامته ، اي في السنة السابعة والثمانين والمئة والالف ، ففر ابن
الدواس هاربا .

ولم يأت بعد ذلك بحركة تزعج اهل التوحيد او غيرهم من
اهل نجد . مات دهام في الدلم ، على حاشية الربع الخالي المحرقة ،
وهو بعد هذه السنين الطوال يستحق الرحمة فقد كان ، رحمه الله ،
ثابتا في النضال والضلال ، ثابتا في تصلبه وتقلبه .

١١٨٩ هـ بعد فتح الرياض بسنتين اجتاز عبد العزيز برجاله النفود
١٧٧٥ م فوصل الى القصيم ووقف امام بريده فحاصرها ثم دخلها
ظافرا . وكان قبل ذلك قد دحر مرارا اعداء التوحيد الآخرين اي
عريعر بن دجين وابنه سعدون وعربانهم الحسويين والعراقيين ،
وغنم مدافعهم التركية التي جاؤوا بها من الحسا محملة على الجمال .
ولم ترضه هذه الانتصارات في بلاده فخرج يتتبع العريعر فغزا

الاحساء التي كانت يومذاك لبني خالد وعاد منها ظافرا بغنائم كثيرة .
ولكنه في غزواته وفتوحاته لم يقلق الدولة ويزعج المسلمين الا
عندما دخل أبنة سعود كربلاء محط رحال الشيعة ، ونقطة
الدائرة في شفاعة الاولياء ، فالتحمت رجاله بأهلها ، وبعد
معركة هائلة في الاسواق هدم الموحدون القبة التي قيل انها كانت
فوق قبر الحسين « ونهبوا البلد . ثم زحفوا الى المشهد (النجف) .
وخارج سورها مدينة اخرى هي مدينة القبور ذي القباب ، فردهم
عنها في ذلك الحين بحرهما * » .

اما غزوة كربلاء التي ضج لها المسلمون ، خصوصا الشيعة
منهم ، فقد ادت الى اغتيال الامام عبد العزيز وهو يصلي العصر في
الجامع بالدرعية قتله في شهر رجب من هذه السنة رجل شيعي جاء
من العراق متنكرا كدرويش . وقيل ان الرجل كردي من اهل العمادية
قرب الموصل . ولكن الرواية الاولى هي اقرب الى الصواب .

وكان قبل وفاته بخمس عشرة سنة قد عين ابنه سعودا خلفا
له ، فبايعه الناس اذ ذاك على الامامة عملا برأي الشيخ محمد بن
عبد الوهاب . ولا عجب اذا اعتزل عبد العزيز العمل في شيخوخته ،
وهو الذي قضى اكثر من اربعين سنة من حياته في الغزو والحروب ،
فلا كل ولا مل ، ولا قعد بعد هزيمة ، ولا لها بعد انتصار . فقد
كان يزحف برجاله من اقصى البلاد الى اقصاها في يومي البؤس
والنعيم ، فيهب يوما على حواشي الربيع الخالي ويوما في القصيم ،
ويوما في الحساء ، ويوما في السماوة بالعراق ، وآخر في وادي
الدواسر ، كانه من العناصر كالطر او السموم . وقد كان مطرا

* كان بحر النجف هورا مثل الاهوار التي تكثر عند ملتقى الرافدين وحول البصرة
ولم يبق منه اليوم غير أرضه المجوفة الجافة .

للموحدين وسموهم لاعدائهم ، يغزو في بعض السنين ست غزوات ويعود بالغنائم الى الدرعية فيقسمها بين رجاله على السواء .

اما ابنه سعود فكان قد باشر الغزو قبل ان يبيع على الامارة والامامة ، فظهرت فيه قوى التوحيد ، توحيد الدين وتوحيد السيادة العربية ، باروع مظاهرها واتمها . هذا بالرغم عن تظاهر عليه من الاعداء الاشداء ، وقوة كل واحد الحربية تفوق قوتي العريعر والدواس معا . كيف لا وهم من ولاية الدولة العثمانية او من حلفائها تعضدهم وتمدهم بالسلاح والرجال ، وبالذخيرة والمال .

ومن هؤلاء الاعداء الشريف غالب بن مساعد شريف مكة في ذلك الزمان . فقد كان على ما يظهر حائرا في بداية امره لا يريد ان يعادي ابن سعود او يواليه . ولكنه اظهر في الموالاة ميلا مرييا عندما كتب الى عبد العزيز بن سعود يسأله ان يرسل اليه عالما من علماء نجد ليفهمه دعوة ابن عبد الوهاب . فارسل الامام احد قضاة نجد يحمل كتابا من الشيخ الى العلماء الاعلام في بلد الله الحرام . ولكن اولئك العلماء لم يرغبوا في مناظرة القاضي النجدي ، ولا لانوا مع الشريف في ما اظهر من حب المسالمة والولاء . وقد يكون هو المصانع وهم خدام قصده الحقيقي ، اذ انه شمر منذ ذاك الحين ، وهذه هي الحقيقة التي لا ريب فيها ، عن ساعد العداوة لأهل نجد ، فارسل اخاه الشريف عبد العزيز بجيش من عرب الحجاز ، وقد انضم اليه كثيرون من عربان شمر ومطير وقحطان ليهاجموا الدرعية . ولكنهم توقفوا في وادي السر ، فحاصروا قصرا من قصوره دون طائل . ثم جاء الشريف غالب نفسه لينجد اخاه ، وعادوا بعد اربعة اشهر الى الحجاز دون ان يصيبوا مغنما .

على انه قد كان لهذه الغزوة نتيجة سياسية ظهرت في قيام عرب

شمر ومطير على الموحدين ، فضربهم سعود في وقعة العدو* ضرب
شتتت شملهم ، ثم غزا جبل شمر فادخل اهله في دين التوحيد .

ومن اعدائه سليمان باشا والي العراق الذي لم يكن في قصده
مخاتلا . فقد سير العساكر الى الاحساء لمحاربة اهل نجد فيها ، وكان
ابن سعود قد احتل الهفوف والمبرز ، فعادت عساكر الدولة مدحورة .

اما تويني بن عبدالله الذي كان عاملا في المنتفق والبصرة ، والذي
انهزم مرارا في حملاته على اهل نجد ، فأمره عجيب . عندما عزله والي
بغداد لجأ الى عدوه الامير عبد العزيز في الدرعية فآكرمه واغدى عليه .
ثم عاد فلجأ الى الوالي سليمان عندما كان يجهز حملة جديدة على آل
سعود . جاء تويني نادما ، ثم جاء متبجحا - انا الذي يجمع الاموال ،
ويقتل الرجال ، وينتصر في كل حال . خدع الوالي ثانية وأمره على
الجيش فجاء بالمدافع الضخمة يحاصر بريده فحاصرها ، وترك مثل
عريعر مدافعه وكثيرين من رجاله تحت اسوارها .

لم تهزم لسعود راية في غزواته كلها وفتوحاته ، ولا حالت دونها
اوعار شبه الجزيرة واهوال بواديه . فقد اجتازت جيوشه حتى الحرة
قال ابن بشر : « سار بالمسلمين يعتسف من الفياضي السهل والصعاب ،
ويطوي من اديم الارض كل موحشة يباب ، ولا يسمع فيها غير اصوات
العرج والذباب ، يضل فيها القطا ، ويحير الخريت في مهامها ، لا يرى
بقفرها أنيس ، ولا يبصر في رحبها اثر العيس . مظماة يحاكي لون
اديمها زرقة السماء ، مغبرة الافق والارجاء ، يحس الساري بما للجن
فيها من الغممة والزمزمة . وبعد انضاء الاعوجيات ، وارقال
المهريات* وسباسب الفلاة تبين له سواد الحرة » .

* من مزارع شمر قرب حائل

* الارقال نوع من السير والمهريات نوع من الابل تنسب الى مهره اسم قبيلة .

الحرّة ! تنك المفازة البركانية وهي في حصاها المسنمة وحجارتها التي كالسياخ اكثر احوالا مما وصف ، وكان في وصفه صادقا . انى اتخيل ابن سعود ورجاله يرددون دائما بيت ابن ثعلبة :

ولا تجهمني ليل ولا بلد ولا تكأئدني عن حاجتي سنفر

ورفعوا رايات التوحيد في ما وراء الحرّة، وفي جبال شمر وعمان، وشيد سعود قصرا للحامية في البريمة على حدود مسقط الف قدم فوق البحر * ووصل الى رأس الخيمة على الخليج ، وزحف السي تربه فاحترق والشريف غالب فيها فكسره ثم بايعه اهل البلد « ودّينوا » * فكانت فاتحة المأساة الحجازية التي ختمت بنصر ابن سعود ثانية في العقد الثاني من القرن العشرين .

١٢١٤ هـ
١٧٩٩ م

قيل والقول سديد ، ان تربه مفتاح الطائف ، والطائف مفتاح مكة . ومن مدهشات التاريخ في ما يعيده من اخباره ما ساقص الآن . كان للشريف غالب وزير من بيت المضايقي اسمه عثمان بن عبد الرحمن * ولم يكن على ما يظهر مداجيا فوقع بينه وبين الشريف خلاف ، فطرده من مكة ، فجاء المضايقي الى ابن سعود يبايعه . ثم جمع له من اهل البادية والحاضرة ، من بيشة ورنية وتربه وقراها جيشا كبيرا لمحاربة الشريف . فزحفت الجيوش الى الطائف وكان الشريف غالب فيها ففر * مهزوما الى مكة ، فتتفاه سعود والمضايقي بالجنود . وكان وقت الحج فهم الحجاج بمقاتلة الفاتحين ولكنهم تخاذلوا وعاد كثير منهم الى اوطانهم . دخل سعود مكة ظافرا ، وكان الشريف غائب وعساكره واتباعه قد رحلوا الى جده،

١٢١٨ هـ
١٨١٣ م

* قد زار الدكتور زويمر Zwemer بريمة سنة ١٩٠١ فوجد الناس هناك

مقيمين على دين التوحيد مع انهم من رعايا صاحب مسقط .

* يقول اهل نجد « دّين » اي دخل في دين التوحيد

* من حسنات امراء العرب والاشراف انهم يحافظون على البيوتات التي تخلص لهم الخدمة . فقد عرفت واحدا من بيت المضايقي في خدمة الشريف علي ملك الحجاز السابق .

فأعطى أهلها الأمان . ثم شرع ورجاله يهدمون القباب التي بنيت فوق القبور * *

وقد كتب سعود كتابا الى السلطان سليم الثالث هذا معناه :

من سعود الى سليم : اما بعد فقد دخلت مكة في الرابع من محرم سنة ١٢١٨ وأمنت أهلها على ارواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشباه الوثنية ، والغيت الضرائب الا ما كان منها حقا . وثبتت القاضي الذي وليته انت طبقا للشرع فعليك ان تمنع والي دمشق والي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والزمور الى هذا البلد المقدس فان ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته .

بعد فتح مكة بسنتين استولى الوهابين على المدينة ، وكانت الدعوة اثناء ذلك أي دعوة التوحيد دينا وسياسة تنتشر في عسير واليمن حتى كادت تعم تهامة بأسرها . وكان الزعيمان عبد الرحمن ابو نقطة وطامي بن شعيب من اكبر حلفاء سعود هناك ، فبايعه اللحية ثم الحديدية وبيت الفقيه ، وكانت قد بايعته أشد القبائل بأسنا ، منها رجال ألمع في عسير وعرب اليمام في نجران .

بعد فتح المدينة اتجهت انظار اهل نجد الى الشمال فوصلوا في غزواتهم الى الجوف والبتراء ، واجتازوهما السي حوران والكرك ، فوقفوا منتصرين عند ابواب الشام وفلسطين .

* خذ النسخة الثانية لهذه الصفحة وقد كتبت بعد مئة وعشرين سنة . الشريف خالد ابن لؤي هو نسيب الملك حسين السابق ، وقد كان بين الاثنين خلاف تأصل فاخرج خالدا واحرجه . خرج على الشريف حسين فجمع العربان من توبه والخرمه ورنيه وقراها وانضم ، الى الاخوان ، جيش ابن سعود في حملتهم على الحجاز ، فاكتمسحت الجيوش الطائف وقد كان فيها الشريف علي فتقهقر الى مكة . ثم دخلوا مكة محرمين يوم كان الملك حسين المخلوع وابنه الملك علي والجنود والاتباع قد انسحبوا الى جده .

وقد ارسل الامام سعود كتباً الى الولاة هناك يدعوهم فيها الى دين الله . ولكنه في طموحه الى بلاد الشام لم يكن ذاك الرجل الذي دوخ البلاد العربية كلها فدانت له العرب حتى على حواشي الربع الخالي في نجران ، وعمان ومع انه حاول ان يتخذ له انصاراً من اولياء الامر في سورية جرياً على طريقته في الاستيلاء فان منعه للحج ومعاملة رجاله للحجاج أفسدا الامر عليه . قال محمد كرد علي في كتابه خطط الشام :

« خرج عبد الله باشا العظم (والي الشام يومئذ ١٢٢٠ هـ) بالمحمل فحدثت بينه وبين الوهابيين امور عظيمة ، فهلك عسكره وانتهب الحاج ، وفي السنة التالية منع الامام سعود الحجاج غـير الموحدين عن الحج واخرج من مكة من كان فيها من اترك . اصف الى ذلك انه لم يؤمن الاوروبيين الذين كانوا في جده ، فخرجوا منها سنة دخوله الى مكة ، وكانوا في مجرد عملهم ذاك حجة على حكمه .

اما الدولة العثمانية ، وقد اصبح العدو على ابواب اغـنى ولاياتها واجملها ، فلم تستطع في فساد احوالها ان تقوم مباشرة بعمل خطير . ولكنها بعد ان كسر الوهابيون الجيوش التي ارسلها عليهم ولايتها في العراق والشام ادارت بنظرها الى مصر ، فطلبت من محمد علي باشا ان يتولى بنفسه انقاذ الحرمين واخراج اهل نجد من الحجاز .

تردد محمد علي في بادئ الامر لانه لم يكن ليرغب فيه او يستطيعه بل لان الممالك كانوا يومذاك مسيطرين وكان يخشى ان يترك البلاد وشؤونها في ايديهم . اعاد الباب العالي الطلب مراراً وقد هدد الباشا اذا كان لا يذعن للامر ، والباشا راغب فيه ، الا انه كان يتحين الفرص . وقد رأى في الازعان ثلاث فوائد كبرى لنفسه : الاولى انه يبعد جيشه الالباني غير المنظم الكثير التمرد فيتمكن في اثناء غيابه من تنظيم جيش مدرب على الطريقة الغربية . والثانية انه يأخذ من الدولة الاموال التي كان في حاجة اليها بحجة لزومها

لنفقات الحرب المقدسة • والثالثة ان هذه الحرب تجمع عواطف المسلمين في العالم على حبه وولائه بصفته منقذ الحرمين ومعيد مناسك الحج •

وفي هذه الاثناء كان الامام سعود يحج ورجاله كل عام ويكسو الكعبة « بالقيلان الفاخر » • وكأنه تصالح والشريف غالب فأذنه بالعودة الى مكة ، وكان الاثنان يتزاوران ويتبادلان الهدايا • اما المؤرخ ابن بشر فهو لا يحسن الظن بالشريف وقد قال في هذه المهادة : « واعطاه غالب مثل ذلك خدعة والمؤمن غر كريم » هي كلمة لا تخلو من حق ، فقد كان الشريف غالب مستمرا في سعيه الخفي لاجراج سعود وجماعته من الحجاز •

في خريف هذه السنة بعد قتل المماليك وانجاز اسطول من السفن في السويس لبي محمد علي طلب الباب العالي ، فأرسل ابنه طوسون ، الذي كان لا يزال في السابعة عشر من سنه ، يقود ثمانية الاف من الجنود جاءوا بحرا وبراً • الى ينبع ، ومعهم ضباط اوروبيون وعدد من المجازفين والمرتزقة الذين كانوا في عسكر بونايرت • زحف هذا الجيش من ينبع بمعداته ومدافعه ، وكان اهل نجد قد استعدوا للقاءه ، فخرج ثمانية الاف منهم بقيادة عبد الله ابن الامام سعود الى مكان يدعى الخيف بوادي الصفري قرب المدينة • هناك التحم الجيشان في العشر الاواخر من ذي القعدة ، وكانت الغلبة بعد ثلاثة ايام من القتال الشديد لاهل نجد ، فانهزم المصريون تاركين وراءهم الخيام والمدافع والذخيرة والارزاق وعددا كبيرا قيل خمسة الاف من القتلى والجرحى والشاردين ما عدا الخيل والرواحل • اما العرب فقد قتل منهم نحو ستمئة • واذا فرضنا المبالغة في

* جاء ستة الاف بالسفن ، وجاء برا الفان من الخيالة الترك والعرب يقودهم طوسون •

العديد من فوقة الصفوف تظل مع ذلك اكبر وقعات الحرب الوهابية حتى ذاك الحين .

تقهقر طوسون بما تبقى من جيشه المنهزم الى ينبع ، فأرسل منها يطلب النجدات .

وفي هذه السنة التي هي خاتمة المجد لآل سعود الاولين حج الامام سعود للمرة السادسة او السابعة وكسا الكعبة على عادته بالقيلان والديباج الاسود . ثم طاف رجائه في اسواق مكة يرددون الناس عن الخبائث ، وينهون عن المنكر ، فمن رأوا منه عملا مخالفا للشرع أدبوه في الحال بموجب الاحكام الشرعية . وقد أدت هذه الشدة الى الردة في بعض البوادي كما سيأتي :

قال ابن بشر ان الامام سعودا ارسل النجدات الى المدينة وأمر بتحصيلها ثم عاد الى نجد . ولا نعلم السبب في عودته في مثل تلك الحال وهو يعلم ان طوسون مرابط في ينبع ينتظر النجدات ، وان عرب الحجاز يتذبذبون بينه وبين أهل نجد وقد ينقلبون عليهم .

جاءت النجدات المصرية في السنة التالية ، فأعاد طوسون الكرة على المدينة بعد أن احتل ينبع النخل ، وضم الى جيشه كثيرين من عرب جهينة وحرب . وقد كان في المدينة سبعة الاف من أهل نجد فحاصرها المصريون حصارا شديدا دام خمسة وسبعين يوما . وصوبوا على القلعة المدافع ، وحفروا اليها السرايب التي اشعلوا فيها تحت الاسوار البارود ، ثم قطعوا عن المدينة المياه ، وجاءت الامراض تساعد على المراتبين المحاصرين . بسـل قام الاهالي ايضا على النجديين فامسوا بين نارين ، والوباء يساعد في حصادهم . مات منهم اربعة الاف ، على ما قال ابن بشر ، قبل ان افتتحت أبواب المدينة للمصريين .

قد استبشر الشريف غالب بهذا النصر فباشرا السعي جهرا ٨١٢٢٨
٢١٨١٣ في تحقيق المقاصد التي كان يخفيها . ثم بدت في هذه
السنة قرون الفتنة فانتشرت انردة في مكة والطائف، فدخلها طوسون
بمساعدة الشريف بدون قتال . ولكن النكبات التي توالى على
النجديين لم تبق حتى على عدوهم الشريف . ولم ينج المصريون
من احوالها الطامية الجارفة . فقد مات منهم مئات بالوباء الذي كان
حليفهم على اعدائهم ، وقد قدرت خسارتهم كلها في الحملتين بشمانية
الاف من الرجال . ثم جاء محمد علي نفسه بنجيدات جديدة ، جاء يسرع
بانجاز العمل الذي باشره ابنه وخسر فيه هذه الخسارة الجسيمة ،
فوصل الى جده في ٣٠ شعبان (٣١ آب) من هذه السنة ، فاستقبله
فيها الشريف غالب مرحبا مكرما ، ثم رافقه الى مكة .

وعندما استقر محمد علي هناك جازى الشريف في ان قبض
عليه وعلى اولاده عملا بأمر شاهاني كما ادعى وارسلهم اسرى الى
مصر . ثم حجز جميع ما كان في خزائن غالب من الذهب والفضة ،
واخرج حرمه من قصر جياد ، ونصب مكانه ابن اخيه الشريف يحيى
بن سرور .

اما آل سعود فلم يكونوا اوفر حظا لدى القضاء من بيت عدوهم
الشريف . فبعد اربعة اشهر من جلائهم ، أي في ١١ و قيل في ٨
جمادى الاول من السنة التاسعة والعشرين والمئتين والالف (٢ أيار
سنة ١٨١٤) مات في الدرعية الامام سعود وهو في الثامنة والستين
من عمره . مات ، لا بالحمى ، كما قال هو غارث نقلا عن أحد
المستشرقين الذين كانوا يومذاك في مكة ، بل بعلة في المشاة ، وقل
بعلة اخرى هي نكة اهل نجد في الحجاز التي عجلت ولا شك في
أجله . وقد كانت ولايته احدى عشرة سنة اذا حسبناها من يوم وفاة
والده عبد العزيز ، وسبع وعشرين سنة اذا عدت من يوم بويج
بالامارة في السنة الثانية والمئتين والالف .

كان يدعى بالكبير ، وقد خصر بتلك السجايا او باكثرها التي تؤهل رجل التاريخ لهذا اللقب . فقد كان عظمته متواضعا ، وفي حكمته ورعا ، وفي عدله حليما ، وفي سياسته جامعا بين المرونة والمضاء اصف الى ذلك ذكاء لم يكن عاديا ، ولم يقف به عند حد السياسة . فقد كان مولعا بالعلم ، محبا للعلماء وللطلاب ، فلم يستنكف من عقد مجالس للمطالعة والتدريس في قصره وتحت اشرافه عندما يكون في العاصمة . بل كان هو يتولى التعليم في بعض الاحايين فيدهش حتى العلماء بما كان يحسنه من علمي التفسير والفقه . وبالرغم من تعدد مشاغله ومشاكل ملكه البعيد الارحاء كان يزور مجالس التدريس العامة ، فيطلع على اعمال الطلبة ويجزي منهم الاذكياء المجتهدين .

وقد كان سعد كبيرا في أخلاقه مثله في أعماله ، لا ينكر الفضل على ذويه وان كانوا من أعاديه ، ولا يقف في احسانه ومكارمه عند شبهات النفس وأهوائها . مثال ذلك معاملته للشريف غالب على ما كان يبطنه الشريف من الكيد والغل . فلو كان فاتح مكة غير سعود ، لو كان محمد علي مثلا ، لما أذن للشريف بالعودة اليها بعد ان فر منها هاربا الى جده .

أما في غزواته وفتوحاته فلم يكن ليخرج عن القاعدة ان الحرب خدعة . وللعرب في ذلك أساليب تقتزن فيها السداجة بالدهاء . فقد كان سعود اذا أراد ان يغزو الى جهة الشمال يظهر انه يريد الجنوب أو الغرب والعكس بالعكس . وعندما نزل الرقيعة في غزوة الاحساء أمر رجاله ان يوقد كل واحد منهم نارا وان يطلقوا كلهم البنادق عند طلوع الشمس ليرهبوا أهلها . فكلما بزغت الشمس فعلوا ذلك دفعة واحدة فارتجت الارض وأظلمت السماء وسقط كثير من الحوامل في الاحساء . هذه الطريقة في الحرب طريقة الارهاب والترويع مألوفة عند العرب

خصموصا عند أهل نجد •

ولا حاجة لذكر البسالة في صعود الكبير والاقدام ، وعلو الهمة والمرام • فان في فتوحاته الشاهد الاكبر على ذلك • أما حكمه فقد كان له مزيّتان كبيرتان رائعتان هما الأمن والعدل - الأمن وكان أساسه العقاب الشديد السريع بموجب الاحكام الشرعية ، والعدل وكان أساسه الأمتن المساواة وعدم المحاباة • بيد أنه لم يكن على شيء من الادارة ، ولا كان النظام ، ما عدا بعض قواعد أساسية تتعلق بالجيش ، معلوما • فلم يكن يربط النواحي القصصية بعضها ببعض غير كلمة الأمير ، ولم يكن ليحفظها وثيقة العرى غير صنولته فاذا ذهبت الصولة ذهب الملك •

الدور الثاني - الفوضى

لم يكن طوسون الشاب قوي البنية أو الارادة ، ولا كان على شيء من الحزم ، فأعيتته حرب الحجاز وأضنته . ولو لا عرب الحجاز لما عقد له النصر في حملته الثانية على عرب نجد . بيد انه كان مثل أبيه وأخيه ابراهيم متساهلا في دينه ، عاملا بتساهله في أمور شتى سياسية وغير سياسية . وكان يميل خصوصا الى الأوروبيين ويحب الانتفاع بعلومهم واختراعاتهم . وقد أشرت الى اولئك المجازفين منهم والمستترزقين الذين كانوا في الجيش المصري . ومن أغرب أمورهم ، مما يدل على التساهل الذي ذكرت ، أن أحدهم وهو اسكتلندي اسمه توماس كيث تولى برهة حكم المدينة المنورة .

على انه لم يكن بينهم أديب عالم يدون حوادث تلك الايام ، أو ينقل الينا شيئا من معلوماته هناك . ولا أظن أن أحدا منهم دخل مكة ولو خلسة عندما استولى طوسون عليها ، لانه لم تكن لهم العقلية العلمية التي تحمل صاحبها على الاستكشاف والاستطلاع ، الا واحدا ذكره هوغارث وقال ان ما كتب 'يعد تافها' .

على أن هناك ثلاثة لم يجيئوا الحجاز محاربين ، ولا جاءوا مع المصريين، وهم جديرون بالذكر لانهم من العلماء المستشرقين المستعربين الذين دخلوا مكة كوم كان الوهابيون مستولين عليها ، فأوهمهم عن كتب وكتبوا عنهم بدون تحيز أو تحامل .

أول هؤلاء رجل اسباني اسمه دومينغو باديا اي لبلنخ* انتحل

اسما ونسبا وديننا عربيا وجاء من قادش عن طريق الجزائر الى الحجاز هو علي بك العباسي الامير المكرم ، والعالم المحترم ، والحاج الورع الموقر ، رسول بونا برت الى البلاد العربية . أجل قد جاء حاجا ، مستكشفا ، فنزل في جده تحف به الخدم والحشم ، وسار الى مكة المكرمة محرما ، مثل من جاءوها من أهل نجد ، فدخلها في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٠٧ (١٤ ذي القعدة ١٢٢١) . وقد شاهد جموع الوهابيين ، وحج معهم واعتمر * . سمع العج ، وحضر الشج وكان في ظاهره عربيا قحا ، ومسلما حقا ، لا تعيقه كلمة يقولها ولا تخونه فعلة أو اشارة ، فما شك أحد في دينه أو في نسبه .

وقد اجتمع علي بك بالشريف غالب فقال انه في العقد الرابع من العمر وانه على جهله ذو حصافة ودهاء . رآه لأول مرة في مجلسه وهو يدخل النارجيله التي كانت محجوبة خوفا من الوهابيين . فلم ير السائح الأوروبي غير التريبج الذي كان يتصل من خرق في الحائط بالنارجيله وراءه . في الغرفة المجاورة للمجلس .

والعباسي هذا كان عالما يحمل في حقائبه أدوات للرصد والمساحة ، فاستخدمها في مكة وجوارها دون أن يعترضه أحد من الناس . بل كان يحترمه الجميع . وقد حاز فوق ذلك شرفا لم يحرزه سواه من المستشرقين ولا يحوزه الا الافراد القلائل من المسلمين . الا وهو شرف كناسة الكعبة . ولكنه على ما يظهر لم يفلح حتى النهاية في تنكره . فعندما قصد الى المدينة زائرا صده عنها الوهابيون فعاد الى ينبع ومنها الى مصر فباريس حيث اجتمع بنابليون وعين في حاشية أخيه جوزف بونا برت . وقد عاد علي بك الى الشرق في سنة ١٨١٨م فسافر الى دمشق ليرحل رحلة ثانية الى البلاد العربية ، ولكنه وهو لا يزال في أول الطريق

* كان الامير سعود وأبر نقطة يتقدمان الحجاج الى عرفات وهم خمسة واربعون الفا ، ومعهم على بك .

وإذا صرفنا النظر عن مهمة علي بك السياسية فانه كعالم صادق الرواية • هو اول اوروبي شاهد الوهابيين في مكة وقضى واياهم مناسك الحج • وصفهم وهم يتزاحمون عند الحجر الاسود ويتسابقون اليه فقال (الجزء الاول صفحة ٧٢) انهم مرهبون ولكنهم :

« لا يسلبون الا ما كان حلالا في مذهبهم اي مال العدو والكفار • وهم اذا اشترؤا شيئا يدفعون ثمنه كما انهم يدفعون اجرة من يخدمونهم ، فلا يصادرون ولا يسخرون • ومنهم الفقراء الذين كانوا يدفعون رسوم زمزم والكعبة من البارود والرصاص الذي كان معهم • وبما انهم يطيعون اميرهم طاعة عمياء فهم يحتملون من اجله كل شدة ساكتين صابرين ، ويسمرون اذا امرهم الى اقصى اطراف الارض » •

ومن فضل الوهابيين في فتح الحجاز انهم لفتوا انظار العالم الى البلاد العربية ، ونبهوا العلماء المستشرقين الى تكشف احوالها ، فجازفوا بحياتهم ، وفادى اكثر من واحد بها ، طلبا للعلم •

ومن هؤلاء العالم الالماني الريح زتسن (١) الذي قضى عشرين سنة يدرس ويتأهب لرحلته في الشرق • فجاء سورية سنة ١٨٠٥ واقام في الشرق الادنى بضع سنين ، وكتب في رحلته كتابا قيما باللغة الالمانية* ثم سافر الى الحجاز في زي درويش اسمه الحاج موسى فدخل مكة حاجا سنة ١٨١٠ ، وارتحل منها الى اليمن ، فزار صنعاء ونزل الى عدن • وقد كان في نية زتسن ان يجتاز شبه الجزيرة الى الخليج ليسوح في الشرق الاوسط ، فعاد من عدن ووجهته الجبال •

(١) Ultrich Jaspaa Seetzen (١٧٦٧ - ١٨١١) •

* قد نشرت مجلة الكلية في سنتها العاشرة خمس مقالات للاستاذ هارولد نلسن عن زتسن ورحلته في سورية ولبنان •

ولكن عند مروره بتعز اعترضه بعض الناس وقد رابهم امره فقتلوه .
لم يكن هذا المستعرب الالماني على ما يظهر مثل علي بك العباسي بارعا
بالتنكر ، ولكنه كان اوفر علما وانزه قصدا .

وهو الذي قابل الامام سعودا في مكة وكان قد ارتاب بقيافته
واسلامه . ولكن كبير الوهابيين بل كبير العرب يومئذ لم يمانع العالم
الافرنجي في تجواله . قال هوغارث : « كان زتسن نباتيا مشهورا في
اوربا ، وهو من العلماء الافاضل ، له نظرات ثاقبة صائبة في الاشياء
وفي الناس » وان من يقرأ ما كتبه عن بعض الحكام في سوريا ، وبعض
النباتات والصناعات في لبنان ، ليتأكد ذلك ويأسف جدا لان كتبه
ومذكراته فقدت بعد موته في اليمن ، فحرمتنا رأيه في الوهابيين واميرهم
الاكبر سعود .

ولكن المستشرق الثالث الذي ساح في الحجاز في العقد الثاني
من القرن التاسع عشر كان اوفر حظا من زميله الاسباني والالماني . هو
الحاج عبدالله اي السويسري المشهور بركهارت (١) صديق محمد علي
وصديق العرب والاسلام . جاء الحجاز عندما كان محمد علي هناك ،
فنزل في جده في ١٥ تموز سنة ١٨١٤ ، وسار منها الى الطائف ، ثم
دخل مكة المكرمة في ١٩ رمضان ١٢٣٠ (٢٤ آب ١٨١٤ م) بعد
استئذان صديقه العظيم ، وكان يومذاك سيد الحرمين ، فحج مع من
حجوا في ذاك العام ، واقام في مكة ثلاثة اشهر . ثم سافر الى المدينة
فأدى الزيارة في نيسان سنة ١٨١٥ يوم كان محمد علي باشا هناك .
ولكنه مرض في المدينة فعاد الى القاهرة في ربيع ذاك العام ، وتوفي فيها
وهو في ربيع الشباب .

كان بر كهارت في قيافته وفي اسلامه محترما موقرا . وقد قال

(١) Johann L. Burckhardt. (١٧٨٤ - ١٨١٧) .

يصف نعمة تبجبح فيها • « ما شعرت في مكان آخر بمثل الطمأنينة التي كنت اشعر بها وانا في مكة » •

ولكنه لم يجهل او يتجاهل ما اشتهر به المكيون والاتراك يومذاك من قبيح العادات والتقاليد ، فذكرها كلها ، وقد قال في كلامه على الوهابيين انهم حقا جاءوا يطهرون الحجاز - ثم قال :

وما الوهابية اذا جئنا نصفها غير الاسلام في طهارته الاولى • واذا ما جئنا نبين الفرق بين الوهابيين وبين الاتراك مثلا فما لنا الا ان نعدد الخبائث التي اشتهر بها هؤلاء •

هذه شهادة الاجانب • وانها شهادة العلماء المنزهين عن الاهواء الخاصة والمذهبية : « جاء الوهابيون يطهرون الحجاز » •

وجاء الاتراك او بالحري المصريون ينقذون الحرمين من المطهرين فانقذوهم وجلس محمد علي في مكة يصدر الاوامر الى جيشه في المدينة ليزحف الى نجد ، وجيشه في الطائف ليحتل تربه ، وجيشه الثالث ليذهب برا وبحرا الى القنفذة فيؤدب عرب عسير المدينيين ، انصار ابن سعود وزعيمهم ابن شعيب •

كان المصريون قد احتلوا القنفذة في اذار من هذه السنة فاغار العرب عليهم بعد شهرين بقيادة طامي ابن شعيب ، فهزموهم ولاذ من سلم منهم بالسفن • وقد غنم العرب المدافع والذخيرة كلها مع عدد كبير من الخيل والجمال •

أما الحملة الاولى التي سورها محمد علي على تربه في صيف هذا العام بقيادة ابنه طوسون فقد عادت مدحورة تشكو الحر والجوع • والحملة الثانية عادت تحدث عن بدوية (١) باسلة كانت في طليعة العربان تحرضهم على القتال • فجهز محمد علي حملة ثالثة مؤلفة من

(١) هي غالية امرأة أحد مشايخ سبيع وقد هاجمت بنفسها جيوش مصطفى بك قائد الحملة فهزمتهم شر هزيمة •

الفني جندي والفن من عرب الحجاز وخمسمئة خيال، كما جاء في البلاغ الذي أرسله بعدئذ الى أهل المدينة، الشبيه ببلاغات الدولة العثمانية في الحرب العظمى، وراح هو بنفسه يقود تلك الحملة، فالتقى ببلدة بسل بين الطائف وتربه بجيش عظيم، قدره بأربعين ألف، من أهل نجد وعسير يقودهم فيصل بن سعود وحليفه طامي بن شعيب .

١٢٣١ هـ التحم الجيشان هنالك وكان القتال شديدا من الفجر حتى المساء، فخسر أهل نجد ستمئة من رجالهم وتشتمت الباقون . ثم واصل المصريون الزحف الى تربه فاحتلوها بدون قتال .

وقد جاء في البلاغ الذي أشرت اليه، المؤرخ في صفر انه قد غنم الجيش الظافر في وقعة بسل خمسة الاف خيمة وخمسة الاف من الجمال ما عدا المؤن الكثيرة .

ولما استراح محمد علي قليلا في تربه زحف الى رنيه وفيها عرب سبيع فاستسلمت . وبعد أربعة ايام، وهو يواصل السير جنوبا بشرق، وصل الى بيشة (١) مفتاح اليمن الشرقي وفيها بنو سالم فقاوموا يوما وسلموا .

ومن بيشة مشى الظافر الى جبال عسير . ولكن تلك الانتصارات أنهكت الجيش وأفقرته لانه لم يكن في البلدان التي اكتسحوها شيء يذكر من الغنائم، فقل الزاد، وكثرت المشقات، وكانت الخسائر خصوصا في الركائب كبيرة . قيل انه مات مئة رأس من الخيل في يوم واحد . ترجل محمد علي ومشى مع الماشين وهو يعدمهم بالغنائم العظيمة في اليمن . فلما صاروا في جبال زهران، بعد خمسة عشر يوما من السير، التقوا بطامي الذي انهزم في وقعة بسل ومعه بضعة الاف من العربان، فنازلهم محمد علي وكان في الجولة الاولى مهزوما .

(١) تربة هي على مسافة ثمانين ميلا من الطائف شرقا بجنوب . وبيشة تبعد نحو مئة ميل عن تربه .

ثم أعاد الكرة عليهم فأخرجهم من معقلهم في الجبال ودحرهم في القتال فشنت شملهم • ومن غنائم هذه الواقعة ابن شعيب أخذ أسيرا ثم أرسل إلى مصر ومنها إلى الاستانة ، ف ضرب عنقه بعد أن شهر في الاسواق هنالك •

بعد هذا الفوز في عسير عاد محمد علي إلى مكة فولى فيها أحد رجاله • ثم سافر إلى المدينة ليؤدي الزيارة ، وكان قد حج في العام السابق ، ليطلع على أحوال الحجاز الشمالي • بيد أنه لم يلبث في المدينة طويلا لأن الأخبار التي كانت قد جاءت أنه أنباء بفتنة في القاهرة وبفرار نبوليون من جزيرة ألبا • فسافر فجأة في شهر حزيران سنة ١٨١٥ وهو يبغى صيانة ملكه من الاخطار الداخلية والخارجية •

من حسنات محمد علي في الحجاز أنه وزع كثيرا من المال والارزاق على المحتاجين ، وخفض رسوم الجمرات في جده ، وأبطل الضرائب التي كان قد فرضها الشريف غالب ، ومثل بالاشقياء ، وعاقب بشدة كل من تعدى على الأجانب • بيد أنه لم يحسن عملا في إبقاء جنوده بعسير • إذ إن بعد سفره أعاد عرب ألمع وعامد وزهران الكرة على أولئك الجنود في تهامة وفي الجبال ، فدحروهم دحرات متعددة ، وردوهم خاسرين برا إلى الطائف وبحرا إلى جده •

أما طوسون فكان قد جهز حملته على نجد وزحف إلى الرس (١) فاحتلها بالاتفاق مع أهلها ، فجاء عبدالله بن سعود بجيشه يخرجه منها • ولكن عبدالله مثل طوسون من أولئك القواد الذين يضعفون ما عندهم من قوة بما ينقصهم من زعامة واقدام • وقف الضعيفان في القصيم وقفة المنازل الراغب في الصلح المتظاهر بعكس رغبته ، فتناوشت الجنود وتفقرت ، وتخاذلت ، وتفاعست ، حتى سئم الحالة أولو

(١) الرس والقرى التابعة لها هي على مسافة مئتين وسبعين ميلا شرقا بشمال من

المدينة وخمسة وثلاثين ميلا غربا بجنوب من عنيزة •

العزم في الجانبين وقام منهم من يطالب بشيء يشفع بتردد القائدين وتذبذبهما . قال أهل نجد لعبدالله : اخرج الى طوسون أو اخرج عليه أي صالته أو حاربه . وقد توفق الفريقان الى عقد صلح فيه تعهد المصريون ان يخرجوا من نجد ، وتعهد النجديون أن يأذنوا بالحج ، ويؤمنوا السبل ، ويرجعوا ما سلب من الحجرة النبوية .

عاد طوسون بجيشه الى المدينة ومعه وفد من أهل نجد يحمل معاهدة الصلح الى محمد علي ليصدق عليها . وكان محمد علي قد رحل فتبعه الوفد الى مصر . قال ابن بشر : « وصل الوفد الى مصر ورجع منها وانتظم الصلح » . والقول مبسوط . فقد تعاكست الاقدار على الجميع هذه السنة فما خدمت أهل نجد ولا خدمت خصمهم . أمر محمد علي ابنه طوسون بالرجوع الى بلاده . وقد مات بعد بضعة اشهر في الاسكندرية ، قيل من مرض غشيه في الحجاز وقيل في استرساله في اللذات . وفي هذه السنة ايضا توفي عدو النجديين الآخر الشريف غالب وهو في منفاه بسالونيك . وكان صاحب مصر قد نفض عهد الصلح الذي أقراه (١) وجيز ابنه ابراهيم بحملة جديدة على أهل نجد .

كان ابراهيم صلب العود ، شديد البطش ثابتا في عزمه ومقاصده . ولكنه لم يكن ماهرا في تعبئة الجنود ، ولا كان باهرا في المفاجئات الحربية . انما كان جلدا كدودا بطيء منشأ الفكر ، سريع منشأ الهوى ، ارادته من حديد ، وقلبه مثل ارادته .

(١) في المسألة روايتان : قال ابن بشر ان فريقا من عرب الرس المعادين لعبدالله سافر الى مصر ليقابل محمد علي ويفسد على وفد الصلح عمله فأفلح سعيه . وقال المؤرخ الافرنسي ان محمد علي لم يعد الوفد بالصلح ولا استقبله حتى بوجهه باش . بل أغلظ له الكلام وختمه بقوله : « سأسير عليكم ابني ابراهيم فيهدم دياركم حتى لا يبقى فيها حجرا على حجر » .

جاء وهو في السابعة والعشرين من سنه يطوي بساط الجزيرة ليصل الى قلبها الملهب فيطفئ النار فيه ويفرغ منه الحياة . جاء بجيش لا يتجاوز الاربعة الاف وفيهم الالباني والمغربي والسوداني وقد اُضاف اليهم في مروره بالصعيد الفين من الفلاحين للاشغال والخدمة .

وكان معه مهندس افرنسي (١) وأربعة أطباء وصيادلة ايطاليين (٢) ومدافع ضخمة ترمي القنابر التي روعت العرب (٣) . سافر ابراهيم من القاهرة في النيل في ١٠ شوال ١٢٣١ (٣ ايلول ١٨١٦) الى قنا، ومنها براً الى القصير على شاطئ البحر الاحمر ، ومنها بحراً الى ينبع، فوصلها في ٨ ذي القعدة (٣٠ ايلول) . وسار منها دون مقاومة الى المدينة ، فزار قبر النبي وقبور الصحابة ، ثم نقل بجيشه الى الحناكية (٤) وعسكر هناك .

اقام ابراهيم في الحناكية ولبت يراقب كالصياد طرائده ، فكان يغير تارة على البدو وطوراً ينتظر اغارتهم عليه ، فينصب لهم شراكاً من الوعود الخلافة التي كانت تتخللها الهدايا وشيء من الذهب الوهاج . ولم يكن على ما يظهر في ما يستوجب العجلة . اقام ستة اشهر على ذاك الماء وهو ينتظر العربان ليخون بعضهم بعضاً وينضموا الى جيشه . وكذلك كان . جاءت حرب (٥) وجاءت عتيبة وجاءت مطير (٦) - والله

(١) Vaissière

(٢) Scoto و Gentili و Todeschini و Sacio

(٣) منها مدافع فرنسية محفورة عليها هذه الكلمات : صنعت في باريس في السنة الثانية من عهد الجمهورية الحرية والاخاء والمساواة . قال ابن بشر يصف مدافع ابراهيم : كل مدفع يشور (يطلق) مرتين مرة في بطنه ومرة تثور وصاصة وسط الجسد بعدما تثبت فيه فتهدمه .

(٤) الحناكية ماء معروف على مسافة تسعين ميلاً شرقي المدينة .

(٥) « غانم بن مضيان شيخ من مشايخ حرب انضم الى جيش ابراهيم بالف من رجاله وهم ممرنون ومسلحون » - ادوار غوان

(٦) كانت مطير يومذاك بزعامه ابن الدويش

يا ابراهيم حنثاً (نحن) ما نبي (ما نبغي) اهل نجد . حنا رجالك وحياة الله ! وكانوا يقولون مثل هذا القول لابن سعود .

بعد ان اقام ستة اشهر في الحناكية يستغوي العربان ويجندهم زحف في شتاء السنة التالية (٥ ربيع ثاني ١٢٣٢ هـ ٢٢ شباط ١٨١٧ م) الى نجد فوصل الى الرس التي سلمت قبلا لآخيه طوسون وأبت أن تسلم لابراهيم ، فكانت عليه حرباً عواناً . أخسرت في الهجمات الاولى ثمانمئة من رجاله فبعث يطلب النجدات من المدينة . وكان اهل الرس رجالا ونساء يدافعون من وراء الاسوار عن بلادهم ، فيردون على قنابر المصريين برصاص البنادق ، ويبطلون فعل الغامهم بالغام اخرى يحفرونها الى جانبها .

جاءت النجدات من المدينة فشدد على البلدة الحصار وضاعف ضرب اسوارها . ولم يكن ابراهيم ليضن حتى برجاله . فبعد مجزرة هائلة في الجيشين طلب عبدالله بن سعود الصلح ، فطلب ابراهيم البلدة من اميرها محمد بن مزروع فقال الامير : تعال خذها .

استؤنف القتال . وكان ابراهيم في الهجمة الاولى على رأس الف خيال فتكوا باهل الرس ، فذبخوا منهم اربعمئة ونكلوا بهم . وكانوا يقطعون رؤوس الزعماء ويرفعونها على الرماح ليراها النجديون . اما عبدالله فاستمر يفاوض بالصلح ، فتمسك ابراهيم بشروطه واهمها ان يقدم اهل الرس الفتي رأس من الخيل ، والفين من الجمال ، ومؤونة الجيش لستة اشهر ، ورهينتين من اولاد عبدالله . واستؤنف القتال . واستمر الفوز فيه لاهل الرس ، فتنازل ابراهيم اذ ذاك عن شروطه الا شرطاً واحداً هو ان يضع المحاصرون سلاحهم ، ويقيموا على الحياد فلا يعاونون ابن السعود ولا يتعرضون للجيوش المصرية . فقبلوا بذلك ورفع الحصار الذي استمر ثلاثة اشهر وسبعة عشر يوماً والذي خبير فيه ابراهيم ثلاث الاف واربعمئة من عسكره النظامي .

وبعد ان سلمت الرس زحف ابراهيم الى عنيزة ، وكان عبدالله قد لجأ اليها فصالحه اهلها ، وأبى المرابطون في القصر الا القتال ، فاطلقت عليهم المدافع ليلا ونهارا فاستسلموا .

ثم حمل على بريدة وكان عبد الله قد رحل من عنيزة اليها فرحل حينذاك منها الى الدرعية . وراح يستنفر اهل نجد البوادي والحضر ليجتمعوا في العاصمة للدفاع عن الوطن .

لم يدم حصار بريدة الا ثلاثة ايام . وبعد ان سلمت المدينة عاد ابراهيم بجيشه الى المذنب آخر بلدة في جنوب القصيم ، فبادر اهلها الى التسليم . ثم دخل الوشم ذاك السهل الكائن بين وادي السر ووادي حنيقة فوصل الى شقرا اهم بلدانه - أم بلدان الوشم - في ١٨ صفر ١٢٣٣ هـ . (٢٨ ديسمبر ١٨١٧) وحاصرها ستة ايام فدافع اهلها عنها ما استطاعوا ثم سلموا . ومما هو جدير بالذكر ان ابراهيم أسس في شقرا مستشفى للجرحى بعناية اثنين من الاطباء والصيادلة الا فرنج الذين كانوا معه . ولكن هذه الرحمة لم تشمل غير جرحى جيشه . فقد كان يأمر بقتل الاسرى . وقد قطع جنوده في شقرا آذان القتلى النجديين فارسلها مع رسول الى والده بمصر .

استمر الجيش الظافر زاحفاً في الوشم فسلمت بقية بلدانه دون قتال . ولكن عندما وصل الى 'ضرمي' (١) اصطدم هنالك بأهلها وهم ألف ومئتان فكانوا عليه مثل اهل الرس . نصب الباشا مدافعه وضرب البلدة فهدم سورها واباحها لجنوده ، فدخلوها فاتكين مكتسحين لم ينج حتى النساء من سورة بل من شهوة الجيوش الهائجة ، وقد ذبح ثمانمئة في البيوت والاسواق حربا وخدعة . قال ابن بشر : « كان الروم (٢) يأتون اهل البيت او العصابة المجتمعة فيقولون الامان ، فيأخذون سلاحهم ويقتلونهم » .

(١) يلفظها اهل نجد اضرمة

(٢) كان العرب يدعون المصريين والأتراك بالروم

بعد أن نهب الروم 'ضرمى واستباحوا نساءها، وقتلوا ثلثي أهلها وولى الباقون هاربين ، ودمروها تدميرا ساروا الى وادي حنيقة ، فمروا بالجبيلة ثم بالعُيينة ثم اشرفوا في أواخر جمادى الاولى على الدُرعية ، وكان عبدالله بن سعود وأخوه فيصل وغيرهما من آل سعود قد خرجوا بجموع من أهل المدينة للدفاع ، فتوزعوا في الوادي وأقاموا فيه وفي منعطفاته المتاريس .

كانت الدرعية قائمة على الاكام الى جانبي الوادي (١) ولا يتمكن منها الجيش القادم من الوشم أو من سدير الا اذا اجتاز واديها وصعد الى الربوة الشرقية فنصب مدافعه هناك . ولذلك خرج أهل المدينة يصدون المصريين ويناجزونهم ليمنعوه من احتلال هذا المركز الخطير .

كان جيش ابراهيم باشا عندما وصل الى الدرعية وباشر حصارها في ٢٩ جمادى الاولى ١٢٣٣ هـ . (٦ نيسان ١٨١٨م) مؤلفا من أربعة الاف من المصريين والالبانيين ، وخمسمئة من المغاربة ، وبضعة آلاف من عربان مطير وحرب وعتيبة وبني خالد ، ونحو ألفين من العمال والخدم، وعشرة آلاف من الجمال حاملة المؤن والذخيرة .

استمر الحصار خمسة أشهر وبضعة أيام فتعددت فيه الوقعات واشتدت الحملات ، وكانت الغلبة غالبا لآل سعود . ولكن النجيدات كانت ترد متوالية على ابراهيم فتجيثه الجنود والذخيرة من مصر ، والارزاق من البصرة والمدينة ، والمواشي والسمن من القصيم . ومع ذلك فقد نكب في ١٦ شعبان (٢١ حزيران) نكبة كادت تقضي عليه . فبعد ان انهزم في وقعة قتل فيها مئة وستون من رجاله هبت ريح السموم فحملت شرارة من نار من احدى الخيام الى مستودع الذخيرة ، فاشتعل البارود ، وتفجرت القنابل ، وأتلفت كل ما كان فيها . بل

(١) راجع (ملوك العرب) فصل الوشم صفحة ١٠٤ (الجزء الثاني) الطبعة الخامسة

امتدت النيران الى مستودع القمح أيضا فاستحال الى رماد . قال ابراهيم لطبيبه الافرنسي : خسرنا كل شيء ما عدا شجاعتنا وسيوفنا . والحق يقال ان لولا الشجاعة والعزم والثبات ، تلك السجايا الكبيرة فيه ، لعاد من الدرعية بعد تلك الفاجعة مدحورا .

ولكنه ثبت في مراكزه واستعاض عن القتال بالمناوشة والمخادعة الى ان جاءت النجدات من المدينة والذخيرة والمؤن من القصيم . وكان قد شاع ان أباه جهز محافظ الاسكندرية بحملة ليرسله الى نجد ، وقد ولاء القيادة العامة ، فأثار هذا الخبر غضب ابراهيم وحميته ، فحمل على أهل الدرعية في متاريسهم وفي معارقلهم ، وفي ابراجهم ، وفي بيوتهم ، حملات شعواء استُخدمت فيها المدافع الضخمة ، والقبوس النارية ، والبنادق والسيوف . ثم أحاطت جيوشه بالمدينة واحتلت إحدى أحيائها الى ان تنزعزع عزيمة المدافعين ، فطُلب فريق منهم الصلح ، فأبى ابراهيم الا أن يسلم عبدالله بن سعود .

رفض آل سعود التسليم . ونهضوا نهضة واحدة يستأنفون القتال فحملوا على الجنود المحتلين قسما من المدينة فذبحوا عددا كبيرا منهم وأخرجوا الباقين . ذلك تمهيدا لصلح شريف . ولكن ابراهيم أدرك قصد العدو فأفرغ كل ما لديه من المدافع على الدرعية وقصورها ومعارقلها حتى على المسجد الجامع فيها .

وكان ذلك في آخر الشهر الخامس من الحصار فاضطربت في المدينة النيران بعد ان هلك كثيرون من أهلها (١) وتفرق كثيرون من المجاهدين فخرج عبدالله بن سعود الى ابراهيم باشا في اليوم الثامن من ذي القعدة (٩ أيلول) فاستقبله ابراهيم في خيمته،

١٢٣٣هـ
١٨١٨م

(١) قيل انه قتل من اهل نجد في حصار الدرعية الف وخمسمئة ومن المصريين اكثر من تسعة آلاف .

فقال عبدالله : « ما غلبتنا جنودك ، انما الله أراد ذلنا » .

سلمت الدرعية ، وأرسل عبدالله ، ومعه بعض رجاله وعبيده بمحافضة اربعمئة من الجنود الى المدينة ، ومنها الى القاهرة ، فوصلها في ١٨ « حرم ١٢٣٤ هـ (١٨ ت ٢ ١٨١٨ م) ومثل بين يدي محمد علي ، فسأله رآيه بابنه ابراهيم فقال : « هو قام بواجبه ، ونحن عملنا واجبنا ، وما شاء الله كان » .

لم يلبث عبدالله غير يومين في القاهرة ، ثم أرسل أسيرا الى الاستانة ومعه أمين سره ورجل آخر من رجاله كرها أن يفارقاه . وهناك عند وصولهم طوفوا في الاسواق ونفذ فيهم في اليوم الثالث حكم الاعدام .

أما ابراهيم عندما دخل الدرعية أمر بالقبض على بعض الزعماء والعلماء ونكل بهم تنكيلا شنيعا . فمنهم من طرخوا مقيدين تحت سنابك الخيل ومنهم من وضعوا مكبلين عند فوهة المدفع فقطعهم اربا اربا « طير أوصالهم في الفضاء » قال ابن بشر : « وكان الشيخ العلامة القاضي أحمد بن رشيد الحنبلي صاحب المدينة في الدرعية عند عبدالله فأمر الباشا بضربه وتعذيبه وقلع جميع أسنانه فقتعت » . وقال المؤرخ الافرنسي : « سام الشيخين أحمد الحنبلي وعبد العزيز بن محمد عذابا شديدا ولكنه ندم بعد ذلك على استرساله في غضبه » .

ولم تكن هذه خاتمة المظالم والفظائع التي ارتكبتها الظافر ناديبا وانتقاما . بل قيل ان محمد علي هو الذي أمر بتدمير الدرعية . ولو سئل محمد علي لقال ان الامر جاءه من الاستانة . فقد طالما تذرع الأب والابن بالأوامر الشاهانية في تنكيلهم بالعرب . على ان هذا الامر يشين صاحبه أيا كان . ولا فضل للظافر في تنفيذه ، ولا مجد ، ولا فائدة . والا ما الفائدة بعد كسرة أهل نجد من تدمير عاصمتهم ؟ قد أمر ابراهيم باخراج من تبقى في الدرعية من أهلها ، وكان قد أجلى الى مصر فريقا

كبيراً (١) من آل سعود وآل الشيخ ، ثم بتدميرها ، فدمّر عساكره قصورها ، وأشعلوا النار في دورها ، وقطعوا الذخيل في بساينها . ثم فعلوا كذلك في البلدان الأخرى التي اكتسحوها أي في العارض وفي الخرج ، وهدموا الحصون والقصور في الوشم وفي القصيم .

قال هو غارث : « لم يكن يطمع محمد علي بضم البلاد العربية إلى ملكه ، لذلك لم يحسن معاملة أهلها . وجل ما ابتغاه أن يظلوا كما كانوا قبل ظهور المذهب الوهابي نهب الشقاق والفوضى » .

وهي الحالة التي كانوا فيها عندما انسحب إبراهيم باشا بجنوده من نجد في فصل الصيف من سنة ١٨١٩ بعد أن أقام سبعة أشهر في الدرعية ، فضربت الفوضى أطنابها في البلاد ، وجاء جنود الاتراك تحل محل العساكر المصرية ، فكانت ضعفاً على أبالة . قال ابن بشر : « كان الناس يهجرون بيوتهم ، فيهيمنون على وجوههم في البراري فراراً من التسخير والارهاق والقتل والتعذيب ، فأنحل في البلاد نظام الجماعة ، وشاعت المحرمات ، فصرت لا ترى من ينهي عن منكر ، أو يأمر بمعروف » .

وفي هذه الآونة قام رجل من بيت معمر وهو محمد بن مشاري يحاول الاستيلاء على قسم من البلاد ، فأفلح بادیء ذي بدء سعيه . وقد دانت له الوشم والعارض وسدير ، ولكنه لضعف عزمه لم يحكم سنة كاملة ، ولم يكن في تلك الأيام الوحيد الطالب للسيادة من أي وجه كان .

وعندما وصل الاتراك إلى عنيزة بقيادة رجل يدعى عبوش آغا كتب إليه ابن معمر يقول انه طائع للسلطان وانه ألقى القبض على أبناء سعود النخ . فأقره عبوش في مركزه .

كان إبراهيم باشا كما أسلفت القول قد أجلى آل سعود إلى مصر .

(١) قيل أربعمئة ومعهم أربعة من أبناء سعود الكبير أخوان عبدالله هم : فهد ومشاري وسعد وخالد . أما الأربعة الآخرون أي فيصل وإبراهيم وناصر وتركی فقد قتلوا في الحرب ،

ولكن مشاري بن سعود الكبير عاد منها هارباً ، وتركى بن عبدالله بن محمد كان قد لاذ بالخروج عند تسليم الدرعية . فلما عاد مشاري يطالب بالامارة قاومه ابن معمر وتمكن من القبض عليه فسلمه الى الاتراك فقتلوه . وكان تركى قد عاد من الخرج فنازع ابن معمر الامارة ، وحمل عليه ثم قتله انتقاماً لمشاري . وفي ذاك اليوم كان قد جاء وفود أهل سدير والمحمل يبايعون مشاري ، فبايعوه في الصباح ، ثم بايعوا تركى بعد الظهر .

وفي هذه المبايعة ينتقل الحكم من سليله عبدالعزيز بن محمد الى سليله عبدالله أخي عبدالعزيز ، ويستمر فيها الى اليوم . ولولا تركى لما أُنقذ في تلك الآونة بيت آل سعود . بيد انه لم يستطع في مدة امارته ، التي استمرت عشر سنوات ، أن يعيد الى هذا البيت سالف مجده ، والى ذاك الحكم تلك الصولة التي كانت لابن عمه سعود الكبير . ولا أظن أن سعوداً نفسه كان يستطيع ذلك بعد أن ثالت على نجد النكبات ، وانتشرت بين أهله الردات ، ففسدت أخلاق الناس ، وتلاشت فيهم القوى المعنوية والروحية .

٥١٢٣٦
١٨٢٠م

ومع ذلك فقد استطاع الامام تركى ان يستعين بما تبقى من شتات الفضيلة في قوم مغلوب ليحفظ السيادة السعودية في زمن الزعازع والفتن ، بل في زمن كانت عساكر الروم (الترك) محتلة قسماً كبيراً من البلاد .

على انه مات شهيداً . فقد قتله ابن عمه مشاري بن عبدالرحمن الذي يمت' بنسبه الى الثالث من أبناء سعود الاول ، قتله طمعاً بالامارة ، ولكنه لم يتمتع بها أكثر من أربعين يوماً ، لأن فيصل بن تركى قام يثار لابييه ، فهاجم رجاله على القصر بالرياض ، وأدركوا مشاري فيه فقتلوه .

آل سعود

الدور الثالث - الحروب الأهلية

ان في قتل مشاري قاتل الامام تركي منشأ امارة بيت الرشيد في حائل ، حادث جدير بالاسهاب . يوم 'قتل الامام كان ابنه فيصل في القطيف ومعه جنوده من قبائل شتى ، فلما جاء يثار لابييه ودنا من الرياض خرج اليه وفد من المدينة يطلب منه ألا يأذن بالدخول اليها غير أهلها من الجنود ، لانه اذا هجم عليها النجديون من غير الرياض قد يقاومهم الاهالي ليمنعوهم من احتلالها ، فيحدث قتال في المدينة . فتولدت المحنة محنة ثانية أشد من الاولى .

وكان مع فيصل رجل يدعى عبدالله بن الرشيد طرده من حائل امراؤها يومذاك آل علي فلاذ بآل سعود ، فلما همّ الجنود أبناء الرياض بالدخول الى المدينة استفتزت الحمية عبدالله فاستأذن فيصلا بأن يكون معهم فأذن له ، فدخلوا الرياض بدون قتال لان أهلها كانوا من حزب تركي ، وهجموا على القصر الذي تحصن فيه مشاري (وكان قصر دهام ابن دواس سابقا) أما عبدالله بن الرشيد فقد سبق المهاجمين الى « مفتول » (برج) من مفاويل القصر ، فرأى فيه رجلا اسمه سويد كان أميراً في جلاجل بسندير ، وكان قد جاء يسلم على الامام تركي دون أن يعلم بما حل به ، فرحب به مشاري وأنزله ذاك البرج في القصر .

قال عبدالله يخاطب سويداً : وما دخلك أنت بآل سعود ؟ أجابه سويد : اني مغضوب . فقال عبدالله : اذا جئتك بالامان من فيصل أترمي لنا حبلا لنصعد الى القصر ؟ فقال سويد : اني من رجال تركي وسأساعدكم شرط أن يعطيني فيصل الامان ويهبنني نخل الداهنة (١) .

(١) الداهنة هجرة من مجر الروقة وهم فخذ من عتيبه .

فتوأتق الرجلان ورمى سويد بحبل فصعد ابن الرشيد الى القصر وصعد وراءه عشرون من جنود فيصل ، فتصادموا ورجال مشاري وتجالدوا ، فجرح عبدالله في يده جرحا بليغا شوهها . ولكنه ورجال فيصل استولوا على القصر وهاقوا بمشاري ومن معه فقتلوه .

سُر فيصل خصوصا بشجاعة عبدالله بن الرشيد . وعندما رأى جراحه قال له : لك مني ما تريد . فقال عبدالله : اطلب منك أن تؤمرني في حائل وان تكون الامارة لي ولعائلتي بعدي . فأجاب فيصل طلبه ، فكان عبدالله هذا مؤسس امارة بيت الرشيد . وسنعود الى ذكره وذكرها في فصل آخر .

يقسم عهد فيصل الى دورين ، الاول يبتديء في توليه الامارة ، بعد قتل أبيه ، وهو دور الاضطرابات والفتن ، وينتهي بعد تسع سنين في تسليمه الى القائد خورشيد باشا . وكان قد عاد من مصر خالد بن سعود أحد الذين أجلاهم ابراهيم باشا ، وهو حائز على ثقة محمد علي ومحبوب من المصريين . بل جاء خالد مع خورشيد ليساعده في الاستيلاء على نجد والقضاء على فيصل . فعندما قرب الجيش من الرياض رحل فيصل الى الدلم في بلاد الخرج لانه ، لخلاف كان بينه وبين أهل الرياض ، لم ير من الحكمة أن يحاصر فيها .

كان أهل الدلم أصدقاء لفيصل مخلصين فلبأ اليهم ، فتعقبه خورشيد بجيشه وحاصره هناك . وقد ثبت فيصل أربعين يوما في الدفاع ، ولكنه عندما اشتد الحصار ، خصوصا على أهل الدلم ، ظهر في مظهر من كرم الاخلاق يندر مثله في المتحاربين . أجل ، قد عرض على خورشيد أن يسلم نفسه بشرط أن يعفو القائد عن الاهالي ويؤمنهم على ارواحهم وأموالهم .

قبل خورشيد ، فسلم فيصل في ٢٣ رمضان من تلك السنة

(١٠ ك) ما كان معه من عتاد الحرب الى اهل الخرج ، ثم
 ١٢٥٤ هـ ١٨٣٨ م سلم نفسه الى القائد ، فبرّ بوعده اذ عفا عن الاهالي . وقد
 احسن معاملة فيصل فاستصحبه الى مصر ، وولى مكانه خالداً بن سعود .

وخالد هذا هو أخو عبدالله من جارية حبشية . كان متوقد
 الذهن ، رقيق الشعور ، مسترسلاً في اللهو والملذات . نشأ في ذرا
 محمد علي فتمصر ، وجاء يحكم في نجد حكماً عصرياً ، فنفر النجديون
 منه وعدوه اجنبياً . ثم أجمعوا على خلعه فخلعوه بعد ان قاوموه سنتين ،
 ١٢٥٧ هـ ١٨٤٢ م فتولى الامارة بعده عبدالله بن ثنيان بن ابراهيم بن ثنيان بن
 سعود وكان مستبداً عادلاً . بيد انه أرهق الناس بالضرائب
 فلم يصبروا على حكمه اكثر من سنة . ولكنهم لم يخلعوه كما فعلوا
 بسلفه خالد . فقد صدف ان فيصلاً ، الذي أطلقه محمد علي من السجن
 في هذه السنة ليعيده حاكماً الى نجد ، وصل الى القصيم يوم كان
 عبدالله بن ثنيان محاصراً عنيزه ، فدعاه للطاعة فأجابه عبدالله انه لم
 يحكم نجداً الا بالنيابة عنه . وكانت خدعة منه يتوسل بها الى القبض
 على خصمه .

سار فيصل مخدوعاً الى عنيزه ، ولكن القدر والاه . فقبل ان
 يدخل المدينة جاءه رجل يعلمه بنية ابن ثنيان ، فأخذ للامر اهبتة ،
 ودخل برجاله ليلاً وهم ينادون ان الحكم لفیصل . وضجت عنيزه
 لهذه المفاجأة وخذل اهلها ابن ثنيان ففرّ هارباً الى الرياض ، فتعقبه
 فيصل وحاصره عدة ايام ، ثم صفح عنه واعطاه الامان وخرج ابن
 ثنيان من القصر شاكراً حامداً ولكنه بُعيد ذلك اصيب بمرض اودى
 بحياته .

استقام الامر لفیصل . فبايعه اهل نجد وتمتعوا بالنعيم الجمّة
 في عهده الذي استمر في الدور الثاني اربعاً وعشرين
 ١٢٥٨ هـ ١٨٤٣ م سنة . حكم فیصل حكماً عربياً سعودياً ، مثل ابني عمه
 عبد العزيز وسعود ، فاقام العدل ، وعزز الامن ، واعاد الى نجد شيئاً
 من اليسر وسالف المجد . بل الى ما وراء نجد ، فقد بسط سيادته على

الشطر الأكبر من شبه الجزيرة ، فدانت له الاحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجبل والقصيم . فدانت له حباً لا كرهاً .

ولكن الدولة العلية ، او بالحري الحكومة المصرية ، لم تهمل امره كل الاهمال . وبما انها تكبدت الخسائر الفادحة في حملاتها السابقة على اهل نجد ، رأت من الاوفر والاسلم ان تسيّر قواتها على من يدين لابن سعود فني عسير . وما كانت تهامة باسوغ لقمة من نجد .

قد سّير عباس الاول عشرة الاف جندي نظامي الى جبال عسير في هذه السنة ، فنازلهم هناك العربان يقودهم عائض بن مرعي رئيس آل عائض ، وهزموهم شر هزيمة ، فتقهقر من سلم منهم الى تهامة . وكانت الغلبة في هذه الحرب لآل عائض وبالتالي للامام فيصل . الا ان فيصلاً كان يتحاشى ما استطاع سفك الدماء . وعندما حاصرت جنوده بريده كانت خطته العسكرية ان يمدد الحصار فيحمل الاهالي على التسليم دون قتال . وقد استنجد اهل القصيم يومئذ بالامير طلال بن الرشيد فلم ينجدهم خوفاً من ابن سعود . ثم استنجدوا بامير مكة فأبى كذلك . ثم ارسلوا يفوضون الحكومة المصرية فنقضت يدها منهم . مما يدل على ان فيصلاً كان عزيز الجانب رهيماً .

وكان محبوباً ولا غرو . فقد جمع في سياسته بين الشدة واللين ، فكان كريم الاخلاق ، قوي الارادة ، سمحاً حليماً ، محباً للعلماء ، رؤوفاً بالناس ، محسناً اليهم . حريصاً على مصالحهم .

١٢٧٤هـ جاء بلغراف (١) نجداً في عهده فساح في الجبل والقصيم ١٨٦٨م ونزل من بريده الى الغارض عن طريق سدير ، فاقام في الرياض وضواحيها خمسين يوماً ، ثم رحل الى الاحساء ومنها الى الخليج . كان بلغراف شديد اللهجة في انتقاده الوهابية والوهابيين ،

بل كان متحاملا • وقد جاء البلاد العربية من قبل نابوليون الثالث ،
كما جاء قبله بخمسين سنة باديا الاسباني (علي بك) من قبل
نابوليون الاول ، مستكشفاً مستخبراً وللاثنين غرض سياسي يتقدم
الغرض العلمي • بيد ان بلغراف ، على ما كان من الشدة والنفرة في
انتقاده اهل نجد المتعصبين (وهو الانكليزي اليهودي اليسوعي (١)
المتساهل) قد انصف الامام فيصل • فقد قال يصف حكمه : « ان
القوافل تجتاز القصيم وسدير والوشم ومقاطعات نجد الاخرى آمنة ،
بفضل الحكم الوهابي ، شر البدو وتعدياتهم • ويسير التجار والحجاج
والفلاحون في البلاد بأمن وسلام » •

ولكن عهد فيصل السعيد لم يكن اطول عمراً من عمره • فبعد
وفاته في ٢١ رجب (١١ ك ١) من هذه السنة ، تنازع
انجاله الملك كما ستري وأضاعوه • وهم عبدالله ومحمد
وسعود وعبد الرحمن مثلوا الدور الاخير المحزن من رواية آل سعود
الملأى بمختلف الحوادث التاريخية •

وبعد ان انهك الترك والمصريون اهل نجد بحملاتهم المتعددة ،
وبددوا صفوف وحدتهم القومية والدينية ، عادت الى الوجود تنكأ
الجراح تلك العداوات القديمة لآل سعود اي عداوات القبائل •
فانتفضت تحطان ، وعصت العجمان ، وتمردت عنزه ، وتقلبت مطير ،
وتذبذبت عتيبه ، وصال بنو مرة ، وتنمر بنو خالد • ناهيك بالاخوة
وابناء العم من البيت نفسه ، وقد قام بعضهم على بعض يتنازعون

(١) ولد بلغراف عبرانيا - اسم اسرته كوهن - فصار بعدئذ مسيحياً ، ثم ابا
يسوعياً ثم سياسياً ملحداً • وكان في سورية مع الاباء اليسوعيين يدعى الاب ميخائيل •
اما رفيقه بركات وترجمانه في البلاد العربية فهو الذي ارتقى بعدئذ الى السدة البطريركية
الرومية الكاثوليكية فصار البطريرك بطرس الجريجيري وكان مشهوراً •

السيادة ، فكانوا في حروبهم مغنماً لهذه القبائل النازعة الى الغزو المستزرقة منه .

قامت القبائل توالي هذا الامير وتناوى الآخر اخاه او ابن عمه طمعا بكسب أو تشفياً لغيل ، أو حباً بسيادة يطمحون الى تحقيقها . وكان عبدالله قد حمل على العجمان لتعديهم على الحجاج فكسرهم في وقعتين قرب الكويت ، فرحلوا شمالاً وتحالفوا مع رؤساء المنتفق على اهل نجد .

ثم اجلى عبدالله بعض العجمان الى وادي الدواسر . فلما قام سعود ينازع اخاه الامارة بعد موت ابيهما ، لجأ الى ابن عائض في ابها فردّه خائباً لان آل عائض في تلك الايام كانوا مواليين لآل سعود . ثم عاد سعود بن فيصل من ابها الى نجران وكان العجمان هناك ، فاجتمعوا حوله ينصرونه على اخيه ، وانضم اليهم عدد كبير من الدواسر وبني مرّة . وهذه بداية الحرب السعودية التي اشتركت فيها قبائل نجد ، فكانت يوماً لهم ويوماً عليهم - وكانت في الحالين على آل سعود . هي الحرب الاهلية التي استمرت متقطعة اكثر من ثلاثين سنة فاستثمرتها الدولة العثمانية ، وكانت في النهاية المغنم الأكبر لامراء بيت الرشيد .

ولكن ابن الرشيد كان لا يزال في بداية الحرب يدين لابن سعود . وعندما خرج عبدالله الى وادي الدواسر غازياً سار معه الامير متعب بن الرشيد الذي قتل بعد تلك الغزوة ، فتولى أخوه بنسدر الامارة بعده وأقره فيها الامير عبدالله .

وكان محمد بن فيصل مع اخيه عبدالله على اخيه سعود ، فاحتربوا (١) في وقعة المعتلا ، فجرح سعود وانهزم ، ثم سار ، بعد ان داوى جراحه عند اهل مرة ، الى عمان يستنجد صاحبها فلم ينجده . وراح من عمان الى البحرين فلباه شيخها . ثم حالف العجمان في

(١) لغة نجد ، اي تحاربوا

الاحساء واعاد الكرة على اخويه محمد وعبدالله ، فالتحمت جنود
 قال ابراهيم بن عيسى : « والسبب في ذلك ان بعض
 الاخوان عند ماء يسمى جودة ، وكانت الغلبة لسعود .
 جنود محمد وهم سبيع خانوه وانقلبوا على اصحابهم يذهبونهم » . وقد
 قتل اربعمئة من جنود الفريقين في وقعة الجودة ، وأسر محمد فاعتقل
 في القطيف . ثم دعا سعود اهل الاحساء للمبايعة فجاءوه على عين
 جودة مبايعين .

بعد وقعة الجودة احتل مدحت باشا ، وكان يومذاك والي بغداد ،
 الاحساء وذلك بمساعدة عربان الكويت الذين جاؤوا بحرّاً الى العقير
 وبراً الى القطيف بقيادة الشيخ مبارك الصباح . وفي احتلال الاحساء
 في هذه السنة قطع مدحت الصلة بين نجد وعمان ، ووسع شقة العداء
 بين سعود واخويه ، فاطلق محمداً من سجنه في القطيف ، ووعد
 عبدالله بان يعينه « قائمقام ولاية نجد » . ولكن عبدالله خشي الخدعة -
 قيل ان مدحت كان ينوي القبض عليه - ففر هارباً الى الرياض ،
 فاستقبله اهلها مرحبين مهللين .

ولكن سروره لم يدم طويلاً . فقد زحف سعود في السنة نفسها
 اي سنة ١٢٨٨ هـ الى الرياض ، فدخلها ظافراً ونهب رجاله المدينة .
 ثم كتب الى رؤساء البلدان ان يقدموا اليه للمبايعة فجاءوا يبايعون .
 اما عبدالله فكان قد جمع بدو قحطان وانسحب الى وادي حنيفة ،
 فتعقبه سعود بجيش من آل مرة ، والعجمان ، وسبيع ، والسهول ،
 والدواسر . وبعد وقعة البرّة انهزم عبدالله وعاد الى الاحساء .

قد كانت هذه السنة (١٨٧١ م) والتي تليها سنتي قحط في
 نجد ، فجاءت المجاعة تنجد الحرب على اهله . نعم قد توالى النكبات
 وتعددت ، فمن لم يمت بالسيف مات جوعاً . وكان الناس يأكلون
 جيف الحمير ويحرقون جلود الابل ويدقونها ، بل كانوا يدقون حتى
 العظام ويأكلون مسحوقها . لم يصف الجو وال حال هذه حتى لسعود ،

فقد قام اهل الرياض عليه في هذه الآونة فأخرجوه ، بعد ان أمّنوه على حياته ، من المدينة • ثم تولى الحكم فيها عمه عبدالله بن تركي •

رحل سعود الى الدلم بالخرج ومنها الى الأحساء يستنهض العجمان وآل مرّة على الاتراك ، فاجتمع حوله جيش من تلك البوادي وهجموا على الحساء ، الاتراك فخرج اليه في الحويرة وبادروه القتال فهزموه • على ان الفشل لم يكن ليثني هذا السعودي عن عزمه • فقد عاد يقطع الدهناء الى الافلاج ، وحمل على اخيه الآخر وابناء عمه هناك ، فانتصر في وقعة الدلم التي فر منها محمد بن فيصل هارباً ، وأسر فيها عبدالله بن تركي الذي مات بعد ايام قليلة في السجن •

استمر النصر بعد ذلك حليفا لسعود • فحارب أهل 'ضرمي وهزمهم ، ثم اهل حريملا فادخلهم في طاعته ، ثم اعاد الكرة على الرياض ، وكان اخوه عبدالله قد عاد اليها ، فخرج واهلها عليه ، فاحتربوا في الجزعة وكانوا مهزومين • ارتحل بعد ذلك عبدالله ومعه بعض خدامه الى ناحية الكويت ، فاقام على ماء الصبيحية هناك عند بادية قحطان • ودخل سعود الرياض ثم امر رؤساء البلدان ثانية ان يقدموا اليه ويبايعوه ففعلوا •

سنة واحدة استقام الامر فيها لسعود بن فيصل فتتنفس الصعداء وقال للحرب استريح • ولكن ابن الامام فيصل الرابع وهو عبد الرحمن قام يخطب ودها فبادرت اليه • وكان قد نهض بحلف من العجمان وآل مرة يريد اخراج الترك من الحساء ، فهجم عليهم هناك وكاد يظفر ببغيته لولا نجدة جاء بها ابن السعدون من العراق ، فكسرت العجمان وشتتت شملهم • عاد عبد الرحمن الى الرياض فالفى سعودا في القصر مريضا وقد توفي في هذه السنة ، فتولى الامارة بعده ، وكان أخوا عبدالله ومحمد اذ ذاك مع بادية عتيبة •

٨١٢٩٠
م١٨٧٣

٨١٢٩١
م١٨٧٤

جاء محمد بجيش من عتيبة يحارب عبد الرحمن فحشد عبد الرحمن جيشا من أهل الرياض والخرج وبوادي العجمان ومطير ليحارب محمدا . فالتقى الجيشان في ترمدا ، وكانت هناك وقعة تلاها صلح بين الاخوين . أما أبناء سعود فقد كانوا مع عبد الرحمن في هذه الوقعة ، ثم انقلبوا عليه ، فراح يقصد أخاه الأكبر عبدالله وكان يومذاك في بادية عتيبة فأكرمه وعاد وإياه إلى الرياض لمحاربة أبناء أخيها الثائرين . على أنه لم يدركوهم في المدينة لانهم كانوا قد انسحبوا منها وارتحلوا إلى الخرج فأقاموا هناك .

صفا الجو لعبد الله ، أو بالحري صفا الجو في بيت انجال الامام فيصل ، فكان الاخوين محمد وعبد الرحمن مطيعان لأخيها الامام . ولكن أبناء سعود ظلوا عاصين متمردين . لان هناك غيوم كانت تتلبد في الافق .

حدثني جلالة الملك عبد العزيز قال : « لم يستقم الامر لعبدالله لثلاثة أسباب : أولا - وجود أبناء أخيه في الخرج يحرضون القبائل عليه - ثانيا مناصرته آل عليان امراء القصيم السابقين على أعدائهم آل مهنا الامراء الحاكمين في ذلك الحين . وكان هذا جهلا من عبد الله لانه في وقت ضعفه ليس من الحكمة أن يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم . ثالثا - ظهور محمد بن الرشيد الطامع بحكم نجد . فقد تحالف مع آل أبي الخيل (من آل مهنا) وكانوا كلهم يدا واحدة على ابن سعود .

النزاع الذي أشار اليه جلالة الملك يستوجب الشرح . ورأس هذا النزاع بريده التي كانت في الماضي مراء لآل هذا من شيوخ عنزه . فاشتراها منهم سنة ٩٥٨ هـ راشد الدريبي العنقري التميمي من آل عليان ، ثم عَمَرها وسكنها ومن معه من عشيرته ، فاستمرت رئاستهم فيها إلى أن تغلب عليهم آل مهنا من عنزه في آخر القرن الثالث عشر للهجرة .

ولكن آل عليان ظلوا يدسون الدسائس لآل مهنا ويستنجدون

بهذا وذاك عليهم ، فأفضى العداة الى قتل مهنا أبي الخيل في عهد
عبدالله ، فكتب أولاده الى الامام يشكون الامر اليه ، فلم يسمع شكواهم
بل انحاز كما قال جلالة الملك الى آل عليّان . أما آل مهنا فاستنجدوا
بابن الرشيد الامير محمد ، فجاء هذا بريده ، وطفق يحفر تحت سيادة
ابن سعود فيها .

وعندما حدث الخلاف بين الامام عبدالله وبين أهل المجمع فآدى
الى الحرب كان محمد بن الرشيد قد اتفق مع أهل ذلك ٥١٢٩٩
م ١٨٨١ البلد على أن يكون حليفهم وحاميهم ، وأن يكونوا من
رعاياه ، فاستنجدوه عندما بلغهم خبر قدوم عبدالله بن فيصل ، فبادر
الى نجدتهم بجيش مؤلف من بوادي شمّر وحرب . وعندما وصل الى
بريده انضم اليه أميرها حسن آل مهنا أبو الخيل ومعه جند من
القصيم . ثم زحفوا الى الزلفي ، وكان عبدالله ومن معه من أهل المحمل
وسدير والوشم وبادية عتيبة قد عسكروا في ضرمه ، فلما علموا
بتحالف ابن الرشيد وابن مهنا وزحفهما الى الزلفي انسحبوا من
ضرمه وعادوا الى الرياض .

دخل ابن الرشيد المجمع وامر عليها أحد رجاله ، فكانت بعد
فوزه في القصيم الخطوة الثانية في استيلائه على نجد .

أعاد الامام عبدالله الكرة على المجمع فاستغاث أهلها بأمر الجبل
ابن الرشيد وأمر بريده ابن مهنا فأغاثاهم ، فآدى ذلك الى وقعة بينهم
وبين الامام ، كانت الغلبة فيها لابن الرشيد الذي كتب ٥١٣٠٠
م ١٨٨١ بعد ذلك الى رؤساء البلدان في الوشم وسدير يدعوه اليه
في الحمادة مكان الوقعة فجاءوه طائعين ، فعزلهم من وظائفهم وامر في
كل بلد من بلدانهم واحدا من رجاله . وكانت وقعة الحمادة الخطوة
الثالثة في استيلائه على نجد .

بعد هذه الوقعة بعث الامام عبدالله بأخيه محمد رسولا الى ابن
الرشيد فأكرمه وتفاوض واياهم . وقد عاد محمد من حائل يحمل الى
أخيه من أمير الجبل هدية وتعهدا بأن يترك له بلدان الوشم وسدير ،

فبادر الامام الى عزل من اراد عزله في تلك البلدان ، فزاد ذلك شي الشقاق والتخاذل ، اذ لم يستقم نفوذ ابن سعود فيها ، ولا تقلص نفوذ ابن الرشيد .

أما أولاد سعود بن فيصل الذين نزحوا الى الخارج فقد قام منهم محمد ينصر عمه عبدالله ، فحشد جيشا من عتيبة وراح يطلب الخصم الجديد ابن الرشيد ، فالتقى به عند ماء يسمى عروى فنازله هناك وكان مهزوما . هذه هي بداية العداء بين ابن الرشيد وبين أولاد سعود بن فيصل .

ولكنهم لم يكونوا يدا واحدة على خصمهم . فقد قاموا في هذه السنة على عمهم عبدالله يحاولون انتزاع الحكم منه ، فقبضوا عليه والقوه في السجن ، فجاء ابن الرشيد يقطف على عادته ثمار الخلاف . جاء فزعا كما ادعى وكان قد كتب الى رؤساء البلدان في نجد يشجب عمل أولاد سعود ويدعو لنصرة عمه عبدالله . فلبى الناس دعوته ، ومشوا معه الى الرياض ، فخرج اليهم عندما دنوا منها وفد للمفاوضة يرئسه عبد الرحمن بن فيصل ، فقال ابن الرشيد: ما قصدي والله غير أن أخرج عبدالله من السجن وأن تكون الولاية في بلدكم لكم يا آل سعود . ثم عاهدهم على ذلك .

أما أولاد سعود بن فيصل فلما رأوا اتحاد الناس عليهم طلبوا من ابن الرشيد الامان فأمنهم على دماثهم وأموالهم ، فعادوا الى الخارج . وبعد أن دخل ابن الرشيد الرياض واستولى عليها ظهر في مظهر الفاتح القهار ، اذ اطلق عبدالله من السجن وارسله وأخاه عبد الرحمن وعشرة آخرين من آل سعود أسرى الى حائل . ثم أقام سالم السبهان (بيت السبهان اخوال بيت الرشيد) أميرا في الرياض .

وبعد خمسة أشهر جاء سالما وفد متظلم من الخارج الذي كان أهله قد اختصموا مع أبناء سعود بن فيصل ، فراح سالم يحسم الخلاف هناك . وقد حسمه حسما تستحيل عنده المعاودة ، اذ انه قتل أبناء

سعود محمدا وسعدا وعبدالله (١) أولئك الذين أمنهم ابن الرشيد على حياتهم ، وأجلى أهلهم الى حائل . ضج الناس وقاموا يحتجون على السبهان ، فعزله ابن الرشيد وامر مكانه فهّاد بن رخيص من كبار شمر .

وفي السنة التالية مرض عبدالله بن فيصل في الجبل فأذن له ولاخيه عبد الرحمن وأسرتهما بأن يعودا الى الرياض . وقد عاهد عبدالله بن الرشيد على أن يكون أميرا في بلاده . ولكنه توفي في ٢ ربيع الثاني (٢٦ نوفمبر) من هذه السنة بعد وصوله الى الرياض ، فكتب عبد الرحمن الى ابن الرشيد يخبره بذلك ويسأله أن يعزل عامله حسب العهد المذكور ، فكان جواب ابن الرشيد أن عزل فهد بن رخيص وعين مكانه سالم السبهان ، أي انه نكث عهده . وفي ١١ ذي الحجة من هذه السنة بلغ عبد الرحمن ان ابن السبهان قادم ليسلم عليهم سلام العيد ويقتلهم . فاحتاطوا للامر . وعندما وصل السبهان امر عبد الرحمن بأن يجمع آل سعود ليلقي عليهم كلاما من ابن الرشيد ، وكان في نيته أن يفتك بهم فيذبّحهم جميعا . على أن السعوديين سبقوه الى شبه ما كان يبطن ، فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا عددا منهم .

وبلغ خبر هذا الحادث أهل القصيم ، وكانوا قد اختلفوا مع ابن الرشيد ، فكتبوا الى عبد الرحمن يعاهدونه على الطاعة والتعاون . وعندما مر ابن الرشيد ببلادهم وهو قادم الى الرياض ليثبت ابن السبهان في مركزه ، وقفوا له في الطريق وصدوه ، فعللهم بالوعود - وعد بأن يعطيهم بادية مطير « والخوة » التي كانت تفرض على الحجاج - فرضوا بذلك ونكثوا عهدهم مع ابن سعود عبد الرحمن . زحف ابن الرشيد الى الرياض بجيشه فحاصرها أربعين يوما . ثم دعا أهلها للصلح فخرج اليه محمد بن فيصل والشيخ عبدالله بن

(١) لسعود ابن رابع أسمه عبد العزيز وقد كان وقتئذ مع المجلدين في حائل .

عبد اللطيف (من آل الشيخ (١)) ومعهما ابن عبد الرحمن عبد العزيز الذي كان يومذاك في الحادية عشرة من سنه ، فتفاوضوا مع ابن الرشيد وتصالحوهم على أن تكون الإمارة في اليمام لعبد الرحمن بن فيصل . إلا أنه كان مموها لان ابن الرشيد لم يتمكن في الحصار من فتح المدينة ، ولا تمكن أهلها من رده عنها .

أما أهل القصيم فعندما عاد الأمير محمد إلى الجبل طلبوا منه أن يمر بوعده فسوف وتردد ، فنهضوا ثانية عليه وحشدوا قواتهم للحرب . وما كان هذا الأمير الشمرى ليرد طالبا ، فقد استنفر قبائله وتلافى وأهل القصيم في القرعا ، فتصادموا وتناوشوا في العشر الأول

من جمادى الأولى من هذه السنة وكانت الغلبة لأهل القصيم ، فافترح بعض رجال ابن الرشيد أن يخرجوا من ذاك المكان كأنهم مهزمون ويسيروا إلى البادية حيث لا « ضلعان » - تلال - ولا « مزابن » - أماكن يكمن فيها - فيظن العدو أنهم انهزموا ، فيتقاهم ، فيقطعون ساقته بالخيول . قال الراوي : « وأهل القصيم أناس شجاعتهم كثيرة ورأيهم قليل » فلما رحل محمد بن الرشيد صاحوا : انهزم ، انهزم ! ولحقوه ، فبعدوا عن مراكزهم ومواشيهم ، فهجمت عليهم الخيل ، فاجتزت مؤخرهم . وكانت الهزيمة عظيمة . قيل أنه قتل ألف رجل من أهل القصيم في تلك الوقعة التي تدعى وقعة المليدة والتي كانت الخطوة الكبرى النهائية في استيلاء ابن الرشيد على نجد .

لم يبق لآل سعود قائم بعدها . فقد كان الإمام عبد الرحمن خارجا برجاله من الرياض لينجد أهل القصيم ، ولكنه عندما علم وهو في منتصف الطريق بوقعة المليدة ، عاد إلى الرياض ، فأخرج حريمه وأولاده منها وارتحلوا إلى الحساء وكان يومذاك عاكف باشا متصرفها .

وكان طبيب الجيش شابا لبنانيا هو الدكتور زخور عازار الذي انتدبه المتصرف ليفاوض ابن سعود ، ويعرض عليه شروط الدولة . فاجتمع الدكتور زخور على عين النجا قرب المبرز في جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ (يناير ١٨٩١ م) بالامام عبد الرحمن وكان معه ابنه الصغير عبد العزيز . وقد عرض عليه ولاية الرياض يحكمها من قبل الدولة ، اذا اعترف لقاء ذلك بسيادتها ، ودفع بمثابة الخسراج شيئا ، الف ريال أو أقل مثلا ، في السنة . فرفض الامام عبد الرحمن قائلا ان بعد ذبح بندر بن الرشيد (١) تفلتت العشائر فصارت خائنة بعضها لبعض ، وللأمراء الحاكمين كذلك . وانه لا يستطيع والحال هذه أن يثق بها ويتكل عليها .

وكان صاحب قطر قاسم بن ثاني خارجا يومذاك على الدولة فشاع ان الدكتور زخور يسعى في عقد اتفاق بين ابن سعود وابن ثاني لاجراج الاتراك من الحسا . فأوقف خمسة عشر يوما في الهفوف ثم استدعي الى بغداد وكان بعد التحقيق بريئا . ولكنه مع ذلك أبى أن يعود الى منصبه .

أما الامام عبد الرحمن فبعد تلك المفاوضات رحل وأولاده الى الكويت ، فمنعهم الشيخ محمد الصباح الحاكم يومئذ من الدخول اليها فعادوا الى البادية وأقاموا بضعة أشهر مع العجمان . ثم أمثوا قطر فأقاموا فيها شهرين . وكانت الدولة لا تزال تبغي عقد اتفاق مع ابن سعود لتأمين حركاته وسكناته ، فارسل متصرف الحسا يستدعيه اليه فلبى الدعوة . وقد تم بعد ذلك الاتفاق على أن تدفع الدولة الى الامام

عبد الرحمن ستين ليرة مشاهرة - وقلما كانت تدفعها - وأن يقيم وعائلته في الكويت . فقبل ابن الصباح اذ ذاك أن يتوطنوا بلاده .

(١) ذبحه عمه الأمير محمد وذبح اخوته الاربعة الآخرين كما سيجي .

سيرة

المملك عبد العزيز بن عبد الرحمن

آل فيصل آل سعود

ولد { ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ
٢ كانون الاول ١٨٨٠ م }

توفي { اثنين ربيع الاول سنة ١٣٧٣ هـ
٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ م }

نسب آل سعود

عدنان

نزار

هضر

ربيعة

كليب

اسد

جديلة

عنزي

وائل

بكر

شيبان

ذهل

مروة

هام

سعد

الحارث

مانع

موسى

ابراهيم

مروخان

مقرن

سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان

مشاري

محمد

ثنيان

ابراهيم

سعود

عبد العزيز

عبد الله

محمد

حسن

ثنيان

سعود الكبير عبد الله

عبد الله

محمد

عبد الرحمن

عبد الله

عبد الله

محمد

عبد الرحمن

اصر عبد الله فيصل خالد مشاري تركي سعد فهد

فيصل

جلوي

عبد الله سعود محمد عبد الرحمن

عبد الرحمن سعود فهد عبد الله

سعد محمد الملك عبد العزيز (١) عبد الله

تركبي (توفي) سعود فيصل محمد خالد

تهويل

بعض الامراء الذين كانوا سائدين في الشطر الشرقي
او في قسم منه من شبه الجزيرة يوم كان
ابن سعود منفيا في الكويت

الشيخ مبارك الصباح ، أمير الكويت (١)

كان حاد المزاج ، شديد البأس كثير التقلب • فيه شيء من
الاسد وأشياء من الحرباء • بدوي الطبع ، حضري الذوق ، تارة يجبه
الخصم وطورا يجامله • وكان كريما جوادا ، بل كان مسرفا • يسترسل
الى الترف والبذخ ، ويقدم بعد حبه للمجد والسيادة ، نواعم العيش
ونوافله على كل شيء سواها •

أما سيف مبارك فكان مثل سياسته ذو حدين • قتل أخويه محمد
وجراح طمعا بالامارة ، وحبا بالمجد ، فكان أميرا مجيدا وهو من
أولئك الحكام المتفردين بالحكم الذين يرهقون الأمة بالضرائب ليحيكوا
لها حللا من الفخر والعز باهرة •

شيد القصور في الكويت وهدم قصورا في السياسة • كان يلقب
بـ « الحواقة » من حاق ومرادفاتهما مثل دار ولفء ، أي ما يراد به السير
على عكس الخط المستقيم • نصف عمله سر لا يدركه سواه ، والنصف
الاخر خدعة باهرة ، او خدعة مضحكة ، او خدعة كثيفة مدلهمة •

(١) تولى الامارة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) توفي ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) •

لاعب العشائر وغالبها ، وما كان دائما من الفائزين • أجزل لها
العطاء ، فأخذت ماله وهداياه ودعت لاعدائه •

خطب الدولة العثمانية ولا مهر غير الحب والاخلاص - نقسم بالله
العلي العظيم اننا مخلصون للدولة ونفديها بدمنا - فكتب كتابه عليها،
ففتحت له قلبها المحنط المضمخ بالطيب • ثم انقلبت عليه •

غازل الدولة البريطانية • فبادرت اليه ولهانة ويدها على قلبها
المقفل بعشرة اقفال • ثم بنت لها حصنا في ظلال قصوره •

أحب آل سعود فطوقهم بذراعيه - أنتم أعز من أولادي - ثم
ضرب بهم عدوه ابن الرشيد •

أحب العجمان ، ثم حاربهم - نحزمكم كالحطب بالله ونحرقكم
ونحرق دياركم - ثم اشعلهم حربا على ابن سعود •

ولكنه أحب الامير خزعل حبا جما ، صافيا ، فبنى له قصرا في
الكويت ، وبنى خزعل لمبارك قصرا في المحمرة ، فكان الاثنان يجتمعان
على ضفاف قارون أو على شاطئ الخليج ليقتضيا أياما وليالي بين سرب
من القيان والراقصات ، ولسان حالهما يقول : بعدا للسياسة والحروب •

الامير محمد بن الرشيد ، أمير نجد (١)

كان أمير الحاج العراقي يوم كان بندر ابن أخيه طلال متوليا
الامارة • وعندما قام بندر وأخوه بدر على عمهما متعب وقتلاه رحل
محمد عمهما الثاني الى الرياض ، ولاذ بالامام عبدالله بن سعود ، فوق
الامام بينه وبين ابني أخيه • وكان بندر قد تولى الامارة ، فأمن عمه
محمد على حياته ، فعاد الى حائل واستمر أميرا للحج • ولكنه طمع
بامارة أكبر منها ، فقام بعد ثلاث سنوات يحقق مطامعه • بل قام كما

(١) تولى الامارة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١م) توفي ١٣١٥ هـ (١٨٩٧م) •

قيل يثار لآخيه ، وقيل انه قام يرد السيف الذي ذبح أخاه وكان يومئذ مسلولا عليه . على أن القول الذي لا ريب فيه هو أن سيف الأمير محمد تقاضي خمسة رؤوس بدل الرأس الواحد . فقد قتل بندرا وأخوته الأربعة أبناء أخيه طلال

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

صفر الأمير محمد للقبائل فلبته مختارة أو مكرهة ، فكتب له النصر في حروبه كلها . ولكنه قال في خطبة خطبها في ساحة حائل يبرر قتله أبناء أخيه .

« يا مسلمين ما قتلتمهم والله الا خوفا على هذه (وضرب رقبتيه بيده) هموا بقتلي فسبقتهم ومنعتهم . وهل تظنون ان من ذبح أخي متعب يعفو عني ؟ » .

تولى الأمير محمد الإمارة فكان كبيرها ، وكبير شمّر ، بل كبير العرب في أيامه . فقد استولى على بلاد نجد كلها حتى وادي الدواسر ، وكان في حكمه عادلا بل كان حليما حكيما . على أن البدو كانوا يسخرون ، فقد قالوا ان الأمير محمد لا يحسن الحكم لانه لا يكسر من قطع الرؤوس . كان كبير بيت الرشيد آلى على نفسه بعد ذبحه أبناء أخيه الخمسة ألا يقطع رؤوسا الا في الحرب .

أما في السياسة فلم يختلف كثيرا عن زميله «حواقة» الكويت . ولكنه كان أبعد نظرا واسدد رأيا منه ، فيقدر الناس بعقولهم ، ويعاملهم بموجب ذلك .

قد كان للأمير محمد طرائق ثلاث في التغلب والاستيلاء هي : الكرم ، السيف ، والارهاب . فيستميل اليه من يستطيع استمالتهم بالهدايا ، ويمتشق الحسام على من لا تغرهم هداياه ، ويمشي الى غرضه على ظهور أولئك الذين يخشون سطوته فقد كان ولا غرو محبوبا ولكنه على الاجمال لم يكن محبوبا .

الامير عبدالعزيز بن متعب بن الرشيد (١)

حدثني اعرابي من شعر قال : كان عبد العزيز جالسا للناس في
الفلاة يوما من الايام فأحس بشيء يلدعه في ظهره فخاف أن تكون
حشرة لا تستحق الاهتمام ، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله . ثم
دخل الى الخيمة وطلب أحد عبيده ، فرفع العبد ثياب عبد العزيز فاذا ما
بين كتفيه عقرب كبير يعقض جلده . فصاح العبد مذعورا ، وخشي أن
يمس العقرب ، فتناوله عبد العزيز بيده ورماه خارج الخيمة . ثم أمر
العبد أن يذر على مكان اللدعة رمادا حاميا ففعل ، ونام الامير بعد ذلك
كأن لم يكن شيء .

وقد سمعت غيرها من القصص التي تدل على أن عبد العزيز
الرشيد كان جبارا ، وقد كان في الحرب فارسا مغوارا . قال فيه
القائد التركي الفريق صدقي باشا : « هذا فارس كعلي » . ولكنه لم
يكن كعلي في غير ذلك . ولا أظنه سمع بالبيت القائل :
« الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني »

طمع بالاستيلاء على الكويت ، وهو يبغى منفذا على الخليج ،
فاصطدم هناك بالشيخ مبارك ، فظهرت الصدمة عدوا اخر ، عدوا
جديدا له ولييته ، هو سميح عبد العزيز بن سعود ، فحاربه ، فقضى
في الحرب نحيبه ، بعد ان خسر نصف ملكه .

الشيخ خزعل بن مرداو ، امير المحمرة سابقا .

راجع صفحة ١٩٥ من كتاب « ملوك العرب » الجزء الثاني
الطبعة الخامسة .

الشيخ عيسى آل خليفة ، امير البحرين .

راجع صفحة ٢٧٦ من « ملوك العرب » الجزء الثاني الطبعة
الخامسة .

(١) تولى الامارة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧م) توفي ١٣٣٤ هـ (١٩١٦م) .

الشيخ قاسم بن ثاني ، أمير قطر •

ولد سنة ١٢١٦ هـ وتوفي سنة ١٣٣١ فيكون قد عاش مئة وخمس عشرة سنة ، قضى معظمها في اكثار النسل الانساني • فقد تزوج على ما قيل بتسعين امرأة وبعدد من الجواري عديد • وكان له من الاولاد والاحفاد وأبناء الاحفاد ذكورا وأناث ما نضرب صفحا عن عددهم فلا ننتهم بالمبالغة • ولكنه كان اذا ركب يركب ستمون فارسا في موكبه من ذريته •

لم يكن الشيخ قاسم ، او جاسم كما تلفظ هناك ، سيدا على غير عشيرته يوم كانت قطر تابعة لحكومة البحرين • فقام ، وكان يومذاك قد تجاوز الخمسين من سنه ، يدعو العشائر كلها الى الاستقلال فلبت دعوته • وبعد وقعت بحرية وبرية مع أهل البحرين ، وكسرات وغلبات ، حازت قطر استقلالها • وكادت تستولي على البحرين •

ومن عجائب السياسة في الخليج انه كان للانكليز يد ، ولنا أن نقول يد سلبية ، في استقلال قطر • أي ان حكومة بريطانيا العظمى ارسلت عليها سفينة من سفنها الحربية ، فضربت الزبارة عاصمتها بالمدافع ومنعت القطارنة عن التوسع والاستيلاء • ثم ارضتهم بأن فصلت شبه جزيرتهم عن جزائر آل خليفة •

أما الاتراك فقد حاربهم ابن ثاني فكسروهم في وقعت عديدة ، وذبح عددا كبيرا منهم ، ولكنه لم يتمكن من اخراجهم من الحساء • والحق يقال ان الحرب لم تكن من الاوليات في حياة الشيخ جاسم ، ولا همه أن يكون له صفحة ذهبية ، أو بالحري قرمزية ، في التاريخ • بل كان همه الاكبر اكثار النسل الانساني كما قلت • وهمه الآخر أن يحسن تجارة اللؤلؤ (كان له خمس وعشرون سفينة للغوص) وان

يجمع المال من هذه التجارة ويبذله في سبيل البر والاحسان .

ومن احسانه أنه كان ولوعا في جمع العبيد وعتقهم . قيل أنه اعتق في حياته أكثر من خمسين عبدا ، وان ممالিকে الاحرار اسسوا بلدة في قطر سموها السودان .

ومن دواعي احسانه الورع والتقوى . فقد كان حنبلي المذهب ، متصليا فيه ، يصرف واردات أوقافه على الجوامع والخطباء بل كان هو نفسه يعلم الناس الدين ، ويخطب فيهم خطبة الجمعة .

أضف الى الورع والتقوى معا فصاحة اللسان ، والى الفصاحة العذوم الدينية والفقه ، والى العلوم الضمير الحي واليقين ، والى ذلك كله انشاء والجود ، فيكون اجمالا رجلا وليس كالرجال ، عاش جيلا ويزيد في قطر ، فكان أميرها ، وخطيبها ، وقاضيتها ، ومفتيتها ، والمحسن الاكبر فيها .

الشاب المجهول

ولد في الرياض عاصمة ملك أجداده ، فرأى أعمامه يتنازعون الملك ويتحاربون ، ورأى العدو على أبواب العاصمة وهو يطمع بالاستيلاء على نجد بكاملها ، ورأى أباه يحارب في الواقعة الاخيرة ويستسلم الى الله . ثم سمعه وهو جالس الى جنبه في الحساء يرثض شروط الدولة العثمانية ، فسدت أمامه الابواب كلها الا الباب الى الصحراء ، فلجأ الى خيام الشعير وهو مثل أصحابها لا يملك فترا من الارض وليس له غير تلك الثقة الوطيدة العالية ، الثقة بالله ، التي هي كنز الاعرابي الاكبر .

ثم سكن الاب الكويت ، وصار الصبي شابا ، فكانت الذكرى الاليمة رفيقة أفكاره وسميرة أحلامه . قرأ شيئا من العلوم هناك ، وهو يفكر في الملك المفقود . جلس أمام البحر وهو لا يدري اذا ركبه الى أين تحمله الاقدار ، ثم نظر الى البادية وهو يهجس بالملك المفقود .

عائش الامراء والعلماء ، وجلس ساكتا متأدبا في مجلس الشيوخ . وهو يعلم بالملك المفقود . فتح الكتاب ثم القاه جانبا ، وهو يرمق السيف بنظرة كلها شوق وأمل .

عاش مجهولا في الكويت ، مجهولا في الاسم والنسب ، وفي ما يبدو للعين المجردة . فقد كان الناس يعرفون أن ذلك الشاب القوي البنية ، الفارع القامة ، البراق العينين ، هو عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن سعود . وما كان كبار القوم فكرا وفراصة ليعرفون أكثر من ذلك . بل كانوا كلهم في ظلال سدر الغيب كالاطفال . جهلوا ما كان يجهله حتى أقرب الناس الى عبد العزيز ، حتى أبوه وأمه . جهلوا ما كان يجهله التاريخ ، جهلوا ما كان يجهله الشاب المجهول نفسه ، جهلوا ما لم يكن يعلم به غير الله .

الفصل الاول

وقعة الصريف

ما كاد الشيخ مبارك الصباح يجلس على العرش الملطخ بدم
 أخويه حتى قامت عليه الاعداء من كل جانب ، وأهمهم من غير
 [١٣١٣هـ] [١٨٩٥م] الحكام خال أبناء المقتولين يوسف آل ابراهيم كبير تيجار
 اللؤلؤ في أيامه وأغناهم . فقد بذل يوسف ثروته كلها ، ووقته
 وجهده ، وجازف بحياته ، طالبا الانتقام . ثم سافر الى قطر والى البصرة
 والى حائل والى الحجاز يحرض الامراء والحكام على الشيخ مبارك (١) .

وكان يومئذ الشيخ قاسم بن ثاني ناقما على مغتصب الحكم في
 الكويت فنصح ليوسف أن يذهب الى حائل مستنجدا بابن الرشيد .
 وقد كتب صاحب قطر كتابا الى الامير محمد يزّين له احتلال الكويت ،
 ويَعده بالمساعدة الحربية . على أن ابن الرشيد ، كان يومذاك كبير
 العرب ، عقلا وحنكة واقتدارا ، لم تستفزه كلمات ابن ثاني ، ولا
 [١٣١٥هـ] [١٨٩٧م] استغوته أموال ابن آل ابراهيم . قيل انه أوصى وهو على
 فراش الموت ابن أخيه عبد العزيز الذي تولى الامارة بعده الا
 يطمح بأنظاره الى الكويت ، والا يباشر صاحبها العداء .
 ولكن الامير عبد العزيز لم يحفظ وصية عمه وعندما جاءه يوسف

(١) قد رويت الحادث وأسبابه في فصل آل صباح صفحة ١٧١ من « ملوك
 العرب » الجزء الثاني الطبعة الخامسة ، وكان احد ادباء الكويت كتب مقالا يشير فيه الى
 بعض الاغلاط ويصححها ، فقال ان القتل كان بالبندقية : تعددت الاسباب والموت واحد .
 ثم قال المنتقدون ان يوسف آل ابراهيم لم يسافر الى الاستثانة بعد حادث القتل
 ولكنه سافر الى الحجاز يحمل الهدايا الثمينة الى شريف مكة ليتخذ عونا في تحريك
 نفسه السلطان على الشيخ مبارك . تعددت الاسفار والغاية واحدة .

آل ابراهيم وأحد الموتورين خالد بن محمد يحرضانه على مبارك نهض
للأمر وشرع يشن الغارات على الكويت تمهيدا للهجوم والاستيلاء .

فقد كان الشيخ مبارك عالما بالقصد من هذه الغارات ، وبمما
تقدمها من المؤامرات عليه ، فارسل رسله الى العراق مستنجدا
بالدولة . ولكن يوسف آل ابراهيم كان قد سبقه الى ذلك ، فأقنع أولي
الأمر بما بذله من مال ، فأرسلت حملة مؤلفة من أربعة طوابير الى الزبير
لتهدد صاحب الكويت . بيد أنها ابطأت جدا في السير - ظلت ستة
أشهر في الطريق بين بغداد والزبير - وقيل ان الحكومة تعمدت هذا
الابطاء أملا بأن يقضى الأمر قبل وصول الحملة ، وطمعا بالمزيد مما
كان يبذله بدون حساب خال الموتورين .

ولكن مبارك لم يفشل كل الفشل في العراق ، فقد حالفه سعدون
باشا أبو عجمي رئيس عشائر المنتفق وخرج معه بعد ذلك على ابن
الرشيد .

أما حلفه الأكبر وان كان قليل ذات اليد ، فهو صاحب نجد
السابق الذي كان عنده في الكويت ، أعني به الامام عبد الرحمن آل
سعود . فقد تعاهد الاثنان أن يكونا يدا واحدة على ابن الرشيد . وبعد
هذا التعاهد خرج عبد الرحمن بجيش من الكويت وأغار على عشائر
قحطان في روضة سدير .

أما الشيخ مبارك فكان قد رمى بشبكتين في بحر السياسة دفعا
للحرب واستعدادا لها ، اذ ارسل الى ابن الرشيد يفاوضه بالصلح ،
وكتب الى بعض الرؤساء من أهل نجد يستنهضهم على ابن الرشيد .
وكان الامام عبد الرحمن قد غزا غزوته وقفل راجعا ، فارسل اليه
بأمره بأن لا يرجع الى الكويت ، ولم يأذنه عندما قرب من المدينة
بالدخول اليها ليشاهد عائلته . قد كان للشيخ مبارك في ذلك مأرب
سياسي ، ولكنه عندما علم أن ابن الرشيد رفض التوسط بالسلم جهز

جيوشه وخرج يقودها بنفسه ، ومعه أخوه حمود والامام عبد الرحمن آل سعود وابنه عبد العزيز . أما أبو عجمي السعدون فكان قد خرج بعشائره ليطارد ابن الرشيد الذي كان قد وصل في اغاراته الى أطراف العراق . والظاهر ان الغلبة في الوقعة الاولى كانت على أبي عجمي فارسل يطلب النجدة من الشيخ مبارك الذي كان اذ ذاك في الجهرى ، فبادر الى نجدته وزحف الى السماوة حيث كان ابن الرشيد . ولكن حكومة البصرة مانعت في سيره عندما وصل الى ما بين الزبير والخميسية ، فاستغرب مبارك الامر . وطلب مقابلة الوالي فوافاه الى قرب الزبير . وبعد المفاوضة أذن لآخيه حمود وعبد الرحمن ابن سعود أن يطارد ابن الرشيد فلما وصلا بالجيش الى عين صيد رحل الامير الشمري من السماوة .

ولما عاد حمود وعبد الرحمن شرع مبارك يعد العدة للغزوة الكبرى غزوة نجد . فاستنفر القبائل فلبته مطير بأجمعها ولباه العجمان وآل مرة وغيرهم من بوادي الجنوب . ثم جاء أبو عجمي السعدون بعشائره من الشمال . ناهيك بأن بعض الزعماء من أهل نجد كانوا قد كتبوا اليه يعدونه المساعدة فانضم عدد منهم الى جيشه ، وفيهم آل سليم امراء عنيزة وآل مهنا امراء بريدة .

زحف هذا الجيش ، وعدده نحو عشرة الاف ، يقوده الشيخ مبارك . فقطع الصمان ثم الدهناء ونزل على ماء دونها يعرف بالشوكة . وهناك اذن عبد العزيز بن عبد الرحمن ، اجابة لطلبه ، بأن يسير بفرقة من هذا الجيش ، الف رجل من البادية ، الى الرياض فسيؤولي عليها .

افترق الجيشان في الشوكة ، فزحف عبد العزيز سعود جنوبا بغرب الى عاصمة أجداده التي وصلها بعد يومين وكسان في باكورة غزواته موقفا . فقد احتل المدينة ما عدا الحصن الذي تحصنت فيه

حامية ابن الرشيد ، فعزم على حفر نفق اليه ، وباشر ورجاله العمل .

وأما مبارك فكان قد احتل بلدانا عدة في نجد بدون قتال بل كان أهلها يرحبون به لعلمهم أن حليفه ابن سعود . أما ابن الرشيد فكان قد تقهقر وهو لا يريد أن ينازل جيشا أكبر من جيشه . وظل يتقهقر حتى جر العدو الى قلب القصيم فوقف له عند الطرفية التي تبعد خمسة عشر ميلا من بريدة الى الشمال .

وفي جوار هذه القرية ، في مكان يدعى الصريف ، في ٢٦ ذي القعدة من هذه السنة (١٦ شباط ١٩٠١) اشتبك الجيشان وتلاحما طيلة ذاك النهار فكانت الواقعة من أعظم وقائع العرب الحديثة ، ودارت فيها الدوائر على ابن الصباح وحلفائه . خسر الشيخ مبارك عددا كبيرا من رجاله ، وشيئا كثيرا من عتاد الحرب ، فعاد ومن تبقى من الجيش منهزمين الى الكويت .

وكان الظافر قاسيا عاتيا ، فقد أمر بقتل جميع الاسرى . ثم زحف الى البلدان النجدية التي كانت قد سلمت الى صاحب الكويت ، فنكل برؤسائها ، ونزع السلاح من أهلها ، وفرض عليهم الضرائب الفادحة .

أما عبد العزيز بن سعود فلما علم بوقعة الصريف أخلى الرياض ، التي احتلها أربعة أشهر فقط ، وعاد برجاله الى الكويت ، فاستولى بعد ذلك ابن الرشيد الاستيلاء كله على جميع أنحاء نجد . ولكن هذا الاستيلاء لم يدم طويلا لان وقعة الصريف كانت فريدة في نتائجها وعواملها . هي وقعة كان الظافر فيها مغلوبا . وكانت أول خطوة في سقوط ابن الرشيد عبد العزيز ، كما ان حملة عبد العزيز بن سعود على الرياض هي أول خيبة في فتوحاته .

الفصل الثاني

احتلال الرياض

بعد وقعة الصريف واستتباب السيادة الرشيدية في نجد شد انظار ثانية على ابن الصباح ، فنزل حفر الماء المعروف الكائن فسي منتصف الطريق بين القصيم والكويت (١) . وراح يوسف آل ابراهيم يشحذ بالاصفر الرنان عزم الدولة أو الحري عزم أولي الامر من رجالها في العراق .

وكانت شكوى الموترين أبناء أخوَي الشيخ مبارك قد وصلت الى الاستانة ففتحت لها السياسة اذنها وكانت بريطانيا حينذاك وراء المستار فقال السفير الكلمة التي طالما أصاح لها الباب العالي فأذر صاحب الكويت نعم ، انقلبت الدولة التركية على الشيخ مبارك ، وهو الذي ساعدها لتستولي على الحساء ، فسيرت الى الكويت باخرة حربية .

وكان ابن الرشيد قد زحف الى أطراف البلاد وهم بالهجوم على الجهرى ، تلك البلدة الكائنة وراء الخليج على ضفة الجون الغربي على مسافة خمسة عشر ميلا من العاصمة . أحاط الاعداء بالشيخ مبارك ، وحاقت « بالحوافة » الاخطار . ولكنه لم يفقد من عزمه ودهائه شيئا . فعندما رأى نفسه وبلاده في شبه الحصار فتح قلبه للدولة الاخرى الراسية بواخرها الحربية عند الشاطيء العربي من الخليج . ارسل الى أبي شهر يستنجد بالانكليز ، فجاءه بعد ثلاثة أيام مركب حربي ورسا في مياه الكويت عشرين يوما .

تلبد جو السياسة في بغداد والبصرة ، فابتسم مبارك وهو يجهز

(١) راجع «الحفر» صفحة ١٤٩ (الجزء الثاني من «ملوك العرب» الطبعة الخامسة) .

الحملة الثانية على ابن الرشيد . بل ضحك وهو زاحف الى الجهري ،
المركب الحربي سائر على مرأى من الجيش اليها - أتبعون حصاري برا
وبحرا ؟ ها أناذا جئتكم بحرا وبراً بالقوات التي لا تغلب .

ولم يطلق المركب الحربي مدفعا . الا ان الربان أذن ببعض المدافع
الرشاشة فانزلت في الزوارق الى البر ومعها ضباط علموا الكويتيين
استخدامها ثم خطر ببال ذلك الربان الذكي ان يرهب العربان بالاسهم
النارية ، فأرسلها ليلا في الفضاء وكان لها التأثير المطلوب . قيل ان ابن
الرشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء .

بعد هذا الحادث وتلك الاسهم النارية أدرك الامير الشمري انه
بدون مساعدة الدولة مباشرة لا يستطيع الاستيلاء على الكويت . فعاد
بجيشه الى الحفر ، وشرع يفاوض الاتراك في بغداد . فلما علم الشيخ
مبارك بذلك أراد أن يشغله بنجد وراء الدهناء .

وكان السعد في وجود آل سعود بالكويت خادما لمبارك . هوذا
عبد العزيز يأبى أن يقف في الغزو عند خيبته الاولى وهذا عبد العزيز
منذ رجوعه من الرياض يلح على والده ليستأذن من الشيخ مبارك
بإعادة الكرة على ابن الرشيد ، فأذن الشيخ حبا وكرامة .

ولكن الغزو يكون جماعة . والجماعة - اثنان وأربعون رجلا من
عائلة آل سعود وخدامهم السابقين - حاضرون ، لا يلزمهم غير الركائب
والبنادق والزاد ، وشيء من المال . أجاب الشيخ مبارك الطلب فأعطى
عبد العزيز أربعين ذلولا ، وثلاثين بندقية ، ومئتي ريالا ، وبعض الزاد .

خرج بهذه الشريعة من الكويت . خرج « ينحسر »
كان عبد العزيز في الواحد والعشرين من سنيّه عندما
- يقصد - البوادي ليزيد على الاقل عدد رجاله . نَحَرُوا الْعُجْمَانَ فتردد
الرؤساء فيهم ولكن كثيرين من العامة انضموا الى غزو ابن سعود .

١٣١٩ هـ
١٩٠١ م

وكذلك آل مرة وسبيع والسهول ، فاشتد ساعد عبد العزيز • أصبح معه بدل الاربعين ذلولا الف ذلول واربعمئة خيال •

هو جيش في البادية يذكر • ركب القائد الشاب على رأسه يقطع الصمان والدهناء فوصل الى مكان بنجد يقال له العرض وغزا هناك عرب قحطان الذين كانوا تابعين لابن الرشيد ، فأصاب منهم مغنما كبيرا ، وعاد الى ناحية الحساء •

عندما علم ابن الرشيد بهذه الغزوة هجم في أطراف الكويت على قبائل عريدار (١) ليظهر انه لا يبالي بمثل هذا العدو •

ولكن ابن سعود بعد أن موّن جيشه في الحساء خرج غازيا مرة اخرى فوصل الى سدير ، فأغار هناك في مكان يدعى 'عشيرة على قبيلة من قحطان واخرى من مطير فأخذهما ورجع بالغنائم فنزل ثانية في أطراف الحساء • وكان جيشه يزداد في كل غزوة حتى أصبح الف وخمسمئة ذلول وستمئة خيال •

أما ابن الرشيد فعاد بجيشه الى الحفر • ولما بلغه خبر غزوات ابن سعود الموفقة أرسل رسولا اسمه الحازمي الى الشيخ قاسم بن ثاني يستنهضه على هذا العدو الجديد • ثم كتب الى حكومة البصرة لتوعز الى حكومة الحساء بطرد ابن سعود من تلك النواحي وبتحريض البوادي عليه • أجابت الحكومة طلب ابن الرشيد ، فشرد خوفا منها ومنه أكثر من الف هجان ومئة خيال من جيش ابن سعود ، فلم يبالي بذلك لأنه لم يكن ليركن الا لرجال الاربعين الاولين •

غزا بما تبقى معه الغزوة الثالثة فوصل الى جنوبي نجد وأغار هناك على قبائل من الدواسر فلم يصب مغنما كبيرا • ولكنه عاد الى ناحية الحساء • وكان وقت الشتاء فتفرق البدو طالبين المرعى لمواشيهم • ولم يكن ليربطهم بابن سعود الا حب الكسب ، فمن أين له

(١) يطلق هذا الاسم على خليط من العرب لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل •

والحال هذه أن يكرههم على البقاء .

أربعون رجلا ظلوا أربعين يوما بعد أن ذاقوا حلاوة النصر ومر الفتى والخسران ولم يكن لعبد العزيز الشاب ما يشجذ عزمهم ، ويفتح لامالهم ولو كوة من نور . استمر ابن الرشيد يحرض الاتراك وصاحب قطر عليه ، فكتب اليه والده والشيخ مبارك يسألانه أن يرجع الى الكويت فأبى . وعندما اشتد عليه ضغط ، حكومة الحسا ، فسر ورجاله هاربين جنوبا فوصلوا الى مكان ما بين حرص وواحة جبرين ، واقاموا هناك شهرا .

وكان ابن الرشيد لا يزال في الحفر وهو يستنجد الاتراك في احتلال الكويت ، ويستحثهم على عدوه الجديد بل على آل سعود كلهم . فقطعت الدولة معاش كبيرهم ، وسدت أبواب الحسا على صغيرهم ، وهم ابن الرشيد أن يحصر هذا الصغير سميته في تلك الواحة القصية على حاشية الربع الخالي (١) .

تشنت جيش عبد العزيز وتزعزعت أماله ، فنهض يضرب الضربة الأخيرة ، وهو يرجو أن تكون القضية أما عليه وأما على خصمه . اعتزم الهجوم ثانيه على الرياض فاما ان يستولي عليها واما أن يقتل في سبيلها

وكانت قوته يومذاك ستين رجلا لا غير ، أي انه لم يبق معه من هذا الجيش الذي كان عدده الفين سوى عشرين مقاتلا . ولان في الرياض قلعتان الواحدة ضمن الاخرى شيدهما ابن الرشيد وأقام فيهما تسعين من رجاله يرأسهم أمير اسمه عجلان .

وخرج ابن سعود والستون البواسل من مراحهم بين حرص وجبرين في ٥ رمضان ووجهتهم الرياض ، فوردوا ليلة العيد ابا جفان ، وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ شوال الى حدود الرياض ،

(١) واحة جبرين هي على مسافة مئة وستين ميلا من الحسا جنوبا « ومئة وخمسة

وسبعين ميلا من الرياض شرقا » بجنوب .

ونزلوا في الساعة الثالثة عريية (التاسعة ليلا) في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة .

ترك عبد العزيز عشرين من قومه هناك كجيش احتياطي ، وتقدم بالاربعين الآخرين ، وفيهم أخوه محمد وعبدالله بن جلوي أمير الحسا يومذاك . فلما وصل الى البساتين خارج السور أقام أخاه محمد ومعه ثلاثون رجلا هناك ، ومشى بالعشرة الباقين الى غرضه . ولكنه لم يتمكن من الدخول الى الحصن الخارجي أي حصن السور الا من البيت المحاذي وهو نفلح يتاجر بالبقر .

قرع عبد العزيز الباب فأجابت امرأة تقول : من أنت ؟

عبد العزيز : رجل من رجال الامير عجلان اريد من رجلك أن يشتري لنا بقرا صباح الغد .
الامراة : خست يا شبه الرجال - ما جئت تبغي البقر يا فاجر بل جئت تبغي الفساد .

عبد العزيز : لا والله ليس هذا مأربي : بل أبغي صاحب هذا البيت فاذا لم يخرج الي الان فالامير يقتله صباح الغد .

سمع الرجل هذا التهديد فجاء يفتح الباب ، وكان عبد العزيز يعرفه من الهجوم الاول في السنة الماضية ، ويعرف حريمه وفيهن من كن خادمت سابقا في بيت سعود . فلما خرج أمسكه بيده قائلا : اذا تكلمت قتلتك في الحال . فصاح النساء وقد عرفنه : عمنا (١) ، عمنا عبد العزيز عبد العزيز : لا بأس عليك اذا سكتن . قال هذا وقد ادخلهن الى غرفة واقفل عليهن الباب .

ثم تسلق الجدار الى البيت الاخر عند الحصن فاذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد ، فلفهما بالفراش وحملهما الى غرفة صغيرة ، فأودعهما هناك واقفل الباب .

(١) في بعض اقطار البلاد العربية كنجد والحجاز ينادي الخادم سيده : عمي .

اطمان من عبد العزيز البال ، فارسل يطلب أخاه محمد والباقيين فجاؤا دون أن يشعروا بهم أحد واجتمعوا كلهم في ذلك المكان .
وكان البيت الآخر الى جانب الحصن للامير عجلان ، وفيه احدى نسائه وهو يزورها تارة في الليل وطورا في النهار . مشى عبد العزيز وعشرة من رجاله الى ذلك البيت . فدخلوه وطاقوا بغرفته ، فوجدوا في احدها اثنتين نائمتين على فراش واحد فظنهما عبد العزيز الامير عجلان وامراته .

دخل متسللا ومعه رجلا يحمل سراجا . فلما دنا من الفراش رفع الغطاء فاذا هناك امرأتان ، فأيقظهما ، فاستوتا جالستين دون أن يعرفوهما شيء من الخوف . وكانت الواحدة منهما امرأة عجلان والاخرى اختها امرأة أخيه .

عرفت امرأة عجلان الرجل فبادرته بالقول : انت عبد العزيز : فأجابها : نعم . فقالت : من تبغي ؟ فأجابها : ابغي زوجك . فقالت وهي تقسم بالله : اني احب ان تقتل كل من في البلد من شمر الا زوجي . ولكنني أخشى عليك منهم ، أخشى أن يقتلوك يا عبد العزيز .

عبد العزيز : ما سألناك عن هذا الامر . انما نريد أن نعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي .

امرأة عجلان : لا يخرج الا بعد طلوع الشمس بساعة .

عبد العزيز : هذا كل ما نبغيه منكن ، ولا بأس عليكم اذا سكتن . قال هذا وهو ورجاله يسوقون الامراتين وبقية النسوة الى غرفة واحدة ، فحبسوهن فيها . ثم كسروا الباب الذي يوصل الى البيت الذي كان فيه بقية الرجال فدخلوا منه ، واجتمعوا كلهم في بيت عجلان .

وكانت الساعة الثامنة عربية (الثانية بعد منتصف الليل) فاستراحوا ، وأكلوا الثمر ، وشربوا القهوة وناموا قليلا . ثم شرعوا عند انبثاق الفجر يدبرون طريقة للهجوم على الحصن الداخلي . وبعد قليل فتح ذلك الحصن فاخرج بعض العبيد الخيل الى الشمس . فلما

رأى عبد العزيز البوابة مفتوحة خرج عاديا ، فتبعه من رجاله خمسة عشر رجلا فقط .

واتفق أن الأمير عجلان كان قد خرج من الحصن عند هجومهم عليه وهو قادم الى بيته . فلما رأهم اعتراه الدهش والرعب فنكص ورجاله على أعقابهم وهم يبنفون الرجوع . ولكن البوابة الا الخوخة (الباب الصغير فيها) كانت قد اقفلت ، وبينما كان ورجاله يدخلون من ذاك البويب اطلق عبد العزيز البندقية عليه فأصابه ولم يقتله . ثم أدركه وقد صار نصفه داخل الخوخة فأمسكه برجليه وسحبـه الى الخارج فتصارع الاثنان برهة .

وأما الرجال الذين كانوا قد دخلوا الحصن فصعدوا الى أحد الابراج المشرفة على السوق ، وشرعوا يطلقون النار من المصالييت على رجال ابن سعود ، فجرحوا أربعة منهم وقتلوا اثنين .

وتراجع الهاجمون الا عبدالله بن جلوي فكان أول من دخل الحصن ، وراح يعدو وراء عجلان الذي كان قد تفلت من عبد العزيز ، فرماه بالرصاص فخر لوجهه قتيلا .

ونادى عبد العزيز برجاله واستفزهم فاقتفوا أثر عبدالله . هجموا على الحصن هجمة واحدة ، فصاحوا بمن فيه وفتكوا بهم ، فقتلوهـم الا عشرين رجلا كانوا قد تحصنوا في جهة منه . ولكن عبد العزيز أمنهم على حياتهم فسلموا .

وبعد سقوط الحصن في الخامس من شوال ١٣١٩ (١٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٢) والاستيلاء على الرياض باشر الأمير السعودي الشاب بناء السور الجديد القائم حول أقسام متهدمة من السور القديم فتم بناءه في نحو خمسة أسابيع .

الفصل الثالث

الحرب في الخرج

لم يحدث احتلال الرياض أمرا جديدا في السياسة الدولية أي بين الدولة العثمانية والحكومة البريطانية . فظلت الاولى مذبذبة مراوغة ، واستمرت الثانية مراقبة ومن وراء الستار حاكمة بأمرها .

وأما الشيخ مبارك فقد كان احتلال الرياض بردا وسلاما على قلبه . ولم يكن عكس ذلك ظاهرا في ابن الرشيد ، فقد سمع الخبر غير مكترث به وضرب له الامثال فقال : أرنبه محجرة وأهلها مقيمون ، أي انه يستطيع أي يوم شاء أن يخرج ابن سعود من الرياض . لذلك لم يتزحزح من الحفر فأقام هناك أربعة اشهر يفوض الترك في بغداد وهو يعمل النفس باحتلال الكويت .

وكان الاتراك يرحبون برسله وهداياهم ، ويعدون له بالمساعدة ويتقاعسون . أنت تذكر ان الحملة التي أرسلوها مرة على الشيخ مبارك ظلت ستة أشهر في الطريق من بغداد الى الزبير . وقد أشرت الى السبب بل السببين في ذلك . ناهيك بأنه لم يكن للدولة آنذاك في ابن الرشيد الغرض الذي ولدته الحوادث في ما بعد . بل كانت أميل الى مبارك وهو على البحر منها الى أمير في داخل البلاد العربية .

ولكن المبارك والى الانكليز ، ودعاهم الى بلاده ، فاستحق ذلك اهمال الدولة ونقمتها . وبما أنها كانت عاجزة عن اظهار تلك النعمة في مظهر من القوة يليق بعظمتها ، فقد اكتفت بأن تظهر ولاؤها لابن الرشيد ، فتأذن له بأن يفوضها في محاربة ابن الصباح . وقيل ان الحكومة البريطانية كانت تضغط عليها لتمنعها من مساعدة ابن الرشيد

مساعدة حربية • ولا غرو ، فالسبب في ذلك - والسبب المعروف - هو انها بعد ان استقرت في الكويت وتعاهدت وابن الصباح ، أصبحت حامية البلاد •

الشيخ المبارك المسعد ! قد حماه الانكليز من البحر ، وحماه ابن سعود الشاب من البر • كيف لا وهو يشغل عنه عدوه ابن الرشيد • ولدي عبد العزيز تولاك الله ، وعافاك ، وقواك ، وجعل النصر دائما أخاك ! - ارسل مبارك يهنئ ولده ويبارك له • ثم بعث أخاه سعد بن عبد الرحمن بالنجدة التي طلبها •

ومشى عبد العزيز الى غرضه فاستولى أولا على النواحي الجنوبية أي الخرج والحوطة والحريق والافلاج والدواسر • أما النواحي الشمالية ، مثل الشعيب والمحمل والوشم وسدير ، فظلت في حوزة ابن الرشيد مع انها كانت موالية لابن سعود •

في أوائل هذا العام أغار عبد العزيز مرتين على قبائل من قحطان كانت نازلة حلبان (١) في أطراف نجد فأخذهم ولدنه مرض في الغزوة الثالثة وهو على ماء الحسبي شمالي الرياض • ثم خرج أخوه محمد غازيا لفخذ من عتيبة يرأسهم ابن ربيعان وهم في مكان قرب الشعري (٢) •

وأما عبد العزيز بن الرشيد فلما يثس من مفاوضات الترك وبأن له من أمر « الارنبه المحجرة » ما لم يكن ليخطر في باله ، أمر بشسده الرجال واسند (العرب يقولون سنده) عائدا الى حائل ، فعبأ جيشا جديدا من شمر والقصيم وسدير والوشم ، وزحف به في ربيع الاول من هذا العام قاصدا الرياض •

(١) العرب يلفظونها احلبان •

(٢) لكي يدرك القاري شيئا من مشقات الغزو عند العرب يجب أن يعلم مقدار المسافات التي يقطعونها غازين • فالمسافة بين الرياض مثلا ووادي الدواسر هي نحو ثلاثمائة ميل أي مسيرة خمسة عشر يوما ، ومثل ذلك تقريبا بين الرياض والشعري •

فلما علم ابن سعود بذلك ارسل الى أبيه في الكويت يقول ان الحرب قائمة ، وان الاستيلاء على الرياض يقتضي أن يكون هو أي الامام عبد الرحمن فيها . جاء الوالد مسرعا ، ولم يمنعه الاسراع من أن يغزو في طريقه قبائل من الظفير وشمر المواليين لابن الرشيد ، وخرج عبد العزيز ورجاله فساروا مسافة ثلاثة أيام ليستقبلوا الامام الذي عاد الى الرياض عودة الظافر ، وكان قد خرج منها منذ احدى عشرة سنة مهاجرا .

ثم حدث خلاف بين الاب والابن نادر المثال . فقد ارسل عبد العزيز من القصر الى الوالد في بيته يقول : الامارة لكم وأنا جندي في خدمتكم . فجمع الوالد العلماء واعلمهم بالامر ، ثم ارسل الى ابنه الصغير يقول : اذا كان قصدك في استدعائي الى الرياض لاتولى الامارة فيها فهذا غير ممكن ، ولا أقبله مطلقا ، ولا أقيم في المدينة اذا ألححت به .

تدخل العلماء في الامر فقالوا لعبد العزيز : على الابن أن يطيع أباه . وقالوا لعبد الرحمن : أنت كوالد عبد العزيز رئيس عليه ، وبالتالي على أهل نجد . فقال عبد الرحمن : ولكن الامارة له .

فقال عبد العزيز : اني قابلهما بشرط أن يكون والدي مشرفا على أعمالي دائما فيرشدني الى ما فيه خير البلاد ، ويردعني عما يراه مضرا في مصالحها .

كذلك تمت البيعة لعبد العزيز . وكان يومئذ سمّيه ابن الرشيد نازلا في رعيه من بلدان المحمل ، وقصده محاصرة الرياض فأرسل سالم السبهان بجيش من قحطان الى ضربه ليهاجم عليها من الجنوب الغربي ، وأمر الحازمي مندوبه في الحسا بأن يستنهض العجمان وآل مرة بمؤازرة الحكومة فيهمجوا من الشرق الجنوبي .

ولكن ابن سعود ارسل أخاه محمدا وابن عمه عبدالله جلوي الى تلك النواحي الجنوبية يستنجدان الدواسر وآل مرة ، فظفروا بما لا

يظفر به الحازمي والترك أعوانه . وقد علم ابن الرشيد ان كثيرون ممن كان يظنهم من أتباعه قد انضموا الى ابن سعود ، فأقام شهرين فسي رغيه واسبوعين في الحسي ، وهو يعجز عن الهجوم على الرياض . ثم رحل الى الحفر ليحول دون تموين العدو من الكويت .

ولكل أمير من أمراء العرب دائرة استخبارات ، ولكنهم هناك يسمون الاشياء باسمائها الحقيقية . قال السلطان عبد العزيز : « فلما علم ابن سعود من جواسيسه ، ان ابن الرشيد ينوي أن يصادر الارزاق التي تجيء الى نجد من الكويت والحسا تذاكر ووالده فعقدت النية على حيله تقربه منهم فيتلاحمون واياه ويقضون عليه أو على الاقل يحولون دون تنفيذ خطته » .

خرج عبد العزيز من الرياض ووجهته الجنوب ، وراح شمالا الى مناخ ابن الرشيد من أشاع أن ابن سعود خائف من خصمه وانه فر هاربا . فلما سمع ابن الرشيد ذلك شد الرحال مسرعا ودرهم (١) فنزل على ماء بنبان (٢) ولم يكن بينه وبين الرياض غير عشرين ميلا أو أقل . ثم جاءه الخبر اليقين وهو ان الرياض محصنة وان ابن سعود في حائر سبيع بالخرج ، فامسى في حيرة مزعجة أبت عليه التفهقر وحالت دون الهجوم .

وكان لابن سعود سرية في الدلم عاصمة الخرج بقيادة أحمد السديري ، فأمره أن يتأهب للزحف معه الى الرياض اذا هجم ابن الرشيد عليها . أما اذا تجنبها ومشى الى الخرج فأهل الرياض يتقفونه بالسلاح وعبد العزيز يفرع الى السديري في الدلم . بعد هذا التدبير وكّل ابن جلوي بمن كان معه من الجنود فأقامهم في عليّة ، وهو ضلع حصين بين الحريق والحوطة ، قريب منهما . ثم ارسل أخاه سعدا الى

(١) درهم يدرهم من اصطلاحات أهل نجد والدرهم سير سريع بين الخبب والغارة .

(٢) بنبان هو على مسير سبع ساعات شمالي الرياض بينها وبين الحسي .

الحريق يستنجد أهلها ، وراح هو المفاية نفسها الى الحوطة ، فبلغه في اليوم الثاني هنالك خبر هجوم ابن الرشيد على الدلم - طاح في الشرك الذي نصب له ! فبادر ابن سعود الى ذاك المكان .

وجمع جيوشه من أدل الحوطة والحريق فبلغوا مع من كانوا في ضلع عليه الف وخمسمئة مقاتل . اجتمعوا في ماوان على مسافة عشر ساعات من الخرج وأسروا فوصلوا الى الدلم قبل انبثاق الفجر . وكان ابن الرشيد قد نزل في نعبان على مسير ساعتين من البلدة ، فلم يدر بدخول ابن سعود اليها . على أنه في عصر ذاك النهار ارسل سريسة مستكشفة فخرجت لها خيل ابن سعود ، فتهاجم الفريقان وتطاردا ، فانهزمت خيل ابن الرشيد .

وكتيرا ما تكون الحرب عند العرب مناورات ومجاولات وهم قلما يسارعون الى الملحمة التي تطيح فيها الرؤوس . ولكنهم يسرون اليها على طريقتهن سير الهون . وهم يغزون ، ويعتزون ، ويناوشون ، ويتقهقرون .

في فجر اليوم التالي راح ابن سعود يكمن لابن الرشيد ، وكان قد علم أن من عادته أن يخرج وبعض رجاله صباح كل يوم ، فيطوفون في البساتين يرعون ابلهم ويقطعون النخيل . وكان ابن الرشيد أحس أن خصمه في الدلم فلم يخرج كعادته باكرا ، فأرسل ابن سعود خيالة مستكشفين ، فعادوا يقولون انه متحصن في نعبان . ولم يكن لابن سعود أن يهجم عليه في النهار ، لان خيله قليلة ولان الهجوم يبعده عن الحصون .

على أن الكشافة لم يصدقوا أمرهم الخبر لانهم لم يصلوا جُبنا او جهلا الى مكان الاستكشاف . فبعد أن عاد ابن سعود الى البلدة بلغه الخبر أن ابن الرشيد قد خرج على عادته يجول في النخيل ، فبادر بقسم من جيشه اليه .

وكانت المواجهة الاولى بين العزيزين خارج الدلم وسط النخيل .
تواجهها واحتربا ، فكانت الوقعة شديدة ، واستمرت ساعات حتى
غروب الشمس . ولكنها لم تسفر عن شيء كبير . فقد أسر رجال ابن
سعود جماعة من رجال ابن الرشيد يدعون بأهل لبده فحصرهم في
القصر ، ففروا منه في المساء . وطارد ابن سعود ابن الرشيد فتقهقر
الى معسكره .

ولم تكن الذخيرة متوافرة عند ابن سعود فنفدت او كادت في
تلك الوقعة ، فأرسل يطلب قسما من الحوطة . أما ابن الرشيد فشدد
في اليوم التالي الرحال وسار جنوبا الى أسفل الخرج ، فنزل السليمية
التي تبعد ست ساعات عن الدلم ، فتقاه ابن سعود بعد وصول الذخيرة
ونازله في السليمية فأخرجه منها .

ولكنه لم يتمكن من تعقبه فادراكه ، لقلّة خيله وركائبه، ولكثرتها
مع ابن الرشيد . فقد كان الجيش الشمري مؤلفا من أربعة الاف ذلول
وأربعمئة خيال ، على حين ان الجيش السعودي لم يكن يتجاوز
الالفين ولم يكن فيه غير أربعين من الخيل . ومع ذلك فقد انهزم ابن
الرشيد في الخرج ، وثبتت سيادة ابن سعود فيه ، بل في النواحي
الجنوبية كلها .

الفصل الرابع

الاستيلاء على القصيم

لم يغير فوز ابن سعود في الخروج موقف الترك تجاه ابن الرشيد وابن الصباح . فظلوا يجافون هذا ويعلمون ذاك بالوعود . ومع ذلك فقد عاد ابن الرشيد الى الحفر بعد تلك الهزيمة واستأنف الغزو ، فأغار على عريدار قرب الكويت ، وعلى سبيع في الدهناء ، وعلى عتيبة قرب الارطاوية (١) ثم باشر محاصرة الكويت فأرسل الشيخ مبارك يعلم « ولده » عبد العزيز بذلك ويستنجده . والدهر في الناس قلب . . . فقد صار منجدا من كان بالأمس مستنجدا .

وكان عبد العزيز بعد شهر أقامه في الرياض قد غزا عرب مطير في الصمان ، وعتيبة في عرق رغيه بين الوشم وجبل طويق . مما يدل على أن النزعات أو المصالح بدأت تشق القبائل فصار قسم منها يدين لابن سعود ، وقسم لابن الرشيد ، فيغير هذا على عتيبة مثلا السعودية ، ويغير ذاك على عتيبة الموالية لابن سعود .

ولبى عبد العزيز دعوة الشيخ مبارك فسار فزعا الى الكويت بجيش لا يقل عن العشرة الاف ، وهو الذي خرج منها بأربعين ذلولا . أجرب منذ سنتين . فرحبت الكويت به وهلت له ، وانضم منها الى جيشه ما كان قد جنده مبارك بقيادة جابر بن الصباح . ثم خرج الاثنان جابر وعبد العزيز غازيين طالبين ابن الرشيد .

زحف هذا الجيش الجرار المؤلف من قبائل الحساء كلها - من العجمان وآل مرة وبني خالد وبني هاجر والعوازم والمناصير وسبيع

(١) لم تكن تأسست هناك البلدة أو الهجرة التي تدعى بهذا الاسم .

والسهول - البالغ عدده أربعة عشر الفا ، منهم أربعة الاف خيال ، ووجتهم الحفر . ولكنهم أخبروا في الطريق ان ابن الرشيد قد عاد الى بلاده ، فهجموا لذلك على مطير في الصمان ، فذبحوهم عن بكرة أبيهم ، وغنموا أموالهم وأرزاقهم كلها - ذبحناهم وأخذنا حلالهم ! (أمتعتهم) .

على أن حلاوة هذا النصر لم تدم طويلا . فقد بلغهم عندما وصلوا الى ماء طوال الخبر اليقين وهو ان ابن الرشيد - الذي يحسن مثلهم الخدعة لم يرجع الى بلاده ، بل زحف الى الرياض يبغي محاصرتها . وقد مر في طريقه بعربان من السهول فضربهم وضمهم الى جيشه ، ثم تقدم مسرعا وهو ينوي أن يفاجيء العاصمة بالهجوم عليها فلما دنا منها عسكر عند ضلع يدعى أم خروق (١) دون أن يعلم بذلك أحد من أهل المدينة . ولكنه عندما مشى اليها ، وأصبح في ظلال نخيلها ، شرد رجل من السهول المكرهين ودخل يصيح بالناس : العدو قرب منكم ! العدو عند السور !

نهض اذ ذاك الامام عبد الرحمن بأهل الرياض للدفاع ، فخرجوا على ابن الرشيد ونازلوه خارج السور ، فردوه خائبا ، فنقل بعد ذلك معسكره من بمخروق الى نخيل يبعد ساعة عن المدينة ، وأقام هناك ثلاثة أيام دون ان يأتي بحركة .

ثم بلغه أن عبد العزيز بن سعود زاحف الى القصيم ، فشد الرحال مسرعا ومشى الى الوشم عن طريق ضرمي . وكان الامام عبد الرحمن قد أرسل سرية (٢) بقيادة مساعد بن سويلم فاستولت على المحمل والشعيب ، ثم زحفت الى شقرا التي كان فيها أمير لابن الرشيد اسمه الصويغ . فلما دنا مساعد من البلد رحل الصويغ الى ثرمدا ، فاستولى

(١) أهل نجد يلفظونها بمخروق . وهذا الضلع هو على مسير ساعة من الرياض وفيه غار يخرج اليه الملك للنزعة .

(٢) السرية من مئة الى الخمسمئة خيال .

مساعد على شقرا برضى أهلها • ثم هجم على ثرمدا فادرك الصويغ فيها ، فقتله ، والقى القبض على العنقري أميرها وأرسله الى الرياض • ولم يكن ابن الرشيد بطيئا في تعقبه ابن سويلم • فقد هجم عليه في ثرمدا فأخرجه منها ، فراح يتحصن في شقرا فتتفاه وحاصره فيها • وأما عبد العزيز بن سعود فقد عاد بعد غزوة مطير الى الكويت ، فجاءه وهو هناك البشير من والده يخبره بهزيمة ابن الرشيد فسي هجموه على الرياض ، فاطمأن باله واهتم في نقل عائلته التي كانت لا تزال في الكويت فعاد بها الى نجد ، الى الرياض • وما كاد يصل الى العاصمة حتى علم ان ابن الرشيد محاصر لشقرا وفيها مساعد بن سويلم ، فاستراح يوما واحدا وشد للنجدة • ولما وصل عبد العزيز الى حريملا علم ابن الرشيد بذلك ففك الحصار ورحل الى الغاط (١) •

واستمر عبد العزيز زاحفا الى شقرا فاحتلها • ولكن سرية ابن الرشيد بقيادة حمد العسكر أمير المجمع كانت لا تزال في ثرمدا ، فأرسل عليها عبدالله بن جلوي ، فأعطى عبدالله أهل البلد الامان ، فأبوا الا القتال ، فقاتلهم ودحرهم • أما السرية فتحصنت في القصر ، فأمر عبدالله بمهاجمتها ليلا ، فكانت النتيجة أن قتل عددا منها ، ولاذ الآخرون بالفرار •

عندما سلمت ثرمدا الى عبدالله بن جلوي رحل الرشيد من الغاط ووجهته القصيم • ولكنه ترك سريتين في سدير ، الواحدة في المجمع والآخرى في الروضة ، فأرسل عبدالعزيز سرية عليهما بقيادة خاله أحمد السديري ، فنازلت سرية الروضة فدحرتها واستولت على البلد • ثم مشيت في سدير ظافرة ، فاستولت على بقية بلدانه ما عدا المجمع التي حافظت على سيادة ابن الرشيد فيها ، وقد دافعت عنها دفاعا شديدا • ولكن عبد العزيز قنع يومذاك بما حاز من النصر فترك سريتين أخريين.

(١) الغاط من بلدان سدير وهي تبعد عن المجمع قاعدة تلك الناحية عشرين ميلا.

الواحدة في الروضة والثانية في جلاجل ، وأمر السديري في شقرا ،
ثم عاد الى الرياض .

كل هذه الحوادث - هذه الغزوات والغارات - حدثت في سنة
واحدة بعد سقوط الرياض . فلم يكن عبد العزيز وسميه الشمري
ليستريحان الا قليلا في الفترات القصيرة التي هي هدنات اضطرارية .

عاد ابن سعود بعد فوزه في الوشم وسدير الى الرياض . ولم
يكده يتم الشهر حتى جاءت أخبار ابن الرشيد وفيها انه خرج من
القصيم غازيا ، وقصده الهجوم على عتيبة وقحطان (بعد استيلاء ابن
سعود على سدير والوشم أصبحت هاتان القبيلتان من قبائله) فحاصر
التويم قرية من قرى سدير .

خرج ابن سعود مسرعا من الرياض ، وكان قد أمر أهل الوشم
بأن يبادروا مع احمد السديري الى اتجاه سدير . فلما وصل الى
ثادق علم أن ابن الرشيد لم يفز بشيء في غزوته وحصاره بل انه انهزم
وشرق ، فنزل ماء شمال الارطاوية . أما الجمعة قاعدة سدير فكانت
لا تزال في حوزته وله سرية فيها .

سار ابن سعود من ثادق الى جلاجل فأقام فيها عشرين يوما وهو
يعد القوة للحرب في القصيم . فبلغه وهو هناك ان ابن الرشيد قد عاد
الى تلك الناحية مارا بالزلفي ، فزحف بجيش الى الجمعة ، واتفق
وأهلها على التسليم اذا هو استولى على القصيم .

قد كان جيش ابن سعود مؤلفا يومذاك من سبعة آلاف من المشاة
وأربعمئة ذلول لا غير ، فمشى به الى الغاط ثم الى الزلفي ، فكتب من
هناك الى الشيخ مبارك يسأله أن يرسل اليه من كان عنده من أهل
القصيم ، مثل آل الخيل وآل سليم ، وما يستطيعه من المدد ، فأرسل

مبارك أولئك الذين لاذوا بالكويت بعد وقعة المليدا ومعهم مئتان من الرجال فقط .

وكانت تلك السنة قليلة الامطار ، فضاق العيش بسكان الزلفى وبالتالي بالجيش ، فصاروا يأكلون حتى رؤوس النخل أي لبها . لم يكن بالامكان السير الى بريدة لقلة الزاد والركائب ، ناهيك بالطريق وليس فيه بلد يأوون اليه . أضف الى ذلك أن ابن الرشيد كان مستوليا على القصيم أجمع . فماذا عسى أن يفعل ابن سعود ؟ قد كتب الى بعض الموالين له هناك يطلب منهم أن يؤلفوا سرحدات تهجم على بعض البلدان تهديدا لدخوله - تفتح له الباب - فلم يلبوه . ولما تيقن أنه لا يستطيع الهجوم على القصيم ، ولا البقاء في الزلفى لشدة القحط ، وضيق العيش فيها ، عاد الى الرياض .

أما ابن الرشيد فرحل من القصيم قاصدا البطينيات عله يظفر هنالك ببعض عربان ابن سعود ، فأقام على ذلك الماء عشرة أيام وارسل أربعمئة من رجاله بقيادة ماجد آل حمود بن الرشيد الى جهة عنيزة ، وثلاثمئة بقيادة حسين بن جراد الى السر . ثم انحدر الى أطراف العراق ١٣٢١هـ ليستنفر شمرا هناك ويستنجد الاتراك . فلما علم ابن سعود ١٩٠٣م بارتحال ابن الرشيد الى العراق شد مسرعا من الرياض ، وواصل السير بالسري ، فالتقى في ١٨ ذي الحجة من هذا العام بحسين ابن جراد في السر ، وبادره القتال ، فقتله وأكثر من معه ، وغنم أموالهم وارزاقهم كلها .

تدعى هذه الوقعة بوقعة ابن جراد ، وقد كان من نتائجها انها قسمت قبائل حرب المقيمة بين السر والقصيم ، والتي كانت كلها تابعة لابن الرشيد ، فانحاز قسم منهم بعد الوقعة الى ابن سعود .

عاد بعد ذلك عبد العزيز الى الرياض ، فأقام فيها شهر ذي الحجة ، ثم مشى في آخر الشهر الى الغرض الاكبر ، فأرسل الى أهل القصيم

في شقرا يأمرهم بأن يوافوه الى ثادق لانه يريد الانحدار الى الكويت .

شاع هذا الخبر ، فتزك عبد العزيز ثقيلا أحماله في قصر الجريفة من قصور الوشم ، وراح بجيشه يدرهم قاصدا ماجد بن الرشيد في القصيم . فلما وصل الى ماء الشريمية في وسط النفود علم بعض من كان معه من البادية انه يريد ابن الرشيد فشردوا ، فما بالى ابن سعود بذلك . بل استمر مسريا ، فضل الدليل وتاهوا في النفود طيلة ذاك الليل ، ثم خرجوا منه فاذا بكاشفة لماجد على حواشيه .

نزل ابن سعود في ذاك النهار قصر الحميدية من قصور عنيزة ، على مسير أربع ساعات منها ، وتقدم ساعة الغروب فوصل الى نخل من نخيل المدينة فعسكر هناك ، وأمر من كان معه من أهل القصيم ، وفيهم آل سليم أن يهجموا على أهل عنيزة في تلك الليلة . فقد كان يومئذ بعض الزعماء فيها ، مثل آل يحيى وآل بسام ، مع ابن الرشيد وعندهم سرية من سراياه رئيسها فهيد السبهان . أما ماجد فكان نازلا قرب المريبط وهو باب من أبواب المدينة .

عندما هجم أهل القصيم على عنيزة اضطدوا بطلائع ابن الرشيد من أهلها ومن شمر ، فتلاحم الفريقان ، فقتل فهيد السبهان وما سلّمت رجاله ، فطلب السعوديون المدد ، فأرسل عبد العزيز مئتين من رجاله بقيادة عبدالله بن جلوي ، وكان عبدالله قد اشتهر بالبسالة والبطولة فلما سمع أهل عنيزة بالنجدة التي جاء يقودها سلموا حالا الى آل سليم .

أما ابن سعود فركب بعد ان صلى الفجر على رأس سرية من الخيل و « نحر » المكان الذي كان فيه ماجد بن الرشيد ، فلما رأى ماجد خيل ابن سعود لاذ بالفرار ، فتبعه واستولى على مركزه ، بعد أن قتل أكثر قومه وفيهم أخوه عبيد .

ثم عاد ماجد ومعه بضع وعشرون من الخيل والركائب وفيهم نفر

من آل سعود الذين كانوا منفيين في حائل، جاء بهم ليرد العدو المنتصر لأنه اذا عرفهم ، وهم من آل سعود ، قد يمنع عن القتال فلا يقتل أحد منهم . ولكن عبدالعزيز عند ما عرف أهله - قد دُعوا منذ ذلك اليوم «العرايف» (١) - أمر بعقد خيلهم ليتمكنوا من خلاصهم . وكذلك كان . فقد فازوا يومئذ، بعد عقر الخيل أثناء المعركة، بسعود بن العزيز وسعود بن محمد و فيصل بن سعد، فخلصوهم من القتل ومن الاسر .

وفي ٥ محرم من هذه السنة (٢٣ آذار) بعد اندحار ماجد ٨١٣٢٢
١٩٠٤م ابن الرشيد وفراره الى حائل ، ثم فتح عنيزة، فدخلها ابن سعود ، وأقام فيها بضعة أيام . ثم شد على بريدة فسلم أهلها . ولكن أمير ابن الرشيد والحامية فيها تحصنوا في القصر فحاصروهم ابن سعود فثبتوا شهرين في الحصار ، ثم سلموا في ١٥ ربيع أول ، فتم في تسليمهم الاستيلاء السعودي على بريدة وعنيزة ، وبالتالي على القصيم أجمع .

(١) اذا خسر البدو في الغزو جمالهم ثم استعادوها فهم يسمونها العرايف - مفردا عرافة - أي المعروف . فاطلق ابن سعود الاسم على أبناء عمه هؤلاء .

الفصل الخامس

البكرية

ان أطول وادي في البلاد العربية هو وادي الرثمة الذي يمتد شرقا من حرّة نخيبر الى الرّس ، ثم شرقا بشمال الى البصرة . وهذا الوادي يخترق بلاد القصيم بن عنيزة وبريدة ، فيشطرها شطرين ، الشطر الغربي الشمالي والشطر الجنوبي الشرقي . وفي الشطر الاول بين بريدة والرس بضعة بلدان منها البكرية والشيحية والخيرا التي نحن الان في ذكرها .

في ذاك المنعطف من الوادي تنازع ابن سعود وابن الرشيد السيادة في القصيم . في تلك الزاوية التي يمتد ضلعها بضعة وخمسين ميلا من الرس الى بريدة ميدان القتال الهائل الذي سنروي خبره الان . هناك احترب الفريقان ومع احدهما عساكر الدولة العثمانية ومدافعها واقتتلا في وقعات عدة تعرف عند أهل نجد بوقعة البكرية ووقعة الشنانة .

ذكرنا في الفصل السابق ان عبد العزيز الرشيد بعد توزيع قواته في نجد والقصيم سافر الى العراق ليستنفر عرب شمر هناك ويستنجد الاثراك . وكان الدولة أدركت آجلا حقيقة الحال في نجد ، وأوجست خوفا من امتداد سيادة ابن سعود في البلاد ، فأصاحت هذه المرة لابن الرشيد وأمدته بنجدة مؤلفة من احد عشر طابورا ، واربعة عشر مدفعا ، وشيء كثير من الذخيرة والمؤن والمال . وقد صادر ابن الرشيد جمال «العقيلات» (١) لتحمل هذه الجيوش والمعدات الى القصيم . أضف الى ذلك ان عددا كبيرا من بادية شمر نفروا الى نجدته .

(١) العقيلات اسم يطلق على تجار القصيم خصوصا من يتجرون بالجمال فيجيئون بها من نجد الى بر الشام .

عندما سلمت السرية التي كانت محاصرة في قصر بريدة أمّن ابن سعود رجالها على حياتهم واذن لهم بالرجوع الى بلادهم . وقد اتفق ان ابن الرشيد كان قد وصل بجيشه الى القصيبة فالتقى هناك هؤلاء الرجال برجاله وهم عائدون الى حائل ، فاخبروه بما جرى وان ابن سعود في بريدة . فاستمر ابن الرشيد سائرا ليهجم على المدينة من الجهة الغربية ، ونزل القرعا على مسافة خمسة عشر ميلا منها .

اما ابن سعود فقد اخلى بريدة عندما علم بذلك ونزل البُصر خبا من خبواب (١) القصيم فنقل ابن الرشيد من القرعا الى جهة البكرية ، ثم نقل ابن سعود الى الجهة المقابلة لها .

وفي ذاك اليوم بل في الليلة الاولى من هلال ربيع الثاني من هذه السنة اصطدمت الجيوش صدمة شديدة هائلة ، فالتحموا وتجالدوا بضع ساعات وكانت خسارة الفريقين عظيمة .

٥١٣٢٢
١٩٠٤م

فقد تواجه في تلك الليلة عسكر الاتراك ، فيه كثيرين من السوريين (١) والعراقيين ، بعسكر ابن سعود الخاص أي بأهل العارض ، فأطلقت البنادق والأطواب ، ولعلت في نور الهلال الضئيل السيوف ، وكانت المذبحة هائلة . فقد قتل من جيش ابن سعود تسعمئة وفيهم ستمئة وخمسون من أهل الرياض ، وقتل من جيش الاتراك نحو الف وفيهم اربعة من كبار الضباط ، وخسر أهل حائل نحو ثلاثمئة وفيهم اثنان من بيت الرشيد هما ماجد بن حمود وعبد العزيز بن جبر .

وفي تلك الوقعة اصيب عبد العزيز بن سعود بشظايا قنبلة في

(١) الخب منخفض من الارض بين كشب من الرمال فيه ماء ونخيل .

(٢) أخبرني تحسين باشا الفقير انه كان ضابطا في تلك الحملة فحارب ابن سعود في وقعة البكرية . ومن صدف الاتفاق والتاريخ انه بعد عشرين سنة حارب ابن سعود ثانية في الحجاز . فقد كان تحسين باشا قائدا للجيش الحجازي أو بالحري قائد الفرقة السورية الفلسطينية التي كانت تدعى فرقة النصر - فرقة النصر التي لم تنتصر .

يده الينسرى، ووقع ابن الرشيد عن فرسه فطاحت الفرس فوقه فألمته ولم تقعهده . اما أهل القصيم وعرب مطير فقد هجموا بقيادة عبد العزيز جلوي على جناح العدو ، فبعجوه ، ثم اغاروا على بادية شمر فغنموا ارزاقها . ولكن الشمرين كانوا قد هجموا على معسكر ابن سعود فنهبوه . واحدة بواحدة . لم تمل كفة الميزان كثيراً ان في الغنائم أو في قتلى احدى الجهتين في هذه الواقعة الكبيرة . على ان قوات ابن الرشيد على رغم الخسارة ظلت متماسكة .

قال السلطان عبد العزيز : « رحت انا وعشرين من الخيالة - اخذ الترك خيامنا وهجم البدو على الترك فأخذوا خيامهم وهربوا » .

فسألت عظمتة : « الى اين رحتم ؟ » .

فأجاب ضاحكا : « انهزمنا - هربنا » .

على أن أهل القصيم ، عندما عادوا من اغارتهم على بادية شمر ، جاؤوا مركز ابن سعود فوجدوا فيه المدافع وثلاثمئة من عساكر الترك فتواقعوا واياهم وقتلوه ، فغنموا المدافع وظلوا في البكيرية . ولكنهم عندما طلبوا عبد العزيز ولم يجدوه هناك حملوا الاسلحة الخفيفة وعادوا الى بلادهم أي الى بريدة وعنيزة .

اشكل الامر على عبد العزيز ، فاحب أن يمتحن أهل هاتين المدينتين ليتأكد اذا كان لهم رغبة حقيقية في محاربة ابن الرشيد ، فأرسل اليهم يقول : اثبتوا في مكانكم واني مستفز أهل نجد وراجع اليكم . فكتبوا اليه وكان أهل عنيزة أشد لهجة يقولون : اذا انت رحلت فلا يستقيم أمر بعدك . واذا رجعت الينا فنحن نعاهدك فسي السراء والضراء - نقدم أنفسنا وأموالنا وأولادنا بين يديك . أي والله نحمي أوطاننا او نموت جميعا .

رجع ابن سعود الى عنيزة فخرج أهلها اليه يستقبلونه معترزين ،

واخرجوا المخدرات فرحبّس به ، مزغردين ، ثم عززوا قولهم في ما قدموه من مال ورجال للحرب .

وعندما بلغ أهل نجد خصوصا بوادي عتيبة ومطير هذا الخبر جاؤوا كلهم متطوعين مجاهدين ، فاجتمع لدى ابن سعود في ستة أيام اثنا عشر الف مقاتل ، فبادر بهذا الجيش الى البكيرية يهجم على ابن الرشيد فيها . ولكن ابن الرشيد كان قد رحل منها في اليوم السابق وهجم على الخبرا وفيها سرية لابن سعود .

فدافع أهل الخبرا مع الجنود الحامية دفاعا شديدا ، وبالرغم عن المدافع التي ظلت تطلق قنابلها على البلد طيلة ذلك النهار لم يسلموا . ولكنهم وقعوا في قبضة عدو فعلموا لاول مرة ما هو الهواء الاصفر (الكوليرا) وكان قد سرى اليهم من جيش ابن الرشيد ، بعد أن تفشى فيه من اختلاطه بعسكر الدولة . وقد قيل ان الهواء الاصفر لم يكن معروفا قبل ذلك الحين في نجد .

عندما علم ابن الرشيد بزحف ابن سعود الى البكيرية التي كانت المركز العام للجيش ، وفيها مؤن وذخائر كثيرة ، ارسل اليها سرياته الكبرى - الف وخمسمئة خيال - بقيادة سلطان بن حمود الرشيد ، فتصادموا وخيالة ابن سعود - ستمئة وخمسين - عند انبثاق الفجر قرب البكيرية ، وكانت الهزيمة على الرشيديين .

ثم دخل ابن سعود البلدة وفتك بحامية ابن الرشيد فيها ، فقتل أكثر رجالها ، فانهزم الباقون ولاذوا بالفرار ثم طاردت خيله خيل ابن الرشيد حتى الخبرا ، فرحل ابن الرشيد منها الى الرس ، فهجموا على بواديه وغنموا عددا كبيرا من الابل . ثم تقدموا الى الرس وكان ابن الرشيد قد نزل الشنانة على مسافة ساعة جنوبا منها .

ونصب مدافعه وشرع بضرب الرس كما ضربها ابراهيم باشا في

طليلة القرن الماضي ، فدافع أهلها على عاداتهم حتى الرمح الأخير فقتل أميرهم ولم يسلموا وقام ابن سعود ثلاثة أشهر في الرس ، منذ منتصف ربيع الثاني حتى منتصف رجب ، بينما كان ابن الرشيد في الشنانة ، وهم يتناوشون ويتهاجمون ويتطاردون كل يوم ، فمل أهل نجد هذه الحال وخافوا أن يسري الهواء الأصفر اليهم ، فرفعوا أصواتهم متذمرين شاكين .

سمع ابن سعود الشكوى فارسل رسولا من كبار بريدة اسمه فهد الرشودي الى ابن الرشيد يدعوه للصلح ، فضحك ابن الرشيد وقال متهمكا متهددا : من يبغي حكم نجد لا يتضجر . وهل يصلح من بيده قوة الدولة ؟ لا والله - لا صلح قبل أن أضرب بريدة وعنيزة والرياض ضربة لا تنساها مدى الدهر . وانتم يا أهل القصيم لا يغرنكم ابن سعود . لا يغرنكم شاب طائش يبغي الدراهم ليأخذها لأمه الفقيرة .

رجع فيها الرشودي يحمل هذا الكلام الى ابن سعود ، فالفاه في مجلسه دافع العين ، وختمه قائلا : « والله يا أهل نجد ما رأيت هناك الا ظالما عتيا كفرعون ، ولا يبغي لنا غير ما كان من فرعون لبني اسرائيل » .

وكان الرشودي رجلا حصيفا رصينا يحترمه الناس ، فاثرت كلماته فيهم تأثيرا شديدا . ولكن بادية ابن سعود كانت قد تفرقت ، ولم يبق لديه غير ثمانمئة من الحاضرة وثلاثمئة من رؤساء القبائل . أما السبب في تفرق البدو فهو انهم كانوا قد ملوا الحالة كما أسلفنا القول ، وكان فوق ذلك وقت الربيع فذهبوا يرعون مواشيهم . ولم يكن لابن سعود ان يكرههم على البقاء لأنهم لم يكونوا من الجند ، بل من أولئك الذين يجيئون الأمير متطوعين متكسبين .

على أن هذه الحال لم تنحصر في بادية ابن سعود فقط ، بل كانت قد ظهرت كذلك في عسكر ابن الرشيد . فقالت البادية تخاطبه : « هلكت مواشينا وهلك أولادنا جوعا ، فاما ان نرحل جميعا فنمشي

ورأؤك ، وأما ان نرحل نحن ونتركك وراءنا » • فأجابهم ابن الرشيد : « وكيف نرحل ولا ركائب عندنا لعساكر الدولة » (١) فقال رجال شمر : « كل قبيلة منا تقدم الركائب لقسم من العسكر » • فقبل ابن الرشيد وأمر أن توزع أمتعة العسكر احمالا على شمر • ولكن عندما اعتزموا الرحيل هجم ابن سعود عليهم بخيله ليحول دون ذلك ، فتصادموا وتقارعوا من صلاة الفجر حتى غروب الشمس • خرج ابن الرشيد مع ذلك من الشنانة • وكانت البادية التي ارتحلت قبله ، قد تركته وراءها ، فراح ابن سعود يطارده الى أن آذنت الشمس بالمغيب • نصب ابن الرشيد خيامه اذ ذاك خدعة للمبيت ، فخدع ابن سعود ورجع بخيله بعد أن أقام هناك بعض الحرس والكشافة • عندئذ شرع ابن الرشيد يتأهب للرحيل •

وقد كانت خطة عبد العزيز الحربية ان ينهك خصمه بالمفاجئات والمناوشات فيضربه بعد ذلك الضربة القاضية • عندما عاد مساء ذلك اليوم الى الرس جاءه وهو جالس الى العشاء أحد الكشافة يقول : رحل ابن الرشيد فقام ورجاله عن العشاء وسارعوا الى الخيل يتقفون العدو ، فرأوا عندما قربوا منه سوادا ظنوه غنما فأغاروا عليها ، فاذا بها عسكر الاتراك • وكان قد جن الليل ، فنازلوهم ساعة ، دون نتيجة تذكر ، ثم عادوا الى الرس •

وأما ابن الرشيد فكان قد نزل الجوعي ، ودنا من قصر هناك يعرف بقصر ابن عقيل فيه سرية لابن سعود ، فهم في صباح اليوم التالي بالهجوم عليه •

ولكن ابن سعود قبل رجوعه الى الرس الليلة السابقة تسرك

(١) قيل أن ابن الرشيد خسر في وقعة البكرية والمناوشات التي تبعتها نحو عشرة آلاف من الجمال •

حراسه وكشافته حسب العادة في مكان معلوم ، ومعهم رجال من أسرته
زوّدهم بهذه التعليمات : اذا رحل ابن الرشيد وقرب الخنق (درب بين
جبلي أبان) فارسلوا اخبروني وانتم تقفوه لتظلوا عالين بمسيره . اما
اذا مشى الى قصر ابن عقيل فعليكم انتم يا اهل سعود أن تسبقوه الى
القصر لتشجعوا أهله وتقولوا لهم اننا مسارعون الى انجادهم . زحف ابن
الرشيد الى القصر الذي لم يكن يخشى عليه الا من المدافع لانه حصن
منيع ، فسبقه بنو سعود اليه ، وكانوا قد ارسلوا يخبرون عبد العزيز .

وصل ابن الرشيد فنصب في الخال مدافعه كلها وشرع يضرب
القصر . وعندما علم ابن سعود بالحصار بعد ظهر ذلك النهار صاح
برجاله قائلاً : « انهزم ابن الرشيد ونريد أن نعمل مناورة خارج البلدة »
فاستبشروا وخرجوا للمناورة ، فكشف النقاب اذ ذاك عن قصده
الحقيقي - أمرهم بالزحف الى قصر ابن عقيل ! فترددوا لأنهم لم يكونوا
متأهبين للرحيل . لم يكن لديهم شيء من الماء والزاد . وقد كانت
الساعة الاخيرة من النهار والمسافة أمامهم لا تقل عن عشرين ميلاً .

خطب ابن سعود فيهم محرضاً مستنهضاً ثم قال : « أنا واحد
منكم ومثلكم . أنتم ماشون وأنا أمشي . أنتم حفاة وأنا والله لا انتعل .
وهذا نعلي وهذا ذلولي .

قال ذلك وهو يضع النعل في الخرج ويلقي حبل الذلول على
غاربه . ثم مشى أمامهم حافياً ، فمشوا وراءه متحمسين . وعندما
وصلوا الى القصر قبل نصف الليل بساعة أرادوا أن يهجموا على ابن
الرشيد في ذاك الحين ، فمنعهم عبد العزيز لانه كان عالماً بما حل بهم
من التعب والجوع ، فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة .

اما ابن الرشيد فبعد أن شغل مدافعه بضع ساعات دون طائل
شد في صباح اليوم التالي للرحيل ، فتركه ابن سعود يرحل ابله
ويحمل أطوابه . وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك خرجت الخيل

للمفاجأة ، ومشى الجند السعودي من القصر وراءها فادركوا العدو في وادي الرثمة •

أناخ ابن الرشيد هناك وجمع جيوشه • ثم نصب المدافع وبنى بيوت الحرب (١) فتهاجم الفريقان وتقارعا حتى منتصف النهار، وكانت الغلبة اذ ذاك لابن الرشيد • ولكن ابن سعود عندما رأى جانحه الايمن متقهقرا هجم بقومه هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب ، فاشتد الضرب والطعان ، فولت عساكر الترك الأدبار • ثم انهزم ابن الرشيد وفر ورجاله هاربين •

وأراد ابن سعود أن يتعقبهم ولكن الحملات وأموال (٢) البادية حالت دون ذلك فشغلوا عنهم بها • شرعوا ينهبون وظلوا كذلك حتى جن الليل • ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث والرابع ، بل استمروا عشرة أيام يجمعون مما ترك ابن الرشيد وعسكر الترك في ساحة القتال من الامتعة والذخائر والاسلحة والمؤن ، والفرش والثياب ، ناهيك عن الابل والغنم • وقد وجدوا بين تلك الاحمال صناديق من الذهب فحملوها الى عنيزة مقر ابن سعود فوزعها مثل بقية الغنائم على رجاله ولم يأخذ شيئا لنفسه • انها لغنيمة عظيمة • فقد كانت قسمة الواحد من الذهب والجمال فقط تتراوح بين المئة والمئة والخمسين ليرة عثمانية وبين العشرة والعشرين بعيرا •

هذه هي وقعة الشنانة والاحرى ان تدعى وقعة وادي الرمة (٧١ رجب ١٤٢٢ هـ ايلول ١٩٠٤ م) وهي القسم الثاني من مذبة البكيرية التي قضت على عساكر الترك واغنت أهل نجد •

(١) بيوت الحرب هي بيوت من الشعر تنصبها القبائل لترمز عن ذمارها والذود عنه •

(٢) المال عند أهل البادية هو الانعام والجمال • ويطلق على المواشي كلها •

الفصل السادس

الأتراك يفاوضون ويتفرجون

نكب الأتراك نكبتين في البلاد العربية هذه السنة (١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م) الأولى في نجد ، والثانية في اليمن . ومن غريب التقادير أن الامام يحيى الشاب في صنعاء وابن سعود الشاب في القصيم كسرا الجيوش « المنصورة » كسرات شنيعة ، ورفعوا للسيادة العربية اعلاما لا تزال تخفق في سماء الاستقلال . أما نكبة الترك في صنعاء فتختلف شكلا عن نكبتها في القصيم . هناك كان جيشهم محصورا ، وهنا تشتت ما تبقى من الجنود بعد الواقعة الاخيرة فكانت حالتهم محزنة . ففر بعضهم مع ابن الرشيد ، وهام الآخرون على وجوههم في الفيافي كالسائمة ، ومنهم من لجأوا الى ابن سعود فأواهم وكساهم وأعطاهم الامان .

أما ابن الرشيد الذي فر هاربا الى الكهفة - قرية من قرى حائل - فقد ارسل يستنجد الأتراك مرة أخرى وكان الأتراك كمن خسر في المقامرة فغامر بقسم آخر من ماله أملا باسترجاع الخسارة . وقد غامر بقسم كبير هذه المرة فأرسل أحد رجالهم الكبار المشير احمد فيضي باشا الذي اشتهر بشجاعته وبحسن سياسته ، وشفعه برجل آخر الفريق صدقي باشا المتصف ببعد النظر وطول الاناة . جاء الاول بثلاثة طوابير وخمسة أطواب من بغداد ، وجاء الثاني من المدينة بطابورين ، فالتقوا وعسكروا قرب القصيم .

ولم تكن الدولة التركية تقصد الحرب ، لكنها وقد رغبت في المفاوضة من أجل السلم ارسلت القوة من جندھا لتعزز جانبها . وكانت قد بعثت الى ابن سعود بواسطة الشيخ مبارك تقول انها تريد ان تفاوض أباه الامام عبد الرحمن ، وطلبت ان يوافي والي البصرة الى الزبير .

أجاب الامام طلب الدولة ، فسافر إلى الكويت ، ومنها والشيخ مبارك إلى الزبير ، فاجتمعا هناك بالوالي ، وبعد المفاوضات في أمور نجد والقصيم قرروا أن يكون القصيم على الحياد ، أي أن يتكون منه مقاطعة مستقلة تقوم حاجزا بين ابن الرشيد وابن سعود ، وأن يكون للدولة فيه مركز عسكري ومستشارين .

لم يوافق الامام عبد الرحمن على هذا القرار . إلا أنه قبل ، أكراما للشيخ مبارك أن يعرضه على أهل نجد . ولكن أهل نجد لم يقبلوا البتة أن يكون القصيم على الحياد ، ولا أن يكون فيه حامية للدولة .

وعندما علم ابن سعود بعودة أبيه خرج يلاقيه إلى الحسي ، فاجتمع به هناك وسار وإياه إلى شقرا ، فأقام الامام فيها واستمر عبد العزيز سائرا برجاله إلى القصيم ، فنزل العماد التي تبعد خمسة وعشرين ميلا عن بريدة إلى الجنوب وكان فيضي باشا وصدقي باشا قد اجتمعا بابن الرشيد فتفاوضوا واختلفوا . أراد ابن الرشيد أن يضغط على أهل نجد ، وأن يأخذ أهل القصيم بالسيف ، فخالفه المشير ولسان حاله يقول : الرأي قبل شجاعة الشجعان .

عاد ابن الرشيد بعسكره إلى الكهفة حائقا ، وركب المشير على رأس جنوده قاصدا القصيم ، فلما وصل إلى بريدة أبى أهلها أن يدخل المدينة . ولكن واحدا منهم هو صالح الحسن من آل مهنا أرسل إليه رسولان هما ابن عمر ومحمد آل علي أبو الخليل يقول أنه وأتباعه يطلبون حماية الدولة التركية والاستقلال .

ولكن أهل بريدة وعنيزة وتوابعهما من القرى لم يقبلوا بالسيادة أو بشبه السيادة التركية ، فإرسلوا إلى ابن سعود يستشيرونه في المقاومة . وكان فيضي باشا قد أرسل رسولا إلى الرياض يقول أن الدولة لا تبغي محاربة أهل نجد وأنه جاء مسلما . ثم أرسل إلى ابن

سعود في العماد يؤمّنه قائلا : انني لا اريد الا السلم ولست محققا مقاصد ابن الرشيد . وقد سأله ان يلزم مكانه ويرسل اباه عبيد الرحمن ان يوافيه الى عنيزة للمفاوضة فقبل عبد العزيز بذلك ، وأمر الناس بأن يخلدوا الى السكينة ، فلا يأتون عملا عدائيا أثناء المفاوضات ركب الامام عبد الرحمن من شقرا الى عنيزة وسار فيضي باشا جنوبا فنزل على مقربة منها . وقد تواجه الاثنان في المدينة فطلب المشير أن يكون للدولة مركزان عسكريان الواحد في بريدة والثاني في عنيزة ، وذلك موقتا ، الى أن يتم الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد . ولكن أهل المدينتين ، الا صالح الحسن واتباعه ، رفضوا هذا الطلب ، فرأى الامام أن يقبلوه موقتا ، وأقنعهم بذلك .

وكادت تتم المفاوضات على هذه الصورة لو لم تحل دونها حوادث صنعاء اليمن . فقد كان الامام يحيي الشاب وعربانه قد شددوا نطاق الحصار على المدينة هناك ، وفيها ستون الف من الاتراك العسكريين والمدنيين ، وليس عند الدولة قريبا من مكان النكبة أقدر وأشجع من فيضي باشا تكل اليه انجاد أبنائها المشرفين على الموت . لذلك صدر الامر الى احمد فيضي بالاسراع الى اليمن ، فترك القصيم ومشاكله لصدقي باشا يحلها بالتي هي أحسن .

تولى صدقي قيادة الجيش ونقل الى الشيعية فعسكر فيها . ولكنه لم يرى « التي هي أحسن » في بيت المتنبي او في عكسه . فلا « الرأي قبل شجاعة الشجعان » ولا « الشجاعة قبل الرأي » استفزته او هزت منه جراحة للعمل .

أقام صدقي وجنوده في الشيعية لا محاربين ولا مفاوضين ، بل أقاموا هناك متفرجين وقد استأنف ابن سعود وابن الرشيد القتال .

الفصل السابع

كبات الشيخ مبارك

بعد المفاوضات في السلم وأثنائها دبت بين أهل القصيم روح الشقاق والفوضى ، فكان فريق منهم مع الدولة ، وفريق مع ابن سعود وآخر مع ابن الرشيد ، فعاد عبد العزيز إلى الرياض وظاهر أمره أنه نفى يده من هؤلاء الناس المتذبذبين . عاد وهو يقول أنه تركهم بين عدوين يجاملهم ويشدان النير على رقابهم .

ولكن الفريق الأكبر أرسل إلى الشيخ مبارك الصباح يسأله أن يتوسط بين ابن سعود وأهل القصيم الذين لا يرغبون سيادة غير سيادته وكان عبد العزيز قد أحسَّ بانقلاب في سياسة الشيخ مبارك ، فاعتزم الشيخ هذه الفرصة ليظهر أنه الصديق الذي يرعى العهود ، فكتب إلى « أوّليّ عبد العزيز » يشير بالعود إلى القصيم ، وبالعفو عن أهله لأنهم مخلصون له ، ولا يرغبون في البلاد غير السيادة السعودية .

ولكن رسل الشيخ مبارك كانت يومذاك « تدرهم » إلى عبد العزيز الآخر حاملة كتب التودد والولاء التي أسفرت عن صلح بين الأميرين الصباحي والرشيدي ، عقد في آخر سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) أن لهذا الصلح سببين : الأول هو أن الدولة العثمانية كانت ناقمة على الشيخ مبارك ، وكان يوسف آل إبراهيم ، عدوه الألد ، مستمرا في عداوته . فسعى الشيخ في استرضاء الدولة لتنصره على يوسف ، وكان ممن مساعيه هذه أنه صالح حليفها ابن الرشيد . أما السبب الثاني لهذا الصلح فهو ذاك الشاب الظافر « ولده » عبد العزيز ، وكان قد بدأ يخشى امتداد سيادته في نجد ويخشى كذلك نتائجها في الكويت . كيف لا وسيد نجد ، إذا ما استولى على القصيم واجتاز الحفر ، لا يقف

عند حد دون الخليج • ان عمل الشيخ مبارك اذن هو من باب الدفاع عن النفس •

ولكنه ، وهو الداهية ، و « الحواقة » وصاحب السيف ذي الحدين ، ضرب ضربات عدة صادرة ، بل كبا كبوات مضحكة • فقد كتب مرة الى سلطان بن حمود الرشيد يقول ما معناه :

« اني متكدر جدا من أعمال ابن سعود ، وقد جرت الامور في نجد على غير ما اشتهي • أما الان فأنا واياكم عليه ، والكويت وحائل شقيقان ، ومصلحة البلدين واحدة ، ولكم مني ما تشاؤون من المساعدة السخ » •

وكتب الى ابن سعود يقول :

« اوليدي يا وليدي » انا معك في كل حال وحين • قواك الله وتولاك ، لا تترك هذا الكلب ، فحل الشول ، ولا تدعه يستريح ، ولا تصالحه • أنا أبوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد » •

كذلك كان يحاول أن يضعف الاثنين في اغراء الواحد بالآخر وتحريضه على خصمه • ولكن كاتب الديوان المبارك لم يكن موفقا في تلك الساعة ، ساعة كتب الى « الخصمين » فقد ارسل كتاب ابن سعود الى ابن الرشيد ، و كتاب ابن الرشيد الى ابن سعود ! (١) •

عندما استأنف الاثنان القتال جاء نجاب من الشيخ مبارك يحمل الى ابن سعود كلمة وجيزة قاسية كتبت على قصاصة من الورق ، وفيها انه سيعلم الحرب عليه اذا كان لا يعيد « منهوبات » ابن الرشيد • والمنهوبات هذه غنمها من بعض قبائل العراق رجل من الظفير اسمه علي الضويحي ، وقد كان من أنصار ابن سعود ، فليس للشيخ مبارك حجة

(١) « وقد كان مبارك لدهائه يلبس لكل حال لبوسها • بل نراه وهو يحرض ابن الرشيد على ابن سعود ويحرض ابن سعود أيضا في نفس الوقت على ابن الرشيد » تاريخ الكويت : الجزء الثاني - صفحة ١٢٦ •

في تدخله بأمره . ولكنه بعد العثرة التي كان الكاتب سببها حاول على ما يظهر أن يصلح الامر مع أمير حائل فلم يسعفه القدر لان الامر والأسفاه كان قد قتل في المعركة كما سيجيء في الفصل التالي .

لله أنت أيتها الاقدار ! فهل تحاولين ان تغلبي الشيخ مبارك ؟ انه لا يغلب . فقد تجاهل قتل ابن الرشيد ، وكان قد بلغه الخبر بعد كتابة ما تقدم ، فارسل نجابا اخر الى « اولدي عبد العزيز » يحمل كتابا طويلا عريضا جاء فيه :

« اني لك دائما يا ولدي يا عبد العزيز ، أنا أبوك وعونك ، وعضدك . ولم اصالح ابن الرشيد الا لاقهر الترك . ولكنني مستعد ان امدك بما تحتاج اليه من المال والرجال ، المال مالك يا ولدي يا عبد العزيز ، والحلال حلالك » .

ولكن ابن سعود اطلع على الحقيقة في حديثه مع النجاب زيد المعرقب الذي كان من رجايل الشيخ مبارك .

قال عبد العزيز يخاطب النجاب : « والدي الشيخ مبارك اخبرني انه أمرك بأن تكتب خبر قتل ابن الرشيد » .

فأجاب النجاب : « ما نام الشيخ والله من شدة الفرح عندما وصله الخبر » .

كانت ساعة في معسكر ابن سعود مضحكة ، فكتب الى « والده » يعلمه بوصول الكتاب الاول وفيه التهديد بالحرب ، والكتاب الثاني وفيه التعطفات الطيبة ، ثم اخبره بذبحه ابن الرشيد ، وختمه بقول الشاعر :

اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه

الفصل الثامن

ذبحه ابن الرشيد

قد المعت في ما تقدم الى الخلاف الذي كان متأصلا في بريدة بين آل مهنا وآل عليان ، الاسرتين اللتين تنازعتا السيادة هناك . وقد استشرى الخلاف يوم قتل مهنا أبو الخيل في أول عهد الامام عبدالله ابن فيصل ، فشكا أولاد مهنا الامر الى الامام ، فلم ينصرهم على أعدائهم آل عليان . وظل الغل كامنا على ما يظهر في آل مهنا الى الوقت الذي كتب فيه هذا التاريخ ، فتجسم في صالح الحسن الخارج على ابن سعود عبد العزيز .

وشرع صالح يتزلف الى الاتراك لتحقيق مآربه . واتخذ تلك الخطة السياسية التي تتلون بالوان الحوادث والاحوال ، فاغضب ابن سعود وابن الرشيد معا . وعندما ارتحل ابن سعود من القصيم ، وظاهر أمره التخلي عن أهله ، كان قصده الحقيقي أن يدع صالحا وشأنه ، فيكون له من خطئه وعجزه التأديب الاكبر ، فيتأكد هو واتباعه انهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم اذا شعر ابن الرشيد عليهم الحرب .

وقد كان في ذلك الحين في قطر ثورة أهلية ، او بالحري فتنة أثارها على الشيخ قاسم بن ثاني أخوه أحمد ، وهو يبغي انتزاع الملك من يده . وكان كذلك القتال محتدما بين العجمان وآل مرة ، فنصر الشيخ قاسم العجمان ، ونصر أخوه أحمد أعداءهم ، فاشتدت الحرب بين الاخوين والقبيلتين ، فارسل الشيخ قاسم يستنجد ابن سعود ، فأنجده حبا وكرامة . هي الفرصة التي اغتنمها عبد العزيز ليعبد قليلا عن نجد ، فيخلوا الجو لابن الرشيد لينتقم من أهل القصيم .

وقد صبح حدسه . فعندما سارع الى نجدة ابن ثاني ارسل ابن الرشيد سرية يقودها صالح العذل ومعه حسين العساف الى الرأس ، فاستولت عليه ، فأجتمع بعض أهل القصيم في الشقة للدفاع ، وقد انضم اليهم عدد من العربان . ولكن ابن الرشيد فاز في هجومه عليهم فذبح أكثرهم ، وحاصر البقية في تلك القرية ، فضج القصيم وادرك صالح الحسن واتباعه ان ليس في امكانهم الدفاع عن أنفسهم . بل ادركوا ان لا خلاص لهم الا بعون الله ثم بابن سعود ، فارسلوا يطلبون من الشيخ مبارك التوسط بينهم وبينه كما جاء في الفصل السابق .

أما الحرب في الحساء وقطر فقد كانت الغلبة فيها أول الامر لآل مرة واحمد بن ثاني . فلما وصل ابن سعود حمل على القبيلتين معا حملة شعواء فتتنفس الشيخ قاسم الصعداء ، وفر اخوه احمد الى البحرين .

ثم بلغت ابن سعود اخبار القصيم ، فعاد مسرعا الى نجد . وارسل أخاه محمدا على رأس سرية تغزو قبائل ابن الرشيد ، فهجمت السرية على حرب وعادت فنزلت وادي السر .

وأما صالح الحسن فارسل أخاه مهنا الى أهل عنيزة يرجوهم ان يرسلوا معه أحد وجهائهم ليعاونه في استرضاء ابن سعود . وقد كان هذا الوفد في الرياض يوم وصل اليها عبد العزيز عائدا من الحساء ، فاستقبله مرحبا به ، وعفا عنه وعن أصحابه ثم توجه الى القصيم . ولكنه لم يكن في ذاك الحين قادرا على محاربة ابن الرشيد لسببين ، أولهما المحل في تلك السنة ، وثانيهما تفرق البادية ليهتموا بمواشيهم

عندما علم ابن الرشيد بقدوم ابن سعود خرج من منزله في البقيعة فأغار على الحميدان من عرب مطير وأخذهم . ثم عاد فنزل القصيبة (١) وتكررت غزواته على قبائل ابن سعود وهو يتنقل من

(١) القصيبة هي على مسير اثني عشر ساعة من بريدة الى الشمال .

القصيبة الى الاجفر (١) ومن الاجفر الى البشوك (٢) .

أما ابن سعود فقفل راجعا الى نجد ليستنفر العربان من عتيبة ومطير الأهلين ، فجمع جيشا منهم وعاد به الى القصيم ، فأحس عنسد وصوله ان صالح بن الحسن يسعى سرا في مصالحة ابن الرشيد . وقد جاء مع ذلك ، ومعه قوم من أهل بريدة ، ينضم الى ابن سعود .

قبل ابن سعود صالح على علاقته ، وهو عالم بما خفي من أمره ، ونزل الاسياح بجيشه الذي أصبح مؤلفا من البادية والحضر ، فأقام هناك عشرين يوما ، وقد ثبت صالح طيلة تلك المدة في ولائه . ثم وسوس في صدره ذاك الذي يوسوس في صدور الناس ، فهم بأن ينسحب وقومه من الاسياح ، فيبقى ابن سعود وعربانه وحدهم فلا يقدرّون على ابن الرشيد اذا أغار عليهم .

ولكن ابن سعود أحسّ بما يجول في صدر صالح ، فنقل من الاسياح الى الزلفي (٣) ليبعد عن القصيم . فلما وصل الى مكان اسمه البنجية استأذن صالح بالرجوع الى بريدة ، فأذن له بالرغم عما بدا من خيانتة .

عاد صالح الى بريدة وسار ابن سعود الى الزلفي يجمع الرجال لجيشه . ثم رحل منها فنزل غديرا بالقرب من الارطاوية ، فانضمت اليه قبائل مطير التي يرأسها فيصل الدويش ، وقد بلغه وهو هناك خبر الصلح الذي تم بين الشيخ مبارك الصباح وابن الرشيد . ولم يكتفي الشيخ مبارك بذلك بل كتب الى صالح الحسمن يعرضه على مثل عمله .

عاد ابن سعود مسرعا الى القصيم في شهر محرم من ذاك العام ومعه جيش لا يتجاوز الالف وستمئة مقاتل،

١٣٢٤هـ

١٩٠٦م

(١) الاجفر هو بين القصيم وحائل في منتصف الطريق .

(٢) البشوك هو شرقي حائل على مسير خمسة ايام منها .

(٣) الاسياح عيون عند العروض على مسافة اربعين ميلا من بريدة شرقا بشمال

والزلفي تبعد خمسين ميلا عن الاسياح الى الجنوب .

منهم ألف ومئتان من الحضرة وأربعمئة خيال من البادية . وكان ابن الرشيد نازلا الثوير في عقلة الزلفي ، وهو مكان وعرة كثير الرمال ، فسرى اليه فلم يدركه هناك .

وكان اليوم من أيام الربيع العاصفة الماطرة التي لا يستحبها العرب في الغزو أو في الحرب . فقد يدنو المتحاربون بعضهم من بعض دون أن يشعروا بذلك ، فإذا هم فجأة في المهلكة الكبرى .

مشى ابن سعود ورجاله حتى أصيل اليوم التالي لذاك الأسراء ، فوقفوا إذ ذاك لأنهم لم يستطيعوا لشدة الأمطار والرياح أن يواصلوا السير . وكان ابن الرشيد يتراجع ليصل إلى الشقة ، فيجتمع هناك بمصالح الحسن الذي جاءه مصالحا مناصرا .

وعاد كشافة ابن سعود يخبرون بأن العدو هو على مسير ساعتين منهم وقد نزل روضة مهنا .

إلى الروضة اذن ! مشى عبد العزيز ورجاله على الأقدام كي لا يشعر العدو بقدمهم . ولكن بعض كشافة ابن الرشيد رأوهم فبادروا إلى أميرهم بالخبر .

استيقظ عبد العزيز بن الرشيد وشرع يجمع جيشه الذي كان مؤلفا من ستمئة من الحضرة وألف ومئتين من خيالة البدو .

وصل عبد العزيز بن سعود إلى ساحة القتال ، فهجم رجاله على من تحفز من رجال ابن الرشيد ، فتصادم الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل في ١٨ صفر (١٤ نيسان) من تلك السنة ، فتقهقر الرشيديون فاحتل السعوديون مراكزهم .

وكان عبد العزيز بن الرشيد راكبا حصانه يدور في معسكره مستنهضا محرضا . فلما وصل إلى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده ظن أنها لا تزال هناك ، صاح بحامل البندق يحرضه على الهجوم :

« من هان يا الفريخ (اسم صاحب البيرق) من هان يا الفريخ !
وأين الفريخ ؟ قد تفهقر واسفاه مع المتقهقرين ، فحل محله

بيرق ابن سعود - « من هان يا الفريخ !
عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا : ابن الرشيد ابن
الرشيد ؟ ثم تكلم الرصاص .

أطلقت البنادق السعودية على الأمير التائه ، فخر صريعا وفيه
بضع وعشرون رصاصة .
- « وهذا سيفه وهذا خاتمه يالامام » .

• • •

كان عبد العزيز بن متعب بن الرشيد في الخمسين من عمره يوم
ذبح هذه الذبحة في روضة مهنا بالقرب من بريدة . وتدعى الوقعة
بذبحة ابن الرشيد .

قلت في كلمة التمهيد لهذه السيرة ان هذا الأمير الرشيد كان
جبارا عتيا ، لا أثر للخوف في قلبه ، ولا شيء من الرحمة والحنان .
وقد كان فوق ذلك قطوبا عبوسا ، يشد عقاله فوق عينيه ، وكوفيته
على فمه ، فسمي العبوس المثلث . اذ قلما كان يبتسم ، بل قلما كان
يكشف وجهه للناس . ولم يكن على شيء من السجايا التي تحجب
القائد الى رجاله والأمير الى رعيته .

ذكرت حادثة العقرب التي تدل على ما كان عليه من التجلد
والتمرد . واليك بحادثة من الحوادث التي تدل على ظلمه وقساوته .

يوم كان يحارب أهل القصيم مرّ في طريقه برعاة من تلك
الناحية يحشّون وهم أربعون ، فأمر بالقبض عليهم ، ثم ايقافهم صفا
الواحد جنب الآخر ، ثم أمر بقطع رؤوسهم أجمعين . فكان كذلك .
وهذه المذبحة تدعى بحادثة الحواشيش فلا عجب اذا كان قد فرح حتى
أهل شمر ، كما فرح الشيخ مبارك الصباح ، عندما بلغهم خبر قتله .

الفصل التاسع

الأتراك يرحلون

كان قد عزم ابن سعود ، بعد ذبحة ابن الرشيد في روضة مهنا ، ان يباشر الزحف الى حائل . لذلك لم يأذن لرجاله بتعقب العدو المنهزم ، بل عاد بهم الى بريدة أملا أن يضاعف صفوفهم بمن ينضم اليه من أهل المدينة . ولكنهم بالرغم من تأكدهم قتل ابن الرشيد تقاعسوا وتذبذبوا ، وكان صالح الحسن في رأس فريق من المقاومين .

لم يكن لابن سعود القوة الكافية للزحف الى جبل شمر ولا لمحاربة من استمروا عاصين من أهل القصيم . على أنه كان يحذر دائما ان يحس الناس بضعفه يوم ضعفه أو أن يدركوا يوم القوة حقيقة قوته . لذلك ترك أهل القصيم وشأنهم وأغار بمن كان معه على عدوه غير صالح الحسن هو ناهش الذويبي رئيس قبائل حرب الموالي لابن الرشيد ، فأدركوه وعربانه في مكان يدعى الرحا بين القصيم وحائل ، وذبحوهم عن بكرة أبيهم . ثم أغاروا على قبائل من حرب في أبي مغير بأعالي نجد ، فشتتوهم وغنموا أموالهم .

أما صالح الحسن فلم تغتر له همة في المؤامرات . وقد علم ابن سعود بينما هو عائد الى بريدة بأنه اتفق وصدقي باشا على أن ينسحب عسكر الدولة من الشيعية ويحتل بريدة . فسارع عبد العزيز الى المدينة ، واجتمع هناك بزعمائها ، فشكوا اليه أمر صالح ، وطلبوا عزله واجلاءه ، فقبض عليه ، واجلاه الى الرياض . ثم أمّر مكانه ابن عمه محمد آل عبد الله أبا الخيل .

أما آل الرشيد فقد تولى متعب الامارة بعد موت أبيه عبد العزيز ، وكان راغبا في السلم ، فتفاوض الفريقان وتم الاتفاق على أن تكون

حائل وملحقاتها وشمر لابن الرشيد ، وباقي بلاد نجد بما فيه القصيم
لابن سعود . ثم اطلق الامير متعب سراح من كانوا مأسورين من آل
سعود في حائل ، فجاءوا بريدة وأقاموا فيها .

بعد عقد تلك المعاهدة واجلاء صالح الحسن عاد عبد العزيز الى
الرياض وما كاد يستريح من الاسفار حتى جاءه مخبر يقول ان الاتراك
في اطراف القصيم يحاولون استمالة بعض البادية اليهم ، وان ليفصل
الدويش يدا في المسألة .

شد عبد العزيز على الدويش ، بعد ان تحقق خيانتة ، فأغار على
بعض قبائله وأخذها . ثم عاد الى بريدة وأظعن من كان فيها من آل
سعود ، أي أسرى حائل الذين مر ذكرهم ، الى الرياض ، ولم يبق معه
هناك غير حاشيته ، فاطمان أهل القصيم ، خصوصا المناوئون منهم .
ولكن أمرا جديدا أزعجه ، وهو ان ابن الرشيد كان يفاوض الاتراك في
الشيحية ويزين لهم الانسحاب منها الى حائل ، وقصده في ذلك أن
يأخذ ما كان معهم من عتاد الحرب والذخيرة . لأنه يقول اعطونا
سلاحكم ان كنتم لا تحاربون .

ولا كانت الدولة راضية عن صدقي باشا وخطته — لا حرب ولا
سلم ولا مفاوضات — فأمرت كبيرا آخر من كبار جيشها وساستها هو
سامي باشا الفاروقي ، الذي كان يومئذ في المدينة ، بالسفر الى حائل
للمفاوضة مع ابن الرشيد . جاء سامي باشا واجتمع بالامير متعب في
سمير ، قرية من قرى حائل ، فاتفقوا وياه على ان يكون ، القصيم في
حوزة الدولة . ما خسر ابن الرشيد شيئا في هذا الاتفاق لانه وهب
ملكا لم يكن يومذاك له .

ثم جاء سامي باشا الى القصيم ليفاوض الفريق الثاني وقد ظنه
كالاول ، فعزل صدقي باشا وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشيحية ،

وارسل الى ابن سعود يطلب مقابلته ، فوافاه الى البكيرية ، ولكن المذاكرة كانت مناكرة ، فقد اصطدمت في الجلسة الاولى الارادتسان ، والتهبت النزعتان التركية والعربية . ولم يكن الفاروقي لين العريكة ، ولا لبس للحالة لبوسها .

فقال يخاطب ابن سعود : « ولكن أهل القصيم يريدون ان تكون السيادة في بلادهم للدولة » . فأجابه ابن سعود قائلا : « ليس لأهل القصيم رأي في الامر ، فهم من اتباعي » .

سامي : « التابعة تقتضي الحماية وانت لا تستطيع أن تحميهم ، ولا ابن الرشيد يستطيع ذلك » .

عبد العزيز : « وهل حمتهم الدولة ؟ اذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم ومع ذلك فما زعماء القصيم في مجلسك . اسألهم يجيبوك » .

فتكلم اذ ذاك أحدهم قائلا : ان صالح الحسن افترى عليهم ، وانه لا يمثلهم بشيء ، وانهم لا يرضون عن ابن سعود بديلا .

سامي : « انكم تجهلون صالحكم وتترهمون حقوقاً ليست حقوقكم . . . ما جئنا نسترضيكم ولا نستغويكم . جئنا نعلمكم الاخلاص والطاعة للدولة العلية . ولا معلم اليوم غير السيف » .

عبد العزيز : « اني آسف على ما بدا منك ، بل آسف لان الدولة تكل امورها الى امثالك . ما كان العرب يا سامي ليطيعون صاغرين ، لا والله ولولا انك ضيف عندنا لما تركناك تقوم من مكانك » .

كذلك اجتمع القائدان التركي والعربي وافترقا . ولكن سامي باشا ارسل بعدئذ رسولا اسمه دياب أبو بكر الى ابن سعود يقول : « يسلم عليك الباشا ويقول ان الدولة تدفع لك عشرين ألف ليرة ومخصصات سنوية اذا كنت تعترف بسيادتها في القصيم » .

فلما سمع عبد العزيز هذا الكلام عمد الى سيفه قائلاً : اتتجاسر يا خبيث أن تحمل الينا مثل هذه الرسالة ؟ ألم يردعك شمم العرب ؟ ومبتى كان ابن سعود يقبل الرشوة ، فيبيع بلاده ورعيته ممن يريدون استرقاقها ؟ لا ادنس سيفي بدمك يا خبيث ولكن لا ارد عنك سيفاً بيد سواي » .

بادر الرسول الى ذلوله ، بعد استماع هذا الكلام ، وراح مدرهماً ، ولم يرجع الى الشيعية ليؤدي الجواب ، بل فرّ هارباً الى المدينة .

وفي ذاك النهار ، بعد صلاة المغرب ، ارسل ابن سعود الى الفاروقي ثلاثة من رجاله لينبؤوه ، فيكون متأهباً ، بانه هاجم عليه في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر . وما كان جادا في ما يقول . ولكنها تهويله جاءت بفائدة . فقد ارسل الباشا ثلاثة من ضباطه مع رجال ابن سعود مسترضياً فجاء الضباط يقولون ان الباشا وعسكره ضيوف عليكم واحسبوهم في معيتكم .

صفا الجو ، او ان الرياح سكنت اكراما لرمضان ، فصام ابن سعود في عنيزة ، ولكنه علم يوم العيد ان ابن الرشيد يواصل السعي في استقدام عساكر الترك الى حائل . فجهز لعيته حملة من اهل القصيم ونزل الى البكيرية . ثم ارسل الى الفاروقي بلاغا - وكان هذه المرة جادا - يخبره بواحد من امرين ، أما ان ينتقل بجيشه في خمسة أيام الى وادي السر (فيحول بعده عن القصيم دون المفاوضات وابن الرشيد) واما ان يرحله ابن سعود من نجد ، فيرسل الجنود العراقية الى العراق والجنود الشامية الى المدينة . واذا رفض أحد الامرين فهو هاجم عليه لا محال .

عندما علم الجنود ، خصوصا الضابط بهذا البلاغ ، قاموا يطلبون من سامي باشا الاذعان ، بل طلبوا منه ان يرسلهم الى بلادهم ، وقد هدده البعض بالقتل اذا لم يفعل ، والبعض قالوا انهم سينضمون الى جيش ابن سعود .

قبل الباشا بترحيل الجنود ، ولكنه اشترط على أن يضمن عبد العزيز سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق الى المدينة والى بغداد . قبل عبد العزيز بذلك ، واشترط على أن ينقل الجنود العراقيين الى بريدة فيبقون فيها الى أن يصل سامي باشا بجنوده الى المدينة ، لانه خشي ان يسير الباشا الى حائل فينضم الى عسكر ابن الرشيد ويعيد الاثنان الكرة عليه .

وقد كان عبد العزيز صريحا على عادته ، فقال للفاروقي : « اذا سرتم الى المدينة رأسا رحلنا جنود العراق ، واذا حدثم عن الطريق ذبحناهم وسنكون عالمين بمسيركم » .

ثم دعا عبد العزيز للسماط شيوخ حرب ، التي كانت قد حملت عساكر المدينة عندما جاءوا الى نجد ، وبعد الطعام خاطبهم قائلا : « أنتم جئتم بالترك من المدينة وانتم مرجعوهم ان شاء الله . وستبقون عندنا الى أن يصلوا سالمين » .

حمل عربان حرب العساكر وأمتعتهم وعتادهم على الجمال وارتحلوا ، وبعد اسبوعين جاء ابن سعود نجاب يقول انهم اجتازوا الحناكية ووجهتهم المدينة ، فأمر اذ ذاك ان تجهز الركائب للعساكر الذين في بريدة ، فرحلوا آمنين شاكرين الى العراق .

وبعد شهرين ارسل السلطان عبد الحميد يشكر الامير عبد العزيز بن سعود على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة ، ويسأله ان يرسل احد رجاله لمقابلته . فارسل صالح العذل ومعه اثنان اخران الى الاستانة فنزلوا ضيوفا على الحضرة الشاهانية ، ومنحوا الالقاب والنياشين ، وسمعوا من الوزراء كلاما سياسيا لم يجيبوا عليه بشيء ولا أثمر بعدئذ شيئا للدولة .

اتيح لي الاجتماع بصالح باشا العذل يوم كنت في الرياض ، فألفيته شيخا جليلا يحمل في أيام السلم عصا من الشوحط ، ومثل

أكثر أهل نجد لا يكثر الكلام . اجتمعت به في « بمخروق » يوم خرج
عظمة السلطان للنزهة وكنا في معيته . وكان عظمته قد حدثني عن
ذاك الوفد فرغبت في التعرف إلى أحد رجاله ، ففاجأني عندما كنا
جالسين في ذلك الغار قائلا : « هذا صالح العدل » ثم ناداه : « يا باشا
يا باشا تعال تعرف إلى الاستاذ » . جاء صالح يبتسم وجلس مثلنا على
الأرض فسألته إذا كان قد سر في إقامته بالاستانة فأجاب موجزا :
« ما سررنا بشيء مثل سرورنا يوم رحلونا منها » .

الفصل العاشر

ليلة الظافر

بعد ترحيل عساكر الدولة الى المدينة المنورة والى بغداد خرج على ابن سعود اثنان من رؤساء مطير هما فيصل الدويش ونايف بن هذال فتحالفا وأميرَي بريدي وحائل عليه .

ولكن أهل بريدة ظلوا اجمالا موالين ، وقد كان لعبد العزيز في تلك المدينة زوجة يزورها من حين الى حين ، فلما بلغه خبر خروج ابن الدويش وابن هذال ، وهما من اتباعه ، سارع الى القصيم متحققاً متأهباً معاً ، وارسل عندما قرب من بريدة الى شلهوب (١) أحد خدامه فيها يخبره بقدومه ذلك النهار .

وكان قد عسكر في غدير قرب الشقة (٢) يدعى المفر فشاعت اشاعة ان ابن الرشيد هاجم عليه هناك . خرج عبد العزيز بنفسه مستكشفاً ، فلم يجد ما يشغل البال او يستحق الاهتمام ، فعاد الى معسكره يتأهب لزيارة المعزبة (٣) ، وكان النهار قد شد للرحيل .

لبس عبد العزيز أفخر ما لديه من الثياب ، فبدت خلال العباءة كلها من نسيج الشمس الغاربة . زبون (قنبار) من الكشمير الثمين ، فوقه رداء من قماش اخر هندي تمتاز ألوانه الزاهية بعضها ببعض ، وفوق الاثنين ، بين عباءة الوبر والرداء ، « كرك » (معطف) مزركش بالقصب .

خرج الظافر يتلألاً ويفوح طيباً ، كأنه ظفر بالشمس فسلبها بهاءها ، وغنم أزاهر الأرض فبطن بها عباؤه ، فسرى تحت جناح الليل

(١) هو الشلهوب الذي صار بعدئذ أمير المال والتموين في سلطنة نجد . راجع « ملوك العرب » الجزء الثاني صفحتي ٩٤ و ٩٥ ، الطبعة الخامسة .
(٢) الشقة قرية من قرى بريدة على مسير ساعتين منها .
(٣) المعزبة ، وهي شائعة في نجد ، والعازبة امرأة الرجل .

تعف به ستة من الخدم ، ويماشي منية قلبه جيش من الشوق • ولكنه عندما دنا من بريدة ، ولم يكن بينه وبين تلك المنية القصوى غير مسير نصف ساعة ، التقى برسول من خادمه شلهوب جاء يقول ان محمدا ابا الخيل (أمير بريدة) قد اقفل القصر وهو متأهب للحرب •

وكأن الليل حالف ابا الخيل ، فقصف في تلك الساعة الرعد ، وومض البرق في السماء ، فهطلت الامطار ، وهبت الرياح ، وأمسى الظافر حائرا باثرا ، لا يستطيع الدخول الى بريدة ، ولا الرجوع الى معسكره وقد بعد عنه مسافة ثلاث ساعات •

ويا لها من ليلة عاصفة ماطرة ، ليلة ظلمتها دامسة ، ويا لها من خيبة ليلها أشد من تلك العواصف والظلمات ! لمز الظافر فرسه وقد قفل راجعا ، فسمع بعد قليل كلبا ينبج ، فساقتها نحو الصوت ، فاذا هناك بيت من الشعر ، فترجل أمامه يبغي ملجأ من المطر الهطال •

وما كان البيت غير خيمة صغيرة طولها ستة أذرع وعرضها نصف ذلك ، وفيها طائفة من البشر والماعز • تكلم عبد العزيز : « يا أهل البيت نحن ضيوفكم » • فأجابوه ولم يعرفوه : « أهلا ومرحبا • ولكن البيت ضيق وذا الليل يسود الوجه » •

لم يقبلوا غير واحد من الربع ، فظل الخدم خارج الخيمة •

دخل عبد العزيز فرأى هناك عشرة أنفار ، كبار وصغار ، فيهم عجوز مريضة وشائب مجنون ، فجلس على رحل قرب الباب وقد ضم يديه بين جنبيه ، وهو يرتعش من المطر الذي اخترق ثيابه • وكانت الجدبان ، وهو في تلك الحال ، تشب على كتفيه ، والماعز تبول أمامه ، والمطر يصب من سقف الخيمة ، والمريضة في الزاوية تشن ، والمجنون يصيح ، والصغار يبكون ، والكبار السالمون من علل الحياة يتصاخبون •

جلس على ذاك الكور ، في تلك الخيمة ، وهو يتأمل حالتها وحالته
ويود لو كان أبو الخيل تحت سنابك ذاك الليل ، او في مجاري السيل ،
او في مخالب العاصفة ، او تحت ذلك السقف الزارب بين العجوز
المريضة والشائب المجنون .

هي ليلة الظافر ! وعندما اسفر الفجر ركب فرسه وعاد الى الشقة
ليجفف ثيابه وينظفها وقد امست ، وهي مثقلة بالماء والوحل والاقذار ،
أكره لديه من أبي الخيل . فلما وصل الى تلك القرية رأى جدارن بيوتها
تنهار من شدة السيل والامطار ، فأم بيت الامير ، وكان لا يزال يملك
غرفة ذات سقف وفيها نار مشبوبة ، فشكر الله على ذلك .

بعد ان جفف عبد العزيز ثيابه ، وأزال عنها الأوحال ، ركب
يقصد بريدة ، فلما وصل الى القصر وجده مقفلا . قرع الباب فسئل
من أنت ؟ فأجاب : « انا ابن سعود » ، فلم يسع من كانوا داخلوا الا ان
يفتحوا .

وعندما واجه ابا الخيل رآه يرتعد خوفا فسأله قائلا : « ما بالك
قبح الله وجهك » فأجابه : « افتري الناس علي . هم يكذبون والله في
ما يقولون » . فقاطعه عبد العزيز قائلا « اسكت ! ما بتين أمرك الا
أنت » .

لم يقل أكثر من ذلك . وقد أقام يوما في بريدة مستطلعا الاخبار
فتحقق خيانة رؤساء مطير ، وسارع الى محاربتهم ، فاضطر أثناء ذلك
ان يصالح أعداءه في بريدة ، فعفا عن زعيمهم ابي الخيل محمد .

سالت عظمة السلطان وهو يملي علي أخبار هذه الحوادث :
« وكيف تعفو عنه بعد تلك الليلة المشؤومة ؟ » فأجاب فورا : « مكره
أخوك لا بطل »

الفصل الحادي عشر

تعددت الأعداء

حالت في حائل الأحوال ، فجري الدم في بيت الرشيد ، وتولى الإمارة سلطان بن حمود ، أحد الإخوان الثلاثة الذين قتلوا أبناء عبد العزيز الثلاثة أي الأمير متعبا وإخويه (١) وقد باشر سلطان حكمه بالمخاتلة ، فأرسل نجابا إلى عبد العزيز بن سعود يطلب الصلح ، وأرسل في الوقت نفسه يخطب ود أهل نجد والقصيم ويستنصرهم عليه .

وبينما كان نجاب السلم عند ابن سعود جاءه رسل من الزعماء في تلك النواحي ومن بعض رؤساء البادية يحملون الرسائل التي كتبها اليهم أمير حائل الجديد .

غضب عبد العزيز وهم بطرد النجّاب ، فأوقفه والده الإمام وأشار عليه بقبول ما جاء من أجله ، فقبل بذلك مشروطا على سلطان الشروط التي اشترطها على سلفه متعب أي أن أمارته تنحصر في حائل والجبل وسيادة ابن سعود تعم نجد والقصيم .

عاد رسول السلم إلى سيده ، وراح ابن سعود غازيا بعض القبائل المتقلبة في الجنوب . ثم جيش جيشا من بادية مطير [٥١٣٢٥] [١٩٠٧م] ومن الحضر وزحف به إلى أطراف القصيم لأنه علم أن سلطانا أخل بشروط الصلح . سار عبد العزيز إلى بريدة فاجتمع هناك ببعض الزعماء وفيهم أبو الخيل ، محمد فاشاروا عليه ألا يصالح ابن الرشيد . قالوا أن الحرب أولى ، وأن ابن الرشيد لا يركن إليه .

وكان عبد العزيز قد تحقق ذلك من كتب سلطان إلى رؤساء أهل

(١) في الفصل الثاني والثلاثين ذكر هذه الذبحة وتفصيلها .

نجد والقصيم ، ولم يخامره الريب في اخلاص هؤلاء الزعماء وفيهم من أصدقائه السابقين شيخان من مطيرهما فيصل الدويش ونايف الهذال . لذلك زحف الى حائل غازيا . ولكنه لم يتوفق في تلك الغزوة ، كما انه لم يوفق في وضع ثقته بالدويش والهذال ، اذ بعد ان علما بفشله تعاهدا وابا الخيل على أن ينصرا ابن الرشيد عليه .

عندما تحقق عبد العزيز ذلك - عندما ادرك ان قد تفلتت مطير من يده وخرجت بريدة عليه - راح يستنجد عتيبة عدوة شمر ومطير ، فافلح في بعض سعيه . وعندما هجم سلطان على قافلة له كانت خارجة من القصيبة ، فأخذها وأمن رجالها ثم قتلهم ، شد عبد العزيز عليه ، فلم يدركه لانه كان قد عاد الى حائل .

عرج ابن سعود على بريدة وارسل منها الكشافة فالتقوا في الطريق برجل رابعهم أمره فقتلوه ، فوجدوا معه كتابا من محمد ابي الخيل الى سلطان الرشيد يعاهده فيه على ابن سعود .

تعددت الاعداء والخيانات . ولكن خيانة فيصل الدويش اثارت في عبد العزيز أشد الغضب والحنق ، فراح يدبر وسيلة للانتقام . وكان من تدبيره انه اذن لعرب عتيبة بالرحيل ليقال انهم خذلوه . ثم صالح أهل بريدة وعفا عن زعمائها كما أشرت في الفصل السابق .

ولكنه عندما اذن لبوادي عتيبة بالرحيل ضرب لهم موعدا في مكان يدعى الجعلة فاجتمع بهم هنالك واغاروا بغتة على الدويش فسي جهة سدير فلاذ بالمجمعة التي كان فيها يومذاك حامية لابن الرشيد فأدركوه ورجاله في بساتينها وفتكوا بهم فهزموهم شر هزيمة وغنموا أموالهم كلها .

بعد هذه الواقعة التي جرح الدويش فيها جاء كبار مطير مستسلمين مستغفرين فأعطاهم ابن سعود الايمان . ثم عاد الى الرياض . ولم يكدهم الشهر هناك حتى جاءت الاخبار مثبتة خيانة ابي الخيل الذي كان قد عقد وابن الرشيد عهد الصلح والولاء .

استنفر ابن سعود بوادي قحطان وعتيبة ، ورفض من جاء ينضم الى جيشه من مطير التائبين وأهل بريدة لانه لم يكن ليثق بهم . أما ابن الرشيد فكان قد غزا بعض عربان ابن سعود فلم ينل منهم مغنما . بل غشي الجيش الظما فمات عدد كبير من رواحله وخيله ، فعاد الى الجبل ونزل الكهنة .

أما أبو الخيل فاستمر عاصيا طاغيا ، بالرغم من عفو ابن سعود وبالرغم من توسط ابن سليم أمير عنيزة . وكان من رجال مطير « التائبين » ما توقعه عبد العزيز فانضموا وطاغية مهنا الى جيش ابن الرشيد ، الذي جاء الى بريدة فنزل على المياه في جوارها .

أما عربان ابن سعود ، قحطان وعتيبة ، فانحدروا يلبونه ونزلوا العرض ، ثم اجتمعوا بمن نفروا اليه من الحضر بوادي السر وزحفوا شمالا يقصدون بريدة .

تصافت القبائل ، فكانت شمر وحرب ومطير مع ابن الرشيد وكانت عتيبة وقحطان مع ابن سعود .

وهناك آخر من الامراء أنصار ابن الرشيد لا يستهان به ، الا وهو الشيخ مبارك الذي كان مخلصا لكاتب ديوانه في الاقل فلم يعزله بعد تلك الزلة . وقد جاء ثانية يمثلها . ففي الرسائل التي وصلت الى عبد العزيز من « والده » في الكويت كتاب الى سلطان الرشيد ، أرسل خطأ الى خصمه ، وفيه يحرضه على ابن سعود ويلج عليه بالاتفاق وأهل القصيم .

كتم عبد العزيز الامر وتقدم بجيشه من السر الى مذب ، فجاءه هناك رجل يدعى عبد العزيز بن حسن من أهل القصيم ، ولكنه كان من خفية ابن سعود ، فاخبره ان الشيخ مبارك أرسل يتوسط بالصلح بين أهل القصيم وابن الرشيد . ولم يكن عبد العزيز ليجتاح الى مثل هذه البيئات في انقلاب « والده » ابن الصباح عليه ، وقد تعددت أمثال

فعلته هذه المتقلبة . ولكن عذر صاحب الكويت في ذلك انه كان ينشد دائما التوازن في نجد ، ويسعى في تحقيقه والمحافظة عليه ، لانه اذا اختل التوازن اختلت في رأيه الشؤون كلها ، بما فيها شؤون الكويت .

تقدم ابن سعود الى عنيزة فعلم ان معسكر سلطان هو خارج بريدة على مسير ساعة من قصرها ، فسرى يريد الهجوم عليه ، فعلم سلطان بذلك ، ونقل الى قرب القصر .

لحق به ابن سعود فتناوش الفريقان مرارا دون ان يتمكن بعضهم من بعض . على انه في احدى الغارات كبت فرس عبد العزيز فوق وقع مشومة ، فكسر عظم في كتفه اليسرى وأغمي عليه .

وكان فيصل الدويش قد جاء ابن الرشيد فزعا فأنزل أهله الطرفية (١) وتقدم بخيامه ورجاله الى بريدة . فلما دنا من عسكر ابن سعود خرجت اليه سرية فنازلته وهزمته ، فقتلت عددا من رجاله وغنمت كثيرا من الابل . ثم تقفّت من تقهقروا ، وهجمت بعد ذلك على الطرفية فذبحت أهل الدويش واستولت على البلد .

اما عبد العزيز فعاد بعد وقعته يتبع السريسة التي هزمت الدويش ، فوصل العصر الى الطرفية وعسكر فيها ، ولم يشعر حتى الليل بألم شديد في كتفه اقعده وحرمه النوم .

دعا قواده وهو في تلك الحال فخطبهم قائلا : « ابن الرشيد وأهل بريدة هاجمون عليكم هذه الليلة فتأهبوا وكونوا متيقظين . بشوا الحرس والكشافة في الطرق ، وحصنوا القصر » .

وكان قد انتصف الليل عندما جاء رجل من بريدة يقول ان ابن الرشيد ورجاله قد خرجوا وهم يريدون المهاجمة .

(١) الطرفية على مسير أربع ساعات ونصف ساعة من بريدة الى الشمال .

لم ير القائد الذي بلغه الخبر أن يزعم عبد العزيز به وهو في تلك الحال ، خصوصا وان الجيش كان مستعدا للدفاع .

ولكن امرين أفسدا هذا الاستعداد . فقد تاخر ابن الرشيد فنامت الجنود ، وقد سلك الى الطرفية طريقا غير الطريق المعروفة ، فلم يشعروا الا هو ورجاله في وسط المعسكر .

هجمت البادية من جهة عليه ، وهجم أهل بريدة من الجهة الاخرى ، وهم يبنفون احتلال القصر . ولكن الحرس أيقظوا الحامية فصادمتهم وصدتهم عن الدخول .

أما ابن الرشيد ورجاله فتقدموا هادئين ليباغتوا السعوديين وهم نيام . ولكن بعضهم استيقظوا ، فتصادموا والمهاجمين وتضاربوا بكعاب البنادق ، ثم بالسيوف ، فسالت الدماء وعلت الاصوات : - على المشركين ! على الخونة !

عندها أطلقت البنادق نيرانها فهب العسكر كله للقتال الذي استمر حتى الفجر ، فبدت اذ ذاك المياه الجارية بين النخيل وقد احمرت من دم القتلى .

- « صبحناكم لا صبحتكم العافية » .

هي الكلمة التي كان يرددها السعوديون عندما تقفّو الرشيديين المنهزمين . قتل في هذه الواقعة التي تدعى بوقعة الطرفية (٥ شعبان ١٣٢٥ - ١٤ ايلول ١٩٠٧) ثلاثون من رجال ابن سعود وثلاثمئة من ابن الرشيد . وقد كان الفضل في هذا النصر للحضر في الجيش السعودي . أما البوادي فشرّدوا ، ثم عادوا بعد بضعة أيام .

الفصل الثاني عشر

كسرة ابي الخيل

قلت في ما تقدم ان ابا الخيل من آل مهنا الذين كانوا متآمرين في بريدة ، وانهم كانوا معادين لآل سعود منذ عهد الامام عبدالله بن فيصل عم عبد العزيز أما اهالي بريدة ، او الاكثرية فيهم ، فكانوا يشكون حكم آل مهنا ويودون التخلص منه بل كانوا متقلبين متذبذبين لم يستطيعوا ان يقاوموا أميرهم أبا الخيل ولا أن يعاونوا عدوه ، فكانوا يوما معه ويوما عليه باطنا أو ظاهرا شأن المستضعفين المستنصرين . وكانوا في انقلابهم وتلونهم أسرع من أميرهم وأسبق ، فقد طالما خدع ابن سعود وابن الرشيد وابن مهنا نفسه بما كانوا يظهرن وما يبطنون .

بعد وقعة الطرفية عاد الى بريدة من سلموا من أهلها وفر ابن الرشيد وباديته الى حائل ، فزحف ابن سعود في اليوم التالي ليتتبع البريديين ، فأغارت كوكبة من الخيل على المدينة وغنمت المواشي التي كانت خارج السور . ثم نزل في الزرقاء شمالا وأباح لعسكره القرى التي ساعدت أهل بريدة ، فجاء أهلها في اليوم التالي يطلبون العفو فعفا عنهم .

أما أهل بريدة فظلوا عشرين يوما داخل البلد كأنهم في حصار ، فلم يخرجوا لا موالين ولا معادين . ولكن فريقا منهم ارسل يخبر ابن سعود سرا ان ابا الخيل مستول على المدينة بمن معه من رجال ابن الرشيد ، وانه اذا انسحب من جوارها يتيح لهم ان ينهضوا على أميرهم وجيشه الشمري .

وكان هؤلاء الشمريون قد عابوا سلطان الرشيد في انهزامه وفراره الى حائل ، وطلبوا منه ان يعود فعاد ودخل بريدة ليلا فلما علم ابن سعود بذلك مشى الى عنيزة فنزل على مسير ساعة من بريدة ، ففاجأت

خيالة ابن الرشيد رعاة له فأخذوهم • وقد حدث يومذاك قتال اشتركت فيه البدو ، فقطعت الحضر ساقتهم أي حمتها •

ان الحضر في الجيوش العربية كالجنود النظامية أما البدو فانهم بدو • • • وأمرهم عجيب ، قد اسلفت القول ان بوادي ابن سعود شردوا في وقعة الطرفية ، ثم عادوا اليه • ومن عاداتهم ان يجيئوا ويروحوا ، أن يحاربوا ويشردوا كما توحى اليهم النفس او ترشدهم الحوادث •

وفي القتال أمام بريدة هجم جيش البادية فاحتاط ابن سعود للأمر بان جعل الحضر في مؤخره ليمنعه من الفرار اذا أحس بالهزيمة • ولكنه كان في ذلك اليوم منتصرا فتراجع قوم ابن الرشيد ودخلوا البلد •

استمر ابن سعود في سيره جنوبا فنزل عنيزة ، ثم نقل الى البكيرية ، ثم الى الرّس ، يجمع اليه المقاتلة من الحضر • أما سلطان الرشيد فعاد الى الجبل ، وقد ترك أخاه فيصل في بريدة ليكون عوناً لأبي الخيل على أهلها ، بل ليظل بعيداً عن حائل • ولكن فيصل اختلف وطاغية مهتاً فهجّره وعاد الى الجبل فاجتمع بأخيه الأمير الحاكم وأغضبه ، فأرسله الأمير بمهمة الى الجوف ، وقصده الأبعاد •

وكان ابن سعود قد نقل من الرّس الى جهة عتيبة ، فنزل هناك جبل يدعى سواج وهو يترقب الفرص للهجوم • فلما علم بما جرى بين فيصل وأخيه سلطان سارع الى الجبل ، جبل شمر • ولكن البدو ، وهو في منتصف الطريق ، هجروه ، فاستمر مع ذلك سائرا ، ونزل بقومه على ماء سقف ، فوجدوا هناك قبائل من حرب ، فأغاروا عليهم وغنموا كثيرا من أموالهم •

لم يتوقف عبد العزيز في زحفه الى الجبل ، فعاد الى الرياض • ثم رجع في الشهر التالي الى القصيم ، فلاقاه جاسوس من بريدة ليخبره أن أهلها مستعدون اذا وصل اليهم ، ان يهجموا على أبي الخيل •

لمز ابن سعود حصانه وراح بجيشه مسرعا ، فوصلوا الى المكان المعين للاجتماع خارج البلد فلم يجدوا احدا هناك .

لله أنتم يا أهل بريدة ! عض عبد العزيز على نواجذه وعاد الى عنيزة ، فجاءه بعد سبعة أيام رسول منهم يقول انهم متأهبون للهجوم ، فزحف كرة ثانية كانت كالاولى نصيبها الفشل .

ولكنه نزل الاخضر ، على مسير ساعة ونصف ساعة من المدينة ومشى اليها بالجنود مرتين لعل " الانصار " يخرجون اليه ، فلم يخرج أحد منهم .

ثم بلغه ان سلطان بن الرشيد زاحف من الجبل لينجد أهل بريدة ، أي الرشيديين فيها ، فشدد ابن سعود وبادر اليه ، ليصده عن ذلك ، فعلم عندما وصل الى كهفة ان الخبر مكذوب . وكان برغش بن طوالة ، من رؤساء شمر ، نازلا ماء فهد بالقرب من جبل سلمى هنالك فسرى يريد الهجوم عليه . فلما رآه ابن طوالة مقبلا ساعة الفجر اركب الحرير على الخيل سافرات فجئن يلاقينه مستعطفات . ثم جاءه برغش طالبا العفو ، بل جاء يعاهده على الولاء واقسم بالله انه سيكون على الدوام من رعاياه المخلصين .

قد كان ابن طوالة رسول السلم أيضا بين ابن سعود وابن الرشيد ، فجددت المعاهدة السابقة التي خرقها مرة سلطان ١٣٢٦هـ ولم يتقيد دائما سلفه متعب بشروطها . ولكن ابن سعود لم ينخدع . وما أراد في ذاك الحين غير حياد ابن الرشيد ، ولو الى حين ، فينشط أنصاره من أهل بريدة ويمكنوه من أبي الخيل .

عاد عبد العزيز ، بعد ان صالح ابن الرشيد ، الى البكيرية ، فعسكر فيها وسار بنفسه الى عنيزة مستخبرا ، فأخبر عندما وصلها ان أهل بريدة مستعدون الاستعداد التام هذه المرة للهجوم .

بأمر عبد العزيز إلى حصانه ، وعدا به عائدا إلى البكيرية ، فقطع بساعتين ونصف ساعة مسافة خمس ساعات من السير ، وأمر عند وصوله ، بالزحف السريع إلى بريدة ، فزحف الجيش في ذلك النهار ووصل إلى المدينة عند غروب الشمس .

— وأين الرجال ؟ أين من هم مستعدون الاستعداد التام للحرب ؟ الحق يقال أن السيادة كل السيادة كانت لمحمد أبي الخيل . ولم ينفر إلى ابن سعود ليلتئذ إلا عشرة من الانصار ، فكان الاتفاق بعد المفاوضة السرية أن يفتحوا له باب السور في وقت صلاة العشاء . ولم يكلفهم أكثر من ذلك .

أمر ابن سعود سريتين بالتقدم ثم بالدخول إلى البلد ، إذا ما فتح الباب ، فيسيرون توالى البيوت القريبة من القصر المقيم فيه أبو الخيل ويحتلوها .

فتح باب السور وكان الناس في الصلوة ، فدخلت السريتان ، واحتل البيوت المذكورة بثلاثمائة من الفرسان .

كان ابن سعود ساعته واقفا عند الباب فأرسل فرقة عددها خمسمائة رجل لتحتل أبراج السور القريبة منه .

ثم خطب في الباقي من جيشه قائلا : « أنا هاجمون على هذا البلد ، فاحذروا أن تؤذوا من لا يعترضونكم ، أو تسيئوا إليهم بشيء . حاربوا من يحاربكم ، وسالموا من سالمكم . أما البيوت فلا تدخلوها . وأما الحرم فمن اعتدى عليهن فيدي عليه » .

دخل ابن سعود على رأس جيشه يقصد من تقدمه من الفرسان . وما كاد يخرج الناس من المساجد حتى علت في المدينة صيحات الحرب اشتبكت الجنود برجال أبي الخيل ، واستمر القتال طيلة ذلك الليل ، فقتل من المهنتين عشرة ومن السعوديين خمسة لا غير . وجاء رؤساء

بريدة عندما اسفر الفجر يطلبون العفو ، فعفا الظافر عنهم شرط ان
يسلم المقاتلون السلاح ، فسلموه قبل الضحى .

ولكن ابا الخيل ظل محاصرا يوما وليلة . ثم طلب الامان فآمنه
عبد العزيز على حياته ، وتركه يذهب حيث يشاء ، فرحل الى العراق .

وبكسرة محمد آل عبدالله ابي الخيل ، في ٢٠ ربيع الثاني من
هذا العام (٢٣ ايار) دخلت بريدة للمرة الثانية في معية ابن سعود .

الفصل الثالث عشر

الاقارب

ما سلب الله على العرب غير أنفسهم • فقد طالما نكثوا العهود فرارا من تبعة او خسارة ، ولطالما استحلوا ، في سبيل السيادة ، دم ذوي القربى •

لا نعود الى الماضي مستشهدين التاريخ ولنا في هذا الزمان الامثال والبيّنات • فقد ذبح الشيخ خزعل أخاه ، والشيخ مبارك أخويه ، وبندر ابن الرشيد عمه ، ومحمد بن الرشيد أبناء أخيه الاربعة ، وأبناء عبيد الرشيد أولاد عمهم الثلاثة — كل ذلك طمعا بالسيادة •

وقد قتل في تلك السنة من ذلك التاريخ سعود بن عبيد الرشيد أخاه سلطانا وتولى الامارة بعده ، ثم ارسل الى عبد العزيز بن سعود يعرض عليه الصلح فصالحه على ما صالح عليه أخاه وابن اخته سليفه •

من نوادر الاقدار أن يقوم في العرب ، في زمان تعددت فيه هذه الجرائم الفظيعة ، من يسلك الى السيادة مسلك الشجاعة والشرف ، فلا يسلط عليهم غير سيف الحق ، ولا يجازي طغيانهم وخياناتهم ، اذا ما تابوا ، بغير الحلم والاحسان ولكن تاريخ آل سعود المعروف هو أبيض العاشية ، فلا يدنس دم ذوي الارحام •

استمرت الاضطرابات والفتن في حائل ، فنكث ابن الرشيد العهد ، وعاد البيتان الى الحرب — الى الغارات والغزوات • أما سعود ابن عبيد ، الذي لم يحكم غير سنة وشهرين ، فقد قتل كما قتل هو أخاه • ثم بعث من تولى الامارة من آل سبهان ، اخوال لبيت الرشيد ، بوفد الى عبد العزيز ، فلم تسفر المفاوضات عن سلم او ما يشبه السلم ، فأستأنف البيتان القتال •

خرج صاحب حائل فنزل الشعبية وأغار على قبيلة من مطير
السعودية فقتل رئيسها وأصاب منها مغنما . وخرج صاحب نجد يطلب
خصمه على ذاك الماء فلم يجده ، فأغار على قبائل حرب وشمر وغنم
أموالهم ، ثم عاد الى الشعبية فأقام هناك يوما « يخمس الاخماس » أي
يقسم الغنائم .

وعلم صاحب حائل بوجود ابن سعود في الشعبية فزحف اليه ،
وعلم ابن سعود بذلك فمشى حتى وصل الغروب الى مكان في النفود
يدعى الاشعلي فنزل هناك ، وشرع يتأهب للحرب ، فأخرج البدو من
المعسكر ، وأبعدهم عنه . وأخرج الحضر الى رأس النفود فتحصنوا فيها
فأمست الخيام خالية . ثم أمر بأن لا تعقل الابل التي غنموها من شمر
وحرب في الغزوة الاخيرة ، والقصد من ذلك ان يستغوي بها بوادي
العدو . ان الطمع غريزة في البدو ، فهم اذا رأوا الابعار شاردة يتبعونها
ليغنموها . والابعار اذا سمعت تطلق البنادق ، ولم تكن معقولة ، تفر
هاربة .

انتصف الليل فهجم أمير حائل على مخيم أمير نجد الفارغ فذهب
رصاصه سدى ، وفرت الابل فلحقها البادية . وقد شردت كذلك تحت
جناح الظلام بادية ابن سعود ، فلم يبق غير الحضر في الجيشين .

وارسل عبد العزيز سرية لمناوشة من هجموا على المخيم ثم
الانسحاب ففعلت ، فظنوه معها وظنوه مهزوما . ولكنه كان ورجاله
كامنين في رأس النفود ، فأغاروا عليهم عند انبثاق الفجر في ٥ ربيع
أول (٢٩ أذار) من هذا العام . وكانت هذه المفاجأة خاتمة وقعة
الاشعلي ، وكان في الخاتمة نصر لابن سعود مبين . خسر الرشيديون
عددا كبيرا من رجالهم ، وكثيرا من رواحلهم ، ما عدا ما كانوا قد غنموه
في الليلة السابقة ، وتقهقروا عائدين الى الشعبية .

أما ابن سعود فسار بحواضره الى قبته وكانت بواديه قد شردت
كما قلت ، فتبع وقعة الاشعلي هدنة كان سببها الضيق من قلة الامطار

فلم يستطع أحد من الفريقين مواصلة القتال .

ولكن ابن سعود خرج من قبه غازياً بعض عربانه العاصين في أعالي نجد ، على طريق المدينة . وعاد الى القصيم فأمر فيه ابن عمه عبد الله بن جلوي وانحدر الى الرياض ، فلما قرب من العاصمة التقى برسول من أبيه جاء يقول : « جنبوا جنبوا » . الفتنة مشتعلة في الحريق بين الهزازنة » .

والهزازنة أي آل هزّان من عنزي وهم أقارب آل سعود، أقارب ابعدون . كان قد قتل بعضاً منهم في تلك الفتنة . فارسل الامام عبد الرحمن سرية قبضت على القتلة وسلمتهم الى اخوان المقتولين فقتلوهم . ولم تـخلُ الفتنة من مآرب سياسية ، فعاد الهزازنة بعد رجوع السرية ، يشعلون نارها ، فاعتدوا على آل خثلان ، فذبحوا منهم شيخين طاعنين في السن ادعوا انهما اشتركا في قتل أخيهم الكبير محماس . أثار هذا الادعاء الكاذب غضب الامام عبد الرحمن ، فأمر ابنه عبد العزيز ان يحمل عليهم في الحال . جنبوا الى الحريق - جنبوا .

طلب عبد العزيز فرصة يومين ليزور أهله في العاصمة فكان له ذلك . وفي اليوم الثالث نزل الى الحريق ، ودعا الهزازنة لحكم الشرع فأبوا ، وهم حقيقة لا يريدون الخضوع لحكم ابن سعود . ثم دخلوا حصنهم وتحصنوا فيه ، فحاصرهم شهرين وما انفك يدعوهم لحكم الشرع وهم متمردون ، وفي ذاك الحصن ممتنعون .

عندئذ اقدم ابن سعود على عمل يعد حتى في غير البلاد العربية كبيراً ، فأمر رجاله بحفر نفق يوصلهم الى الحصن ، فباشروا ذلك وكان طول النفق عندما تم أربعين باعاً . ثم عزم أن يشعل فيه البارود فينسف الحصن نسفاً ، ولكن نساء المحصورين وأولادهم كانوا ساكنين في بيوت فوق ذلك النفق ، فارسل عبد العزيز يندرهم ويؤمنهم على حياتهم اذا هم اخلوها .

ولكن المحاصرين أبوا ، واستمروا متمردين . فإرسل اليهم رسولا يقول : « اذا كنتم لا تخرجون نسائكم واطفالكم فأنتم المسؤولون عن حياتهم أمام الله » .

ظن المحاصرون في بادىء الامر ان ابن سعود يهول عليهم بنفق وهمي ، فلما تأكدوا سلموا لتسلم عيالهم .

وعاد عبد العزيز الى الرياض ومعه زعماء آل هزّان الاّ واحدا منهم استأذن بالسفر الى حوطة بني تميم لاشغال له هناك فأذن له بذلك . ولكن أخاه راشد أحد الذين سلموا ، كتب يشير عليه بالفرار وانه لا حق به ، فوقع الكتاب بيد عبد العزيز وكانت النتيجة ان صاحبه أصبح سجيناً ، بعد ان كان ضيفاً مكرماً في الرياض (١) .

ختمت سنة ١٣٢٧ بعصيان الهزازنة وهم كما قلت أقارب آل سعود الأبعدون ، وفتحت سنة ١٣٢٨ بخروج « العرائف » وهم أقارب آل سعود الأقربون . بل هم الذين كانوا اسرى في حائل ، فجاء بهم ماجد بن الرشيد الى عنيزة ليقاتلوا أهلهم ، فخلصهم عبد العزيز من الاسر ومن القتل ، فقاموا بعدها يجازون عمله بالعصيان .

٨١٩١٠
م ١٣٢٨

قد يكون بين فتنة الهزازنة وخروج « العرائف » صلة سرية ، او ان الواحدة أوجت للآخرى . وجاء فوق ذلك الجذب يزيد بشدائد هذه السنة التي كانت تدعى « الساحوق » فخسر ابن سعود مبلغاً جسيماً من الاموال - الابل والمواشي - ولم يكن لديه ما يمكنه من الحرب والغزو .

وعقد مجلس للمذاكرة بخصوص « العرائف » فقال احد الحضور يخاطب عبد العزيز : « ادعوهم اليك للجواب ، فاذا أبوا اضربهم » ، وقد

(١) جاء راشد بعدئذ الى الحجاز وبقي فيه حتى بعد نكبة الحسين فكان مشمولاً بحلم عبدالعزيز ومكارمه . وكان ابنه عبدالله قد صاحب الملك عليا الى جدة فأقام فيها أثناء الحرب ثم فر الى مكة قبيل التسليم فاجتمع بابيه الذي كان قائد القوات البدوية هناك .

عقب على هذا الرأي آخرون . ولكن عبد العزيز لم يستحسنه فقال :
« اذا دعوتهم الي فقد يحدث بينكم وبينهم قتال ، فأكون ذابحا لذوي
القربى وهذا مكروه عندي ، دعوهم . كفانا الله شرهم » .

رحل « العرائف » ، وهم تسعة ، ورجاجيلهم وخدمهم الى الحساء
فنزلوا على العجمان اخوالهم . ولكن العجمان اعتدوا على بعض عشائر
الكويت فنهبواهم ، فهددهم الشيخ مبارك ، فالتجأوا الى ابن سعود . بل
جاء كذلك كتاب من الشيخ مبارك يسأله فيه ان يسعى في ارجاع تلك
المنهوبات .

أما ابن سعود فكان قد كتب الى ابن الهذال رئيس العمارات وابن
الشعلان رئيس الرولة ، والعشيرتان من عتري ، يستنجدهما على ابن
الرشيد ، فأجاباه الى ذلك وضرب الموعد للاجتماع . ولكن المشاكل
تعددت في الحساء ، وهي مرتبطة بعضها ببعض ، فظن عبد العزيز ان
التوسط بين مبارك والعجمان يحل مشكل « العرائف » فبادر الى تلك
الناحية وقد كان في عزمه ، بعد حسم ذاك الخلاف وحل ذلك المشكل ،
ان يستأنف السير ليجتمع بالهذال والشعلان فيشدون جميعا على ابن
الرشيد .

أما الشيخ مبارك فعندما علم بخروج آل سعود « العرائف » وانهم
جاؤوا الحساء ، ارسل نجابا الى عبد العزيز يستأذنه ليدعوهم الى الكويت
فيسعى في الصلح بينه وبينهم ، قبل عبد العزيز ولسان حاله يقول :
نصلح بينه وبين العجمان فيصلح بيننا وبين العرائف ، وجزاء حسنة
حسنة مثلها . اما « العرائف » فقد قبل اثنان منهما دعوة مبارك ، وجاء
اثنان الى عبد العزيز مستغفرين مستأمنين فأعطاهما الامان .

ولكن صاحب الكويت لم يقدم على ذلك العمل لقاء ما جاء ابن
سعود الى الحساء من أجله . بل كان هناك أمر آخر يستوجب المعروف .

ان القاريء الذي سار معنا من بداية هذا التاريخ يدرك شيئا من غوامض الشيخ مبارك السياسية ، وهو قلما كان يقدم على عمل لا سر في شطر منه في الاقل .

أما السر في توسطه بين « العرائف » و « ولده عبد العزيز سعود فهو ان رئيس عشائر المنتفق في العراق سعدون المنصور كان قد جهز حملة عليه - حملة كبيرة لا يستطيع مقاومتها ناهيك بغلبتها - فأسلف عبد العزيز المعروف ، ثم ارسل يستنجد به على السعدون :

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

الفصل الرابع عشر الشيخ مبارك يستغيث

أمّا وقد وصلنا الى هذا الحد من تاريخ ابن سعود عبد العزيز فلا بدّ لنا من ان نستعيد شيئا من تاريخ الانقلاب العثماني . فبعد ان دك حزب الاتحاد والترقي عرش عبد الحميد ، وأعاد الى الامة الدستور ، وأسس فيها حكومة نيابية . وبعد ان تبوأ الحزب عرش السيادة استبد واستأثر فغدا كل واحد من زعمائه عبد حميد رهيبا أغضب ذلك العرب خصوصا فقام منهم من أسسوا حزب الائتلافيين ليطالب باللامركزية صوننا لحقوق العناصر غير التركية .

ثم قام في البصرة جماعة يرؤسهم السيد طالب النقيب والشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح يؤسسون فرعا لهذا الحزب . بل كان من مقاصد تلك النهضة طرد الاتحاديين واستقلال العراق فيحكمها احد أولئك الزعماء .

أثار عملهم غضب الحكومة فأمرت سعدون باشا الاتحادي بتجهيز حملة من العشائر على الشيخ مبارك لانه أكبر الثلاثة ، ولانه في نظر الدولة ذو سوابق سياسية .

على أن الزملاء الذين كانوا قد وعدوا الشيخ بالمساعدة خذلوه فأمسى منفردا في الورطة ، فأرسل يستنجد ذاك الذي شب وترعرع في ظله . أرسل يستنجد من كان يسميه « اولدي » وقد صار زعيما كبيرا للعرب .

ولكن هذا الزعيم كان يومذاك في ورطة أشد من ورطة « والده » مبارك . ومع ذلك فقد مشى الى الكويت بجيش صغير من العربان ، وفيهم بعض العجمان .

وعندما وصل عبد العزيز كان الشيخ مبارك قد جهّز ما عنده من قوة لمحاربة السعدون فأشار عليه بالتربص وقال : « ليس بيننا وبين

الرجل خلاف حقيقي يوجب الحرب ، واني أرى مسألته اولى . المسألة طفيفة ، وأنا أتوسط بينكم وبين السعدون .

شق على الشيخ مبارك أن يسمع مثل هذا الكلام ، فازدري نصيحة « ولده » الذي طالما أمدّه بالنصائح وكان عوناً في الشدائد .

مبارك : « انت اولدي وهل يقبل الولد بأن يهان أبوه » .

عبد العزيز ، وقد عراه شيء من الخجل : « لا والله . ولك ما تريد . اني ملب الطلب ان شاء الله ولكنني اسأل والدي ان يمهّنني لاستنجد أهل نجد . ليس معي الآن غير مئتين من رجالي . أما العشائر فلست مركنا اليها في القتال » .

مبارك : « اني اجند من الكويت الجنود الكافية ، ولا أبغي منك غير القيادة » .

عبد العزيز : « اذا أنت باشرت التجنيد فابن سعدون قريب هنا وعالم باخبارنا وأعمالنا كلها . فهو اذ ذاك يتأهب لنا . ولا ريب عندي ان « شواوي » (رعاة) المنتفق كلهم يلتفون حوله . امهّني قليلاً سلمك الله . ومن رأيي ان تسيّر قوة صغيرة مع احد أنجالك فتبعد عن أطراف الكويت ، وتتربص للهجوم على ابن سعدون يوم تتفرق عشائره وسننال مرامنا منه بحول الله .

ما راق هذا الكلام الشيخ مبارك فأصر على تجنيد الجنود وعلى

خروج ابن سعود معهم ، ففعل مكرهاً . اما جيش الكويت الذي كان رئيسه جابر بن مبارك فقد كان مؤلفاً من الفين من الحضر ، وأكثرهم من الشبان الناضرة وجوهم ، النادرة شجاعتهم ، وأربعة الاف من البادية ، ومئة وخمسون فارساً . أضف اليه عربان ابن سعود والمئتين من رجاله فيبلغ عدده كله نحو سبعة الاف .

١٣٢٨ هـ
١٩١٠ م

لما بعُد هذا الجيش مسافة يوم من الكويت جاء رجل من كبار
عرب الظفير يدعى الضويحي ليسأل ابن سعود ان يتوسط بينهم وبين
ابن الصباح . وقد اكد له ان السعدون وعرب الظفير يقبلون بذلك .

عرض عبد العزيز الامر على جابر الصباح فأجابه قائلا : « اني لا
أعهدك جباناً » : فغضب عبد العزيز وقال : « سترون غداً . غدا تظهر
الجبانة فتعرفون اين هي » .

واستمروا في هذا اليوم سائرين ، فواصلوا السير بالسري ، وكان
سعدون باشا قد علم « بزحفهم فأسرى كذلك بعشائره يريد الهجوم .
وقد كان عدد جيشه يوازي جيش الكويت ، بيد انه كله من عشائر
المنتفق والظفير والبدو وغيرها . وأكثره من الخيالة .

نام عربان سعدون في الطريق ، ولكنهم عندما أحسوا بقرب
الكويتيين أفاقوا وتراجعوا الى مقر القيادة كي لا يتصادموا وإياهم ليلاً :

ولما أصبح الصباح تكلم عبد العزيز : « اسمع يا جابر . من رأيي
أن تأمر البدو بالانغارة على سعدون وجماعته ، وتبعدهم عنا وتشغل
العدو . اني والله في ريب من أمرهم . اذا سيرناهم أمامنا نأمن خيانتهم »

لم يستحسن جابر هذا الرأي . وأصر على أن يكون الهجوم عاماً ،
فقال عبد العزيز يخاطب أخاه الأصغر سعداً : « اني لا أرى لهذا الجيش
غير الهزيمة . قف معي وقومنا على حدة لنتمكن عند الحاجة من الدفاع
عن أنفسنا . اليوم يوم دفاع يا سعد لان هؤلاء الناس لا رأي لهم ، ولا
هم يقبلون النصيحة » .

عندما رأى جابر ان ابن سعود وقومه اعتزلوا الجيش لامهم قائلاً :
« انتم اخواننا والاخوان في الحرب لا يججمون » . فخجل عبد العزيز
وأمر أخاه بالاشتراك في الهجوم .

وكانت الفاتحة للخييل ، فأغارت خيالة ابن الصباح ، وهم مئة
 وخمسون على خمسمئة من فرسان السعدون . فكر هؤلاء عليهم كرات

سريعة شديدة هائلة ، فانهمزوا هزيمة شنيعة ، وانهزم معهم جابسر وجيشه بدون قتال ، ولم يبق مع ابن سعود الا عشرة فقط من الخيالة رجائيله . أما البقية ففروا مع الفارين ، وقد تركوا وراءهم كثيرا من الحلال والمال - من الامتعة والابل والخيول - فكانت لجيش السعدون هدية من جيش الكويت . وقد دعيت هذه الوقعة ، التي جرت في صباح اليوم الاول من جمادي الثانية من هذا العام (١٠ حزيران ١٩١٠) بوقعة هدية .

لحق عبد العزيز بجابر وقومه المنهزمين فأدركهم في عصر ذاك النهار وقال يهون الامر عليهم : « هذه عادات الرجال والحرب سجال » . ولكن الشدة أنستهم التهكم . فبينما هم سائرون ضلوا الطريق ، وكان قد ادركهم فوق الهزيمة الجوع ، ولم يكن لديهم شيء من الزاد . ثم جاءتهم رحمة الله فالتقوا بأباعر شاردة من حملة ابن سعود ، وهي تحمل شعيرا ، فاطعموا الخيل احمالها ، ونحروها ليطعموا أنفسهم . وقد رافقتهم الرحمة في اليوم التالي ، اذ علم فيصل الدويش بقربهم منه فجاء بأهله يلاقيهم ، فنصب الخيام وأضافهم تلك الليلة ضيافة كبيرة ، ثم نحر لهم ثانية في الصباح . ان بعد العبر يسرا . ولكنهم لم ينسوا تلك الهزيمة ، بل تلك الهدية - « هدية والله ، أخذنا للسعدون هدية » .

أما الشيخ مبارك فعندما بلغته اخبار تلك « الهدية » خرج الى قصره « الصرّة » يداوي كلومه ، فجاءه ابنه جابر و « ولده » عبد العزيز يهونان الامر عليه . ولكنه عقد النية على استنفار أهل الكويت ثانية - « سأجمع والله خمسة أضعاف هذا الجيش ، وسأحرق المنتفق فلا يبقى منها غير الرماد ! » .

خطر لعبد العزيز خاطر يمحو فيه كلام ذاك الغضب . كان « العرائف » قد رحلوا من الكويت . « العرائف » الذين استدعاهم

مبارك ليصلح بينهم وبين ابن سعود - فارتأى ان يجهّز احد اولاد الشيخ بجيش صغير فيسير عبد العزيز معهم ويشاع انهم ساروا يطلبون « العرائف » ، فيبلغ سعدون الخبر ، فيسرح عربانه - « فنعيد الكرة اذ ذاك عليه ، ونحن مدركونه بحول الله » .

رفض الشيخ مبارك ثانية ان يعمل برأي عبد العزيز . وكان ابن الرشيد قد هجم يومذاك على ابن الهذال وابن الشعلان ، وهما حليفان لابن سعود كما تقدم ، فأخذهما في 'جميمه' على حدود العراق ونجد . فقال عبد العزيز يستأنف الحديث : « اذا كنت تصر على تجنيد جيش كبير ، فأنا اترك عندك رعاياي من عرب مطير واعدود الى بلادي لان ابن الرشيد ، بعد انتصاره على الهذال والشعلان ، لا بد ان يزحف الى القصيم . وأخشى أيضا أن يقوم «العرائف» بحركة في الرياض فيتفاقم الامر علي . ولا اظنك تريد لي ذلك » .

وكان قد أمل الشيخ مبارك ان يغلب السعدون ولو بعون من ابن سعود المعنوي ، فندم لانه لم يقبل بنصيحتته ، فلا يعرض به في مواقف الخطر يوم ضعفه . ندم لانه لم يهول به على العدو تهويلا ويدخل الرجل للساعة قوته في الحرب . ولكنه ، وقد ادرك هذه الحقيقة الان ، رفع الحجاب عن نفسه المتألمة عند استماعه كلمات عبد العزيز الاخيرة - « اذا رميتني اليوم يا ولدي فليس لدي أحد ينهض بي ، فيتمكن مني العدو . أنا والدك يا عبد العزيز ، ولي عليك حق المساعدة ، والبلد بلدك وله عليك حق الدفاع . . . ابق- عندي ولا تخرج مع الجيش - ابق عندي فأتسلى بوجودك معي » .

أجل ، قد تجلت له الحقيقة التي حجبها عنه في أول الامر الوهم والغرور ، وهذه الحقيقة هي ان مجرد وجود ابن سعود عنده مفيد . فطلب منه ذلك وكان في طلبه بليغا ووديعا .

- « ابق- عندي ثلاثة أشهر فقط » .

قال عظمة السلطان لمؤلف هذا التاريخ : « استحييت منه بعد هذا الكلام وبقيت » .

وكان مبارك أثناء تلك الثلاثة أشهر مطمئنا فلم يهاجمه السعدون ولكن فوائد قوم عند قوم مصائب . فقد كان ابن سعود في قلق دائم ، لان ابن الرشيد كما تقدم غلب حليفه الهذال والشعلان ، والعجمان تأمروا و « العرائف » عليه و « العرائف » اسندوا عائدين الى الرياض ، ومنهم من كتبوا الى الشريف حسين في مكة يستنجدونه على عبد العزيز أضف الى ذلك ان القيظ كان يومذاك شديدا فتفرقت البوادي وراحت تنشد المياه .

ثم حدث حادث بينه وبين بعض عربان مطير ان اعتدوا على عرب من قحطان وسبيع ولاذوا بابن الرشيد ، فأراد عبدالعزيز تأديبهم عندما جاؤوا الى أطراف الكويت ، فتصدى له الشيخ مبارك ، فكتب اليه يلومه قائلا : « كان الأجدر بك أن تساعدني عليهم وهم من قبائلي العاصية » .

اشتعل الغضب في صدر مبارك - وما كان أسرع اشتعاله - فخرج من الكويت الى معسكر ابنه جابر ، فاجتمع هناك بعبد العزيز ، وكانت أول كلمة منه مرادفة للاهانة والطرده . قال الشيخ « أظنك يا ابن سعود تبغي أهلك » . فأجابه بكلمة واحدة : « نعم » وخرج من ذاك المجلس كما دخل اليه مبارك مكتئبا متغيظا .

انها لايام عصيبة في تاريخ عبد العزيز ، تعددت فيها الاعداء والاضطراب ، وهجرته بواديه ، وكان جزاء معروفه الاهانة ونكران الجميل وهناك الطامة الكبرى ، هناك العسر المالي الذي ندر مثله في العشر السنوات الماضية من حياته .

المال ؟ قد كان في حاجة شديدة الى المال . وانه ليدهش القاريء مقدار حاجته وهو حاكم نجد وكبير العرب . حاول ان يستدين من أهل الكويت ، فاعتذروا خوفا من مبارك . ثم ارسل الى نسيبه ووكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل يطلب منه الفيليرة - الفلين فقط ويقول له أن يقبض القيمة مما تبقى عند الدولة من معاش الامام والده .

الفصل الخامس عشر

الشريف حسين يشمر الاردان

من تهكم الزمان ، وقد والى المتمرّد عليه من الناس ، ان يجيئه في
اليوم العصيب بما لا ينفعه من نوافل الحياة ، بل بما يزيد في عسره
وحزنه .

كان السلطان عبد الحميد قد منح الامير عبد العزيز ابن سعود
لقبا ونيشانا من أعلى درجات المجد عنده ، فصارت الصحف في بغداد
وفروق تنعته بالنعوت الضخمة بعد ان كانت ، في أيام نصره وعزه ،
تتحامل عليه .

غزا الامير الخطير عبدالعزيز باشا سعود القبائل « المخلة براحة
أهل السبيل فكسب شكر أهل الجميل » بعد ان غزا الامير الخطير
والزعيم الكبير عبد العزيز باشا سعود قبائل مطير وحرب توجه قاصدا
الرياض « ليجم نفسه حيناً من الزمن لأمر خطير » .

والحقيقة اولى أن يقال . فقد عاد عبد العزيز من الكويت في
أواخر هذا العام راكبا مطية الافلاس ، يحف به جيش من الغم ، وصاحب
ببرقه يدعى الياس . فتصالح وابن الرشيد - مكره أخوك
لا بطل - لكي يتمكن من استخدام ما تبقى لديه من قوة فسي
مقاومة « العرائف » اقاربه . وقد ارسل أخاه سعدا الذي لم يكن يتجاوز
السابعة عشرة من سنه الى عتيبة يستنجد رجالها لهذه الغاية .

ولكن عتيبة ولت وجهها شطر مكة ، فانحازت الى الشريف
حسين . مضيف بعض « العرائف » ومكرمهم ، اكراما لابن سعود ! -
« ليس بيننا وبين ابن سعود ، ايها النجيب ، غير ما يوجبه حسن الجوار
وهذا لا يخفى على نباهات كمالات نجابتكم » .

لم يكن والحق يقال ، بين الحسين وابن سعود عدااء في تلك الايام

يجر الى الحرب او يقضي حتى بالغزو . ولكن الشريف كان مواليا للاتحادين ، ساعيا في اكتساب ثقتهم ، طامعا بالسيادة له ولانجاله . وكانت الحكومة قد فقدت الثقة ببيت الرشيد بعد ان تعددت فيه الجرائم العائلية والسياسية ، فأدارت بنظرها الى الحسين وهي ترجو ان يستميل في الاقل ابن سعود اليها . ولا ريب ان الشريف وعدّها بأكثر من ذلك .

خرج الحسين من الحجاز بجيش من البدو والحضر في رجب من هذا العام ونزل الكويعية « ديرة » عتيبة . وراح سعد الكويعية خرج اليه فصيلة من خيالة عتيبة ، فظنهم جاؤوا يلاقونه ، ويرحبون به . ولكنه ، عندما دنوا منه ، أدرك قصدهم الحقيقي . ولم يكن معه غير أربعين رجلا فركب وعشرة منهم الخيل وقفلوا راجعين ، فلحق أهل عتيبة بهم ، وهم يؤمنونهم قائلين : « نحن خدامكم ، قفوا ولا تخافوا » . صدّقهم سعد ، ولم يصدقهم رجاله . فوقف بالرغم من تحذيرهم ، فقبض بنو عتيبة عليه وأخذوه أسيرا الى الشريف حسين .

وكان عبد العزيز قد تأهب لمحاربة « العرائف » بالحريق عندما اتصل به هذا الخبر ، فترك أربعمئة من رجاله بقيادة فهد بن معمر في الخرج ، وكر راجعا يستنجد أهل نجد ، وينقذ أخاه .

أما الشريف فبعد أن أسر سعدا رحل من الكويعية شمالا فنزل الشعري ، ثم زحف من الشعري شرقا فنزل ماء قريبا من الوشم . ولكنه عندما علم ابن سعود قد وصل بجيشه الى ضرمى تراجع غربا فنزل على ماء يدعى العرجاء وارسل يستنجد ابن الرشيد . فكتب وكيل الامارة زامل السبهان الى عبد الله بن جلوي أمير القصيم يقول : « ان بيننا وبين الشريف معاهدة تضطربنا الى مساعدته » . أما عهد الصلح بينهم وبين ابن سعود فان هو الا قصاصة من الورق .

ثم يكن الشريف ليقصد من هذه الحرب بل هذه المناورات ، غير ازعاج ابن سعود واكراهه على ما يريد وقد كتب اليه ، وهو يفر ويكر من ماء الى ماء يؤكد ذلك • - اذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والخيام وعدنا بأخيك سعد الى مكة فيبقى عندنا الى أن تطلب الصلح •

أما الصلح فشروطه بيد الشريف حسين ومن غرائب الاتفاق ان خالد بن لؤي أمير الخرمة كان يومذاك الوسيط بين الاثنين • وخالد هذا وأهله ، وان كانوا من أشراف الحجاز ، هم منذ القدم على ولاء وآل سعود • فقد تمذهبوا بالمذهب الوهابي في أيام سعود الكبير وظلوا متمسكين به محافظين عليه •

جاء خالد الى عبد العزيز يعرض عليه شروط الشريف • ولم تكن غير شروط الدولة التي كانت تطلب ان يعترف بسيادتها ولو اسميا في نجد أو على الأقل في القصيم ، وطلبت فوق ذلك ان يدفع ابن سعود شيئا من المال ، جزية التبعة ، كل سنة •

انه لأمر مضحك عجيب ، ابن سعود يستدين من نسيبه ووكيله في البصرة ما يسد به حاجته ، ويحيله على الدولة ! والدولة تسعى بواسطة الشريف ان تدخل ابن سعود في تبعتها فتتقاضاه بدل ان تدفع له المسانهاة •

جاء خالد يحمل شروط الصلح • وخالد بدوي على شيء من الذكاء والدهاء • اسمعه يخاطب عبد العزيز فيقنعه :

- « اسمع يا عبد العزيز انا اعلمك ، انه لا غاية سيئة للشريف والله • ولكنه يبي (يبغي) أن يبيض وجهه مع الاتراك • فاكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك • وأنا أتعهد برجوع سعد ، واتكفل ان الشريف لا يتدخل في امور نجد - هذا اذا كنت لا تتجاوز الحدود • أما

اذا هو اعتدى عليك فأنا خالد بن لؤي اعاهدك عهد الله عليه ، فأكون
معك والله كما كان ابائي مع ابائك وكما كان أجدادك مع أجدادي » ! .

قبل عبد العزيز بتوسط خالد وكتب له « قصاصة ورق » تنفع
الشريف عند الترك ولا تضر كاتبها . فقد تعهد فيها ان تدفع بلاد نجد
للدولة ستة آلاف مجيدي كل سنة .

وكانت ما هي غير قصاصة ورق ...

الفصل السادس عشر

العرائف والهزازنة

يذكر القارىء ان أبناء سعود بن فيصل الذين احتربوا وعمهم
الامام عبدالله، كانوا مقيمين في الخرج فصار لهم في تلك الناحية اشباع
وأنصار ويظهر ان النزعة الى العصيان ظلت تتقد في صدور اولئك
السعوديين الذين أسرهم في ذلك الحين ابن الرشيد وخلصهم من أسر
ابن عمهم عبد العزيز . والآن ، عندما عادوا من الكويت والاحساء ،
نزلوا الى الخرج يريدون الاستيلاء عليه .

ولكن أهل تلك الناحية ، وأميرهم اذ ذاك فهد بن المعتمر ، صدوهم
عن ذلك ، وطردهم في اليوم الثاني من وصولهم ، فرحلوا الى حيث
اشتعلت منذ سنتين فتنة الهزازنة - الى جهات الحوطة والحريق .

أما الهزازنة الذين كانوا أسرى في الرياض فكان عبد العزيز قد
اطلق سراحهم واذن لهم بالرجوع الى بلادهم ، اكراما لامير قطر قاسم بن
ثاني الذي توسط من أجلهم . فعندما جاء « العرائف » بعد ان طردوا
من الخرج ، رحب الهزازنة بهم ، وتعاهدوا واياهم ، فتوحدت القوى
والمقاصد .

وكان قد انضم اليهم اناس آخرون في الحوطة ، فمشوا معهم الى
الحريق ثم هجموا على القصر ، وفيه سرية لابن سعود ، فحاصروه سبعة
أيام واستولوا عليه .

أما ابن سعود عندما عاد من القصيم ، بعد ان صالح الشريف
حسين وخلص أخاه سعدا من الاسر ، جاء توا الى ناحية الحريق الذي
كان قد استولى عليها العرائف والهزازنة ، ومعهم جمع كبير من البادية .

تقع الحريق في واد بين جبلين وليس لها غير طريق واحد ،
فأسرى فيه عبد العزيز ليدخل البلدة ليلا على حين غرة . وعندما وصل
في اليوم التالي الى قصر قريب منها نزل هناك وأمر جيشه الذي لم
يكن يومذاك غير ألف ومئتين من الحضر ، أن يعسكر ويستعد لحصار
طويل .

ولكن خيالة العدو في جولة من الجولات اصطدمت بفصيلة من
خيالته فكانت الشرارة التي اضرمت نار الحرب .

هجم حضر عبد العزيز هجمة واحدة على الحريق ولم يقفوا حتى
استولوا عليها وعلى بلدة أخرى اسمها مفيجر . فشرذ آل سعود
« العرائف » على خيلهم ، والتجأوا الى أهل الحوطة فردوهم خائبين ،
فرحلوا اذ ذاك الى الافلاج .

وكان في السبيح هناك أخوهم فيصل ، وفي ليلا (١) أحمد
السديري من قبل ابن سعود ، فاحترب الاثنان قليلا قبل وصول
« العرائف » .

أما عبد العزيز فبعد انتصاره في الحريق زحف جنوبا فنزل نعام،
قرية في الطريق ، وأراد الجيش ان يهجم على الحوطة فيكتسحها فأبى
ذلك قائلا : « لا أسعى في خراب بلدين من بلادي في يوم واحد .
سأقدم لأهل الحوطة الصلح وأعطيهم الأمان . لعل الله يهديهم سواء
السبيل » .

أما الامان فظفروا به شكرا لعالمهم ورؤسائهم الذين خرجوا الى
عبد العزيز وقد عقدوا المحارم في رقابهم . ولكن أهل الحوطة برابرة
قتلة لا يضعون على الرقاب ، ولا يفهمون في العقاب ، غير السيف . ومع
ذلك فقد صفح عبدالعزيز عنهم مشروطا أن يدخل بجيشه البلد، فدخل
ظافرا ، ثم زحف الى الافلاج .

(١) ليلا قاعدة الافلاج . والسبيح بلدة من بلدانها فيها مياه جارية .

وبينما هو على ماء في الطريق جاءه رسول من أميره السديري يقول انه حين وصول العرائف الى السبيح علم أهل البلدة بما جرى في الحريق ففروا هاربين . وقد تركوا فيها أمتعتهم وأموالهم ، فغنمها السديري عند احتلاله تلك الناحية .

ولكن سعودا بن عبدالله ، أحد « العرائف » وعبد العزيز الهزاني الذي فر هاربا بعد فتنة الهزازنة الاولى ، ومعهم ثلاثون رجلا ، هجموا على السبيح ، بعد أن هجرها أهلها ، دون ان يعلموا بما جرى في الحريق ، فقبض السديري عليهم كلهم والقاهم في السجن .

وصل عبد العزيز ، فاطلق سراح سعود بن عبدالله ، وخيره في أمرين أما الهقاء عنده او الالتحاق باخوانه ، فاختار البقاء (هو سعود العرافة وكان موجودا في الرياض وسعود الى ذكره) ولكن الذين شردوا من العرائف ، الا واحدا كان قد سار الى الحسا ليستنهض البادية هناك ، رحلوا الى مكة ولاذوا بالشريف حسين .

وأما الهزاني وجماعته المأسورون فقد عفا عبد العزيز عن راشد (١) منهم وأمر بقتل الآخرين . انها المرة الاولى التي حلت القسوة محل الحلم في حكمه . ولا غرو ، فقد سبق منه الاحسان ، وتكررت منهم الاساءة :

ووضع الندي في موضع السيف بالعلی
مضر كوضع السيف في موضع الندي

(١) راجع صفحة ٢٠٣ .

الفصل السابع عشر

لا نصر ولا انكسار

لم تنج البلاد العربية بما اعتري الاتحاديين العثمانيين من عوامل الضعف والفساد ، فذهبت هيبة السلطتين المدنية والعسكرية ، وضعفت الثقة بأولي الامر سواء من الترك كانوا أم من العرب . على أن العصبية في بعض القبائل حالت دون التفكك في الامارات والاحكام . فقد راودت حكومة المدينة عربان الحجاز ، وساومت حكومة بغداد عشائر العراق ، وشاركت حكومة الحسا رؤساء البدو المجرمين ، ولكن شمر ظلت الركن المكين لأبن الرشيد ، ومطير العضد الاكبر لابن الدويش ، والمنتفق القوة الثابتة لابن السعدون ، وظلت الظفير كتلة واحدة بيد ابن سويط .

بيد ان شيوخ هذه القبائل كانوا يوما احلافا بعضهم لبعض ويوما أعداء . فقد تصالح مثلا وتحارب السعدون وابن سويط مرتين في مدة قصيرة ، وكان ابن الرشيد صديق الاثنين اليوم وعدو هذا أو ذاك .
غدا .

أما ابن سعود فحالاه في سنتي ١٣٢٩ و ١٣٣٠ (١٩١١ و ١٩١٢ م) حال المصارع الذي يستوي واقفا قبل ان تلمس يده الارض . وبكلمة اخرى قد كان ، على ضعفه ، القوة الوحيدة التي لم تستطع الاخصام أن تغير هدفها او ان تلصقها بالحضيض - بل كان ، على ضعفه ، يضرب في فترات التنفس الضربات المدوخة ، وفيها البرهان ان هناك قوة ، وان أنهكت ، لا تغلب .

فقد مرّ وهو عائد من الافلاج بقبائل من الدواسر عاصين فأدبهم،

ثم سار الى الحساء ، بعد ان استراح بضعة أيام في الرياض ، فضرب العاصين من العجمان هناك وأحسن التأديب (١) .

وبينا هو في جهات الحساء ، سمع الشيخ مبارك يستغيث فقد جاءه وفد من الكويت بكتاب من « والده » مشفوع بذلولين ، وجاء في الكتاب : « اني مرسل اليك ذلولي وقد كنت اركبهما الى الغزو . وأنا الآن عاجز عن الركوب والمغازي . . . انا والدك يا عبد العزيز ، والدلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي وهما يطلبان منك ان تأخذ بشار والدك من ابن السعدون » .

فأجاب عبد العزيز ان مشاكله كثيرة ، وعشائره متقلبة ، فيخشى الخيانات بعد ان اجتمع له الامر في بلاده . وهو يضطر والحال هذه ان يستخدم كل ما لديه من قوة في معالجة مشاكله الداخلية ومنها في ذلك الحين مسألة تركي بن سعود العرافة الذي انحدر الى الحساء من الخرج ، كما قلت في الفصل السابق ، يستنهض العجمان . وقد انضم اليه آل سقران فخذ منهم .

لم يهم الشيخ مبارك ذلك ، فرفض عذر عبد العزيز . ولكنه كان يحسن التأوّه والاستغاثة ، فكتب ثانية الى « ولدي » : انا أصيح واناديك وأنت يا ولدي تصم اذنك . ابمثل هذا يعامل الوالد ؟ أتتهجرني يوم شدتني فيساعد هجرك العدو علي ؟ اسمعني يا ولدي يا عبد العزيز اسمعني اصيح واناديك الخ . . . »

سمع عبد العزيز فاستنفر عشائره ليلبي النداء ، ومشى بعد ذلك بجيش مؤلف من الف وخمسمئة من الحضر وخمسة الاف من البدو ، يصحبه اثنان من أبناء الصباح هما سليمان الحمود وعلي الخليفة . راح ينتقم « لوالده » من ابن السعدون وابن سويط .

وكان قد اعلم الشيخ مبارك بمسيره وانه سينزل الحفر . ولكن

(١) التأديب هو العقاب والغرامة ويكون غالبا بدون حرب .

العدو أثناء ذلك انقسم الى قسمين ، فاحترب أهل الظفير وأهل المنتفق بعد ان كانوا متحالفين ، ولذلك أسباب عربية وتركية . أما العربية فهي مألوفة وتكاد تكون طبيعية ، وأما التركية فمنشأها النزاع بين الاتحاديين والائتلافيين . وقد كان هذا النزاع يمتد الى العشائسر بواسطة رؤسائها ، فيتذرعون به ليثار بعضهم من بعض ، وندر فيهم من ليس له على الآخر ثار .

علم الشيخ مبارك بما جرى بين عدويه . وبما ان حمود بن سويط كان أميل الى الائتلافيين منه الى خصومهم ، فقد كتب اليه يخبره ان ابن سعود زاحف عليه ويحذره منه . انه لانقلاب سريع ، مدهش منكر . علم به عبد العزيز أسفا متجملا ، وعلم كذلك ان القصد منه ان يسترضي مبارك ابن سويط ويستعين به على سعدون الاتحادي المبدأ .

ولكن الخبر أشعل الحمية في رجال ابن سعود فنادوا بالهجوم على صاحب الكويت : « هو عدو لنا يا عبد العزيز . بل هو عدو الله . كيف يطلب منك الهجوم على ابن سويط ثم يخبره بذلك ليكون على حذر . رخص لنا فتجري الدماء كالانهر في أسواق الكويت ! »

هدأ عبد العزيز من روعهم قائلا : « قد قمنا نحن بما علينا . اما هو فقباحة عمله عليه » .

ولكن ابن سويط لم يشأ ان يعادي ابن سعود فارسل اليه يطلب العفو فعفا عنه . ثم توجه ناحية الزبير فورد كابدة ووجد هناك أغناما كثيرة لابن سعدون فغنمها كلها . واستمر سائرا الى سفوان (١) فلاقاه في الطريق رسول من والي البصرة ومعه وفد من أهل الزبير ، فاكرموه وقدموا له الهدايا الثمينة من الحكومة ومن الاهالي . وبكلمة اخرى جاؤوا خائفين مستعطفين ، فأمر ابن سعود جيوشه بأن لا يعتدوا على أحد وان لا يؤذوا أحدا في اطراف الزبير والبصرة .

(١) كابدة وسفوان مآان على حدود الكويت ونجد في الطريق الى البصرة .

ثم جاءه الى سفوان عبد العزيز الحسن من قبل الشيخ مبارك بمهمة جديدة . قد كان لمبارك عدد من « الشواوي » أي رعاة الغنم في تلك الانحاء لا يأخذ منهم ذبيحة (١) وهم يوما من رعايا العراق ، ويوما من رعاياه ، فكتب الى عبد العزيز يقول : « اريد منك ان تهجم على هؤلاء الشواوي وتأخذهم او تأخذ خيولهم وسلاحهم » . لم يخف على عبد العزيز القصد من ذلك . فقد أراد مبارك ان يسترضيه ، وأراد من جهة اخرى ان يحرك عليه حكومة العراق . ولكن عبد العزيز لم يمكنه من تحقيق قصده بل قصديه .

قفل من سفوان راجعا الى الكويت ، فرفض قومه ان يرجعوا معه « لا يدخلها والله غير محاربين » . أبى عبد العزيز ذلك عليهم ، فمشوا معه طائعين حتى وصلوا الى الجهري ، فنزلوا فيها ، وقد جاء الشيخ مبارك يسلم على « ولده » فاعتذر عما بدا منه دون اسهاب في التصريح ، وقبل عبد العزيز العذر دون عتاب .

ثم سار يقصد الى الحساء ، وكان قد كثر فيها وفي جوارها الاشقياء ، فبلغه وهو في الطريق ان العجمان العاصين هجموا على عرب من عربان فيصل الدويش وأخذوا عددا كبيرا من الايل هي لرجل من الموصل اسمه « ذو النون » كان في ضيافة ابن سعود ، فسارع عبد العزيز الى مقاتلة المعتدين .

ولكنه أخبر انهم على ماء قريب منه ، فراح يطلبهم هناك ، فادركهم وأخذهم جميعا . ثم علم انهم غير المذنبين ، وانهم أبرياء ، فأعاد اليهم كل ما أخذ منهم وأخلي سبيلهم .

أما المذنبون ورئيسهم تركي العرافة ، فكانوا قد التجأوا الى سلطة الاتراك في الحساء ، فأخبروها ان « ذا النون » من رعاياها في الموصل ، فارسلت الحكومة تحتج على ابن سعود ، وتحذره من التعرض لقبيلة العجمان . فأجاب ان في تأديبه هذه العشيرة خير للناس وللحكومة .

ولكنه لم يشأ يومذاك ان يغضب الترك في الحساء فتركهم وشأنهم .

(١) ويقال الذبيحة والميحة ، فالميحة من ماحه عند الأمير أي شفع له . والذبيحة أي عدد من الانعام يقدمها البدو للأمير في سبيل الشفاعة .

الفصل الثامن عشر

الاتراك والوحدة العربية

تخبطت حكومة الاتحاديين في دياجي الانانية خبط عشواء وتلطخت ايدي زعمائها بدم الابرياء ، فنفرت منها جميع العناصر غير التركية ، بل ثارت عليها فئة معتدلة من الاتراك انفسهم ، ولكنها لم تظفر بشيء يذكر . ولا ظفرت الحكومة بأمنية من امانيتها القومية أو الوطنية . فقد حاولت تتريك العرب فباءت بالفشل ، وحاولت استرضائهم بعد ذلك فكانت كالنافخ في الرماد .

فأدت تلك السياسة الى الحرب الاولى بعد الدستور، بل الى الخسارة الاولى من الممالك العثمانية . وانتصرت ايطاليا ، باحتلالها طرابلس الغرب . ولكن الذي يهمني في هذا الصدد هو ان اميرا من امراء العرب اي السيد الادريسي كان حليف الاجانب على الاتراك ، وظل الامراء الكبار الآخرون ، ما عدا الشريف حسين على الحياد في تلك الحرب .

حتى ان الامام يحيى عدو الادريسي ظل ساكنا ، فلم يفتنهم الفرصة للفتك بالادارة واتباعهم . وجل ما كان من «اخلاصه» للدولة انه اذن لعساكرها ان تجتاز بلاده لتسقط على الادريسي من الجبال فتجتز ساقه جيشه .

ثم طلبت حكومة الاتحاديين المعونة من ابن سعود ، وتعهدت ان تقدم له كل ما يحتاج اليه من السلاح والذخيرة والمال ، فرفض الطلب . وقد كتب الى الحكومة كتابا يقول فيه انه عربي فلا يحارب العرب من اجل الدولة، وانه والادريسي على ولاء، وأن البلاد على كل

حال بعيدة عنه فلا يتمكن من محاربة اهلها .

عادت الحكومة فطلبت منه ان يخص الاحساء بعسكر عربي لحماية تلك الناحية او بالحري لحماية الرعايا الاتراك فيها ، فرفض ذلك ايضا .

ثم كتب اليه والي البصرة سليمان شفيق كمالي باشا ، الذي كان حاكما عسكريا في عسير (١٩٠٨ - ١٩١٢) يسأله رأيه في امراء العرب ، وفي انشقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية . فكتب ابن سعود اليه جوابا صريحا فيه البرهان على انه كان منذ ذاك الحين يفكر في الوحدة العربية . والى القارىء خلاصة هذا الجواب . قال ابن سعود يخاطب والي البصرة :

« انكم لم تحسنوا الى العرب ، ولا عاملتموهم على الاقل بالعدل . وانا اعلم ان استشارتكم اياي انما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي . وهاكم رأيي ، ولكم ان تأملوه كما تشاؤون . انكم لمسؤولون عما في العرب من انشقاق ، فقد اكتفيتم بان تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك . قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته ، وقد فاتكم ان صاحب السيادة لا يستقيم امره الا بالعدل والاحسان ، وقد فاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ولا يباليون اذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم . اردتم ان تحكموا العرب فتقضوا اربكم منهم فلم تتوقفوا الى شيء من هذا او ذاك . لم تنفعوهم ولا نفعتم انفسكم .

وفي كل حال انتم اليوم في حاجة الى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في اموركم الجوهرية . اما ما يختص منها بالعرب فاليكم رأيي فيه : اني ارى ان تدعوا رؤساء العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، الى مؤتمر يعقد في بلدة لا سيادة ولا نفوذ فيه للدولة العثمانية لتكون لهم حرية المذاكرة . والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتألف . ثم تقرير احد امرين ، اما ان تكون البلاد العربية كتلة

سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد ، واما ان تقسموها الى ولايات ، فتحددوا حدودها وتقيموا على رأس كل ولاية رجلا ذا كفاية من كل الوجوه ، وتربطوها بعضها ببعض بما هو عام ومشترك من المصالح والمؤسسات .

وينبغي ان تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً إدارياً وتكونوا انتم المشارفين عليها . فاذا تم ذلك فعلى كل امير عربي ، او رئيس ولاية ، ان يتعهد بان يعاضد زملاءه ويكون وياهم يسداً واحدة على كل من تجاوز حدوده ، او أخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم .

هذي هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ، ويكون فيها الضربة القاضية على اعدائكم .

فاستحسن والي البصرة الرأي فأرسل به الى الاستانة . ولكن اولي الامر هناك لم يستحسنوه ، بل سفهوه قائلين : « يريد ابن سعود ان يجمع كلمة العرب بواسطتنا ولخير نفسه » .

وكانت سياستهم مبنية على ظنهم ، فشرعوا يقاومون فكرة الوحدة سرا وعلنا ، بمساعدة عمالهم مباشرة وبواسطة بعض امراء العرب وقد كان يومذاك جمال باشا في بغداد ، والشريف حسين في مكة وابن الرشيد في حائل في مقدمة من يسمعون كلمة الاستانة ويطيعون .

اخذ الشريف حسين يحرض على ابن سعود القبائل ومنهم عتيبة . ثم جهز جيشاً لراشد الهزاني (١) الذي كان قد اجأ « العرائف » اليه ، وسيره على الحريق ، وقد امد « العرائف » كذلك في محاربة نسيبهم صاحب نجد . فأرسل عبد العزيز صالح باشا العذل الى الشريف ومعه هدية من الخيل وكتاب جاء فيه : اننا نستغرب منكم هذا العمل وبيننا وبينكم معاهدة !

وكان جيش ابن سعود قد أقار على فخذ من عتية المتشيعة للعرائف ، فغضب الشريف لذلك ورد صالح العذل خائبا ، ورد فوق ذلك الهدية . فخرج العرائف على ابن سعود . وقد ختمت هذه السنة بخيانة مطير ورئيسها فيصل الدويش الذي استغواه عجمي السعدون واستنهضه وعربانه على محاربة الظفير اما اليد الخفية في هذه الخيانة فهي يد الاتراك ، واما الصوت فهو صوت المستتركين من العرب ...

الفصل التاسع عشر

فتح الحساء

ان خلاصة ما تقدم في ما يختص بالاتراك هي انهم كانوا في عهد الدستور يناوؤون العرب ، وبالاخص من يحاول ان يجمع كلمتهم ويوحد سياستهم، اي ابن سعود . فقد حرضوا عليه الشريف حسين، وابن الرشيد، وابن السعدون، واستغفوا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير ، ناهيك بالعجمان في الحساء وحرب في اطراف الحجاز .

اجل قد بلغت العداوات في بدء هذا العام اشدها فسارع ١٣٣١ هـ
عبد العزيز الى تحقيق ما كان يبغيه . خرج في شهر ١٩١٣ م
ربيع الاول من الرياض ورحلته الحساء ، فنزل على ماء الخفس حتى اخر الشهر ، واغار اثناء ذلك على عربان من بني مرة مذنبين فاخذ مواشيهم . على ان الغرض من هذه الاغارة لم يكن محصورا بظاهره .
تقدم بعد ذلك الى الحساء ، فارسل الاتراك يستطلعون خبره وقصده ، فقال : « انما قصدي الامتياز » (شراء الامتعة والزاد)
والحقيقة هي انه ابتاع ما كان في حاجة اليه للجنود ، وعاد الى الرياض تاركا عسكره في الخفس .

وفي ذاك الحين وصل الى عاصمة نجد ، قادما من الشام بطريق الجوف ، رجل انكليزي اسمه ليتشمن (١) فسأله ابن سعود: «ما هو

(١) مو Col. Gerard Leachman الذي عين بعد ذلك مستشارا في حكومة العراق وقد كان الكولونيل ليتشمن من عيشة اهل السواد في العراق اي انه كان يتقن لغة البدو ويلبس لبسهم ويركب مركبهم ويجلس جلساتهم ويفتح مضيفا مثلهم يعالج شؤونهم كواحد منهم ويقضي ويفصل بشرعهم وقضائهم ولكنه كان عصيا سريع الغضب وقصاري الامر لما اشتعلت نيران الثورة كسان حاكما سياسيا في لواء الدليم وقد دعا اليه مرة الشيخ ضاري شيخ قبائل الزوبع

القصء من سياحتك ؟ » فاجاب قائلا : اني جغرافي واريء ان تساعدني لاجتياز الربع الخالي من واحة جبرين الى عمان .

عبد العزيز : « ان قءومك الينا على هذا الوجه خطأ ، فلا علم لنا به وليس معك توصية من الحكومة البريطانية » .

ليتشممن : « اني رجل انكليزي طالب علم ، وانتم مشهورون باكرامكم الانكليز خصوصا العلماء منهم » .

لم يتاكء عبد العزيز حقيقة ما اءعاه الرجل ، بل ظن انه يتجسس للاتراك . وبما انه اعتزم الهجوم على الحساء ، وكان قد خامر الترك بعض الريب في امره ، رأى ان يستخدم هذا الجغرافي لازالة ذلك الريب فيطمئن البال من هذا الخصم ، ويسير مطمئنا الى غرضه .
لذلك قال : « لا يستطيع ان يجيب طلبك غير الترك في الحساء ، فأرى ان تذهب الى المتصرف هناك . وانا اكتب اليه بخصوصك » .
ومما قاله في كتابه : « ان هذا الرجل مجهول لدينا ، وهو واصل اليكم فلكم في ما ينبغي الرأي الموفق ان شاء الله » .

رحل ليتشممن ، وبعد قليل شد ابن سعود راجعا الى معسكره في الخفس . فكان اول ما باشر به انه سعى في ابعاد العجمان لانهم رواد مطامع سياسية في الحساء وقد لا يوافقون على احتلالها . وبما انهم وعرب مطير « قوم » اءداء سيرهم الى الشمال لمحاربتهم لانهم انضموا الى عجيبي السعدون .

الضاربة في نواحي الفلوجة الرمادي ولواء الدليم وجرى بينهما الحديث فذهبا فيه المءاهب المختلفة وكان ابن الشيخ ضاري المذكور قائما بين يءي ابيه . وقد اءى بهما الحديث الى ان يهءء الكولونيل ليتشممن الشيخ ضاري تهءيدا شءيدا من اجل الثورة ولقد حمي وطيس الجءال بينهما فأءى بالكولونيل لان يضع يءه على مسءسه مهءءا متوعءا ولكن ما كاءت تصل يد الكولونيل الى مقبض المسءس حتى كان رصاص ابن الشيخ الهب دماغه فخر الى الارض سريعا . وكان ذلك في ١٢ اب سنة ١٩٢٠ .

ثم زحف الى الحساء فالتقى في الطريق بنجابه من حكومتها يحمل كتابا اليه من المتصرف وفيه الرجاء ان يعلمه من اية الجهات جاء الانكليزي الى الرياض . فقال ابن سعود للنجابه : وغدا ان شاء الله انا بنفسني اعلم المتصرف » .

ذكرت اهم الاسباب التي حملت ابن سعود على فتح الحساء . وهناك سبب آخر لا يقل اهمية عما تقدم منها ، فقد عجل في الاقل بنتيجتها . كان جمال باشا - جمال المشانق السورية اللبنانية بعينه - يومذاك واليا في بغداد وكان يجامل ابن سعود ويتظاهره بصداقته ، فوعده بالسعي في حسم الخلاف بينه وبين الشريف حسين ، وسأله ان يرسل مندوبا الى بغداد للمذاكرة في هذا الامر . ارسل ابن سعود رجلا من رجاله العصريين هو احمد بن ثنيان(١) ولكن جو السياسة العربية تغير اثناء ذلك، فسقط فيه نور ابن الرشيد وكان النور شبيها بوهج الاصفر الرنان . جذب الجمال الى ابن الرشيد ، وعندما وصل ابن ثنيان الى بغداد وجده غير جميل، وسمع كلاما لا منطق فيه ولا حكمة .

« ابن سعود لا يعرف مقامه ، وقد غره ان صفح عنه المشير فيضي باشا . فاذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة، فان في امكاني ان اخترق بلاد نجد من الشمال الى الجنوب بطابورين ، بطابورين لا غير » .

عاد احمد يحمل هذا الكلام الى عبد العزيز ، فكتب عندما استمعه كتابا الى جمال باشا ارسله بواسطة وكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل ، وفيه هذه الكلمة :

« قلت انكم تستطيعون بطابورين ان تخترقوا بلاد نجد من الشمال الى الجنوب . ونحن نقول ان سنقصر لكم الطريق ، وذلك عما قريب ان شاء الله » .

(١) توفي في الرياض ١٩٢٣ .

ثم كتب الى عبد اللطيف المنديل : - « اذا سالك الترك هل انت مندوب ابن سعود فقل لهم : اني عثمانى » . وقد اشار بذلك خشية ان يلحق به ضرر بعد الهجوم على الحساء .

ولكن عبد اللطيف باشا لم يعمل بإشارة موكله ، فلم ينكر انه نجدى او وكيل ابن سعود . وقد قال للاتراك : « قد جهلتم قدر هذا الرجل ، وهاهو الآن يعرفكم بنفسه » .

وصل ابن سعود الى اطراف الحساء ، ولم يكن فيها معاونون غير وكلائه ابناء القصيبي ويوسف بن سويلم . فسألهم ان يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت (١) ففعلوا ، واعلموه بما هناك من الصعوبات ، لعلو السور ، ووجود الحرس فارسى اليهم يقول : « اننا هاجمون في هذه الليلة ، وكل صعب يسهل بحول الله » .

كان عبدالعزيز قد نزل على عين من عيون الاحساء تبعد ميلا واحدا من الهفوف . وفي الثالثة ليلا (١٠ افرنجية) في ٥ جمادى الاول من هذا العام ١٣ نيسان ١٩١٣) خرج من المعسكر بتسعمئة من رجاله وخطب فيهم قائلا :

« اننا هاجمون على الاتراك في الكوت ، واننا منتصرون باذن الله . امشوا الى غرضكم كأنكم بكم ، ولا تضجوا . اذا كلمكم احد فلا تجيبوه . حتى وان ضربتم بالبنادق نحن في الطريق ، فلا تضربوا . اما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم . ولكن البيوت لا تدخلوها ، والنساء لا تدنوا منهن » .

قال ذلك ومشى امامهم . ساروا على الاقدام ، وهم يحملون جذوع النخل والحبال ، فلما وصلوا الى السور قسمهم ثلاث فرق فقال للفرقة الاولى : « انتم تسيرون الى الباب الجنوبي فتقبضون

(١) الكوت جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية .

على الحرس وتستولون على الباب وما يليه ، • وللفرقة الثانية :
« وانتم تسيرون الى السرايا لعل المتصرف فيها فتأسروه ، • وللفرقة
الثالثة : وانتم تتفرقون في ابراج السور • هذه هي اوامري فاعملوا
بها ، ولا تتعدوها » •

باشر اناس حزم الجذوع بالحبال ، فصنعوا منها سلما تسلقه
عشرة من ذوي الشجاعة والاقدام • ثم رموا بالحبال الى العسكر
فصعدوا ساكتين ونزلوا الى الكوت متسللين ، والحرس يسألون :
من انتم ؟ فلا يجيبهم احد •

وكانت كل فرقة عند اكتمالها داخل السور تسيير الى الجهة
المعينة لها • ولكن هذا العمل لم يتم بدون ان يحدث ضجة فسي
الحصون وفي المدينة • فاستفاق العساكر والاهالي من النوم ،
واستولى عليهم الخوف والذعر وهم لا يدرون من الهاجمون • وعلت
الاصوات ، وأطلقت البنادق • فأمر اذ ذاك عبد العزيز احد رجاله
ان يصعد الى السور ويعدو عليه مناديا : الملك لله ثم لابن سعود ،
من اراد السلامة يلزم مكانه » •

نادى المنادي بذلك فاستبشر الناس ، وأخذ كبارهم وصغارهم
يهتف : اهلا وسهلا ! سمعا وطاعة ! ثم جاؤوا بالمياه الى العساكر
كأنهم اخوانه وقد عادوا من سفر •

اما عبد العزيز فكان لا يزال خارج السور ، فاراد ان يتسلقه ،
فأبى عليه ذلك من تبقى معه من الجنود ، وهدموا جانبا منه ،
فدخل ودخلوا معه • وكان الحرس قد لجأوا الى القلعة ، واهل
الكوت ، بعد ان سمعوا صوت المنادي قد خرجوا من بيوتهم ،
وجاؤوا يرحبون بابن سعود ويعاهدونه على الطاعة والولاء •

ثم جاء عندما اصبح الصباح من تبقى من الاهالي فجاءوا
يبايعون مثل من تقدمهم - فاکرم محسنهم وعفا عن مسيئتهم •

كل ذلك والاتراك في تلك الليلة في حصونهم قابعون • وقد

كان لهم اربعة في الهفوف وخارجها ، اثنان داخل الكوت ، وحصن الى الجنوب ، وآخر الى الشمال في المبرز . فعندما انبلج الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع علي تلك الحصون طلقات افصحت عن الذعر الذي كان مستوليا عليهم . فلا اضروا بأحد ، ولا روعوا احدا . وعند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود باسير من الاتراك وهو ضابط طاعن في السن ، فارسله عبد العزيز رسولا الى المتصرف والى قائد الحامية :

— « قل لهم ان يسلموا اذا كانوا يبغون العافية ، ونحن نؤمنهم ونرحلهم الى بلادهم . اما اذا ابو فليستعدوا للقتال فسنهاجمهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد الليلة البارحة » .

قبل المتصرف : نائد الامان ، ثم سلمت الحامية التي كان عددها الفا ومئتي جندي ، فاذن عبد العزيز حتى بسلاحهم قائلا : « لا ننزع من الجندي العثماني سلاحه » . اما المدافع والذخائر فتبقى مكانها في الحصون .

ثم جهزهم بالركائب ، ورحلهم وعائلاتهم . الف ومئتا جندي بعيالهم وامتععتهم ساروا من الهفوف الى العقير وليس معهم من يخفرهم ويؤمن طريقهم غير واحد من رجال ابن سعود هو احمد بن ثنيان مندوبه السابق الى جمال باشا . وعندما وصلوا الى العقير جهزهم احمد بسفن الى البحرين .

بعد احتلال الهفوف ارسل عبد العزيز سرية الى القطيف بقيادة عبد الرحمن بن سويلم ، فلما وصل الى تلك الناحية بادر اهلها الى التسليم . ولم يكن للترك في القطيف غير شرذمة من الجنود ، ففروا في السفن هاربين .

اما العساكر الذين كانوا في الحساء فعند وصولهم الى البحرين وجدوا من يزين لهم الرجوع الى العقير ، ويشجعهم عليه ، عليهم يسترجعون القصر (٢) هناك وقد ظفر فريق منهم بمركب لال بسام كان

(٢) القصر مقر الامير هو غالبا الحصن . او الحصن هو غالبا القصر .

يحمل تمرا فركبوا فيه وعادوا الى العقير، فهجموا ليلا على القصر، فردتهم الحامية خائبين . ثم هجموا على مركزين آخرين ، كان في الواحد منهما ثلاثون رجلا فهزمهم الاتراك واحتلوا مراكزهم .

بلغ الخبر عبد العزيز وهو في الهفوف ، فشد الرحال وسارع الى العقير ، فوصلها في الساعة الثانية من الليل . ولكنه كان قد سير كوكبة من الخيل ، فوجدت عند وصولها ان السرية التي كانت في القصر قد هجمت على الاتراك بالمركز الذي احتلوه فهزمتهم واسرت منهم ثلاثين .

اخلى عبد العزيز سبيل هؤلاء في اليوم التالي واركبهم البحر .

ثم كتب الى الشيخ عيسى آل خليفة امير البحرين والى الوكيل السياسي لبريطانيا العظمى هناك يلومهم على ما بدا منهم فقال : « ايليق بكم تحريض العدو علينا ونحن اصدقائكم . فاذا كنتم لا تتلافون مثل هذه الاعمال وتمنعونها فالتبعة في ما قد يعقبها هي عليكم » .

جاء الجواب دون ابطاء ، وفيه ان العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة، وقد رجعوا الى العقير دون علم من الحكومة او الوكالة .

اما الحقيقة فهي ان آل خليفة والوكيل الانكليزي خشوا ان يتقدم ابن سعود في فتوحاته داخل الخليج ، فاقدموا على عمل كان التسرع فيه اظهر من العدا .

الفصل العشرون

المفاوضون يتسابقون والشيخ مبارك يتردد

ان على الخليج الى الشرق والجنوب من البحرين رأساً من الارض محاذياً لشاطئ العقير هو قطر ، كان صاحبه الشيخ قاسم بن ثاني ، شيخ الامراء يومذاك سناً وجاهاً ، قد احترب والترك مراراً وحاول عبثاً ان يخرجهم من الحساء . فعندما فاز ابن سعود بذلك اعترته هزات شتى ، منها الخوف على امارته ، وقد اصبح الفاتح جاره الادنى ، فكتب اليه في شوال (ايلول) من ذاك العام كتاباً شديداً اللهجة يحذره ويهدده وما كان منه غير التهديد . فقد حاصره بعد اسبوع عدو الحياة الدنيا الحصار الاخير فسلم الشيخ قاسم صاغراً ، وكان من الظافرين بالرحمة . اما خلفه فقد كان حكيماً فوالى ابن سعود .

١٣٣١ هـ
١٩١٣ م

وكان عبد العزيز قد توجه الى القطيف ينظم شؤونه . فأمّر هناك عبد الرحمن بن سويلم وأمّر في الحساء عبد الله بن جلوي ، رجلين من كبار رجاله يحكمان في هاتيك الناحيتين . ثم عاد في خريف هذا العام الى الرياض وقدم من البصرة عبد اللطيف باشا المنديل منتدباً من الحكومة العثمانية للتوسط بالصلح بينها وبين فاتح الحساء ، فقبل عبد العزيز الوساطة ، واجل النظر في هذه القضية الى الربيع .

وكان الانكليز قد بدأوا يفاوضونه ايضاً، ويطلبون منه ان يأذن بالاجتماع ، فرجع الى الحساء في شهر ذي الحجة ، واجتمع في العقير بالوكيل السياسي للبحرين ومعه رجل آخر اسمه شكسبير ، سنعود الى ذكره .

اما اجتماع العقير هذا فلم يسفر على شيء للتاريخ ، الا انه مهد السبيل الى مقاومة النفوذ الالماني في تركيا بعد ان تلاشى فيها

النفوذ الانكليزي ، ذلك النفوذ الذي كان في المقام الاول منذ حرب
القرم . فخشيت انكلترا على طريق الهند ، فعندما علا نجم ابن
سعود ، وظهرت شوكته ، اخذت تخطب وده وتسعى في عقد اتفاق
معه ليكون لها عضدا في الخليج وليقف سدا منيعا بوجه النفوذ
الالماني الذي كان مسيطرا على العراق

وعاد عبد العزيز الى الرياض فبلغه خبر دسياسة في القطيف
فارسل سرية اليها ، ثم سار بنفسه الى تلك الناحية ، فنزل في
الجبيل . وقد جاءه وهو هناك كتاب من الشيخ مبارك
الصباح يخبره ان احد كبار الاتراك قدم الكويت ، ومعه
هدية من انور باشا لابن سعود واجازة للتوسط في الصلح .

ثم جاء عبد اللطيف المنديل ليخبر عبد العزيز انه قد تألف
للمفاوضات وفد يرثسه السيد طالب النقيب وفيه ممثلا من ياورية
السلطان . وتعدد الخاطبون فاضطرب « الوالد » مبارك ، فكتب الي
« ولده » يطلب ان يكون الاجتماع في ظله بالكويت ليرعاه بنظره ،
ويمده بارشاده « من حقي عليك يا ولدي الا تقبل وساطة هؤلاء
الا في بلدك الكويت » .

ولكن « الولد » كان قد شبع من ارتجال « الوالد » وارشاده . ومع
ذلك فقد اجاب بعض طلبه فسار الى جهة الكويت ونزل الصبيحية ،
على مسيرة يوم من العاصمة . كتب « الوالد » ثانية بالقدوم اليه ،
فاجابه عبدالعزيز . « اني الان قريب من الكويت فليتقدموا الي » .

وبينا هو في الصبيحية كتب اليه الوكيل السياسي لبريطانيا
العظمى في الكويت يستأذن بالمقابلة ، فضرب له موعدا في ملاح ،
 واجتمع به هناك . وجاء الوكيل في السيارة وجاء سائقها بكتاب من
مبارك يقول « كن صلبا معه يا ولدي (اي مع الوكيل) فلا تمكنه من
شيء ولا تعطه الجواب الشافي » .

لم يرى «الولد» بأسا في مجاملة « والده » هذه المرة لانه لم يكن قد قرر خطته السياسية تجاه الاتراك والانكليز ، فقال للوكيل : « لا يمكن ان نقرر شيئا اليوم . ولكن والدي مبارك الصباح ينوب عني » .

عاد الوكيل غاضبا الى الكويت ، وركب ابن سعود ضاحكا فعاد الى معسكره في الصبيحية .

وفي اليوم التالي وصل وفد السيد طالب ، ووصل نجاب يحمل كتابا من «الوالد» - من مبارك الحانق الحاقدا ، اللائم الشاتم . وقد كان ناقما على الوفد لانه لم ينتخب لرئاسته ، فكتب الى عبد العزيز يحذره من هؤلاء الكاذبين الماكرين الخداعيين . كن صلبا معهم يا ولدي ولا تمكنهم من شيء ، ولا تصدق ما يقولون . انهم كذابون خداعون » .

كان الشيخ جابر بن مبارك يومذاك عند ابن سعود فاطلعه على كتاب ابيه وقال : « تراه يحذرنى من الانكليز ويحذرنى من الاتراك . وهل في امكاني ان احارب الاثنين ؟ » فاجاب جابر : « انظر الى مافيه مصلحتك واترك الناس » .

عقدت جلسة المؤتمر الاولى وكان الشيخ جابر وآخرون من رجال مبارك حاضرين ، فرمى عبد العزيز قنبلة من قنابله السياسية ، زعزعت المؤتمر وكادت تبدد شمله . فقال يخاطب رجال الوفد : « الاتراك كذابون خداعون ، وأنا لا اركن اليهم في المفاوضات فاذا كنتم تبغون مصلحتي فدونكم والدي مبارك . فهو الواسطة بيني وبينكم ، ولست قابلا بغير ذلك » .

عقدت هذه الجلسة في الصباح ، فتبعتها جلسة اخرى في ذاك اليوم بعد العشاء . ولكن الفترة بين الجلستين كافية لتشير بركانا من الغضب خصوصا في رئيس الوفد السيد طالب ، لان مزاجه مزيج من البارود والكبريت . اظن انه نام القيلولة ثم صلى المغرب استعازة وصبرا ثم ضحك ضحكة طالما اضحكه بعدها ذكرها .

كانت جلسة المساء جلسة خاصة لم يحضرها غير رجال الوفد وقد اطلعهم عبد العزيز قبل افتتاح الجلسة على كتاب الشيخ مبارك، فكانت الضحكة وكان العجب . ثم باشروا المفاوضات الولائية . فطلب الوفد ان يكون للدولة معتمدون في القطيف وفي الحساء فابى ابن سعود وطلب ان تكون العلاقات ولائية فقط، وان تساعد الدولة لقاء هذا الولاء بالاسلحة والذخيرة والمال . وبعد التداول والمناقشة قبل الوفد بذلك وقرروا ان يظل هذا الاتفاق سرا الى ان يقره الباب العالي .

عاد رجال الوفد الى الكويت فاحسن الشيخ مبارك استقبالهم . وعندما سألهم عما جرى اخبروه بما قاله ابن سعود في الجلسة الاولى ، فقال : « نصحتكم فما انتصحتم . قلت لكم ان الرجل سفیه عيار(١) ولا يملك قياده احد غيري » .

وبعد يومين ادب عبد الوهاب آل قرطاس في البصرة مأدبة للوفد حضرها الوالي شفيق كمال باشا ، والشيخ خزعل ، والشيخ مبارك . وكان الحديث في الوفد وابن سعود .

وقال الشيخ مبارك يخاطب الوالي : « ألم اقل لكم انكم لا تفلحون الا اذا انتدبتموني للتوسط بينكم وبين ابن سعود ؟ وما طلبت ذلك منكم والله الا لامرين : اولا لكي اقوم بخدمة للحكومة العثمانية ، وثانيا لكي استر على ابن سعود لان السفیه لا يعقل ما يقول » .

فاجاب الوالي : « رايتك هو الصواب ولكن الامر انفرط » .

ثم قال مخاطبا الوفد : « وما قولك انت يا طالب ؟ »

السيد طالب : « اقول ما قاله الشيخ مبارك . فلو كان حضرته معنا لما فشلنا » .

(١) السفیه الجاهل . والعيار من يركب هواه ولا يرجز نفسه . واللفظان شائعان في نجد بمعناهما الفصيح .

وحان بعد اسبوع حين الضحكة الاخرى التي ذبحت الشيخ ،
اذ جاء من الباب العالي الى والي البصرة برقية فيها التصديق على ما
تقرر في مؤتمر الصبيحة (١) سترونا بالشكر لابن سعود ، وبالوسام
العثماني الاول .

حمل السيد طالب تلك البرقية وسارع الى الشيخ مبارك الذي
كان في الفيلية ، فقال بعد السلام : « ابشر يا شيخ ابشر . قد اتفق
ولدك مع الحكومة » .

مبارك مندهشا : « ومتى كان هذا ؟ »
طالب متهاوتا : « الامر قضي بليلة » .
مبارك مغتاظا : « كلها من مساعيك يا خبيث » .
طالب في لهجته السابقة : « تعلم الولد الخبث من ابيه » .
مبارك وقد اشتعلت النقرة في عينيه : « سلط الله عليك
يا خبيث اليك عني » .

ضحك السيد طالب وهو يعيد قراءة البرقية .
وبعد ذلك ارسل مبارك رسوله عبد العزيز آل حسن الى ابن
سعود يهنئه ويلومه لانه لم يخبره بالاتفاق ، فكتب عبد العزيز
اليه يقول :

« اني ابنك وقد اهنت نفسي في القدوم من الجبيل الى الكويت .
وما ذلك الا حبا بك وعملا بارادتك . ولكن كيف استطيع ان ارضي
والدي وهو يأمرني بان لا اتفق والانكليز ، وان لا اتفق والترك . فاذا
بين لي حضرة والدي الطريق الثالث اسلكه راضيا شاكرا ، ولكنني
اسأل والدي كيف استحسن هذا الكلام في ولده على مائدة ابن
قرطاس » .

فكتب مبارك معتذرا على عاداته فقال : « لا تصدق يا ولدي
اكاذيب اللعين طالب ، واكد يا ولدي اني اريد ان اتظاهر امام الاتراك
بالبعد عنك والجفاء لادرك لك الغاية التي تنشدها » .

فأجابه عبد العزيز : « والحمد لله ان الامور كانت على ما
يرام ، فليهنأ الوالد بعز ولده والسلام » .

(١) قد حالت الحرب العظمى دون تنفيذ هذا الاتفاق .

الفصل الحادي والعشرون

هادمة اليهود ومفرقة الوفود

هي الحرب العظمى ! ومع ان الذي هدمته في البلاد العربية لم يكن غير اليسير في بادية الاطلال فلا بد ، ونحن نكتب تاريخا عربيا ، من ان نقف عنده وقوف الاثري فنكشف النقاب من اجل التاريخ عن شيء من ادفانه .

جاءت الوفود وراحت الى الحساء والكويت ، فتفاوض المتفاوضون ، وتنافس الخاطبون ود ابن سعود . على انه لم يتجسم من النتائج ما يستحق الاسم والتسجيل غير ذاك الاتفاق الذي تم في الصبيحية واقره الباب العالي .

والغريب العجيب من امر الباب العالي ، هو ان يمينه - اذا اذن البيانين بالاستعارة - لم تعلم بما كانت تعمل يسراه . او ان رجاله في العراق كانوا في واد ورجاله في الحجاز في واد آخر ، بل كان الفريقان في عزلتين ، عزلة تبعد زملاء بعضهم عن بعض ، وعزلة تبعدهم كلهم عن النور الاعلى ، نور ذاك الباب المشهور . فتعددت الوفود ، في باب ابن سعود ، وعقدت عهود ناسخة لعهود . ولكن الحرب العظمى ، لحسن حظ الدولة العثمانية ، هدمت الناسخ والمنسوخ ، ومحت بطلقة نار ، كلام الليل وكلام النهار .

وها هي الحوادث شهودا . قبل ان يجتمع وفد السيد طالب النقيب بابن سعود في الصبيحية اجتمع سعود بن الرشيد بوالي البصرة شفيق كمالي باشا قرب الزبير وتم الاتفاق بينهما على ان تساعد الدولة في محاربة ابن سعود . وقد قدمت لابن الرشيد عشرة آلاف بندقية ، وكثيرا من الذخائر ، وشيئا من المال .

لم يعلم ابن سعود بهذا الاتفاق الا بعد رجوعه الى الرياض ، فكتب الى ابن الرشيد يذكره بعهد الصلح الذي بينهما ، وينتقد اتفاقه مع الاتراك . فأجاب ابن الرشيد : « اني من رجال الدولة ، ومصالحتي اياك لا تكون الا ان رضيت الدولة بها » فعد عبد العزيز ذلك خيانة من ابن الرشيد وكتب اليه يقول : « اذا كنت مصرا على نكث العهد فالمقاومة أولى » .

وما خطر في باله عندما كتب هذه الكلمة ان اوروبا كانت يومذاك ترددها وقد قامت الدول هناك بعضها على بعض بالسلاح .

شبت الحرب العظمى ، فسارع عبد العزيز ، عندما اتصل به خبرها ، الى مراسلة امراء العرب - الشريف حسين ، وابن الرشيد ، وابن الصباح - في الموضوع ، فأرسل النجادة يحملون كتابا منه هذا فحواه :

« قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب ، فارى ان نجتمع للمذاكرة علنا نتفق وننقذ العرب من احوالها ، ونتحالف ودولة من الدول لصيانة حقوقنا وتعزيز مصالحنا » .

بعد ان بعث الرسل بهذا الكتاب جاء السيد طالب من قبل الاتراك ثانية - جاء يسترضي ابن سعود ، فاجتمع في القصيم :

ولكن الانكليز كانوا اثناء ذلك قد احتلوا البصرة ، فجاء الملازم شكسبير الذي كان قد اجتمع بابن سعود سابقا في العقير ، يحمل في حقيبته تفويضات لا قيد يقيد بها غير المصلحة البريطانية واقترانها بمصلحة نجد .

ثم قدم من المدينة وفد عثماني آخر يحمل الى ابن سعود عشرة آلاف ليرة ويتزلف له بواسطة صديقه محمود شكري الالوسي احد اعضاء الوفد .

ثم خرج من الحجاز الامير عبد الله ابن الشريف حسين موفدا من والده للنظر في المسألة التي كتب عبد العزيز بخصوصها ،

فاجتمع على الحدود بمندوب ابن سعود وافترق الاثنان كما اجتمعا دون ان يقررا شيئا . والحقيقة ان الشريف كان يتحين الفرص للهجوم على ابن سعود تنفيذا كما قيل لتلك المعاهدة التي وصفها الامير خالد بن لؤي في قوله : « اكتب له ورقة تنفعه عند الاتراك ولا تضرك » .

اما ابن الرشيد فقد جاوب بصراحة يقول : « اني من رجال الدولة ، فأحارب اذا حاربت واصالح اذا صالحت » .

وكتب الشيخ مبارك يعلم « ولده » بأن اللورد هاردنغ (Lord Harding) حاكم الهند قادم الم البصرة ، - « ومن رأيي يا ولدي أن تقدم أنت إلينا للمفاوضة » .

وذهبت الدعوة للتفاهم ادراج الرياح ، فعاد ابن سعود السي الوفود يعمل بما قضت المصلحة والظروف ، فرد وفد الألوسي ردا حسنا . وقد قال للسيد محمود : « انها كما ترى . فلا يمكنني مقاومة الانكليز بعد احتلالهم البصرة » .

وكان السيد طالب النقيب ، بعد ذلك الاحتلال ، يخشى الرجوع الى بلده فتوسط عبد العزيز من اجله ، فاذن الانكليز ، وقد عاد كما عاد الألوسي خائب الامل . اما الضابط الانكليزي شيكسبير فبقي في البلاد العربية ، وبقي فيها ، كما سنفصح في الفصل التالي للتاريخ !

الفصل الثاني والعشرون

يوم جراب

انكشف اللثام عن مقاصد الاخصام ، فأمد الترك ابن الرشيد ، وتحالفوا والامان مع الدول الوسطى ، وأمد الانكليز ابن سعود . فعهد الاول مع الالمان ، وعهد الثاني مع الاحلاف . هي الحقيقة السياسية ، وقد كانت ذات اهمية في تلك الايام .

اما الحقيقة التاريخية فهي ان ابن سعود اقام في البدء على الحياد ، فلم يحارب الحسين كما اراد الاتراك ، ولم يشترك في معاربة الاتراك بالعراق كما اراد الانكليز ، ولا منع رسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال الى اخوانهم الاتراك في اليمن . هي الحقيقة كلها ، فلم يكن ليهمة يومذاك غير امير الجبل الذي نكت عهد الصلح واستعان بالدولة العثمانية على امير نجد .

وقد تاهب الاثنان في وقت قصير للحرب ، فلم يتجاوز جيش كل منهما الثلاثة الاف مقاتل . كان مع ابن سعود نحو الف من الحضر ، اكثرهم من اهل العارض الاشداء البواسل ، وثلاثمئة خيال من العجمان ، ما عدا البادية ، ومدفع واحد لا غير . وكان مع ابن الرشيد ستمئة من الحضر والف فارس من فرسان شمر . وقد رافق جيش ابن سعود الضابط الانكليزي شيكسبير (١) الذي اشرت اليه في الفصل السابق .

لم يكن عبد العزيز ليستحسن ذلك ، وقد قال له : « ليس من رأيي ان تمشي معنا ، واني افضل ان تنتظرونا في الزلفى ، فنعود ان شاء الله اليك » .

فاجاب شيكسبير : « لا يجوز ان يقال ان رجلا انكليزيا قرب
ساحة القتال بين ابن سعود وابن الرشيد رجع جبانة وخوفا » .
الح عبد العزيز في النصيحة ، والح شيكسبير في الاستأذان ،
وركب مع الجيش الى ساحة القتال - الى جراب .

قد كان هذا الضابط الشاب انكليزيا قحا ، شديد التمسك
بعادات اجداده وتقاليده شعبه في اي مكان كان . فلم يتنازل في
البلاد العربية عن شيء منها . هو الرحالة الانكليزي الوحيد ، على
ما اظن ، الذي ابي ان يبدل قبعته بالكوفية والعقال ، ولا جامـل
العرب في داخل البلاد بغير العباءة التي كانت تستر ثيابـه
الافرنجية .

ولكن القبعة ! - ركب في جيش ابن سعود وهو يلبسها ويحمل
بين امتعته آلة التصوير .

شكسبير في جيش الاخوان ! وقد سمعهم يعتزون وينتخون .

اهل التوحيد ! اهل التوحيد !

اهل العوجا ! اهل العوجا ! (١)

وكانت شمر قد اخرجت ممارياتها (٢) الابكار الحسان ،
يشجعن الرجال وهم يرددون نخوة شمر المشهورة :
سناعيس ! سناعيس ! (٣)

(١) العوجا اسم من اسماء العارض . والاعتزاز يكون في ترداد اسماء الابهاء
والاجداد او اسم القبيلة او البلد او ما يرمز الى مفخرة .

(٢) من عادات العرب التي ابطلها ابن سعود ان كل قبيلة تنتخب في الحرب
بنثا من بناتها الابكار تسمى العمارية فتركب في الهودج ، او تقف فيه ، سافرة
مسدولة الشعر . وتحت قومها الى ساحة الوغى منتخية منخية .

(٣) سناعيس جمع سنعوس هي النخوة العمومية ، تعم البدو والحضر ،
وهناك نخوات اخرى خاصة باهل حائل منها : اهل لبده . واهل ملحان .
واهل السودان . والسود كثيرون في حائل . والملحان يدهون بصبيان الخونة لانهم
كانوا من خاصة آل الرشيد .

سار الجيشان في فيافي القصيم يطلب الواحد الآخر ، وكان
 سيرهما في صباح اليوم السابع من ربيع الاول من ذاك
 ١٣٢٣ هـ ١٩١٥ م العام (٢٤ كانون الثاني) في شمس كانون الدافئة المنشطة،

فتلاقت الاصوات في جراب قرب الظهر قبل ان تصطدم الفرسان .

اهل العوجا ! اهل العوجا !

سناعيس ! سناعيس !

وكان اهل العوجا ، اي اهل التوحيد ، يرددون ايضا كلمتهم

المشهورة :

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

فينجبينهم العمائريات الشمريات كل بالعزوة او النخوة الخاصة

بقبيلتها .

تصادمت الابطال وتقارعت ، في ظهر ذاك النهار وتطاردت

وتراجعت فكانت الغلبة في بادىء الامر لابن سعود .

هبت هبوب الجنة ؟ اين انت يا باغيها ؟

وكان رصاص اهل التوحيد يقع امام الشمريات ، الواقفات

فوق اسنمة الجمال ، فيصمحن بالرجال : الى القتال ! ويهتفن

هازجات :

يلسّي يتمنى حربنا غويت يا غاوي الدليل

كم واحد من ضربنا دمه على الشلفى يسيل

احتدم القتال ودوت البنادق ، فأصيب شيكسبير برصاصة

اودت بحياته .

وكان فرسان العجمان قد تراجعوا خيانة وهم يصيحون

صيحة الانهزام ، فاغارت اذ ذاك بادية ابن الرشيد على جناح اهل

التوحيد الايسر فدحرته ، وغنمت امواله .

اما بدو ابن سعود ، واكثرهم من مطير ، فقد اغاروا اثناء

ذلك على جيش ابن الرشيد ومخيمه ، وكانوا كذلك من الفائزين

الغانمين .

هو يوم جراب الذي كان على اهل التوحيد واهل شمر على

السواء ، ولم يكن فيه ظافرا غير البدو من الفريقين ، فقد اغاروا

فغنموا او شردوا .

الفصل الثالث والعشرون

العجمان

من الاغلاط السائرة بين عامة العرب ان العجمان من العجم . وفي بلاد فارس ايضا ، على شاطئ الخليج الجنوبي ، من يقولون هذا القول . اما الحقيقة فهي انهم من قبائل اليمن ، من عرب قحطان ، وهم ينتسبون الى همدان (١) .

كان العجمان في الماضي يسكنون نجران . ثم ارتحلوا شرقا فوصلوا في ايام الامام التركي الى الاحساء ، فاحسن اليهم وانزلهم «ديرة» بني خالد هناك . وعندما تولى فيصل الامارة عاملهم مثل معاملة ابيه لهم ، فابطرتهم النعمة واستفحل امرهم ، فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج . انهم موصوفون بالمكر والغدر . ولكنهم شديداو الشكيمة وذوو عصبية يندر مثلها في العشائر . عصوا الدولة العثمانية فتركتهم وشأنهم ، وكثيرا ما كان عمالها في الاحساء يشاركون رؤساءهم الغنائم . ومع ذلك فقد كان العجماني يسلب جندي الدولة فرسه ويدخل الاحساء لينعلها .

وعصوا كذلك الشيخ مبارك الصباح ، فحاربهم ، واسترضاهم ، ولم يتمكن من كبج جماحهم ، ولا من كسب ولائهم ، ولكنهم والوا ابن سعود ، ثم جالفوا ابناء عمه العرائف عليه . خانوه وحاربوه ، وغلبوه في بادئ الامر . ومع انهم اصغر القبائل عددا ، فلا يبلغ المقاتلة (٢) فيهم اكثر من خمسة آلاف ، فقد تفوقوا عليها كلها ونازعوا حتى بني خالد السيادة . قال الشاعر :

وقد قسموا الاحساء جهلا بزعمهم لعجمانهم شطر وللخالدي شطر

(١) جددهم مذكر بن يام بن اصا بن رافع بن مالك بن جشم بن خيوان بن همدان .

(٢) لغة - نجد اي المقاتلون .

المان العرب ! هم يذعون بهذا الاسم لشدة عصبيتهم وبأسهم
وتفانيهم بعضهم في سبيل بعض . اذا سئل الواحد منهم : أتقبل
الخير من الله بروحك ، يجيب قائلا : « لا أقبل خيرا لا يكون
للعجمان كافة » .

وقد جاءهم ابن سعود ، عدو البادية وصديق العرب ، بالخير
العميم ، فرفضوه مرارا في بادئ امرهم ، بل امتشقوا الحسام عليه
كما قلت ، ثم زرعوا ذاك الخير فائمه في الصرار قطب ديرتهم الآن .
ولكنهم قبل ذلك زرعوا المكر والخيانة والعصيان . والتاريخ شاهد
عليهم خصوصا في وقعة جراب وفي الحساء .

وبعد تلك الوقعة التي لم يفز فيها غير البدو من الجيشين عاد
ابن سعود الى القصيم ، وابن الرشيد الى جبل شمر . وكان من
الاثنين ان أدب الواحد منهما عربان الآخر ، فغزا ابن سعود قبائل من
شمر وحرب ، وغزا ابن الرشيد قبائل من مطير ، وكان التوفيق
حليف الغزوتين .

على ان عبد العزيز لم يقنع بما ناله من البادية ، فراح يطلب
خصمه الذي كان قد رحل مع رجال شمر الى العراق ثم عاد
منه . لكن العجمان اثناء ذلك اعتادوا على عشائر ابن الصباح فنهبوا
مواشيهم ، فكتب الشيخ مبارك الى عبد العزيز يطلب تأديب المذنبين
ورد المنهوبات ، فادركه النجاء في شقرا . واليها ايضا جاء رسول
من ابن الرشيد يطلب الصلح فجددت المعاهدة السابقة . ثم ارسل
عبد العزيز ابن عمه ناصرا الى الشيخ مبارك بكتاب هذا فحواه .

...ولست يا مبارك بصديق صدوق . قد نالني من العجمان
اكثر مما نالك . فصبرت وتحملت . ونحن الان في وقت القيظ . ولا
نتمكن من شدته ان نسير بجيش الى ديرة العجمان . والامر الثاني
هو اني في ريب من صلح ابن الرشيد ، فأخشى نكث العهد اذا انا
غادرت نجدا ودخلت في حرب والعجمان . والامر الثالث نفقات هذه

الحروب وقد تكاثرت علي فضاقت في سبيلها الاسباب . والامر الرابع يا حضرة الوالد هو اني اخشى ان يلجأ العجمان بعد الحرب اليك فتقلب علي كما فعلت يوم سعدون والظفير . ومن رأيي في كل حال ان نؤجل المسألة الى فصل الصيف .

فكتب مبارك الى «ولده» ان الامر يؤجل، وأصرّ على استرجاع المنهوبات ، فاجابه عبد العزيز ان العجمان لا يرجعون ما ينهبون الا مكرهين - الا بحرب - خصوصا وانه ، اي مبارك ، مسلفهم الاساءة . ثم قال :

فاذا عزمت على محاربتهم تعطيني عهد الله وميثاقه ان تعينني بالمال والرجال . وان لاتسلك في سياستك معهم مسلكا غير مسلكي، ولا تستقبلهم اذا لجأوا اليك ، ولا تتوسط بالصلح بيني وبينهم . عاهده الشيخ مبارك على ذلك - عهد الله ! فمشى عبد العزيز الى الحساء بفرقة صغيرة من الحضر والبدو في صيف هذا العام، ١٣٣٣ هـ ١٩٥١ م وكان العجمان ، عندما علموا بقدومه قد رحلوا تجاه قطر . فحشد جيشا من اهل الحساء وزحف جنوبا متقفيا اثرهم .

قد كان الحر شديدا فلا يستطيع المشي ناهيك بالقتال نهارا . ولم يكن لديهم رواحل ، فاسروا ماشين فوصلوا الى مكان يسمى كنزان كان العدو معسكرا فيه . وكانت اشجار النخل في الليل تبدو كأنها بيوت من الشعر ، فشرعوا يطلقون عليها الرصاص . سكت العجمان وراء ذاك النخيل حتى اسرف اهل الحساء ذخيرتهم على الاشجار ثم خرجوا من مكانهم ، فلفوا بهم وهاجموهم من وراء ، فتلاحموا واستمروا طيلة ذاك الليل في عراك كانت العماوة فيه شجاعة ، وكانت الفوضى اخت الهول وسيدة الظلام .

جرح عبد العزيز في تلك الليلة ، وقتل اخوه سعد ، ودارت

الدائرة على رجاله ، فعادوا منهزمين الى الحساء ، فتقفاهم العجمان ونزلوا قرب الهفوف فحاصروها ثلاثة اشهر .

كتب عبدالعزيز الى ابيه ليستنفر اهل نجد ، والى الشيخ مبارك يستنجد به . فسارع اهل نجد للنجدة بقيادة محمد بن عبد الرحمن ومعه احد العرافة سعود بن عبد العزيز الذي فر سابقا من الخرج وانضم الى ابن الرشيد وحارب معه في وقعة جراب . فلما رأى ابن عمه عبد العزيز في تلك المحنة استفزته الحمية فعاد اليه تائبا مناصرا .

ولكن اعداء ابن سعود الاخرين تحفزوا للوثوب عندما سمعوا بحرب العجمان فنكث ابن الرشيد عهد الصلح ، ومشى الى بريدة يريد احتلالها . اما الشريف حسين ، الذي كان قد امعن في مفاوضاته والانكليز ليدخل الحرب العظمى مع الاحلاف ، فلم يسره هذه المرة عمل ابن الرشيد ، فارسل عليه ابنه عبد الله .

زحف الامير الى نجد . ولكنه علم وهو في الطريق برجوع ابن الرشيد من بريدة مدحورا ، فتوقف في سيره وعاد الى الحجاز مطمئن البال .

اما الشيخ مبارك فقد ابطأ في ارسال النجدة التي طلبها عبد العزيز ، فكتب اليه ثانية يذكره بالعهد ، فجهز اذ ذاك ابنه سالما واثنيين اخرين من اولاده بقوة صغيرة - مئة وخمسين رجلا من الحضر ومثتين من البدو - فجاءوا الى الحساء وانضموا الى جيش ابن سعود .

قلت ان العجمان حاصروا الهفوف ثلاثة اشهر ، اي مدة الصيف . والحقيقة انهم نزلوا في اماكن تكثر فيها مجاري المياه وتنعرج ، فلا يستطيع المهاجمون الوصول اليهم . ولكنهم في اخر ذي القعدة رحلوا منها ، فشد اذ ذاك عبد العزيز عليهم .

امر اخاه محمدا وسالم الصباح وجنودهما ان يبقوا فسي مراكزهم ، وزحف ليلا بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع . أسروا ماشين ، لان اكثر الابل كانت قد ارسلت الى نجد لقلة المرعى في

الحساء ، فادركوا العجمان في الصباح ، واطلقوا المدافع عليهم .
ثم هموا بالهجوم ، فسارع اولئك العربان الى ركائبهم وفروا هاربين
تجاه الكويت ، فلم يتمكن رجال ابن سعود ، ولا ركائب لديهم ، من
اللاحاق بهم .

عاد عبد العزيز الى مقره فامر اخاه وسالما حليفه بمطاردة
العجمان فجمع الاثنان رجالهما ومشوا كلهم طائعين متآلفين . ولكنهم
ما لبثوا ان تفرقوا .

ادركوا العجمان - نعم ادركوهم ، فكان الانقلاب وكانت الخيانة .
واتفق ابن الصباح واولئك العشائر العاصية ، وهجر حليفه ابن
سعود .

لله درك يا مبارك . قلت ان اعماله آية في التعرج والغموض .
نصفها سر ، ونصفها خداع . فقد ارسل يستنجد ابن سعود على
العجمان وقصده ان يزرع العداء بينهما فيتمكن هو من الاستيلاء على
الاحساء . هذا هو السر . وقد جاء ابن سعود منجدا فغلبه العجمان ،
فاستنجد بابيه مبارك فارسل اليه سالم وبقية اولاده - العائلة كلها
- وهو يقول في نفسه : جاءت الساعة - ستحقق الامال .

وتصادم ابن سعود والعجمان وشارك حلفاؤه المباركون في القتال ،
ثم انقلب سالم فجأة فصالح العجمان واعلن حمايته عليهم . هذه
هي الخدعة . وكان مبارك قد كتب الى ابنه عندما علم انه اشترك
في القتال مع ابن سعود يؤنبه ويقول : « ارسلتك مراقبا لا مقاتلا
... اذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم يا ولدي . واذا غلبوه فلا
تردهم عنه ، ولا تساعدهم عليه » . وقع هذا الكتاب بيد العجمان
فكتموه . بانث الخدعة ولكن السر ظل سرا .

عندما انقلب ابن الصباح على ابن سعود ارسل محمد بن عبد
الرحمن يخبر اخاه عبد العزيز ويستأذنه بالهجوم على العدوين
العجمان والمباركين ، فأجابه قائلا : « لاتفعل . كيف نكون حلفاء في
اول النهار واعداء في اخره والناس لا يعرفون حقيقة الحال .

ثم كتب الى مبارك يشكو اليه خيانة سالم ويقول : « لم اقدم على تأديبه اكراما لك » . فكتب الشيخ المريد يذكره بأن بينه وبين العجمان صداقة قديمة . ثم قال : « طلبت منك ان تسترجع منهوباتي من العجمان ولم اقل لك حاربهم واطردهم من ديارهم » .

قرأ عبد العزيز كتاب مبارك وهو يحتدم غيظا ، فهتف مرددا تلك الكلمة التي يأخذها من فاتحة القرآن اذا هو اعلن الحرب : - اياك نعبد واياك نستعين ! - صبرنا على مبارك صبورا جميلا ، واحتملنا منه شيئا كثيرا ، وفاديننا من اجله بالمال والرجال ، وما نحن والله بصابرون الى الابد - اياك نعبد واياك نستعين !

وشد عبد العزيز الرحال وزحف مسرعا يريد مهاجمة العجمان وابن الصباح ، وكان ذلك في محرم ١٣٣٤ (تشرين الثاني ١٩١٥) .

ولكنه حين وصوله الى معسكر اخيه محمد واستماعه الكلمة الاولى التي فاه بها النجباء الذي كان قد وصل من الكويت ، وقف دهشا محزونا - انا كله وانا اليه راجعون . مات الشيخ مبارك !

الفصل الرابع والعشرون

الانكليز والعرب

عندما انضمت الدولة العثمانية الى الدول الوسطى في الحرب العظمى شرع الانكليز يفاوضون امراء العرب ليدخلوهم في تلك الحرب مع الحلفاء ، او ليضمنوا على الاقل حيادهم . وقد كانت المفاوضات مستمرة في سنة ١٩١٥ بين عدن وجيزان، وبين القاهرة ومكة ، وبين ابي شهر والرياض ، والغرض فيها هو محاربة الاتراك في شبه الجزيرة وصددهم عن تأليف كتلة عربية يقفون بها في وجه بريطانيا العظمى هناك فيقطعون عليها طريق الهند .

وقد كان السيد محمد الادريسي اول من لبي الدعوة فحالف الانكليز في نيسان من سنة ١٩١٦ وحمل على الترك في عسير . ثم ابن سعود فعقد وياهم معاهدة بعد ستة اشهر اي في كانون الاول . ثم الشريف حسين الذي اتفق وعميد بريطانيا العظمى في القاهرة على البنود الخمسة المشهورة (١) وذلك بعد شهر من تاريخ المعاهدة وابن سعود ، اي في ربيع اول ١٣٣٤ (كانون الثاني ١٩١٦) .

ليس من غرضنا النظر في هذه المعاهدات التي أمست كلها في خبر كان . ولكننا نسأل القارىء ، لقصد ما نحن بصدده ، ان يذكر هذه التواريخ ، ويذكر خصوصا ان الاتفاق مع الشريف حسين لم يتم الا بعد الاتفاق مع الاميرين الآخرين .

عندما علم ابن سعود بوفاة الشيخ مبارك ، وتولي ابنه جابر الحكم في الكويت، عدل عن مهاجمة العجمان وكتب الى الشيخ جابر

(١) ذكرت في «ملوك العرب» الجزء الاول الطبعة الخامسة، صفحة ٦٩ و ٧٠ .

يعزيه عن ابيه ، وينصح له الا ينهج على منواله في السياسة . وبينما هو هناك ، أي في الطريق الى الكويت ، جاء رسول من الممثل البريطاني في خليج العرب ، السر برسي كوكس ، Sir Percy Cox يرجوه ان يوافيه الى القطيف للمفاوضة في امور هامة . فتوجه عبد العزيز الى تلك الناحية واجتمع بالسر برسي في جزيرة دارين هناك .

وكان هم بريطانيا يومذاك ان يخرج الترك من العراق وسوريا بل من البلاد العربية وتؤمن لبواخرها وجنودها الخليج والبحر الاحمر . فاتخذت لتحقيق هذا الغرض طرائق عديدة ، منها محالفة امراء العرب على العدو واعدادهم بالمال والسلاح .

سأل السر برسي كوكس ابن سعود عما يستطيع ان يؤديه من المساعدة للاحلاف ، فأجابه : « اني اساعدكم بأمرين . اعاهدكم اولا ان لا يجيئهم ضرر مني ما دامت المعاهدة بيني وبينهم مرعية الجانب ، واعاهدكم ثانيا ان لا انضم الى حلف عربي ضدهم . واني اؤكد لكم ان العرب لا يجتمعون عليكم اذا لم اكن معهم . اني احب ان يجتمع امرنا على مساعدة الاحلاف ، - نعم ، وسأكتب الى الشريف حسين بهذا الخصوص اذا احببتم » . ولكن ذلك الامر لم يتم كما سنرى ، فظل لذلك موقف ابن سعود موقفا سلبيا .

ومن المسائل التي كانت حكومة بريطانيا العظمى تريد ان تستطلع رأي امراء العرب فيها مسألة الخلافة . فتكلم السر برسي عن انتقال الخلافة الى العرب ، واتخذ المجاملة سبيلا الى غرضه فعرض المنصب على ابن سعود قائلا : « ان حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد في تحقيقه » .

لم يخف على عبد العزيز قصد المعتمد ، فقال : « لا طمع لسي بالخلافة واني لا ارى من هو اجدر بها من الشريف حسين » .

اطمان بال الوكيل المحترم ، وارتاحت الوزارة الخارجية الى الخبر الذي مكنها من اطلاق يد المعتمد في مصر . فكانت الخلافة الطعم اللذيذ في الصنارة التي رماها على شاطئ جدة ، فالتفتها الشريف حسين وكان عظيما في الارض - مليكا في مكة ، خليفة في عمان ، اسيرا في قبرص ! وكان ابن سعود في الارض حكيما .

اما وقد وثبنا وثبة في هذا الفصل لا تجوز في اصطلاح المؤرخين ، فلا بأس بوثبة اخرى ما زلنا في امر الحسين . وكلنا نذكر انه شرع يتكلم باسم العرب ، بعد ان ابرم ذلك الاتفاق والمعتمد البريطاني في القاهرة ، ويدعي انه زعيمهم الاكبر . ثم جاء يوم التتويج او بالحري المبايعة فهلت جريدة « القبلة » وازدهت اعمدتها باللقب الجديد : « صاحب الجلالة العظمى ملك العرب » .

ليأذن القارىء ان نقف مرة اخرى مستطردين . ليس الغرض في ذلك تفريق كلمة العرب وان كان البعض يزعم ان الانكليز وحدهم مسؤولون عن هذا التفريق . فالحقيقة ان الاثنين مسؤولين .

يجيء الانكليز اخذ الامراء مدعيا انه سيد العرب اجمعين ، وانهم كلهم اطوع له من بنائه ، فيدرك الانكليز قصده ، ويتحققون صدق كلامه او غايته ولكنهم يوالوله لانه على شيء من القوة .

ثم يجيئهم الاخر ودعواه اكبر من دعوى من تقدمه او مثلها ، وكذلك الآخرون ، فيضطر الانكليز ان يحددوا قوة الواحد اكراما للآخر ومجاراة لمصالحهم ، فكانت النتائج التقسيم والتفريق .

وعندما طفقت جريدة القبلة تهلل لملك العرب ، وتهتف للمنقذ الاكبر ، استبشر غلاة القومية ، وزعماء النهضة العربية ، فرددوا الهتاف ولسان حالهم يقول : هوذا الزعيم الاكبر ، هوذا المنقذ الاعظم !

على انهم ما كادوا يفرحون حتى وردت الاخبار ان الدولة الحليفة اعترفت بالحسين ملكا على الحجاز - الحجاز فقط . فقالوا

اذ ذاك : « ان اوروبا عدوة النهضة . وانكلترا بالذات تفرقنا لتسودنا » .

والحقيقة هي ان ابن سعود في مفاوضاته والسر برسي كوتس بصدد المعاهدة اشترط ان لا يتكلم الشريف باسم العرب ويدعي انه ملك العرب . فقبل الشرط حبا وكرامة ، وكان الاعتراف بالحسين ملك - الحجاز فقط .

اما وقد جلونا الموقف ، فيجب علينا من اجل التاريخ ايضا ، ان نسجل على بريطانيا فعلتها الكبرى في ابرام ذلك الاتفاق مع الحسين ، وقد وهبته فيه البلاد العربية كلها ما عدا عدن والبصرة .

ولا نطن القاريء نسي التواريخ التي سألناه ان يذكرها في مطلع هذا الفصل، وانه يذكر في الاقل ان الاتفاق الانكليزي الحجازي ابرم بعد عقد المعاهدتين العربيتين في جيزان ودارين . وقد اعترفت الحكومة البريطانية فيها بسيادة الاميرين محمد الادريسي والامام عبد العزيز آل سعود ، كل في بلاده ، وبسيادة من يتولى الحكم بعدهما من بينهما ، ثم ضمننت حدود البلادين ، وتعهدت بالدفاع عنها ، اذا اعتدي عليها . ثم بعد هذه الضمانات كلها ادخلت البلدين، نجد وعسير ، في دولة عربية يرئسها الملك حسين !

ولا حاجة الى القول ان تلك المفاوضات كانت سرية اذ لولا ذلك لما تمكنت من الخداع، او لما كانت هي خادعة نفسها. فاما ان وكلاءها السياسيين ومغتمديها كانوا جاهلين بعضهم اعمال بعض، فكانت هي المخدوعة ، واما انها لم تهتم يومذاك لغير مصلحتها - المحلية المؤقتة - فخدعت من اجلها الجميع .

وكان ابن سعود اثناء الحرب من المخدوعين . ولكنه وهو الحكيم الذي لا يطمح الى غير ما يستطيع تحقيقه في زمن معلوم ،

عقد تلك المعاهدة التي استمرت مرعية سبع سنوات اي من بداية سنة ١٩١٦ الى بداية سنة ١٩٢٣ .

بعد عقد معاهدة دارين توسط السر برسي كوكس بين ابن سعود وابن الصباح في مسألة العجمان ، فقبل عبد العزيز ان يوقف حركاته الحربية على شرط ان يطرد صاحب الكويت العجمان من بلاده . وقد عمل الشيخ جابر بنصيحة السر برسي فاجاب طلب ابن سعود .

اما « العرائف » الذين اغراهم الاعداء بنسيبهم الكبير ، فقد ادركوا ان اخوالهم العجمان (١) لم يناصروهم الا لمآرب خاصة ومطامع سياسة لهم في الاحساء ، وادركوا كذلك ان ابن الرشيد والشريف حسين في مساعدتهما لهم انما هما كالعجمان . ولكن مطامعهما السياسية اكبر وعداءهما اشد . لذلك عادوا تائبين الى عبد العزيز ، ومجموعهم - سبع بيوتات - مقيمون في الرياض .

(١) اول من تزوج من العجمان جدهم سعود بن فيصل .

الفصل الخامس والعشرون

هدايا وتعنيف من بلاد الشريف

بعد عقد المعاهدة في دارين عاد ابن سعود الى الرياض وارسل رسوله صالح باشا العذل الى الشريف حسين يخبره بما جرى بينه وبين الانكليز ، ويعرض عليه المؤازرة في مساعدة الحلفاء ، وكان الشريف كما اسلفت القول لا يزال في طور المفاوضات والعميد البريطاني في القاهرة ، فعندما علم بعقد المعاهدة وابن سعود خشي ان يتقدمه في الزعامة والنفوذ لدى الحلفاء ، فسارع الى قبول البنود الخمسة ، وتم الاتفاق سرا بينه وبين العميد .

ولكنه لم يعلن الثورة على الاتراك الا بعد اربعة اشهر (شعبان ١٣٣٤ حزيران ١٩١٦) من تاريخ ذلك الاتفاق ، لاسباب ذكر بعضها ، ولم يذكر اهمها ، وهو ان نجله الامير فيصل كان لا يزال في دمشق فخاف عليه من جمال باشا . لذلك كتب الى جمال (١) يعده بتجنيد فرقة حجازية للزحف مع جنود الدولة الى قناة السويس ، وألح عليه في ارسال فيصل لهذه الغاية .

وقد كتم ايضا عن ابن سعود خبر ذاك الاتفاق ، فاعطى رسوله صالح باشا العذل جوابا نصفه شكر ، والنصف الاخر ابهام في اسلوب المجاملة .

ولكن تلك المفاوضات السرية ، او في الاقل مجيء الرسل من بور سودان ورواحهم ، ايقظ في دوائر الحكومة الحجازية عيون الريب والشبهة ، فادرك الوالي غالب باشا بعض ما كان يبطنه الشريف حسين ، وعقد النية على مفاوضة ابن سعود في الامر . ولكنه موته قصده بالطريقة التي اتخذها اليه . فقد ارسل رسوله وهدية الى عبد العزيز بواسطة الشريف الذي ابقى الهدية واذن للرسول بالسفر الى نجد .

(١) ان المؤلف يعرف جمال استهزاء به لانه كان طاغية ظالما سفاك دماء .

وكان ذاك الرسول يحمل كتابا من غالب باشا هذا معناه :
 « إنك تعلم بأعمال الشريف وأنا الآن أزيدك علما . انه يفوض
 الانكليز وهو على وشك ان يخون الدولة ويفتي لاعدائها الحرميين .
 فاذا قدمت الى الحجاز اسلمك الحرم واساعدك بكل ما لدي من
 قوة » .

فارسل اليه ابن سعود هدية وقال في جوابه انه والحسين يد
 واحدة . ولكن الهدية وصلت الى مكة بعد ان اعلنت الثورة فاستلمها
 الشريف حسين وابقاها عنده . « اكل الشريف الهديتين » كما قال
 عبد العزيز ، ونهض وانجاله على الترك طمعا بالهدية الكبرى التي
 وعده بها الانكليز .

ولكن عبد العزيز ، عندما تكررت تلك الهدايا المالية ، عقد
 الامدادات الحربية والمالية . جاء الذهب بالصناديق ليستخدمه
 الشريف في تجنيد العرب وفي استمالة امرائهم ورؤسائهم التي
 النهضة . فارسل الى ابن سعود صرة في اخر هذا العام واتبعها في
 العام التالي بثلاث صرر ومقدار الواحدة نحو خمسة الاف ليرة .

ولكنه لم يكتب اليه كلمة بخصوصها كان يجيء الرسول
 بهذا المال فيقول - « من جلالة الملك » . ليس الا .

١٣٣٥ هـ
 ١٩١٦ م

ولكن عبد العزيز ، عندما تكررت تلك الهدايا المالية ، عقد
 مجلسا عاليا حضره والده الامام عبد الرحمن ورئيس قضاة نجد
 الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف فاطلعهم على الامر وقال : « اذا كان
 القصد من ارسال هذا الذهب المساعدة في الحرب فالقصد محقق ،
 لاني امرت اهل نجد خصوصا اهل القصيم وعتيبة وحرب بمساعدة
 الشريف وامرتهم كذلك بالا يتعدى احد منهم على من اراد ان ينضم
 الى جيش الحجاز » . فقال الامام عبد الرحمن : « لو كان الشريف
 يبغى المساعدة فقط لكتب الينا بذلك . ولست ارى في قصده غير
 الخوف من ان نغتني فرصة قيامه على الاتراك فنحمل عليه ، فاراد
 بارسال الذهب تسكيننا » .

وقد كان رئيس القضاة من هذا الرأي ، فقال عبد العزيز :
« يمكن ذلك . ولكنني سأكتب اليه فأتحقق الامر : فاذا كان ينبغي
المساعدة ، وهو صادق في عمله وقوله ، ساعدناه باكثر مما تقدم .
واذا كان له قصد اخر انتبهنا اليه » . وهاك خلاصة الكتاب
كتابه :

« يا حضرة والدي ، اننا واياك في هذه الحرب ، وثمرتها لنا
ولك .

فقد مشيت عرباننا وعشائرننا ، عملا باوامرنا ، الى مساعدتكم
ولكنني ابغى اكثر من ذلك . واني مستعد ان ارسل اليك احد اخوتي
او ابنائي ليضارب مع ابنائكم . وفي ذلك الفوز الاكبر ان شاء الله
... قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي . فلا بد اذن
من التفاهم والتأمينات . وذلك بان تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول
الشكوك وتتضاعف من اهل نجد المساعدات .

وعندما وصل هذا الكتاب الى صاحب الجلالة زمجر في جريدة
« القبلة » وفي الديوان الهاشمي ، فسمع صوته في نجد . قال
عظمة السلطان : « لا اذكر من جوابه هذه الكلمات : اما انك سكران
يا ابن سعود ، واما انك مجنون . افلا تعلم لاي امر قمنا واي غرض
نبغي ؟ »

كتب عبد العزيز الى الوكيل البريطاني في البصرة يطلب
الاجتماع به في القريب العاجل ، فاجتمعنا في العقير . وبعد ان اطلع
السربرسي كوكس على كتاب الحسين : « قال لا تكثرث له . نحن
ضامنون استقلالك ونتعهد بان لا يعتدي عليك الشريف او غيره .
وانت تعلم ان اية حركة على الشريف اليوم هي علينا ومساعدة
لاعدائنا واعدائك » .

وقد الح عليه في هذا الاجتماع ان يعطيه جوابا قاطعا ان لا يكون
بينه وبين الشريف محاربة ، فوعده بذلك على شرطين ، اولهما ان لا
يتدخل الشريف في شؤون نجد ، والثاني ان لا يتكلم باسم العرب
ويدعو نفسه ملك العرب . تعهد السربرسي بذلك ، ثم دعا عبد
العزيز لزيارة البصرة ، فلبى الدعوة ، وعرج في طريقه على الكويت
ليعزي ال الصباح بوفاة كبيرهم الشيخ مبارك .

الفصل السادس والعشرون

وفود الانكليز والعرب

في سنتي الحرب الاخيرتين بلي الانكليز في البلاد العربية
بامرین خطيرين الاول سياسي في الحجاز ، والثاني حربي . شي
العراق ، فسعوا في معالجتها واذلالها ما استطاعوا سياسيا وماليا .

وقد كانت مقاصدهم الحربية ثلاثة : اولاً ، ان يعقدوا حبل
الولاء بين الامراء احلافهم . ثانياً ، ان يحكموا نطاق الحصار
ويشددوه على العدو من الجهات العربية كلها . ثالثاً ان يستخدموا
ما عند كل امير من قوى القتال ، ويضيفوا ما امكنهم اليها في سبيل
النصر .

وقد امدوا الملك حسين بالاسلحة والذخائر والمال تحقيقاً
للقصد الاخير ، ولكنهم في اتكالهم عليه كل الاتكال ايقظوا فيه روح
الاثرة وشجعوها ، فنجم عنها في العداء لامراء العرب كلهم خصوصاً
لابن سعود . وبكلمة اخرى ان الانكليز في تعزيزهم القصد الثالث
افسدوا على انفسهم القصد الاول ، فاصبحوا عاجزين عن تحقيق
القصد الثاني . .

ولم يكن الملك حسين ليساعدهم في التغلب على الصعوبات ،
ولا اذن بتنفيذ تلك الخطة التي اتخذوها الى غرضهم الاكبر . فعندما
جاء المستر ستورس ورفيقه المستر هوغرث (١) الى جده ، ليسافرا
من قبل المعتمد البريطاني في القاهرة الى الرياض عن طريق الحجاز ،
لم يأذن الملك بذلك لان الامن كما ادعى كان مفقوداً .

والحقيقة هي انه كان يخشى ان ترجح كفة النفوذ في الرياض ،

(١) Ronald Storrs وقد عين يمدد حاكم القدس العسكري .
D.G. Hogarth مؤلف كتاب « التفلفل في البلاد العربية » .

بل كان يخشى ان يكون اتفاق الانكليز وابن سعود مضرا بمصالحه،
او مجحفا باتفاقه واياهم . لذلك لم يرض بأي اتفاق بينهم وبين
غيره من امراء العرب الا اذا تم ذاك الاتفاق بواسطته .

« اتركوا لي ابن سعود - انا اعالجه - اقول - انا اعالجه
لاخيركم واخير العرب » . .

وقد كان ابن سعود مثل الحسين من هذا القبيل ، اي انه
حافظ على عهوده مع بريطانيا العظمى ، ولكنه كان يظن ان بينها
وبين خصمه اتفاقا سريا ، ملحقا للمعاهدة يضر به وبمصالحه . ولا
نستغرب هذه الظنون عندما نذكر ما تقدم في الفصل الخامس
والعشرين . فهل يصلح رسل التوفيق ما افسده عاقدو المعاهدات ؟

وعندما اقفلت في وجه وفد القاهرة ابواب الحجاز جاء الى

الرياض في طليعة هذا العام الهجري (تشرين الثاني
١٩١٧ م) وفد من الكويت ومن البحرين ، مؤلف من الوكيل

السياسي الكولونل هاملتين والمستر فليبي والكولونل اون(١) ليفاوضوا
ابن سعود في الامرين السياسي والحربي اللذين تقدم ذكرهما ، اي
ليوفقوا بينه وبين الحسين ، وليستنهضوه على ابن الرشيد وعلى
احلافه من عشائر العراق .

وكان عبد العزيز قد علم بتوقيف وفد القاهرة في جده ،
فطلب الى المستر فليبي ان يتوسط في الاسر وتعهد اذا اذن له
بالسفر الى الحجاز ان يعود عاجلا ومعه المعتمد البريطاني . اذن له
عبد العزيز بالسفر ، وارفقه برهط من رجاله .

وقد كان للمستر فليبي قصد اخر في رحلته هذه، وهو يلمح اليه في
كتابه ، فلا بأس اذن ، خصوصا ان تلك الحوادث اصبحت في ذمة

يومئذ الوكيل السياسي في الكويت
مؤلف كتاب « قلب البلاد العربية »

Col. R. E. A. Hamilton

H. St. John Philby

Col. Cunliffe Howen

(١)

التاريخ ، بالافصاح عنه في كتابنا . من المعلوم ان الطريق الى نجد برا من الحجاز هي اقصر جدا من الطريق البحرية الهندية ، وقد كانت رغم ادعاء الملك حسين آمن منها في تلك الايام . ومما يعلمه الناس ان المال الذي كان يبذل في شبه الجزيرة كان يجيء عن طريق مصر ، وان الحكومة الانكليزية في الخليج العربي كانت في حاجة الى قسم كبير ليصرف في اطراف العراق ونجد .

وعاد الكولونيل هاملتن والكولونيل اون الى الكويت، وسافر المستر فليبي في الشهر الاول من عام ١٩١٨ الى الحجاز ، وهو متأكد انه سيعود في الطريق نفسها ومعه في الاقل المال الذي كان متوقفا في جدة . قد ارسل معه ابن سعود كتابا الى الملك حسين مدبجا بيراغ اللطف والولاء . ولكن الحسين ، وهو المشهور بتصلبه ، تغلب على اللطف فيه وحتى كل المواربة ، فتجههم المستر فليبي ، ولم يلبس غيظه شيئا من زخرف الكلام او الابتسام - « الرجوع السي نجد يا حضرة النجيب هو غير ممكن الان - غير ممكن » .

اما رجال ابن سعود فأذن لهم بالرجوع الى بلادهم ، ولم يزودهم بكلمة لطف او عنف لعبد العزيز: « لا لزوم يا اولادي للكتابة . نحن نحل مشاكلنا بيدنا » كذلك عولج المشكل السياسي خلال الحرب ، فظل مشكلا بعدها .

اما المشكل العربي فقد كان جله يختص بمصادرة المؤن والذخائر التي كانت تصل الى الاتراك من بغداد والشام عن طريق الكويت والبادية .

وكانت الكويت الباب الاكبر للتهرب تجميعها المؤن ، كالشاي مثلا والارز والسكر ، من الهند وايران فتباع بأسعار باهظة ، وتنسرب الى وكلاء الدولة او بالحري الى رؤساء العشائر ، فيهربونها الى الاتراك والامان في سوريا وفلسطين .

ومن اولئك الرؤساء ماجد بن عجيل شيخ العبداء ، اكبر قبائل
شمر ، وضاري بن طوالة شيخ شمر العراق ، وعجيمي السعدون
رئيس المنتفق . فقد كان العدو في دمشق وفي بغداد يحصدون
بواسطتهم ، مهما كانت الاسعار باهظة ، على كثير من الارزاق
والذخائر التي كانت تاتي الى الكويت للانكليز في جنوب العراق .

فعلى الانكليز اذن ان يصادروا المهريين ويحكموا نطاق الحصار
لمنع التهريب او تخفيفه فحاولوا بذلك حراسة خط يمتد من الكويت
الى البصرة فالناصرية .

ولكن الكويت نفسها كانت اضعف حلقة في سلسلة الحصار ،
وكان حاكم الكويت الشيخ سالم الصباح من كبار مستثمري
التجارة في بلاده ، وبالتالي المستغلين عملية التهريب . ومع ان
الكويت في حوزة الانكليز فلم يتمكنوا من احكام النطاق الحربي عليها ،
فاضطروا في النهاية ان يحددوا وارداتها فلا تتجاوز الكمية المعروفة
قبل الحرب .

ومع ذلك فقد كان يتسرب الى العدو قسم كبير منها ، فبدلوا
المال في العشائر للمصادرة ، واشتروا كبار المهريين مثل ماجد بن
عجيل وضاري بن طوالة .

وانك لتري ان البحث يجرنا الى مهمة المستر فلبلي الثانية . فقد
عاد عن طريق الهند والبصرة في ربيع ١٩١٨ ، وخرج الى البادية
ينشد المصادرين ، وفي قافلته جمال تحمل اكياسا من الفضة . وكان
ضاري بن طوالة قد انخرط في السلك الانكليزي لقاء مشاهرات
معلومة ، ووظيفته مصادرة البضائع التي كانت تصل الى دمشق
بواسطة ابن الرشيد في حائل . ولكن ضاري شيخ من مشايخ شمر
وشمر هي ظهر ابن الرشيد . فهل يلام اذا صادر اعداءه فقط ؟

جاءه فلبى وهو في الحفر - جاءه يحمل النقود ، عاقدة العقود والناقضة لها . فشكى ضاري اليه ضيق الحال ، وفقر الرجال - والحاجة يا فلبى شديدة الى المال . اتاخ فلبى جماله ، جمل الله حاله فابتسم الضاري وقال : « والله يا فلبى نحنا رجالك » فقال فلبسى « قوموا اذن وارحلوا معي الى ابن سعود » . فامتثل ضاري السي الامر ، وشد الرحال ، فركب في موكبه ستون من رجاله . جاؤا والمستر فلبى يتوددون الى ابن سعود ويقطعون له العهود . فاجتمعوا به على غدير يدعى الشوكي ، واتفقوا ان تكون المصادرة عامة بدون تمييز . واقسم ضاري يمينا مغلظة ان شمر العراق تكون دائما ابدا مخصصة للانكليز ولا بن سعود . ثم ارسل ماجد ابن عجيل شيخ العبدة رسوله الى عبد العزيز يطلب الصلح فقال له « اني انذركم يا اهل شمر . فاذا كنتم مخلصين لنا تعالوا اقيموا في كبدي . واما اذا كنتم تفاوضون الانكليز وتساعدون الاتراك فانا عدوكم والله وقاهركم ان شاء الله »

- « اما حائل يا مستر فلبى فاذا تركتم لي امرها فانا اعالجه بالسياسة . واذا ألححتكم فعليكم بالمدد » .

لم يكن المدد المقصود المال ، بل الاسلحة والذخيرة ، وهي يومذاك قليلة عزيزة ، ثم قال عبد العزيز : « حائل في فكرنا دائما . ولكن حائل جدار ونار » . ترى الصحيح . ان ابن الرشيد محصن فيها وراء الجدران والمدافع » .

عاد المستر فلبى مع ابن سعود الى الرياض ، وكانت المفاوضات والمباحثات متواصلة . قال عبد العزيز : اني قادر ان امنع ابــــن الرشيد عن محاربة الشريف وهذا جل ما تبغونه الان . ولكن العهد الذي بيني وبين شمر يوجب التربص . فما استقاموا لكم لتستقيموا لهم . فاذا رجع ابن الرشيد وكان حليفا لنا ، فذلك خير تتحقق المقاصد بدون قتال . والا فنحاربه » .

اما العهد الذي اشار اليه فهو ان عبد العزيز ، بعد سفر فلبى الى الحجاز ، شد على ابن الرشيد الذي كان يومذاك على الحجر عند الترك . ولكن مشايخ قبائله جاؤوا ابن سعود يغاهدونه على الطاعة والولاء . ودليل صدقهم كما قالوا هو ان ابن الرشيد طلب منهم ان يحاربوا الشريف مع الترك فأبوا . وقد تعاهدوا وابن سعود انهم يندرون ابن الرشيد - « فاذا قدم من الحجر وكان معك يدا واحدة فنحن عشائره وعشائرك ، واذا رفض الرجوع فنحن معك عليه » .

ولبت عبد العزيز ينتظر الجواب من مشايخ شمر ، ولم ير ان يبقى المستر فلبى اثناء ذلك عنده في الرياض ، فصارحه في الامر ، فرغب فلبى في رحلة علمية الى وادي الدواسر . اذن عبد العزيز بذلك ، ورحله مصحوبا برهط من المحافظة في شهر رمضان ، فعاد الى الرياض في الشهر التالي (صيف ١٩١٨) .

وكان قد جاء الجواب من ابن الرشيد يرفض مطالب رؤساء شمر ، فشدد عبد العزيز يريد الزحف الى حائل ، وكان المستر فلبى مرافقا للجيش . ولكنه لم يكن مثل مواطنه المأسوف عليه شكسبير الذي حضر معركة جراب وشارك في القتال - وفي الضحية .

وتخلف فلبى في القصيم ، وتقدم عبد العزيز بجيشه الى حائل بيد انه لم يكن القصد يومذاك غير ان يشغل ابن الرشيد فيمنعه عن مناوشات العرب الذين كانوا يحاربون مع الحلفاء في شرقي الاردن . فلما وصل الى ماء ياطب في اطراف حائل ، رأى جموعا كبيرة من العربان وقد حالوا دون امنيته . ولكنه هاجمهم ، فاصاب منهم مغنما ، وعاد فنزل على ماء آخر قريب من المدينة ، فخرج ابن الرشيد في آخر النهار يريد الهجوم عليه ليلا . ثم عدل عن قصده وقفل راجعا بدون قتال .

وكان الجنرال آللنبي قد بدأ في الهجوم العام على الاتراك في فلسطين وشرقي الاردن ، وكان الاتراك يستنجدون ابن الرشيد ، فعدل عن محاربة ابن سعود .

من المألوف في مثل هذه الحال ان ينهض الجيش المهاجم المتقهقر ويجتز ساقته . ولكن ابن سعود لم يفعل ذلك . بل عاد في اليوم التالي الى القصيم وقصده ان يجمع قوة اكبر من تلك التي كانت معه فيقسمها الى قسمين ، قسم لمنازلة عربان شمر وقسم لمهاجمة حائل . ولكنه مثل خصمه عدل ايضا عن قصده . والسبب في الحالين هو ما احرزته جيوش الحلفاء والعرب في هذا الشهر (ذي القعدة - ايلول) من النصر في فلسطين وسوريا ، فوصل الخبر كالبرق الى البلاد العربية .

دخل العرب الشام ظافرين ! وفرّ الترك منهزمين ! وفاز الحلفاء الفوز المبين - سلمّ الالمان - عقد الصلح ! وما بال العرب لا يتعظون ويتصالحون !

اتعظ العرب . فقد توقف في ذاك الحين ابن الرشيد وابن سعود عن القتال وعقدا فوق ذلك - مثل الحلفاء والالمان في فرساي - صلحا صغيرا .

الفصل السابع والعشرون

وقعة تربة ومقدماتها

بعد ان سلمت المدينة (١) كتب الامير عبدالله ابن الملك حسين الى امراء العرب يخبرهم بذلك وارسل الى ابن سعود الكتاب الآتي :

« الى حضرة المحترم المكرم الامير عبد العزيز بن سعود
الفيصل .

وبعد فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو . واصلي واسلم على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين . ثم اخبرك بأن الله فتح لنا ابواب مدينة خير البرية ، وان حاميتها قد اسرت ، واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف ، وجميع الاملاك والالات والادوات العائدة للحكومة الفابرة . كما ان فخري باشا (٢) قد اعتقل في بشر الدرويش . واما العساكر فبادرنا بنقلهم الى بلادهم . ولا يخفى على مدارككم بانه لم يبق والحالة هذه شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة ، ادامة الله وايده ، عن الالتفات لاصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للافساد والتخريب من العشائر التابعة لها . والسلام عليكم ورحمة الله » .

في ١٣ ربيع الآخر ١٣٣٧ قائد الجيوش الشرقية

الختم الامير

قال اني

عبد الله

(١) استمر حصار المدينة ثلاث سنوات ولم يسلم فخري باشا الا بعد اعلان الهدنة بشهرين اي في ١١ ربيع الثاني ١٣٣٧ (١٥ كانون الثاني ١٩١٩) .

(٢) عينته بعد ذلك الجمهورية التركية سفيرا لها في افغانستان .

وقد كتب اليه ابن سعود كتاب تهنئة دعاه فيه للتفاهم بخصوص
المشائر واكد له انه لا يبقي غير السلام اذا كان هو من المسلمين .
فجاءه الجواب الآتي :

« الى جناب سامي الرحاب الشهم الاوحد والهمام الامجد ،
الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود سلمه الله » .

وبعد الديباجة المفعممة بالتودد والتبجيل يقول :

« اني منكف (راجع) ان شاء الله تعالى الى الوطن في الاسبوع
القادم لآكون بخدمة صاحب الجلالة الهاشمية ادام الله نصره . واني
ارجوكم ان تبلغوا سلامي الى معالي والدكم الجليل والانجسال
والاخوان الكرام . ومن لدينا حضرة صاحب السمو الملكي سيدي
الامير علي نصره الله يهديكم جزيل السلام » .

في ٣ جمادي الثانية ١٣٣٧ قائد الجيش الشرقي الهاشمي
الختم الامير

ومع هذا الكتاب كتاب مثله لهجة من جلالة الحسين ، و «ملحق
خير » من سمو الامير فيه ما يأتي :

« اني اخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون ، ولا
يجوز ان تفرق بينكم وبين والدي امور البادية التي لا اهمية لها .
وكيف يمكن ان يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة
والخرمة والبادية ؟ ها انا متوجه الى مكة فأرجوكم ان ترسلوا
احد رجالكم وان ارتأيتم ان يكون احد انجالكم فذلك أولى ، وانا
كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد » .

ولكن احد العقيلات (١) الذين كانوا في الحجاز جاء يخبر عبد
العزيز ان الامير عبدالله يتأهب للزحف الى تربة ، ثم جاءه آخر

(١) العقيلات (راجع الشرح الصفحة ١٤٠) تجار من القصيم وقد كان
منهم عدد في جيش الامير عبد الله .

يقول ان الامير خرج من المدينة ووجهته تربة . فكتب عبد العزيز الى حكومة بريطانيا العظمى بواسطة مندوبها في العراق يخبرها بمقاصد الملك حسين وقائد جيشه ابنه عبدالله . فجاءه الجواب ان ذلك من الاشاعات التي لا صحة لها .

وكتب ابن سعود ثانية يقول ما معناه : اني متحقق ما اخبرتكم به وما اخبرتكم خوفا او شكاية بل لتكونوا عالمين بالحوادث وبما قد يعقبها . وكتب ثالثة يخبر المندوب السامي ان الامير عبدالله مشى بجيشه من المدينة ووجهته تربة . فلم يجئه جواب الكتاب الاخير .

وكان قد جهز سرية مؤلفة من الف ومئتي هجان بقيادة سلطان بن بجاد بن امير الفطيط فامرها اذ ذاك بالسير الى الخرمة وتربة للمحافظة على اهالي تلك الناحية ، وامر ابن بجاد والعامل المرافق السرية بان تكون خطتهما الدفاع لا غير .

ثم ارسل بعض العقيلات متجسسين ، وامرهم بان يخبروه خصوصا بما يفعله الامير عندما يصل الى عشيرة . فاذا ترك عسكره هناك ودخل مكة كان في ما كتب صادقا ، واذا استمر سائرا كان جوابه خدعة .

زحف الامير عبدالله بجيشه من المدينة جنوبا الى عشيرة (١) فوافاه اليها جلالة الملك والده . وبعد المفاوضة عاد الحسين الى مكة واستأنف عبدالله السير جنوبا ، فخيم في شعب يدعى البديع في جبل حضن .

وحدثني سمو الامير قال : « لم يكن من رأيي مهاجمة تربة . وقد حاولت ان اقنع جلالة الوالد بالعدول عن عزمه ، ولكنني كقائد للجيش الهاشمي مطيع لاوامر مولاي . حتى اني كتبت اليه بعد ان تذاكرنا في عشيرة . ولبثت في البديع انتظر جوابه فلم يكن غير الامر بالزحف » .

(١) هي على مسافة نحو مئتي ميل جنوبي المدينة وخمسة وسبعين ميلا شرقي مكة .

وكان قد كتب الامير عبدالله في اوائل شهر رجب الى ابن عمه
الامير عبدالله بن محمد وكان يومذاك في الخرمة او في جوارها
الكتاب الآتي :

« بعد السلام ورحمة الله وبركاته كتابكم وفق عائض بن جوير
وصل وعلم مضمونه وعيال مهزي الصغار نوخو البارح على صاحب
الجلالة واخبرونا بالكون (الاغارة) عليهم وبكسرة الوهابية . ولا
شك ان العرب اذا صدقوا اللقاء كسروا المغير عليهم . هذا امر ثابت .
وحسب الرغبة امر صاحب الجلالة بانقاذ ابن مهزي فاخترنا مثتين من
الجمعة مع غالب بن عنيز يمشون غدا او بعده ان شاء الله . . (كلمة
مبهمة) امير الخرمة السيد غازي الحارث من السطوة في البلاد الآن .
فبعد وصولي بالقوة الكافية اليكم نردها بما تستحقه والتوفيق بيد
الله . هذا ما لزم ودمتم ونحن على ممشى في هذين اليومين » .

الامير القائد

عبدالله

في ٣ رجب ١٣٣٧

ومشى بعد كتابة هذه الرسالة من عشيرة الى جبل حضن
فخيم في البديع . وجاء ابن سعود في اواخر هذا الشهر او فسي
اوائل شعبان احد عقيلاته يخبره بذلك فكتب الى الامير رسالة في
١٠ شعبان قال فيها :

« قد تحقق عندي خلاف ما اخبرتني به سابقا اي انك عائد الى
مكة المكرمة ، والظاهر انك مهاجم تربة والخرمة . وذلك مخالف لما
ابديتموه للعالم الاسلامي عموما ، والعربي خصوصا . واعلم رعاك
الله ان اهل نجد لا يخذلون اخوانهم وان الحياة في سبيل الدفاع
عنهم ليست بشيء . نعم وان عاقبة البغي وخيمة . خير لك اذن ان
تعود الى عشيرة . وانا ارسل اليك احد ابنائي او اخوتي للمفاوضة
فتتم الامور على ما يرغب به الفريقان ان شاء الله » .

الكتاب طويل تدرك مباحثه من جواب الامير الذي فيه كل
الخبر وهو في عنوانه يعود الى اللهجة الرسمية في الكتاب الاول :

« من عبدالله ابن امير المؤمنين الحسين بن علي الى حضرة امير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز سعود دامت كرامته . »

وصلني خط الجناب الموقر المؤرخ في ١٠ شعبان فتلوته وفهمته ، فلم اجد فيه ما استغربته واستعذبتة . تقول اني بينما اكتب اليك مسالما اجر الاطواب على المسلمين ، وان مظهري هذا اثار ثائر الناس علينا . وانك ، دامت مدتك ، خرجت فزعا الى ان يأتيك مني الجواب . واليك به وهو ينطق بلسان صاحب الشوكة والسدي وحكومته .

اولا - اظن ان صاحب الشوكة سيد الجميع يرحب بكل من يطلب كتاب الله وسنة رسوله (ص) ويحيي ما احيا الكتاب والسنة ويميت ما اماته الكتاب والسنة لان هذا دابه وداب اجداده منه الى صفوة الخلق عليهم سلام الله .

ثانيا - لا اذكر ان احدا منا وقع على كتاب ذكر فيه انك او احد آل مقرن من الخوارج . او انكم لستم من ملة الرسول .

ثالثا - كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة وعاث في الارض فسادا يستحق التأديب شرعا ، شخصا واحدا كان او الف شخص .

رابعا - اعلم وتيقن ان نيتنا نحوك ونحو اهل نجد نية خير وسلام .

خامسا - اما قولك ان الناس نفروا جميعا لحربنا اناهم قبل رجالهم فاذكرك بقول الله تعالى . . فان جاؤونا (اي عرب برقة والروقة الذين انذرهم) بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبد العزيز قبل ان ينزل اجدادك بنجد . وان بقوا فلكل باغ مصرع وان الله مع الصابرين .

سادسا - تأمرني بالرجوع الى ديرتي من ارض هي لابسي وجدي . ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم ؟ جزيت خيرا . ولكن هل تذكر ان رجلا من قریش، ثم من بني عبد مناف ، ثم من بني هاشم،

جده الرسول وعلي ابن ابي طالب ، يقعقع له بالشنان (١) ويسروع
بمثل هذه الاقاويل ؟

سابعاً - تقول اني لو التمس رجلا في نجد يرجع الحياة على
الموت في سبيل الله لم اجده . فكان الاوفق لهم اذن ان يأتوا
ويجاهدوا الاتراك معنا عن بيت الله ومسجد رسوله حتى ينال
الشهادة منهم من كتب له . ثم بعد ذلك تردون يمناً النظر .

ثامناً - اخبرتك في كتابي بفتح المدينة المنورة بانني متوجه الى
الوطن لتأديب العصاة، وسألتك هل انت على عهدي بك او تغيرت
نياتك فجاءتني نجاجيبك بجواب منك فيه الميل الى التقرب والمسالمة
فرجوت خيرا وعززته بالجواب الثاني فجاء ثاني كتبك لي ومثله
لوالدي ولاخي ملؤها المودة المؤكدة باليمين وكل ذلك محفوظ . فما
حملك الآن على تغيير لهجتك ؟ أمن اجل اننا نؤدب رعايانا ونصلح
ما فسد في قبائلنا ؟

تاسعاً - ان كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فاردد الذين
امرتهم ببيع مواشيهم ، وبنيت لهم الدور (يريد الهجر) واخلى انت
مكانك الذي وصلت اليه وانحر (عد الى) ديرتك ولك علي الا امس
احدا من اهل نجد بسوء .

اني مرسل اليك كتابي هذا مع احد نجاجيبك وهو القسماني
وابقيت الآخر ليأتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام .
في ٢٣ شعبان ١٣٣٧ القائد العام للجيش الشرقية الهاشمية

الختم الامير

تربة والخرمة ! لا بد عند هذا الحد من كلمة في هاتين البلدين
وقد اثارنا الحرب بين نجد والحجاز . الخرمة هي على مسافة
خمسين ميلا من حضن الى الشرق، وتربة هي على مسافة خمسة
وسبعين ميلا منه الى الجنوب . وجبل حضن هذا هو في التقاليد

(١) اي بالشنان وهو يضرب لمن لا يتضع لحادث الدهر .

الحد الفاصل بين نجد والحجاز . فقد جاء في الحديث : من رأى
حظنا فقد رأى أنجد .

من هذه الوجهة اذن تكون البلدتان في نجد . ولكن اصحاب
السيادة فيها من اشراف الحجاز . فادعى الملك حسين رعايتهم . ومن
الوجهة الاخرى ان الاهالي من بدو وحضر وفيهم الاشراف تمذهبوا
في الزمن الفابر بالمذهب الوهابي ، فلهذا السبب ايضا يدعي ابن
سعود انهم من رعاياه . وكلهم بدو وحضر لا يتجاوزون الخمسة
والعشرين الف نفس . تلو الخرمة الكائنة في وادي سبيع ثلاثة
آلاف وخمسمئة قدم عن البحر وعدد سكانها خمسة الاف ثلثهم
من العبيد المعتوقين ، والثلث الآخر من عرب سبيع (١) اما الاشراف
فلا يتجاوزون الثلاثمائة نفس . ولكن اهميتها لا تقاس بعدد سكانها
لأنها كائنة في طريق التجارة بين نجد والحجاز ، بل هي محطة
تجارية لتجار الوشم والقصيم .

اما امير الخرمة الشريف خالد بن منصور فهو من بني لؤي اي
من اقارب الملك حسين . ولكنه من المتصلبين في الوهابية . لذلك
لم تصف الصلات بين الشريفين . بل اثمرت لخالد ثارين ، فقد
حدث خلاف بينهما في سنة ١٣٣٦ حمل جلالة الملك على حبس خالد ،
فاشتعل في صدره الثأر الاول . ولكنه غطاه لحين برماد النسيان ،
وراح يساعد الامير عبد الله في حصار المدينة .

وهناك حدث خلاف بينه وبين الامير ، وتكررت الاساءة التي
لا مجال لذكرها ، فتكلم خالد منذرا ، فغضب الامير وصدفه بيده ،
فسقى الرماد عن الثأر الاول والتهب مقرونا بالثأر الثاني .

(١) كانت سبيع تقطن جهات الحجاز فطردتها عتيبة ، فنزحت الى بقية منها
هم سكان الخرمة ورنية الى جنوبي نجد واقامت وحلفاءها السهول في حائر التي
تدعى هناك حائر سبيع .

جاء خالد الى الرياض في آخر سنة ١٣٣٦ يحذر ابن سعود من مساعي الحسين ونجله عبد الله ويستنجد به عليهما . وقد حدث في السنة التالية (١٩١٨ م) ما حقق قوله لان الامير ارسل اربع حملات على الخرمة بقيادة الشريف شاكر وكان نصيبها كلها الفشل .

اما تربة فسكانها من عرب البقوم ، وفيها مثل الخرمة عدد من الاشراف يملكون اكثر ارضها ، وكلهم بدو وحضر وعبيد من اتباع ابن سعود منذ ايام سعود الاول . بيد ان قسما منهم انضموا الى جيش الحجاز في الحرب العظمى ، ثم انقلبوا على الحسين لاسباب دينية ومالية فآلى على نفسه تأديبهم ، ولم يتمكن من ذلك الا بعد ان انتهت الحرب .

ومع ان تربة قرية لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة الاف فهي ذات اهمية لانها في الطريق الى الطائف . هي باب الطائف من الوجهة النجدية ، وحصن الطائف من الوجهة الحجازية . ويتبع تربة «سهل شرقي» الى الشمال الشرقي من مستنقعات البقوم وعدد سكانها ثلاثة الاف من البادية وحول هاتين القبيلتين السبيع والبقوم وقراهما تسرح وتمرح قبيلة عتية الكبيرة .

ونعود الآن الى الجيش الزاحف الى تربة ، فقد بالغ الرواة في تقديره فقال بعضهم انه مؤلفا من سبعة الاف من النظام وثمانية الاف من البدو . اما الحقيقة فهي انه لم يتجاوز كله السبعة الاف ، منهم الفان من النظام والباقي من البدو .

ولكنه كان كافيا لغرض الامير . فقد دخل تربة بدون قتال يذكر، دخلها في ٢٤ شعبان اي بعد يوم واحد من الكتابة الى ابن سعود . والذي مكنه من ذلك هو انه كان قد استخدم بعض عربان البقوم في جبل حضن ليدخلوا البلدة مدعين انهم جاؤوا يحذرون اهلها من الامير ويستنهضونهم على محاربته . بل قالوا

١٣٣٧ هـ
١٩١٩ م

للمدافعين انهم دباؤوا يحاربون معهم ، فانزلوهم في الحصون مع من تحصنوا فيها ، فما لبثوا ان انقلبوا عليهم فاستولوا على اسباب الدفاع وصاحوا بالناس . الملك للشريف !

وفي تلك الساعة في صباح الرابع والعشرين من شعبان (٢٤ نوار ١٩١٩) دخل الامير بجيشه فصادف لاول الامر بعض المقاومة ، فأمر باطلاق المدافع والرشاشات على المقاومين فتشتتوا ثم فروا هاربين الى الحرّة جنوبي البلد .

دخل الامير ظافرا فوزع جيشه في جوار ترّبة وحولها ، وكانت ساعة لرجال اباحية فنهبوا البلدة وافسدوا فيها ما شاعت الشهوات والاهواء . وقد امر في ذاك اليوم بقتل بعض المشايخ واثنين من التجار النجديين وبمصادرة اموالهم . ثم كتب من مخيمه في الجهة الغربية الى رؤساء البادية في تلك النواحي خصوصا في ركية ، يخبرهم بما حل بتربة ، ويهددهم بمثل ذلك اذا كانوا لا يجيئون طائعين صاغرين . ومن هذه الكتب الكتاب التالي :

» قيادة الجيوش العربية
الشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ابن امير المؤمنين الحسين بن عون الى المكرم فيحان ابن صامل

اما بعد فاني احمد الله اليكم ثم اخبرك باننا وفقنا البارئ سبحانه وتعالى فاطفانا نار الخارجة التي في تربة ومزقناها كل ممزق وضربنا اعناق ارباب الزيغ والنفاق ومن جملتهم اطعمامة وابن مسيّب نزيل قريتكم . وان هذه الفتنة التي اثارها خالد بن منصور بلا لازم ينعاها ، او حق يطلبه ، وادخلكم فيها ، نأمركم بتركها والاسراع

بالركوب الينا وكف كافة سبيع اهل رنية بدو وحضر عن الاستمرار فيها . ونأمركم بجلب شيوخ الزكور (قبيلة من القبائل) معكم الينا في ست ليال للاستئمان من سطوتنا . وان لم تفعلوا فساميل ميمنة البيرق المنصور عليكم مستعينا بالله تعالى مستنجدا عظيم قدرته . ولا تكتم انذاري هذا عن كل صغير وكبير لاني ساسالك عنه حين لا تنفك الندامة والسلام على من اتبع الهدى » .

في ٢٤ شعبان ١٣٣٧ القائد العام للجيش

الشرقية الهاشمية

الختم

وفي كتاب الى ماضي بن قاعد ومحمد ابرق نقيش يقول :

« ما خفي عليكم ما حل بتربة من ذبح الرجال ، وتدمير المال ، بعد ان طغى اهلها وبفوا . وانتم يا اهل رنية بدو وحضر ان ما كفيتم طوارقكم وركبتم الي في ست ليال مع شريفكم والا حزمتم حزم السلم وطرديكم طرد غرائب البل (ابل) وعاقلكم يعلم جاهلكم . ولولا مشري بن ناصر وغازي بن محمد لكان صباحي يسبق كتابي اليكم . والسلام على من اتبع الهدى » .

واستقر الامر ذلك النهار في المخيم المنصور ، وبعد ارساله كتب التهديد الي رؤساء القبائل اذن لنجاب ابن سعود ان يعود بالجواب الذي ذكر . وكان قد علم بان السرية التي جاءت الى الخرمة اي جيش ابن بجاد وخالد — قد مشت منها الى مكان يدعى القرنين ، وهو على مسير اربع ساعات من تربة ، فزود النجاب برسالة شفاهية ايضا :

— « اخبر الخوارج ومن التف حولهم في القرنين بما جرى . قل لهم اننا سنكفيهم مؤنة القدوم الى تربة — قل لهم ما جئنا تربة من اجل تربة والخرمة فقط . . سنصوم في الخرمة ان شاء الله وسنعيد عيد الاضحى في الحساء » .

وركب النجائب الظهر ، فوصل الى القرنين بعد صلاة العصر ، فاحاط به الاخوان مستخبرين . شق النجائب جيبه واخبرهم بما جرى ، وبما فاه به الشريف ، فما كاد يتم كلامه حتى صاحوا صيحة واحدة : اياك نعبد واياك نستعين ! وهم يريدون الهجوم . فسكن العالم والقائد روعهم . قال ابن بجاد : « كيف نتجاوز امر صاحب الامر ، فهو لم يأمر بغير الدفاع » .

ولكنه كان قد نسي كتابا جاء من ابن سعود وفيه ما معناه : اذا جاءكم الخبر بمسير الشريف الى مكة فالزموا مساكنكم الى ان يأتيكم مني امر آخر . واذا عالمتم بانه تجاوز حدود تربة فاني اذنكم ان تفضوا كتابه وتقرأوه فترون فيه رأيكم .

ما كانوا في حاجة الى استماع كتاب الامر وقد سمعوا كلماته من فم النجائب . ولكن العالم عمل بالامر العالي ، فصاحوا ، وهو يتلو الكتاب عليهم ، اياك نعبد واياك نستعين ! وشدوا في تلك الساعة الرحال .

« هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها ! » .

مشوا قبل صلاة المغرب بساعة وهم مع من انضم اليهم الف وخمسمئة مقاتل .

قال الراوي وهو من اهل الحجاز : جاء الامر عبد الله في ذاك اليوم رجل من البادية يقول : تحذروا يا شريف . المتدنية في الخرمة هاجمون عليكم . فغضب الامر وامر بقطع عنقه . وفي رواية اخرى انه امر دخنا كبير عبيده بضربه ، فضربه حتى الموت .

في كلا الحالين نام الامر تلك الليلة خالي البال مطمئنا . وكان الاخوان قد علموا من رسول ابن سعود كيفية توزيع جيش الامر ، فانقسموا الى ثلاث فرق قبل ان يصلوا الى نخيل تربة ، اي فرقة الخيالة ، وفرقة خالد ، وفرقة ابن بجاد . وعندما وصلوا البلد في منتصف ليلة ٢٥ شعبان (٢٥ نوار) هجموا هجمة كبرى واحدة ساكتين مستشعدين .

وكان ابن الغطفط يثب على المدفع فيذبح الضابط المقيّد وراءه بالحديد . ولكن هول الفوضى والظلام كان افزع من التذبيح ، فبطش الجنود بعضهم ببعض ويظنون انهم يبطشون بالاخوان .

اما فرقة الخيل فقد قطعت خط الرجعة خصوصا على حرس الامير فلم ينج منهم غير الامير نفسه وبعض الضباط ، ونجاب ابن سمود الثاني . فر الامير عبد الله قبل ان يصل خالد ورجاله الى سرايا المخيم فثبت بعضهم في النضال ليردوا العدو عن تعقبه ، وسقط من حاول الفرار صريعا بين سنابك الخيل .

واما الذين نجوا من الذبح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار فقد التجأوا الى حصن من حصون البلد ، فهجم الاخوان عليهم في اليوم التالي ، وجعلوا خاتمة المذبحة كأولها ، فتراكمت الجثث بعضها فوق بعض . وكان من اللاجئين الى ذلك الحصن الشريف شاكرا فكتب له النجاة ، ونجا معه شاب من الاشراف اسمه عون بن هاشم اجتمعت به في جده ، في رحلتي الثالثة اليها ، وهو يومذاك في العشرين من سنه . فقد كان عمره يوم شهد تربة خمس عشرة سنة . قال الشريف عون بن هاشم يحدثني عن هول ذاك اليوم : « رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل ، وبقيت سنتين عندما ارى الماء الجارية اظنها والله حمراء . ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل ان طحت من الشباك . ومن اعجب ما رأيت يا استاذ رأيت الاخوان اثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون الى القتال »

لم ينج من جيش الامير النظامي غير ستة ضباط واثنى عشر جنديا . ولم ينج من البدو غير من سلموا او انضموا الى جنود خالد ، واكثرهم من عتيبة ، وعددهم لا يتجاوز الالف . فيكون الموت قد تقاضى خمسة الاف نفس بشرية جزاء جهل الانسان وغروره . بل خمسة الاف وخمسمئة ، لان الاخوان دفعوا قسما من الضريبة، فقد

خسروا اربعمئة من رجال الفطط ومئة من اهل تربة والخرمة .

قال الامير عبد الله في كتابه الاول الى ابن سعود ينبئه بتسليم المدينة : « واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاملاك والآلات والادوات العائدة للحكومة الغابرة » — استولى عليها في ربيع الثاني ، ثم خسرها بعد اربعة اشهر فاستولى عليها ابن سعود !

ولكن ابن سعود لم يعلم بذلك الا بعد الوقعة بخمسة ايام . فقد كان قادما من نجد بجيش عدده اثنا عشر الف مقاتل ، فالتقى وهو في الطريق بين ماء القنصلية والخرمة بالنجاء الشارد فقص عليه الخبر .

واسنمر عبد العزيز سائرا الى الخرمة ومنها الى تربة ، فبكى عندما شاهد فيها حصاد الموت . وعفدا صاح جنود خالد وابن بجاد : الى الطائف ! رخص لنا بالطائف . منعهم قائلا : « كفى الباغى جزاء بغيه » .

اقام عبد العزيز خمسة عشر يوما في تربة . وقد جاءه في اليوم العاشر برقية من الحكومة البريطانية في لندن بواسطة وكيلها السياسي بجدة تسأله فيها الا يتقدم الى الطائف . فعلت ذلك اكراما للملك حسين واجابة لطلبه ، وكان ابن سعود في نظرها كريما .

الفصل الثامن والعشرون

البدو والهجر

قد شاهدنا للمرة الاولى ، في وقعة تربة ، روحا جديدة في القتال ، روحا نجدية دينية مجسمة في الاخوان ، روحا قهارة ، هي بنت الهول والاستشهاد قلما تغلب او ترد . وفي كلمة كتبها الامير عبدالله الى ابن سعود سر هذه القوة قال الامير : « فاردت الذين امرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور » .

هي اول اشارة في هذا التاريخ الى الهُجَر والهجر مهد الاخوان ، والاخوان جيش ابن سعود الديني القومي ، جيش التوحيد .

وما هي الهجر ، وكيف اسست ، وما الذي دعا لتأسيسها ؟ ومن هم البدو ومن هم الاخوان ؟ سنبدأ مجيبين على هذه الاسئلة بكلمة على البدو فنتطرق الى الهجر واهلها . البدو منذ القدم غزاة ، عصاة ، عتاة ولهم غريزة دينية غدتها الخرافات ، ومطامع تكاد تنحصر بالاقوات . فهم يسارعون الى القتال في سبيل الله كلما نفر النافر وضاق بهم العيش .

ولكنهم في طاعتهم واخلاصهم ، وفي جهادهم وولائهم ، لا يحتملون فوق طاقتهم ، وقلما يفسدون بشيء من اشيائهم ، يحاربون ، ويشردون ، ويخونون . وهم وان غالوا في دينهم ، لا يثبتون ، بل انهم في الردة سريعون .

وقد رأى الرؤساء منذ القدم ، نظرا لغريزتهم الدينية وان تلونت ، ان يستلوا عليهم سيف الالهية قبل السيف الذي يرى . دعاهم مسيلمة فلبوه ، ثم دعاهم الشيخ طاهر القرمطي فحاربوا معه كالبنيان المرصوص . ثم تشبثوا بعد كسرة القرامطة ، فجاءتهم من البصرة والنجف عقائد في الدين جددت في جمع شملهم وتعزيز املهم ، فبنوا

القباب فوق القبور ، وعلقوا الرقاع على الاشجار — سبحانه من هو صديق للواحد القهار .

ثم جاء ابن عبد الوهاب يعلمهم ان التسبيح لا يجوز لغير الله الواحد القهار ، جاء يعلمهم التوحيد واستعان على ذلك بسيف ابن سعود ، فقاموا يحاربونه مع ابن الدوآس ، وابن العريعر ، وكانوا مدحورين . جمعهم ابن سعود تحت علم التوحيد ، فوحسبوا الله واقسموا ان لا شريك له . ولكنهم في كل اطوارهم بدو ، والبدو مثل ذوات الاجنحة طيارون او ان لهم مزية الزئبق ، فيجتمعون ويفترقون ، وانت تتلو الفاتحة . لا يحملون شيئا في جيوبهم ، ولا في قلوبهم ، بل لا جيوب لهم ولا قلوب ، رفاقك في الطريق اليوم ، واعدائك غدا . ولا اظنهم لولا الجنة والحدور ، يخضعون لرب الكائنات . قد اكون مخطئا بهذا وهم يكثر من ذكر الله في كل حالاتهم .

ولكن النبي نفسه انبهم فلم ينفعهم التائب . فقد جاء في القرآن :
« قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا » .

اما الدين عندهم فكالرداء يلبسونه ردحا من الزمن ، فيغسلونه مرة او مرتين ثم يلبسونه مقلوبا ، ثم ينبذونه ، وقد تمزق ، نبذ النواة — كيف نتوضأ ونحن نبغي الماء للشرب ؟ ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان ؟ ولم الصلاة وليس لله وقت ليسمعنا ؟

وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الامير او ذاك فما الفرق وربك بين ابن مقرن وابن هاشم ، او بين ابن الصباح او ابن الرشيد ؟ هم كلهم عرب ، يقيمون في بلاد العرب ، ويفزون غزو العرب ونحن ان حاربنا مع هذا او ذاك عرب .

ما تغير العرب منذ ايام الرسول ، ومنذ ايام مسيلمة وابي طاهر . دينهم حاجات ، لتلك الردات . وولاؤهم غايات ، لتلك الخيانات .

وقد تبين لقارىء هذا التاريخ في ما سردناه من حوادثهم ، وسجلناه من حروبهم ، انهم لم يتغيروا حتى بداية القرن العشرين . فقد طالما ارتدّوا ، وخانوا ، وعادوا تائبين ، منذ ايام عبد العزيز الاول الى ايام عبد العزيز الثاني . وهم كما وصفناهم لا يوالون طويلا ، ولا يعادون طويلا . لا يثبتون ، ولا يسكنون ولا يستقيمون في مسراهم او في مغزاهم .

البدو سيف في يد الامير اليوم ، وخنجر في ظهره غدا . مجاهدون اذا قيل غنائم ، متمرضون اذا قيل الجهاد . وكذلك كانوا عند ظهور عبد العزيز الثاني وفي حروبه الاولى وغزواته . كانوا يحاربون ما زالوا آمنين على اموالهم وانفسهم ، ويفرون شاردين عند اول خطر يلوح . لذلك كان ابن سعود يقدمهم في القتال ويدعمهم بالحضر ، يحمي ظهرهم ليأمن انقلابهم وتقهرهم . فهم اذا ذاك اشداء ثابتون في النضال . وبكلمة اخرى هم شجعان اذا كان لهم ظهر . والا فالفالته لنا والفرار علينا . جاء في امثال العرب : البدوي اذا رأى الخير تدلى واذا رأى الشر تعلّى . ولكن البدوي وحده يدافع عن نفسه وبعيره حتى الموت وان كان خصمه قبيلة بأسرها . اما البدوي في الجيش فقد كان مشكل ابن سعود الاكبر .

وقد حل عبد العزيز هذا المشكل بطريقة جديدة لم يسبقه اليها احد من ملوك العرب قديما او حديثا . فهو من هذا القبيل المصلح الاكبر في العرب .

اجل قد حارب البدو وغلبهم كما فعل اجداده وادخلهم في دين التوحيد كما فعل اسلافه ، ولكنه لم يقف مثلهم عند هذا الحد . قال : امسكوا الخونة ، فقالوا : الفلا منجي . وها هنا نجوة التجلي فقد تجلت لعبد العزيز الحقيقة التي خفيت على سواه . وهذه الحقيقة ان البدو لا يثبتون ، ولا يطيعون ، ولا يخلصون — البدو هم بدو — لانهم لا يملكون شيئا من الارض ، ولا يسكنون بيوتا ثابتة . اذن ،

سنعطيهـم ارضا ونساعدهـم في بناء البيوت . سننقلهـم من البادية الى المدينة . سنقيدهـم بالارض ، ونكبلهـم بسلاسل التملك فننفعهـم ، واذا اذنبوا نستطيع تأديبهـم .

ان هناك كذلك الفكرة الدينية ، الفكرة الاولى في الهجر — والهجر جمع هجرة — والهجرة في القاموس ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال الى دار الاسلام . اما وطن البدو فالبادية ، والبادية مهد الشرك ، فالهجرة منها اذن هي الهجرة الى الله والتوحيد . وهي كذلك هجرة مدنية . فمن بيوت الشعر الى بيوت من لبن وحجر ، ومن الفقر والغزو الى ارض لا تخون صاحبها اذا اعمل بها المحراث ، ومن الخوف والتحذر الى طمأنينة لا تهجره ما زال عاملا مفيدا لنفسه وبلاده .

الداعي الى الهجرة اذن ثلاثة امور ، تعليم البدو الدين ، ونفعهـم بارض يحرثونها والاستيلاء عليهم . ليس من السهل ان يألف البدوي الزراعة وقد كان دائما يألفها . كان سكان البادية يقسمون في الماضي الى قسمين البدو والعرب ، فالبدو غزاة ، والعرب رعاة ، ولا اكار بينهم ولا من يتنازل للعمل في الارض .

باشـر ابن سعود اصلاحه الكبير بالوسائل الدينية ، فكان يرسل المطاوعة الى البادية ليعلموا اهلها دين التوحيد والفرائض ويزينوا لهم هجر ما هم فيه من ايمان يستشعرون ، وبيت ياوون ، وارض يحرثون .

وقد استخدم في التحضير القوة المدنية ايضا فكان السيف يتقدم المطوّع في بعض الاحايين او يتبعه كما تقضي الاحوال . تجاوز التطور في البدو حده الديني ، فصاروا يهـجرون ما هم فيه ليس الى الله والتوحيد فقط ، بل الى الشريعة والنظام ، وطاعة الحكام ، واحترام حياة الانام .

وكان ابن سعود يعين بقعة من الارض فيها ماء لقبيلة او لفخذ منها فتنزح اليها وتباشر ببناء البيوت فيها . بيد ان الصعوبة الاولى التي تغلب دعاة الهجر عليها هي الجمال . ومعلوم ان رزق البدوي اباعره ، فما زالت عنده ، ما زالت البادية تستغويه ، فيروح في ساعات الضجر طالبا الرزق حلالا او غزوا حيث كان . لذلك اجبر البدو على بيع جمالهم .

كان ابن سعود يساعد ماليا في بناء البيوت الجديدة . وقد اسست في سنة ١٣٣٠ اول هجرة لعرب مطير اي الارطاوية شرقي بريدة وقرب الدهناء . اما تسميتها بالارطاوية فهو لان الارطى ، مرعى الابل المعروف ، يكثر في جوارها . ان هذه الهجرة لأكبر الهجر واهمها . وقد تبعها كل سنة هجر عدة لقبائل حرب وعتيبة وقحطان وغيرها ، حتى اصبح عددها سبعين هجرة ويزيد (١) .

على ان هذه الهجر في بداية امرها اورثت ابن سعود مشكلا آخر ، وهو ان البدو بعد ان باعوا جمالهم وصاروا اخوانا يتعصبون بالعصبية البيضاء التي تميزهم عن الناس ، اقاموا في الهجر لا يعملون شيئا في ايام السلم غير الصلاة . غدت بيوتهم مناسك ، وقد نزلوها ابتغاء وجه الله . هجروا البادية حقيقة الى الله والتوحيد فاصبحوا عالة على صاحب البلاد .

ولكن المصلح الكبير لا يعدم طريقة تنقذ اصلاحه من الخطر . فشحذ ذهنه واستعان على تلك الحالة بالعلماء ، فجاء العلماء بالتاريخ ، وباخبار السلف ، فسلحوا بها المطاوعة ، فراح هؤلاء يحاربون بها البطالة والكسل ، راحوا يعلمون المتحضرين ان الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين ، وان المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير . — وهذا ابو بكر ، كرم الله وجهه ، كان يملك ثمانية الاف رأس من الابل والخيول . فهل تزدرون ايها الاخوان ، ما كان يرغب

(١) في الملحق لهذا التاريخ — في اخره — لائحة الهجر كلها واسماؤها واسماء

مساكنها وعدد سكانها ، وعدد المقاتلة فيها . سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م .

فيه ابو بكر ؟ وهل تشكون في ان الله سبحانه وتعالى يفتح لكم ، اذا انتم زرعتم وتاجرتم ، ابواب الثروة والجاه ؟

قد افلح المطاوعة في تحبيب العمل والمال الى الاخوان ، فشرعوا يزرعون الارض حول الهجر ويتاجرون . وقد نشأت بعض هذه القرى نشوا سريعا فصارت تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة . على ان الزراعة والتجارة لم تضعف في ابناء هذه الهجر ، في الاخوان ، روح القتال بل علمتهم فوق شجاعتهم شجاعة جديدة لا تعرف الخوف ، ولا تهاب الموت . وما الشجاعة هذه غير بنيت الايمان الجديد الحي القوي . فان اخوان مطير في الارطاوية مثلا ، واخوان حرب في دخنة ، واخوان عتيبة في الغطف ، لاشد جيوش ابن سعود بأسا ، وابسلهم نضالا ، واسبقهم الى الاستشهاد . كيف لا وقد قلدوا في تحضيرهم سيفين ، سيف الدين ، وسيف الثبات . انهم اليوم لغيرهم بالامس فلا يشردون ولا يتراجعون ، وقلمما يهزمون . انهم يحاربون حبا بالاستشهاد والجنة ، وحبا بالمحافظة على ما يملكون . صاروا يخافون النار ، ويخشون عاقبة الفرار .

لا ، لم تقتل الهجر في اهلها غريزة الغزو ، ولا اضعفتها . بل شحذتها في سبيل الله ، وقيدتها بشروط تختص بتقسيم الغنائم . على ان توحيد السيادة العربية ، السائرة نحوها البلاد ، تضيق من طبعها مجال الغزو وتزيله في النهاية تماما . فلا تجد اذ ذاك للعرب اعداء من العرب او عربا مشركين للغزو والجهاد .

قلت مرة لعظمة السلطان : « وستكون الهجرة الثانية من الجهل الى العلم ان شاء الله ، فتؤسس المدارس ويتعلم الاخوان شيئا من العلوم التي من شأنها ان تحسن الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد » . فاجاب عظمتة : « كل شيء يجيء في وقته » .

اما سكان الهجر الآن ، وهم الطبقة الاكثر عددا ، فقد الفوا الزراعة واستعذبوا ثمارها . وهناك الطبقتان الاخريان اي التجار والمطاوعة . اما من الوجهة الحربية فالهجرة تقسم الى ثلاثة اقسام اخر لتلبية دعوات الحرب الثلاث ، اي الجهاد ، والجهاد مثنى ، والنفير . فالذين يلبون الدعوة للجهاد هم دائما مسلحون وعندهم مطايا وشيء من الذخيرة . والجهاد مثنى هو ضعف الجهاد ، فيجئ كل مجاهد بآخر يردفه ذلوله . هم الذين يلبون الدعوة الثانية والاحرى ان يسموا الرديف . اما القسم الثالث من الذكور فهم الذين يبقون في ايام الحرب في الهجر ليداوموا اعمال التجارة والزراعة ، ولا يدعون للحرب الا اذا اضطر صاحب البلاد الى الاستنفار العام . من حقوق الامام وحده ان يدعو الى الجهاد والجهاد مثنى . اما الاستنفار العام الذي لا يكون الا للدفاع عن الوطن ، فهو حق العلماء . ولكن السلطان يكتب اليهم معلنا حاجة البلاد الى الدفاع ، فيبادرون الى استنفار الناس اجمعين ، البدو والحضر والمهاجرين .

قال عظمة السلطان محدثا عن الاخوان : « يجيئوننا في السلم فنعطيهما كل ما يحتاجون اليه من كسوة ورزق ومال . ولكنهم في ايام الحرب لا يطلبون منا شيئا . في ايام الحرب يتمنطق الواحد منهم ببیت الخرطوش ، ويبادر الى البندقية ، ثم يركب الذلول الى الحرب ومعه شيء من المال والتمر . . . القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا . . . كنا نمشي ثلاثة ايام بدون طعام . يأخذ الواحد منا تمرة من حين الى حين يرطب بها فمه . . . نعم كانت الحاضرة اثبت قدما واشد بأسا من البادية . اما الآن فالبادية المتحضرون اهل الهجر هم في القتال اثبت من الحاضرة واسبق الى الاستشهاد » .

ولكنهم في ما ظهر من بسالتهم ، وبطشهم ، وهول استشهادهم ،
اورثوا عبد العزيز مشكلا آخر ا كاد يفسد مشروعه الاصلاحى
العظيم . فقد طغى الاخوان وتجبروا فضج الناس . راح الاخوان
يحاربون من لم يتحضر من البدو فيكفرون ، وينهبون ، ويقتلون .
« انت يا بدوى مشرك — والمشرك حلال الدم والمال . انت
يا ابا العقال من الكفار — انا اخو من طاع الله ، وانت اخو من طاع
الشيطان » .

كذلك كان يسطو كل متعصب بالعصاة البيضاء على سواه
من العرب ، فيعيّر ، ويشتم ، ويسفك الدماء . وقد انتشرت من
جاء ذلك الفوضى في البلاد ، وكاد يقطع حبل الامن والسلام ،
فعقد الامام في سنة ١٣٣٧ (١) مؤتمرا في الرياض للنظر في هذه
الامور ، حضره كبار الرؤساء والعلماء ، وقرروا بعد البحث ما
ياتي :

- ١ — الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم .
- ٢ — لا تفاوت بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان
معتقدهما واحدا .
- ٣ — لا فرق بين الحضر الاولين والمهاجرين الآخرين .
- ٤ — لا فرق بين ذبيحة البدوى الذي في ولاية المسلمين
ودريه دريهم ، ومعتقده معتقدهم ، وبين ذبيحة الحضر
الاولين والمهاجرين .
- ٥ — لا حق للمهاجرين ان يعتدوا على الناس الذين لم
يهاجروا كأن يضربوهم ، او يتهددوهم ، او يلزمسوهم
الهجرة .
- ٦ — لا حق لأحد ان يهجر احدا بدويا كان او حضريا بغير امر
واضح ، وكفر صريح ، وبدون اذن من ولي الامر او
الحاكم الشرعى .

(١) تدعى هذه السنة في نجد سنة الرحمة لان الواحدة الاسبنيولية التي
غزت العالم بعد الحرب لم تستثن حتى البادية . فقد مات في قلب البلاد العربية
الوف من الناس وفيهم ابن السلطان البكر تركي واثنان آخران من ابنائه .

وقد ضمنت هذه القرارات منشورا (١) من الامام والعلماء
جاء فيه ما يأتي :

« ان معتقد المسلمين بدو وحضر واحد ، واصل المعتقد كتاب
الله وسنة رسوله ، وما كان عليه الصحابة ثم السلف الصالح ثم
ائمة المسلمين الاربعة ، الامام مالك ، والامام الشافعي ، والامام
احمد بن حنبل ، والامام ابو حنيفة ، فهؤلاء اعتقادهم واحد في
الاصل . . . قد يكون بينهم اختلاف في الفروع ، ولكنهم كلهم على
حق ان شاء الله » .

وهذا الاصلاح العظيم ، اي تحضير البدو فيسلكون عاجلا او
آجلا المسلك الاوسع الذي فيه المدارس والتمدين ، لم يسبق له
مثيل في شبه الجزيرة العربية منذ ايام النبي .

(١) في الملحق نسخة كاملة من هذا المنشور .

الفصل التاسع والعشرون

صلح صغير

بعد ان نكب الملك حسين في تربة ، فخر جيشه باجمعه ، فتح لابن الرشيد الشاب قلبه وخزنته ، ومستودع الذخيرة والسلاح في المدينة . فمززت جريدة القبلة اقوال الديوان الهاشمي : — عدوك عدونا يا ابني ، بل عدو العرب والاسلام . وهذا السلاح منا للحرب ، وهذا المال . اما الرجال ، فعندك شمر وفيها الاشبال .

وكان سعود بن عبد العزيز الرشيد قد عقد وعبد العزيز بن سعود ، بعد المناوشات الاخيرة قرب حائل في الشهر السابق لهدنة الحرب العظمى ، صلحا سميناه صغيرا . والامير سعود هذا هو الذي فرَّ به خاله ابن السبهان الى المدينة عندما قتل اولاد عبيد اخوته الثلاثة . الحجاز آواه صغيرا ، والحجاز يمهده كبيرا بالسلاح والمال لمحاربة صاحب نجد .

وقد كان سعود بن عبد العزيز مثل اسمه عكس خصمه عبد العزيز سعود — عكسه في اصالة الراي وبعد النظر . فلما جاءه من جلالة الحسين السلاح والمال ، وجميل الاقوال ، قبل في الحال .

اما ابن سعود عبد العزيز فكان قد ادخل خلال الحرب العظمى اسفين التوحيد في شمر فشقها قسمين . وعندما باشره ابن الرشيد العداء كتب الى رؤساء تلك القبيلة كلهم ، الاصدقاء والمتذبذبين والاعداء ، ينذرهم ويقول : « من كان معنا فليقدم الينا ، ومن كان مع ابن الرشيد فليرحل اليه » . فكان الجواب من اكثر المقدمين انهم مقيمون على ولائه ولن يلبوا دعوة ابن الرشيد .

فلما ادرك الامير سعود ان قبائل شمر ليست معه يدا واحدة ارسل الى عبد العزيز وقد يقول انه قد تسرع ، وانه آسف على

ما بدا منه . بل انه راغب في تجديد الولاء . فجدد
عهد الصلح ، بالرغم من اعتراض اهل نجد ، ولكنه

١٣٣٨ هـ
٢٠١٩١٩ م

لم يدم منذ ذاك الحين عاما كاملا ، ولم يكن ابن سعود المعجل في
نقضه كما تدل على ذلك حوادث ذلك العام . فقد كانت سياسة
الجوف يومذاك للامير نوري الشعلان ، فاثارت بعض اعماله الاهالي
عليه فحاربوه وارسلوا يستنجدون ابن الرشيد .

انجدهم ابن الرشيد حبا وكرامة ، وهو مسرور بعذر يقدمه
للملك الحسين — وكأنه يقول : « اضطرتنا فتنة الجوف الى تأجيل
الحملة على ابن سعود » — ومسرور بفرصة سانحة للاستيلاء
على تلك الناحية .

مضى سعود برجاله الى الجوف ، فاصطدم هناك بقوات
الشعلان يقودها ابنه نواف وعودي ابو تايه فنازلوه وغلّبوه ،
فارسل يستنجد شمر فلم يلبه في بادئ الامر رؤساؤها خوفا
بعضهم من ابن سعود ، ومحافظه من الآخرين على عهد الولاء
واياه . على انهم ارسلوا اليه يستشيرونه في الامر فاجابهم : اني
على صلح وابن الرشيد فلا امانع من ارادوا ان ينجدوه .

وكان ابن الشعلان ، الشيخ نوري ، قد ارسل الى ابن سعود ،
عندما علم بما فعل اهل الجوف ، يستنجده على ابن الرشيد ،
فكتب عبد العزيز اليه يقول : « اني صديق لك ولابن الرشيد ،
فلست اذن مشاركا في هذه الحرب . ولكني انصح لك ان تتحصن
في حصون الجوف ، وتتخذ خطة الدفاع ، فلا تهاجم ابن الرشيد
ولا تحاربه في الخارج . لان جنوده مدربون على القتال وهم
قديمو العهد في الحروب ، وجنودك من البادية ، من اهل البلى
(ابل) فلا يركن اليهم ، ولا هم في القتال اقران شمر » . لم
يعمل نوري بنصيحة عبد العزيز فكان من الخاسرين . اذ انه
عند وصول نجدات شمر هجم عليهم فكسروه شر كسرة ، واستولوا
على الجوف .

ولكن سعود بن الرشيد ، الذي كان يومذاك في الحادية والعشرين من سنه ، لم يعيش بعد انتصاره على ابن الشعان شهرا كاملا . فقد قتل بعد ان عاد الى حائل . قتله ابن عمه عبد الله بن طلال الذي ذبح كذلك في اليوم نفسه (في الفصل الثماني والثلاثين خبر هذه الفاجعة مفصلا) وتولى الامارة بعده عبد الله بن متعب بن عبد العزيز بن الرشيد ، فاركب الى ابن سعود رسل السلام وهو يريد تجديد عهد الصلح والولاء .

وكان اهل نجد يعارضون في اجابة طلب ابن الرشيد المرة السابقة ، فجاء عبد العزيز هذه المرة يشدد في شروطه ويجدد فيها . قال لرسل حائل : اني مجيبكم في كل ما تطلبون ، ولكنني الفست نظركم الى ما بدا من امرائكم السابقين ، وهذه هي كتبهم الى الشريف ينكتون عهودا بيننا وبينهم ويرموننا باشنع التهم . يقولون اننا خوارج ، واننا . . واننا . . انا الان على هذا : اما شؤون شمر الداخلية فلا تدخل فيها ، واما الخارجية فيهمني امرها . فقد طالما اضرت سياستها بنجد ومصالحه . لا بد اذن من تنازلكم عن ادارة الشؤون الخارجية في شمر واعترافكم لي بذلك . وينبغي ان يكون الاعتراف خطأ لينشر فيعرفه جميع الناس » .

وعاد الوفد الى حائل يحمل شروط ابن سعود الى اهلها والى اولي الامر فيها . اما اهلها واكثر المقدمين في شمر فاجمعوا على القبول . واما اولو الامر من آل السبهان والرشيد ، وبعض الزعماء مثل عقال بن عجيل وضاري بن طواله ، ناهيك بعبيد النصر والسيدة فاطمة السبهان جدة سعود — « ستي » فاطمة الحاكمة من وراء الستار — فابوا كلهم ان يذعنوا لابن سعود وقالوا : الحرب ! فاعلنت الحرب .

الفصل الثلاثون

الاخوان في الكويت

بعد محق الجيش الحجازي في تربة لان عود العجمان في الاحساء ، فجاء مشايخ القبيلة الى امير تلك الناحية عبد الله بن جلوي يطلبون منه التوسط بالصلح بينهم وبين ابن سعود . وقد كتبوا كذلك الى الامام عبد الرحمن ، فطلب من ابنه عبد العزيز ، بعد ان تحقق اخلاصهم ، ان يعفوا عنهم ففعل . وهم منذ ذاك الحين يقيمون على الطاعة والولاء .

اما الحرب في جبل ثمر فلم تحتدم ناراها الا بعد سنة من اعلانها . كان قد جهز عبد العزيز ابنه سعود بحملة على الجبل في صيف هذا العام ، فوصل بها الى وادي الشعيبية جنوبي جبل اجا واغار على عربان لابن الرشيد كانوا هناك فاصاب منهم مغنما . ولكنه لقلعة مرعى الركائب في الصيف في تلك النواحي ولقلعة ارزاق الجيش لم يتقدم الى حائل .

وقد حدث في ذلك الحين حادث في نواحي الكويت شغل ابن سعود عن ابن الرشيد فاكتمى بارسال سرديات عليه للغزو والمناوشات . اما حادث الكويت فله اسباب سابقة لا بد من الاحاطة بها في الرجوع الى تاريخ آل الصباح .

بعد وفاة الشيخ مبارك تولى الامارة ابنه جابر ، فكان حصيفا حكيما . ولكنه توفي في السنة الثانية من حكمه فخلفه اخوه سالم نقيضه في السياسة والاخلاق . وقد جاء ذكره في كلامنا على النطاق الحربي في الكويت يوم كان يخادع الانكليز لا حبا بالترك ، بل طمعا بالكسب من تجارة التهريب ثم عادى ابن سعود لظنه انه الناصح للانكليز بتحديد كمية الوارد في الكويت من البضائع فطرد التجار

التجديين من بلاده سنة ١٣٣٦ هـ . وكان قد اغضب عبد العزيز سابقا في مساعدته للعجمان . اصف الى ذلك ان سالما كان شديد التعصب على الوهابين .

بعد هذا التمهيد نسجل الحادث الذي ادى الى وقعة الجهرى بين الكويتيين واهل نجد .

ركب الشيخ سالم يخته ذات يوم وابحر الى مكان على الخليج بين جبيل والكويت يدعى بلبول ، فيه مفاص للؤلؤ وميناء طبيعي حصين للسفن الشراعية . وقد كان في نيته ان يبني قصرا هناك وبلدة ايضا تنافس جبيل بالتجارة والغوص . فلما علم ابن سعود بذلك كتب الى سالم ليمتنع عن العمل فابى . ثم كتب الى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يخبره ان الشيخ سالما في ما يقصد متجاوز حدوده وحقوقه لان ذاك المكان من اراضي القطيف التابعة لنجد ، وقد طلب منه ان يحول دون هذا التعدي . اما الشيخ سالم فكان يدعي ان بلبول ضمن حدود الكويت . . ولكنه اذعن على ما يظهر للوكيل البريطاني فعدل عن قصده .

على ان المسألة تجاوزت هذا الحد . ان في تلك الناحية شمالا بغرب من بلبول ماء يدعى قرية هو ملك قديم لعرب مطير . فنزح اليه بعض المهاجرين — الاخوان من هذه القبيلة واسسوا هناك هجرة لهم ، فاحتج ابن الصباح على هذا العمل ، واكثرهم من صغيرة ، مئتي راجل ومئة خيال ، واكثرهم من عريدار (١) بقيادة احد ابناء الصباح اسمه دعيج وكان الكويت في المراعي القريبة من تلك الناحية بضعة الاف رأس من الجمال والغنم ، وليس هناك من يستطيع حمايتها اذا اعتدي عليها .

(١) خليط من العربان لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل .

سار دعيج برجاله ، فنزل في حمض قريبا من قرية ، وارسل الى الاخوان يأمرهم بان يخلوا ذاك المكان والا — « نصبحكم ونذبحكم » .

وكان الاخوان ، عندما علموا بقدوم عساكر الكويت ، قد ارسلوا الى فيصل الدويش امير الارطاوية يستنجذونه ، فبادر فيصل الى نجدتهم بالفين من رجاله ، وظل سائرا حتى وصل الى حمض ، فصبح الكويتيين هناك ولكنه لم يذبهم كلهم ، فرّ دعيج واكثر جنوده هاربين ، وقد تركوا وراءهم ذلك القطيع الكبير من الابل والغنم فكان للاخوان غنيمة باردة . كل ذلك وابن سعود في الرياض جاهل ما حدث ، فغضب عندما بلغه الخبر وكتب الى الدويش يؤنبه ويقول : « قد تجاوزتم اوامري التي تنحصر في الدفاع » . فاجابه ان الكويتيين جاعوا اخوانه صائلين وقد وصلوا الى مكان يبعد عنهم اربع ساعات فقط .

ثم امر ابن سعود ان تجمع الاموال التي استولوا عليها ، الابل والغنم والسلاح حتى والمواein ، وتودع عند امير الارطاوية الى ان يجيئهم امر اخر بخصوصها . فعمل الاخوان بالامر بعد ان ارسلوا اليه خمس الفنائم .

وكان الشيخ سالم قد عرض المسألة على الوكيل البريطاني فاشار عليه بالتسوية السلمية ، فارسل الى ابن سعود رسولين هما عبد الله السمييط وعبد العزيز الحسن ، فاعتذر عبد العزيز عما حدث بدون امر منه . ثم قدم اليهما خمس الفنائم الذي كان عنده ، قائلا : « هذا اول الاداء . واذا اركبتم رجالا من قبلكم الى الارطاوية فآخره يسلم اليهم هناك » .

ثم كتب الى الشيخ سالم كتابا قال فيه « : السبب في هذا الحادث تدخلكم في ما لا يعنيكم . اعلموا ان لا حق لكم في بلبول او في قرية . واني اري ان يقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فترعاه . اما ما كان لآبائك واجدادك حقا على آبائي واجدادني فاني معترف به » .

لم يرق هذا الكتاب سالما ولا قبل بان ترد الفنائم اليه . بل

غضب غضبة يقتضي لتعزيزها عند العرب جيش كبير ، لم يكن عنده غير اليسير منه . وفي ذاك الحين كانت المناوشات بين ابن الرشيد وابن سعود ، فكتب الشيخ سالم الى صاحب شمر يستنجد به على « خصم الجميع » فلباه بان ارسل اليه ضاري بن طوالة ، الذي كان يومذاك مخيما في اطراف العراق . جاء ضاري مسرعا بقوة من شمر ونزل الجهري : حيث كان دعيج ورجاله ، فامرهما سالم بالهجوم ثانية على قرية .

وكان ابن سعود قد جاء الحساء فبلغه خبر مغزى ضاري ودعيج فارسل الى الدويش يأمره بانجاد اهل قرية ، فتوكل الدويش على الله ، وكان مسراه في ذي الحجة عام ١٣٣٨ هـ (ايلول ١٩٢٠ م) ولكن الدعيج والضاري اختلفا في الطريق على القيادة فلم يهاجما احدا ، بل عادوا الى الجهري فتعقبهما الدويش ونزل الصبيحة .

وعلم الشيخ سالم بذلك فسارع بنفسه الى الجهري ومعه خمسمئة مقاتل من اهل الكويت .

مشى الدويش باخوانه من الصبيحة وعددهم اربعة الاف ، فيهم خمسمئة خيال — « خيال التوحيد اخو من طاع الله » .

وكان سالم قد اكمل توزيع قواته كلها ، نحو ثلاثة الاف من الرجال والخيالة ، في حصون الجهري وبساتينها .

وجاء الاخوان من الجنوب الشرقي فاشرفوا على الجهري

في ٢٦ محرم (١١ ت ١) من رأس منحدر لا صخرة

١٣٣٩ هـ

فيه ولا اشجار . جاعوا على عاداتهم في الصباح

١٩٢٠ م

وانحدروا كالسيل الى البساتين تحت وابل من الرصاص ، فكانت بنادق المدافعين المحصنين تحصدهم بالعشرات والمئات وهم يتقدمون مستبسلين مستشهدين .

ساعة من هذا الهجوم عقبته ملحمة كانت على جيوش ابن الصباح موتا احمر ففر من نجا ، ودخل الاخوان الجهري فاستولوا عليها وعلى حصونها .

اما الشيخ سالم فكان قد تقهقر بقوة من جيئسه الى قصر خارج البلد شرقا منها ، فتعقبه الدويش وحاصره فيه يومين كانا شبه هدنة للمفاوضات (١) وكان سالم في ذلك الموقف الثعلب والدويش الذئب .

قال الذئب : « تعال كن معنا ومنا — كن موحدًا — ونظف بيتك من الشرك والمنكرات . فلك اذ ذاك ما لنا وعليك ما علينا » .

فقال الثعلب : « هل يرفض مثل هذه النعمة الا الاحمق . اني والله منكم — خيال التوحيد اخو من طاع الله . ولكن في بيتي ما يقتضي رجوعي اليه قبل ان اجيئكم . انتظروني في الصبيحة » .

صدق الدويش وقفل راجعا الى الصبيحة بعد ان قتل في تلك الواقعة خمسمئة من رجاله وثلاثمئة من رجال الكويت . وما ذلك بشيء في نظره اذا « دينت » الكويت وصاحبها .

لكن سالما عند وصوله الى الكويت طلب من الانكليز ان يحموا بلاده والا فهو يقبل شروط الاخوان . فبدأت المفاوضات البرقية بين الكويت وابي شهر ، ثم بين حكومة الهند ولندن ، واستمرت ثلاثة ايام . جزع خلالها الدويش وهو ينتظر في الصبيحة فارسل وفدا من قبله الى « الاخ » سالم فتمارض ولم يقابله .

ثم جاء الجواب من الحكومة البريطانية ومعه ثلاثة مراكب حربية رست في مياه الكويت وشرعت ترسل في الليل الاسهم النارية تهويلا وترويعا . وفي اليوم التالي وصلت طيارتان من العراق .

(١) جاء في « تاريخ الكويت » لعبد العزيز بن الرشيد الذي حارب في وقعة

الجهري ما يلي : ثم قال (الشيخ سالم) مخاطبا لابن سليمان (رسول الدويش) « لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون ، وامامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعا . هيا بنا لنرمي الضغائن والاحتقاد ونكون يدا واحدة عليه » ... ثم قال المؤلف : « وقد اكثر سالم القول هناك بما لا احب ذكره الان » (تاريخ الكويت الجزء الثاني صفحة ١٨٤) .

شفي اذ ذاك « الاخ » سالم من مرضه فقابل وفد « اخيه » الدويش في مجلس رسمي حضره الوكيل البريطاني الماجر مور ، الذي هم بمخاطبة الاخوان فسمع جوابا اقنعه في الحال . ان السكوت من ذهب .

قال حضرة الوكيل : « الشيخ سالم صديق لدولة بريطانيا البهية وانتم جئتم تحاربونه بدون امر من ابن سعود » . فقال رئيس الوفد : « ما جئنا الا بامر . وهو ايضا صديقكم » .

سكت اذ ذاك الوكيل واعتاض عن الكلام بكتاب ارسله الى الدويش وفيه ان حكومة بريطانيا العظمى باسطة على الكويت حمايتها ، وان من يحاولون الهجوم عليها يعرضون انفسهم لضرب الطائرات والمراكب الحربية .

ثم عاد الوفد الى الصبيحة يحمل كتاب الوكيل . وفي اليوم التالي طارت طائرة فوق ذلك المكان والقت بين الاخوان كتابا اخر بمعنى الكتاب الاول .

وامر الدويش اذ ذاك بشد الرجال ، ولكنه لم يشأ ان تكون الكلمة الاخيرة « للثعلب » فكتب اليه الكتاب التالي :

« من فيصل بن سلطان الدويش الى سالم الصباح سلمنا الله واياه من الكذب والبهتان ، واجار المسلمين يوم الفرع الاكبر من الخزي والخذلان .

اما بعد فمن يوم جاعنا ابن سليمان (١) يقول انك عاهدته على الاسلام والمتابعة ، لا مجرد الدعوى والانتساب ، كفنا عن قصرك بعدما خرب ، وامرنا برد جيش ابن سعود ، امل ان ندرك منك المقصود . فلما علمنا انك خدعتنا آمنا بالله وتوكلنا عليه . يروى عن عمر انه قال : « من خدعنا بالله انخدعنا له » . فنحن بيض وجوهنا ، نرجو الله ان يهديك والا يسלטنا عليك . اياه نعبد واياه نستعين » .

(١) رسول الدويش الى سالم يوم كان محاصرا في القصر .

مسكين سالم . لم يعيش بعد ذلك طويلا . فبينما كان الشيخ احمد الجابر ابن اخيه والشيخ كاسب ابن الشيخ خزعل ، يومئذ امير المحمرة ، في « حفر العج » يفاوضان ابن سعود بالصلح — اي بعد بضعة اشهر من الحين الذي نكسب سالم فيه و « دين » واحتفى بالانكليز — جاء الناعي من الكويت ينعاها رحمه الله . وبعد وفاته في ١٧ جمادي الثانية ١٣٣٩ هـ (٢٧ شباط سنة ١٩٢١) انتخب سلفا له الشيخ احمد ابن اخيه جابر (١) انتخب وهو لا يزال في الحفر فكان في غنى عن وفد يصلحه وابن سعود .

(١) في الجزء الثاني من « ملوك العرب » الطبعة الخامسة ، القسم السادس .
فصل في الشيخ الصباح وسياسته .

الفصل الحادي والثلاثون

فتح حائل

في صيف هذا العام (١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م) بعد ان عقد مؤتمر القاهرة البريطاني ، برئاسة وزير الخارجية يومذاك المستر تشرشل الذي كان سائحا في الشرق الادنى ، وتقرر ان يكون الامير فيصل ابن الملك حسين ملكا على العراق ، عقد مؤتمر في الرياض ، حضره العلماء والرؤساء فقرروا ان يتخذ حاكم نجد الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب سلطان . فكتب عبد العزيز كتابا الى المفوض السامي لدولة بريطانيا العظمى في العراق يخبره بما تقرر ويرجو ان يكون ذلك مستحسنا لدى الحكومة البريطانية البهيمة . وبينما هذا الكتاب في الطريق كان قادما من حضرة المندوب في بغداد كتاب الى ابن سعود يخبره فيه ان قد تقرر انتخاب الامير فيصل ملكا على العراق ويرجو ان يكون ذلك مستحسنا لديه . فاجاب عبد العزيز انه يكون مسرورا بما يريده العراق والدولة البريطانية للامير فيصل بشرط الا يكون ذلك مجحفا ، بحقوق نجد او مضرًا بمصالحه . ثم اعترفت الحكومة البريطانية في ٢٢ آب (٢٧ ذي الحجة) لابن سعود ولمن يخلفه من ذريته بلقب سلطان .

وفي هذا الشهر عاد سعود بن عبد العزيز من حصار حائل ومعه اميرها الشاب عبد الله بن متعب آل رشيد . فبسمت الرياض لطلائع النصر في الحرب ، ولبشائر الفوز في السياسة . ولكن الاعتراف بملك او بسلطان هو اسهل من تحطيم التيجان . وتقارض الولاء السياسي اسلس سبيلا من حصار المدن . فلا يتبادر للذهن اذن ان في رجوع سعود ومعه امير حائل الفوز المبين . ان فيه

طلائع الفوز فقط . اما الامنية القصوى فدونها شهران من القتال
لا يزدريهما التاريخ .

لنغد اذن الى الحوادث التي تقدمت الحصار . فبعد المصالحة
وابن الصباح استنفر ابن سعود اهل نجد ومشي الى الجبل بعشرة
الآف مقاتل يقود قسما منهم اخوه محمد والقسم الاخر ابنه سعود ،
وقد عهد الى الاول في محاصرة حائل والى الثاني في مهاجمة شمر .
اما هو فتخلف في القصيم .

عندما وصل محمد الى اطراف المدينة قام اهلها يستأذنوه
بارسال وفد من قبلهم الى عبد العزيز ، فاذن بذلك .

وقد جاء هذا الوفد يقبل بما رفض منذ سنة من الشروط التي
اشتراطها عبد العزيز بخصوص شؤون شمر الخارجية . على ان
الحوادث خلال سنة تقوم بالممالك وتقعدها . وخلال سنة يطرا على
السياسة ما يجعل امسها متفكر ليومها .

لم يقبل عبد العزيز بما كان قابلا في السنة الماضية . وقد قال
للوفا : « اعلموا ان الرئاسة القائمة بين عبد وامرأة (١) لا
تدوم . واعلموا ان امورك لا تستقيم ما زالت تحت تلك الرئاسة .
وما زالت امورك كذلك ما زال الشقاق وما زالت الفتن . وهذا
مضر بكم وبنا ، مضر بنجد وبأهل نجد وشمر . عليكم ان تدخلوا في
ما دخل فيه اهالي نجد لتنجوا من سيادة العبيد والمرأة ، وتريحونا
وتريحوا انفسكم من ويلات الحرب . شروطي الان هي ان تسلموا
الى شوكة الحرب وعائلة الرشيد . فيكون لكم اذ ذاك ما لنا
وعليكم ما علينا . واذا رفضتم ذلك فاعلموا اني زاحف اليكم بنفسي
بعد ثلاثة اشهر » .

اجاب الوفد : « سنعرض الامر على صاحب الامر ، فاذا قبل كان

(١) يشير الى نفوذ العبيد وناطمة السبهان في الامارة .

خيرا والا انت بريء الذمة » . وبعد ان عاد الوغد ورفضت تلك الشروط خرج ابن طواله غازيا بعض قبائل ابن سعود في مكان قريب من حائل على مسير خمس ساعات منها ، ولكنه لم يعد من تلك الغزوة سالما . فقد وافاه فيها الموت .

على ان موت الزعيم الشمري لم يؤثر بشجاعة المحاصرين والمرابطين خارج المدينة . فقد حدث بينهم وبين جنود ابن سعود مناوشات ومصادمات كانت يوما لهم ويوما عليهم ، فاستدعى عبد العزيز اخاه محمدا وامر ابنه سعودا في محاصرة المدينة ، فحاصرها شهرين ولم يكن في نجاحه فوق من تقدمه لولا مجيء محمد بن طلال من الجوف وفرار الامير عبد الله بن متعب .

اما ابن طلال هذا فهو اخو عبد الله الذي قتل سعود بن عبد العزيز ، واما عبد الله بن متعب فهو ابن اخي سعود . لملا عجب اذا خامره شيء من الريب في ما ادعاه ، اي انه جاء من الجوف ليساعد في الدفاع عن حائل . نعم جاء يساعد في الدفاع بعد ان يقتفي اثر اخيه ، فسيتولي على الامارة . هذا الذي كان يخشاه ابن متعب . وبما ان الحياة لديه وهو يمداك لا يتجاوز العشرين سنا كانت اعز من الامارة فقد فر الى سعود بن عبد العزيز ، فرحب به واخذه الى الرياض كما تقدم غنيمة باردة . وكان عبد العزيز قد عاد الى العاصمة وامر سعودا بالرجوع من الجبل لانه فقد هناك بسبب القبط وقلة المرعى ، عددا كبيرا من رواحله .

وبعد فرار ابن متعب والتجائه الى ابن سعود ، تولى الامارة محمد بن طلال آل رشيد ، وهو شاب شجاع مستهتر ، قد باشر القتال في حملة على قري حائل ، وكان اهلها موالين لابن سعود ، حملات شعواء ، فهدمها بعد ان قتل صبورا اغلب رجالها .

وكان ابن سعود قد امر فيصل الدويش بالزحف الى حائل

وبمحاصرتها الى ان يجيئه هو بنفسه . فمشى رئيس مطير بالفين من رجاله ونزل في ماء ياطب القريب من حائل ، فبلغه في اليوم الرابع من وصوله ان ابن طلال خارج بقواته الى الجثامية ، على مسير ثلاث ساعات من المدينة ، فشد مسرعا ومشى اليها فاحتلها قبل ان يصل ابن طلال الى النيصية القرية المجاورة لها ، ومعه الف وخمسمئة مقاتل من الحضر وسبعمئة من البدو ومدفعان .

عساكر ابن طلال في النيصية المحصنة بنلال هي متاريس طبيعية، يصعب التغلب عليها الا بقوة من الجيش كبيرة . اما الجثامية فهي في منبسط من الارض تقل فيه المكامن . ولم يتمكن الدويش من احتلال حصنها لان ابن طلال كان يضربه بمدفعيته ضربا متواصلا .

ومشى السلطان عبد العزيز بعد عيد الاضحى بيومين (١٦ آب) بعشرة الاف مقاتل ومعهم بضعة مدافع . فلما اجتاز ام جريف الواقعة بين قبة وجراب ، بلغه خبر الدويش في الجثامية وانه وابسن طلال في احتراب . فترك في الحال حملة الجيش ورائه وخف مسرعا . وكان مسراه من ذاك الماء قبل دخول محرم بيوم واحد ، فوصل في اليوم الرابع منه (٨ ايلول) الى بقعة ، قرية من قرى حائل ، فالتقى هناك برسول من الدويش يحمل كتابا ضمنه كتاب من ابن طلال اليه يقول فيه : « اننا جميعا مسلمون وبيننا كتاب الله وسنة رسوله » . فقبل الدويش السريع التصديق ، وما كاد ينسى خدعة سالم الصباح ، وكتب الى ابن طلال يلبي الدعوة للتحكيم ويسأله ان يرسل وفده لهذه الغاية ، وقد دفعت به الثقة الطائشة الى اهمال الجانب الشمالي من معسكره فلم يستحرسه ، فاغتنم امير حائل الفرصة وارسل ثلة من جنوده في الليل فاحتلوا ذاك المكان ، فاشرفوا على معسكر الدويش ، وشرعوا عند انبلاج الفجر يرمون الاخوان بالرصاص . اركب

١٣٤٠ هـ

١٩٢١ و ٢٢٢ م

الدويش نجابا آخر الى السلطان يخبره بانه وابن طلال مشتبكان في القتال ، وانه خسر عشرة من رجاله وجرح عشرون .

وصل النجاب العصر الى مخيم السلطان فغضب لما حدث وامر ابنه سعوذا ان يركب بالخيول ويتقدمه مسرعا . ثم وصل نجاب ثالث يخبر ان الاخوان كسروا جيش ابن طلال ، فارسل يأمر الدويش بان يلزم مكانه والا يأتي بحركة اخرى الى ان يصل اليه .

ومشى السلطان وهو يقصد الهجوم على ابن طلال تلك الليلة . ولكنه اضطر ان ينتظر الحملة والمدافع ، فابطأ في السير . ولم يكن من المستطاع الهجوم في النهار لان ابن طلال ورجاله كانوا في حصون حصينة ، ولان بين الحصون والمهاجمين سهلا لا يحميهم شيء فيه ، ولان جبل اجا ، وهو حصن طبيعي ، قريب منهم يلوذون به ساعة الهزيمة .

تقدم جيش السلطان عبد العزيز تدريجا الى مركز الدويش ، فلم ينتبه ابن طلال الى ذلك ، ولم يكن عالما بقدومه ناهيك بقربه منه . وعند العصر في اليوم التالي جمع السلطان قواده وتشاوروا في الامر فقرروا ان يكون الهجوم في الهزيع الثاني من الليل .

ومشى في ذاك الوقت نصف الجيش فقط ، فراح قسم منه يلف بابن طلال من جهة حائل ليقطعوا عليه خط الرجعة ، وتقدم القسم الاخر الى المكان المعد للهجوم فانتظروا هناك طلق المدافع التي بدأت ترسل قنابلها بعد صلاة الفجر قبل ان ينجلي الليل .

ثم هجم الاخوان هجمة واحدة ، والقنابل تؤز فوق رؤوسهم ، فقتلوا عددا من العدو وشتتوا صفوفه ، ففر ابن طلال واكثر رجاله الى جبل اجا ثم الى حائل ، ولاذ الآخرون بحصون النيصية . صوّبت المدافع على الحصون فقتلت اكثر من لاذوا بها وسلم الباقون .

فقال احد الذين سلموا يخاطب السلطان : « طبعيتكم ماهرون

يا مولانا « فقتل عظمته : « لا . لا . كفا نضرب على النية في الظلام ولكنّه توفيق من الله » .

بعد تقهقر ابن طلال الى حائل ارسل السلطان الى اهالي المدينة يقول : سلموا تسلموا . فجاء الجواب بالتسليم على شرط ان يؤمر عليهم ابن طلال والكتاب موحى به منه ، لانه كان لا يزال سائدا بمن ثبت معه من الجند وحزب بيت الرشيد . ولم يكن لاهل حائل زعيم يوحد كلمتهم ويعززها ، فانفذ ابن طلال فيهم سهام ارادته . على ان المغلوب لا يشترط الشروط . الى الحصار !

ان مدينة حائل كائنة بين جبلي اجا وسمي ، ولها سهل يتسع الى الغرب ويضيق الى الشمال ، فيفتح من الجهة الشمالية الشرقية طريقا الى النجف ، ويتقلص الى الجهة الشرقية وفي شطر من الجنوبية . وهي اذن محاطة من جهاتها الثلاث بالجبال . ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والشطر الجنوبي الغربي الذي تمتد منه الطريق الى نجد .

في هذا الطريق جاء السلطان عبد العزيز فنقل من الجثامية ، بعد ان تقهقر ابن طلال الى المدينة ، ونزل بينها وبين النيصية فقسم هناك جيشه الى فرقتين ، فرقة بقيت معه ، والاخرى تقدمت الى جبل اجا فملك مركزا منه حصينا . وهناك مركزا اخر يدعى عقدة غرب البلد يحسبه اهل حائل احصن حصونهم الطبيعية . تقدم الجنود ، وهم يضربون العربان النازلين الجبل في طريقهم ، فيقتلون ويشقتون ويفنمون الفنائم ، فاستولوا في اليوم السابع على عقدة ، واستمروا زاحفين الى حائل ، وهم يتمترسون وراء اكياس من الرمل ، حتى وصلوا الى مكان بينها وبين جبل اجا فاتخذوه خطا اولاً للدفاع . وكان المهاجمون وراءهم قد احاطوا بالمدينة من جهتيها الغربية والغربية الجنوبية .

قلت ان اهل حائل قبلوا بالتسليم على شرط ان يكون ابن طلال

اميرهم . ولكن الاكثرية فيهم نفروا من ابن طلال لظلمه وطفيانته وكانوا يثنون من الحصار . فقد ارسلوا الى السلطان عبد العزيز غير مرة يقولون : لا تتركنا فريسة لابن طلال . وفي الوقت نفسه كانوا يرجونه الا يضرب بالمدافع المدينة . وعندما ادرك ابن طلال ان الامارة لا تجيئه بواسطتهم كتب الى المفوض السامي لبريطانيا العظمى في العراق يسأله التوسط بينه وبين ابن سعود . قال السر برسي كوكس في تقريره الى حكومة جلالة الملك : « بعد ان سلم الامير عبد الله (بن متعب) بن الرشيد تولى ابن عمه محمد بن طلال الدفاع عن حائل . وارسل الي مرارا يرجوني ان اتوسط بينه وبين ابن سعود . ولكن ابن سعود لم يقبل بذلك » .

دنت مدة الحصار من الشهر الثالث فكتب السلطان عبد العزيز الى اصدقائه في حائل : « قد طال الحصار ، واقبل الشتاء ، فليعذرنا الاهالي اذا انذرناهم . لهم ثلاثة ايام ليسلموا المدينة وعائلة الرشيد ، والا فنحن الى غرضنا مسرعون بالرصاص والنار » .

فجاء الجواب وفيه ان الاهالي ينفضون ايديهم من ابن طلال وبيت الرشيد ، ويسلمون الحصون المحيطة بالمدينة اذا جاءتهم سرايا من الجيش .

ارسل السلطان الفين من رجاله ففتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة على حائل ، ثم امن الناس على ارواحهم واموالهم فخرجوا اليه افواجا وهم يشكرون الله .

اما ابن طلال ، الذي شهد له حتى الاخوان بالبسالة والاقدام فعندما ادرك ان الامر تفلت من يده تحصن وحاشيته في القصر ، فارسل السلطان عبد العزيز يؤمنه على حياته اذا هو استسلم ، ففعل .

استمر هذا الحصار خمسة وخمسين يوما ، اي منذ وصول السلطان من ٤ محرم الى ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ تشرين الثاني ١٩٢١)

يوم سلم ابن طلال ولكن حائل كانت في حال الحرب اكثر من سنة قبل ذلك وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها ، فشمل اهلها الضيق . وكان السلطان عالما بشدة حالهم فجاءهم متأهباً لتخفيفها — جاء بالمؤن ، وجاء بالثياب وبالمال — فأجزل للناس العطاء ووزع الوفا من اكياس الارز والوفا من الملابس . قال لي احد الذين سلموا : « كنا ليلة الحصار الاخيرة على آخر رمق نرى شبح المجاعة والموت فامسينا ليلة التسليم الاولى وكلنا شبعانون ، مكسيون مطمئنون » .

بعد ذلك شاورهم الفاتح في امر اميرهم : « ومن تريدون ان نؤمر عليكم ؟ » فاجابوا قائلين : « واحدا من آل سعود او من كبار رجالك » فقال عبد العزيز : « لست من رأيكم فقد كنا واياكم «قوم» (اعداء) مدة طويلة فلا يجوز ان نحكمكم الان مباشرة . وانا اعرفكم يا اهل حائل . انكم اهل قيل وقال . اصحاب فتن . ولكني لا اخشى ان اوامر عليكم واحدا منكم . واني اريد ان احافظ على كرامتكم . هذا ابراهيم السبهان فهو منكم ، وهو رجل عاقل . هو اميركم . واني واثق بالله ، وعادته معي جميلة ، فهو سبحانه وتعالى ينصفني ممن يغدر او يخون » . اما ابراهيم السبهان فهو الذي مهد السبيل لتسليم الحصون واتفق وابن سعود على ذلك فأمره بعدئذ على حائل .

الفصل الثاني والثلاثون

مأساة بيت الرشيد

لا بد لكل مأساة من حالق تهوي منه . لا بد من ذروة تملكها الحياة المجيدة او السعيدة ، ثم تفقدها فتهبط منها الى الدرك الاقصى .

ينبغي اذن ان نصل والقارىء الى ذروة بيت الرشيد قبل ان نبدأ بالمأساة فيه . ولا بد قبل التصعيد من الوقوف عند سفح الجبل . — عند الاساس — فنتعرف الى المؤسس الكبير والى الرشيد الاكبر .

آل رشيد من آل خليل ، وال خليل من آل جعفر ، وهؤلاء فخذ من عبده اكبر قبائل شمر . وفي الفتوحات السعودية الاولى كان امير الجبل واحدا من هذه القبيلة يدعى الجربا ، حارب آل سعود فغلب واجلي وعشيرته الى العراق . ثم امر سعود الكبير واحدا من آل علي في حائل ، وقرب منه رجال هذا البيت ، فكان جبر اخو رشيد ، جد عبد الله ، كاتباً في ديوانه بالدرعية .

ولكنه لم يظهر في آل الرشيد ، على ما نعلم ، اكبر من عبد الله الذي اختلف والاسرة الحاكمة يومئذ ، فرحل الى الرياض ، وانضم الى جيش فيصل ابن الامام تركي . وعندما قتل تركي جاء فيصل بجيشه الى الحساء ليثأر لابيه ، وكان عبد الله في ذلك الجيش ، بل في مقدمة من هجموا على القصر ، وقتلوا قاتل الامام ، فجازاه فيصل ، بعد ان تولى الامارة ، بأن جعله اميراً على حائل (١) .

وعبد الله بن علي بن رشيد ، مؤسس هذا البيت ، هو من

(١) راجع صفحة ٩٣ .

اولئك الافراد المتقدمين بفضلهم في الناس ، اولئك الذين يسودون الناس بما يزين اعمالهم من الشجاعة ، والعدل ، والاحسان .

كان اميرا في حائل يوم جاءها المستشرق الاسوجي جورج والن (١) سنة ١٨٤٥ ، اي بعد عودة الامام فيصل بثلاث سنوات . وقد كان محمد علي باشا غير راض عن حكم فيصل فارسل هذا المستشرق الى حائل ليسبر غور بيت الرشيد عله يجد فيهم من يصلح لمناسبة آل سعود العداء . ولكن الامير عبدالله كان يسعى في سبيل استقلال الجبل ، في استقلاله عن الرياض وعن مصر ، وما راقه قط ان يكون سيفا بيد محمد علي يستلّه على ابن سعود . عاد جورج والن الى مصر . ثم جاء حائل بعد سنتين للمرة الثانية ، فكانت النتيجة شبيهة بالتي تقدمتها : فلم يفلح العالم الاسوجي بمهمته السياسية . ولكنه كان معجبا بالامير عبدالله ، وقد قال فيه كلمة نقلها هوغرث لا ارى احسن منها ، وهي من اجنبي في تقدير هذا الامير العربي . قال والن :

« لم يكن نفوذ عبدالله ناشئا عما كان له من الثروة والسيادة فقط . بل عما امتاز به ايضا من السجايا الشريفة كالشجاعة والعدل ، وكرم الاخلاق والوفاء ، وحب الفقراء . فقد كان في احسانه مثله في عدله كبيرا ، ولم يسمع عنه انه اخلف مرة بوعدده . . . هذه الفضائل هي مصدر تلك القوة ، قوة عبدالله ، وذلك النفوذ نفوذه » .

وكان لعبدالله اخ اسمه عبيد اختلف عنه بتلاثة امور ، بفلوّه في المذهب الوهابي ، وبخشونة طبعه ، وبنزعة فيه شديدة الى القتال في سبيل الله والتوحيد . كان عبيد رسول الوهابية الاكبر في الجبل ، وكان بيته محط رحال الوهابيين في حائل ، ومرجعهم الاعلى ، والصلة بينهم وبين الرياض .

لم يكن في اولاد عبدالله اكرم من طلال . ولكنه نكب في عقله وكان منتحرا . اما متعب اخوه فقد كان من الوسط في الناس عقلا وخلقا وسياسة ، ولم يحكم غير سنتين لان بندرا وبدر ، ابني اخيه طلال ، طمعا بالامارة وانتزعاها منه بالسيف . قتل بندر وبدر متعبا ، وتولى الحكم بعده احدهما بندر . وكان محمد بن عبدالله يومئذ عند الامام عبدالله بن سعود الذي وفق بعد سنة ، كما اسلفت القول ، بينه وبين ابن اخيه الامير الجديد .

عاد محمد الى حائل فتولى امارة الحج العراقي ، ثم في السنة التالية قتل بندرا بيده دفاعا عن نفسه كما قال ، وقد امر بقتل ابناء طلال الاخرين فذبخوا في القصر كلهم الا واحدا هو بدر الذي فر الى البادية ، فتأثره العبيد وقتلوه ، فغضب الامير محمد لانه امرهم بالقبض عليه فقط ، وقتل بسيفه العبد الذي قتل بدرا .

سيف الامير محمد ! قد روي عن صاحبه انه قال : « لا يغمد سيف ابن الرشيد حتى يقتل اهل هذا البيت اجمعين » . وما كان في ما قال واهما . فقد مشى هو نفسه الى عرش الامارة على خمسة ارواح من بيت ابيه . وكان ذاك العرش لا يزال مقيدا بشيء من ارادة آل سعود — مقيدا بخيط رفيع قطعه الامير محمد بسيفه . وظل هذا السيف مستلا في سني امارته كلها ، فكان صاحبه فاتحا ، وكان مستبدا ، وكان عادلا . لكن نفسية الامير لم تخل من اثر لفدر الزمان ، فظل باديا في خلقه حتى في ايام النصر والمجد ، وكان هذا المستبد العادل مقتديا في بعض اعماله بالزمان . كان اذا اراد محاربة البدو مثلا يهجم عليهم في الصيف ، وهم على المياه في المضارب (١) . ان ذلك شيئا من الفدر ، ترفع عنه من خلفه مثلا

(١) البدو يسرحون مواشيهم في الربيع ، من شباط الى اخر ايار ، يسرحون طالبين الحيا (المرعى) ثم في اشهر القيظ يردون المياه ويقيمون حولها مسالين . ثم يظعنون في الخريف وعندما تخضر الحقول في اخر الشتاء . وهذه الاشهر في الخريف والشتاء هي غالبا اشهر الغزو والحرب عندهم .

من بيت ابيه اي عبد العزيز بن متعب .

اما انه كان سر ابيه في المرونة النفسية التي تلتوي ولا تنفصم فمما لا ريب فيه . ان كل من قابله من السياح والمستشرقين الذين اموا حائل والقصيم في عهده الذي هو عهد شمر الذهبي قد اعجبوا به . اجل ، قد حاز الامير محمد من السيادة في نجد ما حازه ابن سعود الكبير ، فرفع بيت الرشيد الى الذروة التي طاح منها مجد بيت الرشيد . هي الذروة التي تبدأ عندها المأساة موضوعنا الان . وهذه المأساة هي ذات اربعة فصول ، وفاتحة وخاتمة .

الفاتحة : — شمر تندب الامير محمدا وتقلد سيفه عبد العزيز ابن اخيه متعب فيخرج الى الحرب وشمر تحدو امامه ووراءه . وفي الوقت نفسه يخرج سمي ابن الرشيد عبد العزيز بن سعود من الكويت غازيا فيلتقي العزيزان ويحتربان سبع سنوات فيخسر العزيز الرشيدي نصف الملك الذي كان لعمه محمد . وبالرغم عن مساعدة الاتراك لامير شمر قبل الحرب العظمى ، ومساعدة الاتراك والالمان اثناء تلك الحرب ، ومساعدة الملك حسين بعدها ، زلّت شمر وهي على قمة الجبل ، فطاحت واستمرت طائحة .

الفصل الاول . يبدأ بقتل عبد العزيز في روضة مهنا وينتهي بذبح اولاده الثلاثة .

المشهد الاول : سوق في بريدة يدخله جنود ابن سعود وهم يعلنون موت عبد العزيز الرشيد وينشّدون : حنّا اهل العوجا مروية السنين ! (اسنة الرماح) .

المشهد الثاني : في القصر بخائل وقد عقد مجلس حضره ابناء عبد العزيز متعب ومشعل ومحمد فولي الامارة .

المشهد الثالث : في قصر آخر بخائل ، قصر آل عبيد . ابناء

حمود الثلاثة وهم فيصل وسعود وسلطان يتآمرون .

قد ذهب يوم عبدالله وجاء يوم عبيد . هؤلاء الصبيان اولاد عبد العزيز لا يستحقون الامارة وسيتنازعونها ، فيذلونها ، ويفقدونها . وعلينا اذن ان ننقذها فتظل في بيت الرشيد ، علينا ان نريح الصبيان منها ونريحها منهم .

المشهد الرابع : في العراء خارج المدينة . فيصل وسعود وسلطان آل عبيد ورجاجيلهم وعبيدهم ومعهم متعب ومشعل ومحمد ابناء عبد العزيز ، وقد دعوا ليوم صيد فلبوا الدعوة .

كوكبة من الخيل خرجت من حائل ، وكل خيال يبغي الصيد ، ينشد الطريدة في الافاق ووراءها الا ان طريدة آل عبيد كانت قريبة ، غافلة ، غير شاردة . طريدتهم ؟ هاكها على الخيل امامهم .

فبعد ان خفيت اسوار المدينة ، عندما غدوا في الفلاة ، لمز كل من الاخوان ابناء حمود حصانه وساقه على واحد من ابناء عبيد العزيز ، فتناولوه من السرج بقرونه (شعره) وغمد خنجرا في صدره . طاح الثلاثة الاخوان الى الارض مخرجين بالدماء ، ولم يحرك احد من الحاشية يده دفاعا عنهم . وما دخل العبيد ؟ رشيد قتل رشيديا . ولكنهم وهم عبيد آل عبيد هتفوا قائلين : والحمد لله هذه آخرة آل عبدالله .

الفصل الثاني : مشهد كلي . يرفع الستار وسلطان بن حمود بن عبيد متصدر في مجلس الامارة ، والى جانبه اخوه فيصل البسام صاحب البسمة الابليسية الناعمة ، وفي مخدع وراء المجلس الاخ الثالث سعود يشحذ سيفه .

لم يكن سعود العبيد على شيء من الصبر . فقد حنّ الى الامارة حنين الحبيب الى الحبيب ، ولم يأذن لآخيه سلطان بغير سبعة اشهر منها . وعندئذ — جاءت الساعة ولم يكن سعود متأهبا ، او انه شحذ سيفه حتى انقصم ، فبادر الى حبل خنق

به سلطانا ودفنه في حفرة بالقصر .

مشهد جزئي لينصب عمال المسرح عرشا جديدا وراء الستار . ونحن اثناء ذلك نخبر عن ابن العزيز الرابع — الصغير — الذي فر به خاله ابن السبهان من القصر يوم الصيد المفجع . ان هذا المشهد في سوق من اسواق المدينة المنورة ، وفيه يسير ابن السبهان وابن اخته سعود بن عبد العزيز وحاشيتهما مسرعين ، وقد اتصل بهم خبر قتل سلطان ابن حمود .

— « وغدا يا وليد (ابن السبهان يخاطب ولي العهد الشرعي لعرش حائل) دور سعود ، ثم دور فيصل . سنرجع الى حائل ، الى حائل يا وليد — والامارة لآل عبدالله ان شاء الله » :

المشهد الثالث في حائل : ابن السبهان يدخل المدينة بجيش من العربان فيضرمون فيها نيران الثورة . ثم يهجمون على القصر فيقبضون على سعود بن حمود بن عبيد ويقتلونه في الغرفة التي قتل فيها اخاه سلطانا . فتصفق حائل استحسانا : مرحى مرحى ' وتقلد سعود بن عبد العزيز سيف الامارة .

مشهد جزئي نختم به هذا الفصل (وقد يعترض ارباب الفن على ختم فصل من فصول المأساة بمشهد جزئي ، ولكنهم يتغاضون لاهميته عن اخلائنا باحدى قواعد الدراما) .

المشهد الجزئي الذي ابغيه هو لفصل البسسام ، ثالث الاخوان ، الذي اجتمعت به في الرياض . ذاك الذي كان يبسم ، ويذنب . ولا يغيظ . فقد اختلف واخاه سلطانا ، فامرّه على الجوف ليبعده عن العرش وكان ذلك رحمة منه . وكان فيصل مسرورا بذي الامارة الصغيرة وذاك البعد ، خصوصا عندما علم بقتل اخيه الاول ، ثم بقتل اخيه الثاني .

ولكنه عندما علم برجوع آل عبدالله الى عرش الامارة لم ير

السلامة حتى في الجوف ، فهجر عرشه هناك ورحل شرقا ، ثم جنوبا . رحل مسرعا ، ولم يقف في ترحاله حتى وصل الى الرياض ، ورمى بنفسه بين يدي عبد العزيز بن سعود ، فرحب به ، واكرمه ، واتخذ له خفة في روحه خدنا ونديما . وقد حزن عبد العزيز جدا عندما وافى الموت فيصلا في الرياض سنة ١٣٤٢ هـ .

الفصل الثالث من مأساة بيت الرشيد يبدأ بالولد سعود بن عبد العزيز على عرش الامارة . ووراء ذاك العرش امرأة هي فاطمة السبهان جدة الامير ، وحول ذاك العرش عبيد القصر الطامعين بالسيادة . قد يكون هذا التوازن بين المرأة والعبيد السبب في دوام العرش سنوات عديدة بالرغم عن العواصف التي كانت تعصف عليه من الجنوب — عواصف الاخوان .

مشهد جزئي : مجلس « ستي » فاطمة : صوت من وراء الحجاب فيه نبرات وغنات ، وارادة ماضية تحرك العرش ، وتحرك الجيش ، وتحرك يد العبد سعيد صاحب الخزنة . « ستي » فاطمة تستقبل الناس وتفاوض الوفود ، وتشير على الامير بالخطبة السياسية التي ينبغي اتباعها .

كانت فاطمة السبهان فصيحة اللسان ، شديدة الشكيمة ، قصيرة النظر . تكره اهل نجد وآل سعود . وكانت سياسة الامارة بيدها ، او كذلك المالية بعد قتل سعود لان العبد سعيد كان قد عزل .

ومن هو العبد سعيد ؟ في ايام سعود بعد ان بلغ سن الرشيد كان لبعض العبيد مقام رفيع في الديوان الرشيدي ، وكان الامير خوفا من ال السبهان يقرب منه هؤلاء العبيد المماليك ويبالغ في اكرامهم ، ومنهم خصوصا اثنان ، سعيد المحمد ، مملوك سوداني خصي ، حمل مفتاح الخزنة منذ ايام عبد العزيز بن متعب ، وسليمان العنبر الذي كان يحمل سيف الحجابة الاول ، ويدخل على الامير براى حتى في السياسة مسموع .

كان الطواشي سعيد وزيرا للمالية امينا ولا شك ، وكان سليمان العنبر مستشارا مخلصا . ولكن نظر الاثنان في شؤون الامارة نظر العبيد لا يتجاوز دائرة معقولهم الصغيرة .

اما « ستي » فاطمة تلك القوة وراء الستار ، وراء الحجاب ، فلا يخلو ما قيل فيها من مجال للنقد . ويكفي ما كان من نتيجة حكمها وهو اكبر حجة على سوء الادارة فيه .

بين هاتين القوتين مشى سعود بن عبد العزيز الى عرشه ، وبين هاتين القوتين قضى ما كتب له من سني الحكم . ثم اخنى عليه الذي اخنى على اخوته . ولكنه لم يمت مثلهم في « الصيد » . مات سعود غدرا ، وكان الغادر أجبن الغادرين .

مشهد كلي في الفلاة : يجيء الامير للنزهة ومعه حاشيته وعبيده . الرجاجيل يعتنون بالخيل ، والعبيد يجمعون الحطب ، ويشبون النار للقهوة ، والامير يتبارى وعبد الله بن طلال الرشيد برمي الرصاص ، او كما يقول العرب بضرب النيشان (الهدف) ولم يلزمهما غير عبد واحد من العبيد .

وقد كان هناك رابع هو القدر جاء يسدد الرصاصتين ، رصاصة الامير ورصاصة ابن طلال ، ويلحق العبد المذهول .

اما هدف ابن طلال آل عبيد فلم يكن الهدف المنصوب . رفع الامير سعود بندقيته ، وابن طلال وراءه والبندقية بيده مصوبة في الظاهر على « النيشان » فاطلقت الاثنتان في وقت واحد ، فاصابت رصاصة الامير كبد الهدف ، واخترقت رصاصة ابن طلال رأس الامير .

وكان العبد يحدق الى الهدف معجبا برمي سيده ، فلم ينتبه الى ما حدث الا عندما خر الامير للارض صريعا . ولكنه وقد فتح فاه وعينه هوى هو ايضا في الحال . ولم يعطه القاتل فرصة للفرار او للصياح

اذ جاءت الرصاصة الثانية تبعثر دماغه فطار كالخشبة الى جانب الامير .

زأى احد العبيد الاخرين ما جرى فصاح باخوته وهجموا على ابن طلال . ثم جاء الرجاجيل ومعهم عبدالله بن متعب بن عبد العزيز ، ابن اخ الامير القليل . وهذا عثرة في سبيل العرش ، وابن طلال لا ينبغي الان غير العرش . عليه اذن ان يزيل ابن متعب ايضا من طريقه . قد اسلفنا من مهارته بالرمي مثلين — وهذا الثالث ؟

شرع ابن طلال يرمي عبدالله بالرصاص ، وكان العبيد يحولون دون مرماها ويطلقون كذلك بنادقهم ، فقتل واحد منهم ، واصيب ابن طلال برصاصة ابعدته عن العرش بل عن هذه الدنيا كلها .

الفصل الرابع : في القصر بحائل : عبدالله بن متعب جالس على عرش جده عبد العزيز — جالس على العرش ويده على رقبتة خشية ان تجيئه الضربة فدرا — جالس على العرش وقلبه يخفق جزعا ورعبا — جالس على العرش وعيناه الفتيتان محمرتان ، دامعتان ، من الدم المراق على جوانبه . عرش نخر السوس في اركانه ، فتزعزع ، فهوى ، فأمسى مسندا وحصيرا في فناء الاضحلال .

وماذا عساها تعمل «ستي» فاطمة — فاطمة شمّر العظيمة — لانقاذه ؟ وماذا عسى يعمل العبيد ، ووفاء العبيد ، وشجاعة العبيد؟ هبت هبوب الجنة ! هبت من الجنوب ، من نجد ، من العارض — ولا نجاة لهذا الامير الصغير ، لهذه البذرة الاخيرة من شجرة شمّر التي كانت تباري رواسي الجبال — هذه البذرة السوداء البيضاء التي تدعى عبدالله بن متعب — لا نجاة لها غير التسليم ، والتسليم في الحال .

وهوذا ابن طلال الثاني محمد اخو عبدالله القاتل المقتول : وقد جاء من الجوف ليدافع عن حائل . — عن حائل ؟ لا حاجة ولا سبيل الى اقناع عبدالله بن متعب . فقد فر ويده على رقبتة ، ولاذ

بابن سعود . وبقي هناك ضيف مكرم في الرياض — آخر آل عبدالله الرشيد !

جاء ابن طلال الثاني وفي نفسه امل بانقاذ حائل وباعادة شيء من المجد الى شمر . فوقف خارج المدينة ، وفي حصونها ، وعلى اسوارها ، يدافع عنها دفاع الابطال . ولكنها وهي تابعة لعرش هوى ، لمجد تقلص ظله ، رأت خلاصها في انفصالها عن هذا المجد وذاك العرش ، وفي التسليم الى ابن سعود . فكان الفتح خاتمة المأساة . مأساة شمر وبيت الرشيد . بل كانت الخاتمة حصارا ، ورسا صا ونارا .

وكان محمد بن طلال بن نايف بن طلال من الذين سلموا : بل اخر الذين سلموا ، وبقي ضيف مكرم في الرياض .

خاتمة المأساة : المشهد الاول : بيت في الرياض يخرج منه ابن طلال في الليل وهو متخف في ثوب امرأة فيقبض احد الرجال عليه ويجيء به الى السلطان عبد العزيز ، فيأمر بنقله الى القصر . وقد كان في القصر اسيرا يوم كان المسجل لهذه المأساة في الرياض . ثم اطلق سراحه وكان المسجل لا يزال هناك .

المشهد الثاني : المجلس العالي بالقصر . السلطان عبد العزيز جالس على الديوان وعصا الشوحت بيده ، والى يمينه ويساره رجال بيت الرشيد . وعلى الدواوين والكراسي خمسون ونيف من وجهاء الرياض وعلمائها .

يدخل العبيد ومعهم ابن طلال ، فيجلسه السلطان الى يمينه ثم يقول : « اعلموا يا اهل الرشيد انكم عندي مثل اولادي . وانتم في الرياض تعيشون كما اعيش انا واولادي ، لا ازين ولا اشين . ثيابكم مثل ثيابنا ، واكلكم مثل اكلنا ، وخيلكم مثل خيلنا وازين . ترى الصحيح — وليس في القصر ، او في البلاد تحت يدي ما تبغونه ولا يجيئكم . ترى الصحيح . وهل منكم من يشك في ذلك . تكلموا » .

لم يفه واحد منهم بكلمة .

« وانت يا محمد ، ما جرت عليك الاسر غير نفسك ، غير عملك المشين . كن عاقلا حكيما . ولا تعر اذنك النساء . اني عالم بما تعمل وبما تقول . فاعقل لصالح نفسك . تجنب الطرق التي فيها القال والقليل ، والتي تؤدي الى الفتن . كن صادقا مخلصا ، تكرم على الاكرام — تكرم مثل اهلك هؤلاء كلهم . والله بالله ان الضرر الذي يمسكم يا اهل الرشيد يحرك قلبي قبل لساني لمساعدتكم . انت يا محمد واحد من بيتي الآن ... »

وكل ما عندي للدفاع عن بيتي — عن العيال والحريم اقدمه اذا اقتضى الامر في الدفاع عنك — في الدفاع عنكم كلكم يا اهل الرشيد . »

ها هنا وقف السلطان ، فوقف من في المجلس ، واعطى يده الى ابن طلال قائلا : « اعطيك عهد الله ما زلت مخلصا لنا » فصافحه ابن طلال وهو يقول : « اذا حدث عن الطريق الذي امرت به اقطع رأسي » .

ثم قبَّل عظمته في انفه وفي جبينه .

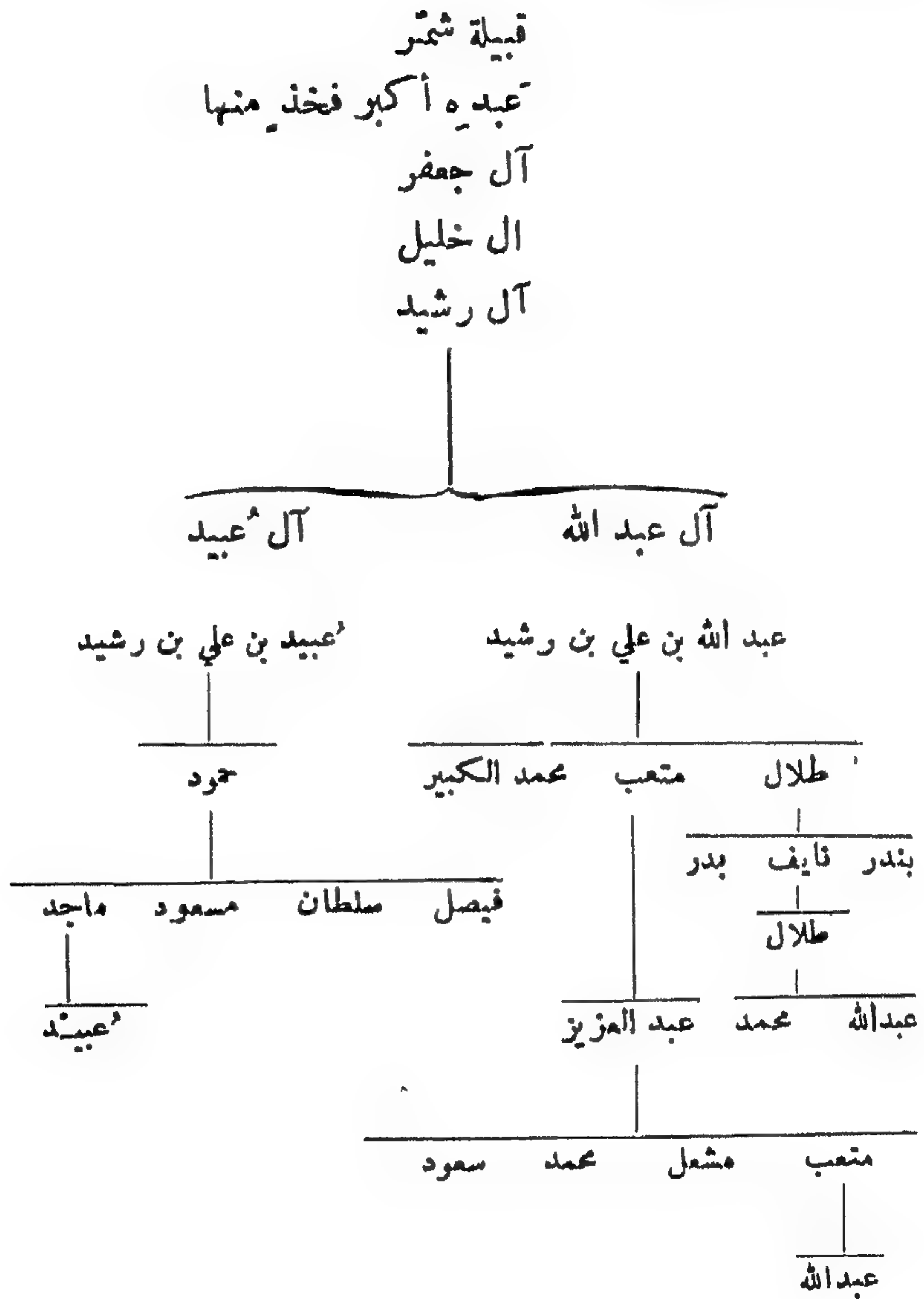
ثم صوت يهتف بالدعاء : « ادامك الله ووطد اركان ملكك » .

هو صوت كبير بيت الرشيد يومئذ ، ثالث ابناء حمود ، اخوان « الصيد » الثلاثة ، صوت فيصل المبسم غفر الله ذنوبه ، وذنوب اهل هذا البيت اجمعين .

امراء حائل الرشديون

- ١ — عبد الله بن علي بن رشيد . مات موتا طبيعيا سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٨ م) .
- ٢ — طلال بن عبد الله . انتحر في سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) .
- ٣ — متعب اخو طلال . قتله ابناء اخيه بندر وبدر سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) .
- ٤ — بندر بن طلال بن عبد الله . قتله عمه محمد سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) .
- ٥ — محمد بن عبدالله الذي يدعى الكبير كان عاقرا ومات موتا طبيعيا . تولى الامارة سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) . وتوفي في ٣ رجب ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) . استولى على نجد كله حتى وادي الدواسر .
- ٦ — عبد العزيز بن متعب بن عبدالله . قتل في المعركة في ١٨ صفر ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) .
- ٧ — متعب بن عبد العزيز حكم عشرة اشهر . قتله واخويه مشعلا ومحمدا ابناء حمد بن عبيد في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) .
- ٨ — سلطان بن حمود بن عبيد حكم سبعة اشهر . قتله اخوه سعود
- ٩ — سعود بن حمود بن عبيد حكم اربعة عشر شهرا . قتل في القصر .
- ١٠ — سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبدالله . قتله عبدالله بن طلال سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) .
- ١١ — عبدالله بن طلال لم يحكم . قتله عبد من عبيد سعود .
- ١٢ — عبدالله بن متعب بن عبد العزيز بن متعب سلم لابن سعود في ذي الحجة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) .
- ١٣ — محمد بن طلال بن نايف بن طلال . سلم لعبد العزيز بن سعود في ٢٩ صفر ١٣٤٠ هـ (٢ تشرين الثاني ١٩٢١ م) .

نسب بیت الرشید



الفصل الثالث والثلاثون

آخرة آل عائض

في شبه الجزيرة جبال غير أجا وُسلمى ، وغير جبال اليمن وعمان ، تستحق ان تنعت بالزمردية . هناك جبال عسير وقد كساها الاخضرار ، فضخمت فيها الاشجار ، وغزرت المياه ، وتنوعت الثمار . هي جبال عسير الغنية بكنوزها الدفينة ، ناهيك بهوائها ، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف ، وبمناظرها وهي اروع من مناظر اليمن . وهي احصن الجبال للدفاع ، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة .

ولكن اهل عسير اشد العرب فقرة من الاجانب ، وابعـد العرب عن المدنية . كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ، بل معادية بعضها لبعض . ولا يزال في الجبهة الشرقية الجنوبية من اولئك الاعراب الذين يسلكون مسلك الاقدمين في الاستقلال والقتال ، فهم لا يدينون لصاحب اليمن ، ولا لصاحب عسير ، ولا لصاحب نجد والحجاز .

اما اهل الناحية التي اطلق عليها اسم متصرفية عسير فقد اقبلوا في ايام آل سعود الاولين على مذهب محمد بن عبد الوهاب ، فترى مساجدهم وقد خلت من الزخرف ، وقبورهم ولا قبابفوقها . هم يوحدون الله ولا يتوسلون الى سواه . وكانوا في تلك الايام يدفعون الزكاة للامام في الدرعية ، مثلما يدفعونها اليوم للسلطان عبد العزيز .

اما قاعدة هذه المقاطعة ابها ، التي تعلو سبعة الاف وثلاثمئة قدم عن البحر ، فهي قائمة على رأسي وادي ضلاع ووادي شهران ، في جبل سراة بين اكام وقمم تنتصب كالحراس حولها . وهي مؤلفة

من ثلاثة قرى او احياء منفصلة بعضها عن بعض ، ولا اسوار لها .
انما تحيط بها ثمانى قلاع صغيرة — مفاتيل — تسع الواحدة عشرة
من الجنود .

وحول ابها القبائل التي كانت في الماضي تحارب بعضها بعضا،
وتحارب الترك ، وتحارب نجدا والحجاز . ولكنها اليوم موثقة بعري
السيادة السعودية ، متأخية في التوحيد الديني والسياسي حول
ابها بنو مغيط ، وبنو دليم ، وبنو مالك ، وبنو زيد . وشمالا منها
بالاسمر وبالأحمر وبنو شهر ، وشرقا خميس مشيط (١) قاعده
زهران .

وفي هذه الناحية وادي شعاف الذي يقطنه آل يزيد ، ومنهم
آل عائض الذين يدعون انهم من سلالة معاوية بن ابي سفيان ،
وانهم نزحوا الى عسير بعد سقوط الدولة الاموية في الشام .
ولكنهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي امراء في عسير . وعندما امر
سعود الكبير في هذه الجبال رجلا يدعى ابن مجثل كان عائض جد
الاسرة من الرعاة . ثم جاءت الجنود المصرية . وجاء محمد علي
بنفسه يقود الحملة على اهل عسير ، فكان آل يزيد من المتقدمين
المستبسلين في القتال ، وكان عائض بطل آل يزيد فأمره ابن مجثل
مكانه ، وكتب الى ابن سعود يوصيه به فأثبتته في الامارة . ثم
خلفه بعد وفاته ابنه محمد — محمد الفاتح — الذي بسط سيادة
آل عائض في ما دون السراة من البلدان ، فوصل شرقا الى بيشة ،
وشمالا الى حدود الحجاز ، وجنوبا بغرب الى الميخا في تهامة .

وكانت قد تزعرعت في عهده سيادة آل سعود، وعادت الدولة
العثمانية الى اليمن ، فجهزت على عسير حملة بقيادة المشير رديف
باشا الذي قتل محمد بن عائض غدرا . ثم تأسست متصرفية عسير،
وظلت الدولة تحافظ على نفوذ آل عائض وتستعين به ، بل كانت

(١) خميس مشيط هي على مسافة خمسة عشر ميلا من ابها وهي في طريق الحج
اليمني الذي يجتمع فيها بحجاج عسير ويسرون جميعا الى مكة .

تعين احد امراء هذه الاسرة معاونا للمتصرف ، وآخر من تولى هذه الوظيفة منهم هو حسن ابن علي . حفيد الامير محمد ، الذي عينه في سنة ١٩١٢ المتصرف سليمان شفيق كمالي باشا .

ثم شبت الحرب العظمى ، وجلا الاتراك عقب الحرب عن عسير ، فتولى حسن الامارة واستقل بها . بل كان مستبدا ظالما ، فنفرت منه القبائل خصوصا قحطان وزهران ، وارسلت وفودها شاكية الى ابن سعود . فبعث عبد العزيز اليهم ب ستة من علماء نجد وكتب الى الامير حسن والى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالة ويدعوهم للرجوع الى ما كان عليه اجدادهم .

ولكن الامير حسنا استمر في سياسته ، فابى توسط العلماء ، وردهم مكابرا : — « اذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير فسنمشي الى بيثة النخل (قلعة بيثة) ونستولي عليها » .

عندئذ ارسل السلطان ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي (امير حائل والجوف) ومعه الفان من الجنود ، وامره بأن يدعو ابن عائض اولا للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان اجداده الاولون .

مشى ابن مساعد في شعبان سنة ١٣٣٨ . (ايار ١٩٢٠) وعندما دنا من ابها في الشهر التالي كفاه ابن عائض مؤونة الدعوة للسلم فخرج اليه بجنوده وتصادموا في مكان يدعى حجلة بسين العاصمة وخميس مشيط ، فكانت الواقعة شديدة ، وكانت الهزيمة على اهل عسير .

ثم دخل جيش ابن مساعد ابها ، وواصل سيره غربا بجنوب فاستولى على السراة وغيرها من النواحي التي تتصل بحدود السيد الادريسي . وكان الادريسي مواليا لابن سعود فأسر بعض آل العائض الفارين (١) ورجع حسن وابن عمه محمد الى ابن مساعد

(١) اخلى بعدئذ سبيلهم اجابة لطلب السلطان عبد العزيز .

وارسلهما الى الرياض حيث اقاما شهرا بضيافة السلطان ، واتفقا واياهم على ان يكونا معه كما كان اجدادهما مع اجداده .

قال عبد العزيز : « ما تخلينا ابدا عنكم يا اهل عائض . وعندما سأل الترك الشريف عبد الله بن عون ان يهاجمكم وينكل بكم ، ارسل الشريف يستنجد عمي الامام عبد الله فاجابه : ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه ؟ »

ثم عرض اماره عسير على حسن بالشروط التي تقيد بها اجداده فرفضها قائلا : « قد عادينا الناس ونخشى اذا امرتنا ان نقوموا علينا . ولكننا نكون معاونين لمن تؤمرون ايدكم الله . ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا » .

لم يقصر ابن سعود . فقد اعطاها خمسة وستين الف ريال (٦٥٠٠ ليرة ذهبيا) وخصهما واهلهما بالمشاهرات المالية .

عاد الاميران الى بلادهم راضين مغبوطين ، فاقام محمد في ابها عند حاكمها وكانت سيرته حسنة . اما حسن فاستأذن بأن يسافر الى حرمة بلدته ليجيء بعائلته الى العاصمة فاذن له بذلك . ولكنه عندما وصلها تمتنع فيها وشرع يدس الدسائس على ابن سعود .

ثم مشى ، بعد فتنة اثارها ، بقوة من قومه على ابها ، فحاصر الامير فيها عشرة ايام ، واضطره الى التسليم ، فسلم فأسر في خميس مشيط .

وكان قبل ذلك قد جازف هذا الامير بسيادة ابن سعود في بني شهر المقربين من الديوان الهاشمي بمكة . فقد كان لابن سعود عامل في تلك الناحية ارسل مرة مع احد رجاله مالا الى امير ابها . فقتله بعض العربان وسلبوا المال ، فارسل الامير الى بعض الاخوان من قحطان يأمرهم بمهاجمة بني شهر . هجم الاخوان على ادنى اولئك العربان منهم ، فاشتبكوا واياهم في القتال وكانت الغلبة عليهم .

وكان الملك حسين يستنهض بني شهر ليكونوا وابن عائض يدا واحدة على ابن سعود ، ويمدهم بالذخائر وبالمال ، فتفاقم الامر ، واشتد الخطر على السيادة النجدية في عسير .

استمرت هذه الحال اكثر من شهرين . وبعد سقوط حائل ببضعة اشهر جهز السلطان عبد العزيز ابنه فيصل بحملة على عسير مؤلفة من ستة الاف من جنود نجد ، من الاخوان ، واربعة الاف من عرب قحطان وزهران انضموا اليهم عندما دخلوا تلك الجبال .

مشى فيصل في الشهر العاشر من عام ١٣٤٠ (حزيران ١٩٢٢) فلما وصل الى بيشة كان بنوا شهر زاحفين اليها يريدون مهاجمتها . فامر فيصل بابتداء القتال ، فهجمت عليهم كتيبة من الجيش فقتلت مئتين منهم وشنتت الباقين .

وكان محمد بن عائض مرابطا بجيشه في خميس مشيط . ف عندما علم بدنو فيصل تقهقر الى حجلة ، فتتفقه سرية من الفرسان ، فتراجع وجنوده الى ابها بدون قتال .

سألت الامر : « وهل كان في ابها عندما دخلتموها » فقال : « ما وجدنا فيها غير الكلاب والحريم » . فر آل عائض وقومهم ، وفر معهم هاربا من استطاع . فارسل الامر فيصل يؤمن الناس شرط ان يسلموا « شوكة الحرب » فسلم فريق من الذين كانوا ثائرين ، وظل فريق مع الامر حسن الذي لجأ الى بلدته حرملة وتحصن فيها .

وحرملة هذه هي في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها الا من منافذ معلومة لا يعرفها غير اهلها . كان آل عائض في محاربتهم الاتراك يلجأون اليها ، وهي بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم . اما الامر محمد فقد هرب الى القنفذة ومنها سافر الى الحجاز ليستنجد الملك حسين فأتجده بحملة صغيرة يقودها الشريف عبد الله بن حمزة الفعر ومعه مئتان من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات

بقيادة الملازم حمدي بك (١) .

جاءت الامير فيصل اخبار العائضين ، فارسل على حسن في معقله بحرمة سرايا من الجيش ، الواحدة تلو الاخرى ، وبعد تذليل العقبات ، ومعركة دامت ست ساعات ، استمر الاخوان في التصعيد حتى وصلوا حرمة فلم يجدوا حسنا فيها ، فهدموا قصورها وحصونها وعادوا الى ابها .

وكان الامير قد ارسل قوة من الجيش الى تهامة لمحاربة القادمين من الحجاز . ولكن تهامة كانت على الاخوان اشد في حرها وحمياتها من صخور حرمة ، فلم يمنعوا فيها ، بل عادوا منهزمين — هزمتهم الحمى — الى الجبال ، فتقفى جيش الحجاز اثرهم .

اما القيادة في ذاك الجيش فقد كانت منقسمة غير متفق عليها . قال الشريف عبد الله بن حمزة بخطة في السير ، وقال حمدي بك قائد الجنود النظامية بخطة اخرى . ولكن الكلمة الاخيرة كانت للشريف فمشى بالجيش في الطريق التي حذره منها حمدي بك .

وكان ذلك من حظ الاخوان الناقمين على تهامة ، الطالبين الثأر من الجيش الذي جرهم اليها ، اذا ما عثم ان وقع الشريف عبد الله في الشرك ، فاحاط به اهل نجد وكادوا يفتنون جيشه بالرصاص وبالسيف . نجا القائدان بقسم من رجالهما ، البدو والنظام ، ولاذوا ببارق ، فتعقبهم الاخوان ، ففروا منها منحدرين الى تهامة ، متقهقرين الى القنفذة .

وبعد فرار العائضين حسن ومحمد (٢) وهزيمة الجيش الحجازي ، امر الامير فيصل في ابها ابن عفيصان (٣) واقام فيها حامية عددها خمسمائة جندي . ثم عاد بما بقي من جيشه الى الرياض ، فوصلها في ٢١ جمادى الاولى ١٣٤١ (٨ كانون اول ١٩٢٣) يوم كان مؤلف هذا التاريخ هناك .

(١) كان قائد الحامية في ينبع .

(٢) كانا في الرياض .

(٣) يظهر ان آل عفيصان عريقون في الولاء لآل سعود ، مقربون منذ القدم منهم . جاء في تاريخ البحرين انه عندما استنجد آل خليفة الامام العزيز بالدرعية على اهل الزبارة بقطر انجدهم بجيش يقوده ابن عفيصان .

الفصل الرابع والثلاثون

الاخوان في العراق

عندما وصل سعود الكبير سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) الى الجبل والجوف في فتوحاته ، دخلت شمر الاقليلا منها في المذهب الوهابي لخلوه من الزيادات في العبادات ، واملا بالتخلص من الحكم العثماني . على ان ابناء الجبل لا يشبهون في النزعة الدينية اهل العارض ، فلم يؤثر المذهب الجديد في عصبيتهم الشمرية . ولا اثر فيها النزوح الاول الى العراق ، عندما اجلى ابن سعود « الجربا » وعشيرته من الجبل ، في العقد الاخير من القرن الثامن عشر .

ظلت شمر من اكبر قبائل العرب عدا ، وارسخهم في القومية ، وابسلهم في القتال . وقد كانت في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر ركن 'ملك ابن الرشيد ، ونار علمه ، وآية عزه ونصره .

اما الدعوة المذهبية في الجبل ، في بداية هذا القرن ، فقد اختلفت بامر من عما سبقها في بداية القرن الماضي ، او انها تنزهت عن امر هو ديني وتخلصت من آخر هو سياسي . لم يكن في الجبل من يكره الناس بالمذهب الوهابي الحنبلي في حملاته الجذرية على « المشركين » . ولم يكن للدولة العثمانية ، في الرابع الذي ولى من هذا القرن ، ما كان لها من الشوكة في الممالك العثمانية ، ومن الهيبة والنفوذ في العالم العربي . فلم تتمكن السياسة التركية الاسلامية من مقاومة الدعوة الوهابية ، خصوصا لان تلك الدعوة كانت في الاجمال سلمية . فقد مشى المطاوعة الى الجبل قبل ان يزحف اليه الاخوان .

وعندما كثرت الهجرة الى العراق ، خصوصا من قبيلة عبيد

الشهيرة بسبب ما تكرر في بيت الرشيد من الجرائم السياسية الفظيعة ، تعددت عوامل التفكك في شمر ، فضعفت تلك العصبية التي كانت ركن الجبل وسيف ابن الرشيد ، ولم تحل محلها عصبية مذهبية لان اهل الجبل لا يغالون في الدين كما قلت مثل اهل العارض .

ولكن السياسة كانت تستثمر ما تبقى من العصبيتين . فالذين فروا من الجبل الى العراق ، قبل حصار حائل ، دخلوا هناك في العشائر المعادية لعشائر نجد واشتركوا في الاغارات التي تكررت عليها . والحق يقال ان الفوضى اثناء الحصار ضربت على حدود العراق اطنابها . فعجزت عن مكافحتها حكومة بغداد الجديدة الضعيفة ، وشغلت حكومة نجد عنها في الحرب .

اجل ، قد تكررت الاغارات من العشائر بعضها على البعض الاخر . وكان عربان المنتفق والظفير يسطون خصوصا على عشائر نجد ، فكتب السلطان عبد العزيز الى حكومة العراق يسترعي نظرها للامر ، ويطلب ان يردع الاشقياء ، وترد المنهوبات التي نهبت من عشائره .

اما هذه المنهوبات فكان اكثرها عند الظفير ، وشيخها نافر من تلك الحكومة الجديدة ، بل خارج عليها ، فلم تملك قياده ولا كان لها في عربائه الامر المطاع . وقد كان ابن صويط على عدااء قديم وابن السعدون يوسف بك المنصور ، والاثنان عدوان لابن سعود ، فقامت حكومة العراق تنفّر في سياستها واحدا منهما اليه .

قال السير برسي كوكس (١) في تقريره الى الحكومة البريطانية : « لم تكن العلاقات حسنة بين حكومة العراق وشيخ

(Sir Percy Z. Cox) عندما اعلنت الحرب العظمى انتدب السير برسي كوكس رئيسا للحكام السياسيين لفرقة D من الحملة الهندية لفتح العراق . ثم عين بعد ثورة ١٩٢٠ مندوبا ساميا لحكومة بريطانيا العظمى في العراق راجع « ملوك العرب » الجزء الثاني صفحة ٣٣٥ وما يليها .

الظفير حمود بن صويط، وقد امسكت عنه المشاهرات لانه لم يردع عشائره عن الغزو والاعتداء . . ومن سوء الحظ ان الملك فيصل عين في هذا الوقت يوسف بك السعدون قائدا لفرقة الهجانة على الحدود ، وبينه وبين ابن صويط عداة قديم ، فأهاج ذلك خاطر شيخ الظفير الذي رحل الى الرياض . وقد كتبت الى ابن سعود اسأله الا يستقبله لان حكومة العراق غير راضية عنه » .

ولم يكن ابن سعود راضيا عن حكومة العراق لان تعيين يوسف بك السعدون قائدا لفرقة الهجانة لم يكن على ما يظهر للدفاع فقط ، بل شملت مهمته النظر في شؤون البوادي التي تسرح وتمرح على حدود البلدين نجد والعراق .

ولاسباب اخرى قد رحب السلطان عبد العزيز بشيخ الظفير ابن صويط عندما جاءه مستغفرا ، واعطاه الامان على شرط ان ترد عربائه كل ما نهبت من اهل نجد ، وان لا يشمل العفو غيرهم من المذنبين . ثم اجزل له العطاء وارسل معه احد رجاله عبد الرحمن بن معمر للتأمين ، ولجمع الزكوة من اهل الظفير المستسلمين .

وفي جمادى الثانية من عام ١٣٤٠ (شباط ١٩٢٢) نقل يوسف بك السعدون بفرقة الهجانة الى ابي الغار ، على مسيرة يوم من سوق الشيوخ غربي سكة الحديد بين البصرة والناصرية ، فزاره المتصرف هناك ، وامر العربان بان لا يؤدوا الزكوة الى ابن سعود .

اما ابن سعود فعندما علم بممشي السعدون امر فيصل الدويش في الارطاوية بان يمشي الى الحفر وبمسكر هناك للدفاع عن عشائر نجد .

وكان ابن صويط قد بدا ينفذ في عربائه اوامر ابن سعود ، فعصاه واحد من المتقدمين فيهم اسمه ابو ذراع ، وخرج الى آل طواله ، من شمر العصاة ، وشرع يشن الغارات واياهم على عشائر نجد . علم الدويش بذلك ، وهو على الحفر ، فشد على ابن طواله وابي ذراع .

وكان يوسف بك السعدون قد زحف بهجائته على ابن صويط
ومن معه من رجال ابن سعود ، فنزل ليلة ذاك النهار في مكان قريب
من مذاخ ابي ذراع وابن طواله .

فهمم الدويش على هذين الزعيمين ورجالههما فغلبهم وغنم
اموالهم ، فبادرت هجانة يوسف بك الى الدفاع عن المغلوبين ، فما
عتموا ان صاروا مثلهم . ضربهم الدويش دفاعا ، فانقلب الدفاع
هجوميا ، لان الاخوان المنتصرين ظلوا ماشين الى ابي الفار ،
فدخلوها في ١١ آذار ونهبوها . ثم تأثروا جيش السعدون فادركوه
في شقره ، التي تبعد عشرين ميلا من ابي الفار الى الجنوب ،
فضربوه ضربة ذهبت باكثر اولئك الهجانة وشنتت الباقيين وقد خيم
الاخوان في تلك الناحية بضعة ايام ، فضجت كربلاء والنجف ، وضج
العراق بأجمعه .

على ان الحكومة الانكليزية فعلت بالدويش وجنوده ما فعلته
سابقا في الصبيحية بالكويت . ارسلت عليهم الطائرات ، ومن
الطائرات القذائف المدمرة المبددة .

ثم تبادل المندوب السامي السر برسي كوكس والسلطان عبد
العزیز رسائل الاسف . قال حضرة المندوب « لا تؤاخذوا طائراتنا .
ولكن لا مبرر لهجوم الاخوان على عشائر العراق » .

وقال عظمة السلطان : « لا تؤاخذوا الاخوان . ولكن التبعة
على الحكومة التي لا تستطيع ان تكبح جماح العشائر ضمن حدودها
هذا جزاء الضعف والاهمال » .

وبعد هذا الحادث عقد مؤتمر المحمرة لتسوية الخلاف بين
البلدين ، فحضره احمد ابن ثنيان من قبل السلطان عبد العزيز
ومندوبان من قبل الحكومة والمفوضية في بغداد . ولكن السلطان لم
يصدق على ما قرر هناك ، فعقد المؤتمر الثاني بعد بضعة اشهر
في العقير .

الفصل الخامس والثلاثون

مؤتمر العقير

على كتيب يحدج الخليج بعينه العسلية ، الى جنوب القصر بالعقير ، لخمس خلون مع ربيع الثاني عام واحد واربعين وثلاثمئة والـ (٢٨ ت ٢ ١٩٢٢) نصبت الخيام للمؤتمر . فكان قسم منها ، وهي البيضاء الهرمية المزركشة من الداخل بالآيات والرسوم ، الى الجانب الشرقي لوفد العراق وللانكليز ، والقسم الاكبر واكثره من بيوت الشعر الى الجانب الغربي لأهل نجد من المرافقين لعظمة السلطان عبد العزيز . وكان سرادق عظمته مقابلا لسرادق الاجتماع في المخيم الاوروبي ، وبينهما نحو مئتي متر من الرمل . وتحت سرادق الاجتماع سرادق الطعام ووراء المطبخ ، والى جانبه قافلة من الجمال وقد اتاخنت باحمالها .

وكانت شمس العقير فاترة لا تجفف هواء العقير . وهواء العقير ، هواء رطب كثيف ثقيل ، لا يصلح مزاج من جاء ، ومزاجه معكر ، ليصلح مجاري السياسة بينه وبين جيرانه .

وكان السلطان عبد العزيز قد علم في الطريق من الحساء بقدم فهد الهذال شيخ العمارات مع المفوض السامي السر برسي كوكس ، فغاضه ذلك ، لانه لم يجيء العقير لحل مشاكل العشائر . وقد كان فوق ذلك ناقما على الشيخ فهد ، لانه انزل عرب شمر الذين غروا من الجبل في اثناء الحصار الى حائل .

فكتبت اليه يذكره بأنهم من رعاياه ، وان عرب عنزي — والعمارات منها — هم ابناء عم ابن سعود ، لا يأوون اعداءه ، ولا يساعدونهم عليه . — « بل انت يا فهد وعشائرك من رعايانا ، ولك علينا حق

الحماية ، اللهم اذا كنت من المخلصين » ولكن فهذا يفضل على ما يظهر الحماية الانكليزية ، وقد جاء محتما بالمندوب السامي ليسترزي عبد العزيز .

قال عظمتة للمؤلف : « نحن دعونا السر برسي كوكس الى العقير للنظر واياه في امرين — الاول الشريف واولاده ، والثاني الاتراك الطامعون الآن بالموصل . اما مسألة العمارات والظفير فحلها لا يستوجب مجيئنا الى هذا المكان » .

ولكن السر برسي اغتنم هذه الفرصة ليعيد البحث في اتفاق المحمرة ، ويحدد الحدود بين نجد والكويت ، وبين العراق ونجد ، فجاء ومعه فريق من السياسيين والاختصاصيين وكتبة السر والخدم .

وصل اليخت الذي اقلهم من البحرين في مساء اليوم السابع من ربيع الثاني ، فأمر السلطان بارسال الخيل الى الرصيف ، ونزل هو وحاشيته يلاقون الوفود . ثم عادوا بعد نصف ساعة الى المخيم ، فترجلوا امام سرادق الاجتماع الذي أنير بانوار « اللوكس » .

وبعد ان استقروا بالمجلس ، اعتذر المندوب السامي لانه ابطلاً في السفر ، فقبل السلطان العذر ، وشرع يفصح عما كان يتقد في صدره ، فجاءت الكلمة الاولى قنبلة زعزعت المكان — « انا لا أخشى الا الرجل الذي لا شرف له ولا دين » . ثم قال : « لا ندري يا حضرة المندوب ما خفي من المقاصد ولكننا نرجو منها الخير . ومما نعلم علم اليقين ان العشائر ، خصوصا عشائر العراق ، لا ترتاح الى حكومة قوية ، بل لا تبغيها . لان الحكومة اذا كانت قوية تضربهم وتؤدبهم . اما اذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم . العشائر يا حضرة المندوب لا يفهمون الا بالسيف فهم اذا عاملتهم بالحسنى يتحكمون بالحكومة . اشهروا السيف يرتدعوا ، يتأدبوا . اغمدوا السيف ينهبوا ، ويقتلوا ، ويتقاضوكم فوق ذلك المشاهرات .

فاه عظمته بهذه الكلمات وهو يدير ظهره لفهد الهذال . ثم مال بوجهه اليه وقال مبتسرا : « اليس كذلك يا فهد ؟ » حنا « نعرف بعضنا » فضحك كل من كان في المجلس ، الا شيخ العمارات الذي كان يحدق بنظره الى السجادة ، ثم يرفعه خلسة الى المندوب السامي كانه يقول : « لا بارك الله ساعة جئت فيها معك » (١) .

هذه اول جلسة ، وان كانت غير رسمية ، من مؤتمر العقير تبعها جلسات خصوصية بين السلطان والمندوب السامي ، وجلسات عمومية حضرها رئيس وفد العراق صبيح بك نشأت ، والوكيل السياسي الميجر مور في الكويت ، والشيخ فهد الهذال . وكان الكتاب والمترجمون والاختصاصيون من العرب في معرفة الآبار والطرق والمراعي ، يأمون خيمتي الصغيرة من حين الى حين .

اعود اذن الى مذكراتي في تلك الايام .

في ٨ ربيع الثاني ١٣٤١ (٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٢)

اجتمع صباح اليوم السلطان والمندوب السامي ، فخرج المندوب وفي جيبه تقرير طويل باللغة العربية ، سألني عندما زرته بعد نصف ساعة في خيمته ان اترجمه له . هو تقرير يتعلق بقبيلتي العمارات والظفير كان قد اعدده السلطان لمندوبه في مؤتمر المحمرة ، وهو مكتوب في صورة السؤال والجواب — اذا سألك كذا وكذا ، اجب كذا وكذا . واذا ألح المندوب الانكليزي في امر من الامور ، اسأله اذا كان يتكلم بلسان حكومته او بلسان حكومة العراق . فاذا كان بلسان حكومة العراق فالجواب هو اننا لا نتساهل بحقوقنا . واذا كان بلسان حكومة بريطانيا فاجاب : اكراما لحكومة بريطانيا . هذا اذا كان من الامور الثانوية . اما اذا كان من الامور الجوهرية ، فالجواب هو

(١) منقول من « ملوك العرب » . ومن شاء الزيادة فليراجع منه الفصلين الثامن والتاسع من القسم الخامس . الجزء الثاني .

اتنا لا نسلم الا مكرهين . والحكومة البريطانية تفهم ان عاقبة الاكراه وخيمة » .

قرأت ما تقدم وترجمته كلمة كلمة ، فلم يظهر السر برسي شيئا من الاكتراث ان للسلطان عبد العزيز مفاجئات مزعجة .

اذا سألوكم عن العمارات قل انها من عنزي ، وعنزي كلها من ابناء عم الملك سعود ومن رعاياه »

السر برسي : « عنزي العراق (اي العمارات) تفضل ان تكون من رعايا العراق . اما عنزي سورية (١) فقد تفضل ان تكون من رعايا ابن سعود وله ما يشاء فيها » .

اضحكتني هذه الكلمة من السر برسي فكأنه يقول : الذي عندنا هو لنا ، والذي عند غيرنا ، عند الفرنسيين ، هو لك يا عبد العزيز اذا استطعت ان تستولي عليه .

في ٩ ربيع الثاني (٢٩ تشرين الثاني) .

قد زارنا اليوم المندوب السامي . فبعد جلسة طويلة وعظيمة السلطان استدعى اليه عبد اللطيف باشا المنديل ، احد المستشارين يومذاك لعظيمته ، ففاوضه مفاوضة استمرت نصف ساعة واعطاه صورة كتابين ، كتب بقلم الرصاص وباللغة الانكليزية ، ليسلمها الى السلطان . فأرسل عظيمته يدعوني الى القسطنطينية . ومما يؤسف له في مثل هذه الحال ان لا يكون للمندوب السامي ولا للسلطان ترجمان يحسن الترجمة . فانكليزية الدكتور عبد الله ، مثل عربية الميجر دكسون ، لا تصلح الامم .

ترجمت الكتابين . وكان السلطان اثناء الترجمة يتزحزح في مجلسه ويضرب السجادة بعصاه .

(١) اي الرولة وهي تلفظ ارولة .

١ - الكتاب الاول ، الذي يسأله المندوب كتابته ، وهو الى الملك فيصل جوابا على كتاب من الملك يفترض وصوله . وفي هذا الكتاب يقول : بناء على تعهدات الحكومة البريطانية في معاهدتي واياها اقبل الاتفاق الذي عقد في مؤتمر المحمرة .

٢ - الكتاب الثاني يكتبه الى السر برسي كوكس ليخبره بالكتاب الذي كتبه الى الملك فيصل . ويزيده علما بأن واحدة من التعهدات المذكورة في ذلك الكتاب تتعلق بالمادة الثانية من المعاهدة (١) وفيها ان الكلمات : « اية دولة اجنبية » يجب ان تشمل ايضا حكومات الحجاز والشرق العربي والعراق . اي ان الحكومة البريطانية تتعهد ان تحمي بلاد نجد ، اذا ما تعدت عليها احدى هذه الحكومات الثلاثة .

قال السلطان وهو يتميز غيظا : « ومن قال للمندوب السامي ان ابن سعود يخاف الشريف واولاده - لا والله . «حنا» في غنى عن حمايات ، اذا كان المعتدي علينا من العرب » .

وقد ساءه خصوصا ان يقول له المندوب ، بقلم من الرصاص على قصاصة من الورق ، ماذا يجب ان يكتب الى الملك فيصل او الى الحكومة البريطانية .

دخل وانا اترجم الكتابين بعض رجال السلطان ، فاوما اليهم ان اخرجوا ، فاستمروا يمشون في الفسطاط ، ثم خرجوا من الباب المقابل للباب الذي دخلوه ، فاستأنف عظمتة الحديث . وهتف قائلا : « لا نخاف الا الله » .

وكان المؤذن ساعته يؤذن صلاة الظهر ، فنهض يلبي الدعوة وهو يقول : « سنصلي سنصلي » .

(١) المعاهدة المقصودة بهذا الكلام هي معاهدة دارين اي معاهدة ١٩١٥ التي الغيت بعد دئع مئة الف ليرة لابن سعود .

في ٩ ربيع الثاني (مساء) .

رفض السلطان بتاتا ان يكتب الكتابين اللذين اشار بكتابتهما المندوب السامي .

في ١٢ ربيع الثاني (١ كانون الاول)

قد تم الاتفاق بين السلطان ومندوب العراق على الحدود النجدية العراقية ، وتقررت بقعة الحياد بين البلدين ، بقعة تدعى العونية فسميت هزءا قطعة بقلادة ، لانها في شكلها مربع شبيه بالمعين Rhomboid (راجع الخارطة) وفي هذا التحديد تقرر ايضا مصير العمارات والظفير الداخلتين في ارض العراق ، المعدودتين الآن من عشائره .

يظهر ان السر برسي اقنع السلطان او انه ارضاه بما يقابل تنازله عن هاتين القبيلتين . . . قطعة بقلادة للجميع ! ومن يكبح جماح القوي اذا رد عنها الضعيف ؟ بقعة خصبة للمرعى ، وفيها آبار عديدة ، لا هي لكم يا عرب العراق ولا هي لنا . ولكننا اذا ارتدناها مسلحين ، ولم يكن فيها ما يكفي غير مواشيننا من الماء والكلاء ، فمن ذا الذي يردنا عنها ، ومن ذا الذي يستطيع ان يحرمننا ؟ . . انه لصلح صغير — مثل الذي كان يعقد في بعض الاحايين بين ابن سعود وابن الرشيد . وليت شعري هل كان يعقد في لوزان (١) يومذاك صلحا صغيرا ام كبيرا ؟

في ١٣ ربيع الثاني (٢ كانون اول) .

وقد تم الاتفاق بين السلطان والمندوب السامي والوكيل السياسي في الكويت الميجر مور على بقعة حياد بين البلدين ، لتقي عربان الكويت وعربان نجد شر التصادم . وهل يعمل العربان بالمعاهدات ؟ هل يحترمونها اذا ما اجذبت الارض وخرجوا كلهم « ينشدون الحياة » يطلبون المرعى والماء ؟ هو صلح آخر صغير .

(١) مؤتمر لوزان ومؤتمر العقير عقدا في وقت واحد . ولكن الاول استمر بضعة اشهر والثاني انتهى في خمسة ايام .

وقد يدوم مع ذلك اكثر من صلح العراق . . . علمت ان السلطان طلب توسيع حدود الجوف لقاء تنازله عن العمارات والظفير ، وان السر برسي وعده بذلك .

في ١٣ ربيع الثاني (مساء) .

من بشائر الخير للبلاد العربية في هذا المؤتمر كتاب كتبه الملك فيصل بخط يده الى السلطان عبد العزيز : « الى اخي العزيز » وارسله مع رسوله الخاص عبد الله بن مسفر جار فهد الهذال في المخيم الاوروبي . الكتاب مدرج بأرق العبارات الولائية ، وفيه ما يدل على ان جلالة الملك يرغب حقيقة في الصلح ليس بين العراق ونجد فقط بل بين نجد والحجاز . فهل ينبذ فيصل خطة والده وهل يستطيع ان يوفق بينه وبين السلطان عبد العزيز ؟ ها هنا اساس الصلح الكبير والسلم الثابت في البلاد العربية . ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا :

وجواب السلطان على كتاب الملك ينبيء بالتخير . . . عسى ان يتوفقا الى اجتماع شخصي خاص . . . اني متيقن ان السلطان عبد العزيز راغب في ذلك ، ولكنه في الوقت الحاضر منحرف المزاج : وقد طالت اقامته في الحساء . فهو يبغي الرجوع الى الرياض . ولا بأس اذا بحث بسر واحد من اسرار الملوك . ان هناك رغبة في الاجتماع بدون واسطة الحكومة البريطانية .

في ١٤ ربيع الثاني (٣ كانون اول) .

آخر ما ترجمته لعظمة السلطان صورة برقية ارسلها السر برسي كوكس الى المستر تشرشل (وكان وزير الخارجية) يقول فيها ان ابن سعود طلب ان تكون قريات الملح في الجوف تابعة لتلك الناحية وبالتالي لنجد . وهو اي السر برسي يشير بالقبول ، بل

يقول : اكدت لمظمته ان ذلك يكون مقبولا لدى حكومة جلالة الملك (١) .

نأخذ من ابن سعود لنعطي العراق ، ونأخذ من شرقي الاردن
لنعطي ابن سعود ، ونأخذ من الحجاز (العقبة) لنعطي شرقي
الاردن — وممن نأخذ لنرضي الحجاز ؟

(١) بموجب اتفاقية حداء بين نجد والشرق العربي المثبتة في الملحق قد ضمت
قريات الملح الى الجوف .

الفصل السادس والثلاثون

النكاس — والذي يوسوس في صدور الناس

بعد بضعة اشهر من مؤتمر العقير نكس مريض الجزيرة ،
نكس السلم . والسبب في النكاس مكروب الغزو الذي ظن المتعاهدون
انهم استأصلوه . ولكنهم بنجوه فقط . فاستفاق بعد اربعة اشهر
ونشط السى العمل مباشرا في العراق ، او بالحري على حدود
العراق ونجد .

قد يذكر القارىء ما قلناه في عرب شمر الذين لجأوا الى العراق
بعد احتلال حائل . وقد يذكر ان في العراق من هذه القبيلة الكبيرة
من نزحوا الى ذلك القطر قديما ، وهم يعدون من اهله ، واكثرهم
ينزلون ما بين النهرين قرب الموصل .

وهؤلاء العشائر ، وفي مقدمتهم آل عبده التابعون « لشيخة »
عجيل الياور الذي تخصصه الحكومة العراقية بالمشاهرات المالية ،
كانوا يرحبون باخوانهم الفارين من نجد ويشاركونهم في شن الغارات
على قبائل ابن سعود . قد تخلل هذه الغزوات فترة سكون عقد
فيها مؤتمر العقير ثم عادت تلك العشائر بعد اربعة اشهر ، اي في
صيف عام ١٩٢٣ ، تفسد ما اصلحه المصلحون ، وتحاول في غزواتها
المتتالية ان تقضي على السلم في القطرين العراقي والنجدي .
فكتب عظمة السلطان الى المفوض السامي الى جلالة الملك فيصل
يلفت نظرهما الى هذا الامر ويحذرهما من عواقبه . بل طلب من
الحكومة مرارا ان تردع المجرمين ، وترجع ما نهبوه من اهل نجد .

وقد نشر في الكتاب الاخضر النجدي اجوبة اولي الامر هناك ،
وفيها ما يثبت دعوى حكومة نجد ، بل فيها الدليل على عجز حكومة
العراق — عجزها يومئذ — عن تنفيذ ما رآته واجبا عليها .

قال جلالة الملك فيصل في جوابه : « تلقيت كتابكم المرسل مع خادمكم الامين عبد العزيز الرباعي فكان اعز واصل اما من خصوص التفاوض فقد اجرينا اللازم واخبرنا حامله شفاها بما يسهل الامور » .

وقال وزير الداخلية (يومئذ عبد المحسن بك السعدون) في كتاب ارسله الى المفوض السامي :

« قد اصدرت الاوامر الى متصرف الموصل لكي يرسل رؤساء شمر في نجد وخصوصا اولئك الذين اشتركوا في هذه الغارات . . وقد وعد الشيخ عجيل الياور باسترجاع الاموال المنهوبة ، وتعهد بقبول المسؤولية عن وقوع الغارات في المستقبل » .

ثم كتب معالي الوزير الى متصرف الموصل كتابا شديد اللهجة جاء فيه : « ان التأثير الذي ينجم عن هذه الغزوات يغضب ابن سعود . فان لم تتخذ الاجراء المستعجل فأقل ما ينتظر هو حدوث غزوات جسيمة مقابلة لذلك (١) ومما لا يطاق احتماله اتخاذ شمر العراق مركزا لحركاتهم الحربية على ابن سعود . فالحكومة عازمة على اتخاذ التدابير لكبح جماحهم ولطردهم اذا اقتضى الامر » .

وكان قد كتب عبد المحسن بك الى المفوض السامي يسأله اذا كان في وسعه «مساعدة الحكومة العراقية بالطائرات والسيارات المدرعة اذا كانت القوات الموجودة لديها غير كافية » .

ولكن عجز الحكومة العراقية لم يكن سوى مظهر من عجز حكومة الانتداب . وفي كتاب السر برسي كوكس ، المؤرخ في ٢٧ آب الى عظمة السلطان ما يثبت ذلك . فقد جاء فيه انه — اي المفوض السامي لم يقصر » في الاسراع الى لفت نظر الحكومة العراقية

(١) قد تحقق كلام الوزير ، بعد بضعة اشهر ، في غزوة الدويش

الى هذه الحركة السيئة من قبل رجال شمر نجد المقيمين داخل حدودها » وانه « سينظر مع الحكومة العراقية في امر امكان وضع دوريات منظمة في اطراف العراق لاجل منع حدوث مثل هذه الامور » . . وانه « واثق من التمكن قبل مدة طويلة من القيام بضمانات وافية ترضي كلا الحكومتين ، ومن اتخاذ تدابير من شأنها ان تمنع العشائر من تكرار هذه الاعمال » .

ولكن « الدوريات » لم تنظم في هذه السنة ولا التالية . اما التدابير فقد عقد في سبيلها في الاشهر الاربعة الوسطى من هذا العام مؤتمر الكويت . وفي خلال هذه الاشهر ، اي من جمادى الاولى الى شعبان ، ساد شيء من السكون في البادية ، وقامت مقام الغزوات حرب من الكلام في مدينة ابن الصباح .

كانت الحكومة الداعية ، بواسطة وكيلها في ابي شهر الكولونل نو كس (١) ، الى هذا المؤتمر ، وكان الغرض منه :

١ — البحث في المواد الباقية بين نجد والعراق ومن جملتها قبائل شمر اللاجئين الى هذا القطر .

٢ — البحث في مسألة حدود نجد وشرق الاردن .

٣ — البحث — اذا شاء ابن سعود — في حل المشاكل التي بين نجد والحجاز .

وقد قال الوكيل في كتابه الى عظمة السلطان « ان الحكومة البريطانية مستعدة ان تعرض الامر على الملك حسين » وان غرضها من عقد هذا المؤتمر « هو ازالة سوء التفاهم وحل جميع المشاكل التي بين الممالك المتجاورة » .

قبل السلطان الدعوة على شرط ان تكون المفاوضات بين الوفد

النجدي وكل وفد آخر من الوفود على حدة . اي ان وفد العراق لا يشترك في مباحثات شرقي الاردن ، ولا وفد شرقي الاردن في بحث امور العراق . قبل الوكيل هذا الشرط واعلم به الحكومات الاخرى فحاز قبولها . وقد عقدت جلسة المؤتمر الاولى في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢ (١٧ كانون اول ١٩٢٣) فتلتها اربع جلسات ، دار فيها البحث بين وفد نجد ووفد العراق ، فتم الاتفاق بينهم على بضع مواد تختص بمعاقبة الذين يشنون الغارات في اطراف البلدين ، وبكيفية المعاينة ، وبطريقة المراسلة بين الحكومتين في ما يختص بالعشائر .

تم الاتفاق او كاد يتم . فان وفد العراق ، ساعة التوقيع ، طلب ان يضاف الى المعاهدة انها لا تكون نافذة ما لم يتم الاتفاق مع الحجاز ولكن الملك حسين رفض ان يرسل مندوبا من قبله الى المؤتمر ، وقد قال في بادئ الامر انه لا يشترك في المفاوضات ما دام ابن سعود محتلا بلدة واحدة من بلدان الحجاز .

وقد وفض الوفد النجدي المادة الشرطية . وجاء في برقية رئيس المؤتمر الكولونل نوكس الى حكومته « انه لا يمكن البت في شأن من الشؤون ما لم يوفد الحجاز مندوبه » . ثم تأجل المؤتمر الى ٨ كانون الثاني ليتمكن الوفدان من الرجوع الى بلديهما ليستشيرا حكومتيهما في المسائل المختلف عليها .

اما وفد شرقي الاردن فقد كان اشد لهجة واكثر صراحة من وفد العراق ، فظهرت في خطبه اليد التي كانت تحركه ، والروح — غير روح الامير عبد الله — التي كانت مسيطرة عليه .

ان ظاهر الخلاف بين نجد وحكومة عمان هو الجوف وقريات الملح (١) فبعد مؤتمر العقير ، عندما علم سمو الامير بما كان من

(١) قريات الملح تتألف من قريتين كبيرتين احدهما كاف والثانية اثري ويتبعهما ثلاث مزارع . وفي اراضيها معادن ملح كبيرة يشحن اكثر منتوجها الى حوران وجبل الدروز .

الاتفاق بين حكومة بريطانيا العظمى والسلطان عبد العزيز بخصوص الحدود النجدية العراقية ، ارسل قوة احتلت القرى ، فهم السلطان باخراج تلك القوة منها ، فلجأ الامير الى الحكومة البريطانية التي طلبت اذ ذاك من ابن سعود ان يتوقف عن الزحف الى الجوف ، ووعدت بتسوية المسألة بالوسائل السلمية . اما حادث الجوف هذا فقد كان من الاسباب التي عجلت في عقد مؤتمر الكويت .

قلت ان وفد شرقي الاردن كان اكثر صراحة وجراة من وفد العراق ، فقد استهل رئيس الوفد خطابه في اطراء صاحب الجلالة الهاشمية ، والنهضة العربية ، والحكومة البريطانية التي ساعدت في استقلال العرب . ثم قال : « ان شرقي الاردن هي من ثمار هذا الاستقلال . وان الجوف وسكاكه وما يتبعهما هي لازمة له ، هي ضرورة للمواصلات بين شرقي الاردن والعراق » فيجب اذن ان تكون تحت اشراف حكومة الامير .

وفي الجلسة الثانية كانت اللهجة اشد والصراحة اعجب . فقد قال المندوب الاردني ان الجوف وسكاكه وتوابعها هي من الاراضي السورية ، التي تبدأ حدودها من مدائن صالح ، وتنتهي عند بوكمال على نهر الفرات ، وان شرقي الاردن كانت من سوريا ، فيجب ان يكون الجوف بأجمعه تحت ادارتها .

المندوب النجدي : « ان الجوف وسكاكه ووادي سرحان بأجمعه كانت تتبع التطورات في نجد ، بينما ان تشكيلات الاردن الادارية لم تكن سوى اقضية تابعة للكرك والقدس ، ولم يكن الجوف تابعا لها اداريا او سياسيا » .

ثم قال رئيس الوفد : « لا نوافق مطلقا على اتصال حكومة

شرقي الاردن بالعراق . ونطلب ان تكون حكومة نجد متصلة حدودها بسوريا حتى تكون تجارتها آمنة . فحفظا لكياننا الاقتصادي ، وحماية لاوضاعنا التجارية ، نطلب ان يكون الاتصال بسوريا اساسا للاتفاق بيننا وبين شرقي الاردن » .

قلنا ان ظاهر الخلاف بين القطرين هو الجوف . اما الخلاف الحقيقي الجوهرى فهو العداء المتأصل بين آل سعود والبيت الهاشمي . وقد صرح رئيس الوفد ، بعد اطرائه جلالة الملك حسين ، بما يأتي :

« اسمحوا لي ان اصرح لحضراتكم بأنه اذا لم تتخل حكومة نجد عن الجوف ووادي سرحان بأجمعه ، وعن الاراضي الحجازية التي احتلتها ، اي ترّبة والخربة وخيبر وغيرها ، وتجعل تحديد الحدود بين الحجاز ونجد على ان يكون الحد الفاصل هو الصحراء القاحلة ، فلا يمكن ان يحصل بيننا اتفاق » . عندئذ قال رئيس المؤتمر الكولونل نوكس : (لا يحق لوفد العراق او وفد شرقي الاردن ان يتكلم عن الحجاز . . . لان سلطان نجد حينما قبل ان يشترك في المؤتمر اشترط شرطا اساسيا قبلناه ، وهو انه لا يحق لحكومة من الحكومات ان تشترك في بحث ما يتعلق بالحكومات الاخرى » .

توقفت المفاوضات بين نجد وشرقي الاردن كما توقفت سابقا بين نجد والعراق . والسبب الاول في ذلك كما تبين لنا هو الشرط الاخير الذي اشترطه وفد حكومة بغداد ، والكلام الاخير الذي فاه به وفد حكومة عمان . وقد فاز في الحالين الملك حسين .

الملك حسين ، كان يومذاك في اوج مجده ، أبى ان يشترك في المؤتمر ولكنه نفذ ارادته في ممثلي حكومتي نجليه ، فحالت السياسة الهاشمية دون الاتفاق وسلطان نجد .

وما كانت جلسات المؤتمر الاخرى لتغير في هذه الحال او تلتفها

فقد عاد وفد العراق يحمل قرار حكومته ، وفيه ان لا يمكنها ان تسلم شمر نجد حالا ، وانها غير مسؤولة عن المنهوبات التي سبق تاريخها تتويج الملك فيصل (١) وانها لا تقبل بمبدأ اخراج العشائر الملتجئين اليها لان ذلك « يخلق ارتباكات في الحدود العراقية مع سوريا وتركيا وايران » .

ولكن مسألة العشائر هي في نظر حكومة نجد المسألة الجوهرية . فاذا كانت حكومة العراق لا تتخذ الوسائل الفعالة لتقضي على الحركات العدائية التي تقوم بها تلك العشائر المجرمة فالوفد لا يمضي ملحقا او معاهدة .

وما غير وفد شرقي الاردن لهجته ، ولا تنازل عن شيء من مطالبه . وقد اقترح رئيس المؤتمر استفتاء الاهالي في القرى ، فقبل الوفد النجدي بذلك « على شرط ان يعمل بهذا المبدأ في الاماكن المتنازع عليها بين نجد والحجاز اي في تربة والخرمة » .

ولم يقبل الوفد الاردني بذلك ، بل طلب ان يكون الجوف ووادي سرحان منطقة حياد بين القطرين ، فرفض الوفد النجدي وارفض المؤتمر او بالحري تأجل بعد اجتماعه الثاني ، الى شهر شعبان (اذار ١٩٢٤) ليتمكن الرئيس من مفاوضة السلطان عبد العزيز . وقد كان يأمل ان يغير الملك حسين رأيه فيرسل من يمثله في المؤتمر .

قد غير الملك رأيه فعين نجله الامير زيد ممثلا للحجاز . ولكنه لم يحضر . وبينما كان وفد العراق ، الذي عاد للمرة الثانية يستشير حكومته قادما للمرة الثانية الى الكويت ، خرج فيصل الدويش ، وقد فرغ صبر عربائه ، غازيا في اطراف العراق ، فغضبت ولا غرو الحكومة ، وامرت وفدها بالرجوع الى بغداد . فلم يعقد لذلك الاجتماع الثالث .

(١) قد قدمت حكومة نجد لائحة بالمنهوبات بعد توقيع معاهدة العقير ، وفيها اسماء المعتدين والمعتدى عليهم فبلغ عدد من قتلوا من رعايا نجد سبعة وعشرين رجلا وعدد ما نهب من الابل ٤٦٠ ، وقيمة ما سلب من المال خمسمئة ليرة واربعمئة ريال ، ما عدا ٣٥٠ حملا من الدهن ومئة حمل من البن .

ليسمح القارىء ان يشير المؤلف هنا الى نفسه . قد كنت في هذه المدة على اتصال مراسلة بعظمة السلطان ، وكنت فيما كتبتة الى عظمتة ساعيا في سبيل الوفاق بين البلدين ، محبذا عقد معاهدة نجدية عراقية اوسع نطاقا مما سبقها في العقير وفي المحمرة . وقد جاءني من عظمتة كتاب اقتطف منه ما يلي :

(اما ما ذكرته عن الاتفاق مع حكومة العراق فقد كنت ارغب به من صميم قلبي . . . ولكن حكومة العراق لا تزال تعمل ضدنا في تأليف العصابات من مجرمي العشائر لمهاجمة رعايانا الامنين ، وقطع الطرق على القوافل . . . يعلم الله ان جل مقصدي هو ان اعيش بسلام مع جيرانني ، وان نتحد كلنا على ما فيه خير العرب . ولكن الاشراف لا يروقهـم ذلك فحسبنا الله . . . »

وفي كتاب من القصيم مؤرخ في ١٤ رمضان يقول :

« قد جئنا القصيم لامور لا بسد منها . ومنها الاستعداد للطوارئ . فقد عيـنا عبد العزيز بن مساعد آل جلوي اميرا في حائل ، وجعلنا المنطقة الشمالية ، بما فيه القصيم والجوف وخيبر ، تحت امرته ، وزودناه بالتعليمات الكاملة ، والقوة الكافية ، والصلاحية الواسعة . وبدلنا ايضا امير الجوف فعينا مكانه عبد الله بن محمد بن عقيل ، واصحبناه بما يلزم من القوة » .

هذا جواب عظمة السلطان على مطالب سمو الامير عبد الله وجلالة والده . بل هذه هي نتيجة مؤتمر الكويت .

الفصل السابع والثلاثون

ذروة المجد والخطر

عندما كان السلطان عبد العزيز في الاحساء يراقب عن كثب مؤتمر الكويت وينتظر متيقظا نتائجه ، كان الملك حسين في عمان ، وقد جاءها ليشرف ، كما قال ، على جميع البلاد المقدسة ، ويزور الاماكن التي فيها مراكز للحكومة ، ويوطد السيادة العربية في الشرق العربي .

ولكن مسألة الخلافة ، بعد ان طرد الكماليون الاتراك الخليفة والاسرة السلطانية من تركيا ، شغلت العالم الاسلامي ، وكانت يومذاك تشغل امراء العرب وخصوصا الملك حسين . فجاء عمان ليقرب من الاقطار الحية الراقية في العالم العربي ، وليجس نبضها في هذه المسألة الاسلامية الكبرى .

وعندما وصل القطار الملكي الى العاصمة ١٣٤٣ هـ
١٩٢٣-٢٢٤م في ٨ جمادى الثانية من هذا العام (١٧ ك ٢ سنة ١٩٢٤) شاهد جلالته في المحطة مشهدا فريدا مجيدا ، خفقت له قلوب السياسة ، ورفرفت فوقه آمال الملك كلها . هناك كانت الوفود والجموع في انتظاره - وفود سوريا وفلسطين ، ومشايخ العربان ، من نواحي الشرق العربي ، ورجال الحكومة من عرب وانكليز ، والصحافيون من القاهرة والقدس وبيروت ودمشق ، والجنود والجموع من بدو وحضر في الثياب العربية والافرنجية والجركسية . هناك عندما اطل جلالته من القطار رفع الناس اصواتهم هاتفين : ليحيى ملك العرب ! ليحيى المنقذ الاعظم ! وقد كان الاستقبال حارا باهرا . اصطفت جنود الجيش العربي على الطريق من المحطة الى المدينة ، ورجال العربان من فرسان وهجانة ، وهم يهزجون الهازيج البدوية ، ورفع تلاميذ المدارس

اصواتهم بالهتاف والانشيد وشاركت في الترحيب الطائرات البريطانية التي كانت تهدر في الفضاء .

ثم صعد الخطباء والشعراء منصة البيان ، وطفقوا يخطبون وينشدون ، مهللين مكبرين ، ومهددين الانكليز والفرنسيين ، بل الاوروبيين اجمعين .

— ليحيى ملك العرب ، المنقذ الاعظم ! لتحى النهضة العربية! وليسقط كل من يسعى ضدها وضده ! ليسقط الاستعماريون والمستعبدون ! وكان جلالته يسمع الخطباء والشعراء من شرفة البيت الذي اعد له ، البيت المقابل للآثر التاريخي الجليل — الملعب الروماني المتهدم . وللزمان في هزئه بلاغة تعجز دونها الشعراء والخطباء .

ثم قابل جلالته الوفود فقال تكرارا انه لا يتنازل عن مبدأ واحد من المبادئ التي هي اركان النهضة : — « لا اتنازل عن حق واحد من حقوق البلاد . لا اقبل الا ان تكون فلسطين لاهلها العرب ، اقول لاهلها العرب . لا اقبل بالتجزئة ، ولا اقبل بالانتدابات . ولا اسكت وفي عروقي دم عربي عن مطالبة الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي قطعتها للعرب . اذا رفضت الحكومة البريطانية التعديل الذي اطلبه فاني ارفض المعاهدة كلها ، اقول المعاهدة كلها ، لا اوقع المعاهدة قبل ان اخذ رأي الامة . اني اعمل دائما في سبيل الاتفاق وامراء العرب . اني عامل دائما في سبيل الوحدة العربية ، والاستقلال التام — اقول الاستقلال التام — للاقطار العربية كلها . ولا فرق عندي اذا كان مركز الحكومة العربية في الحجاز ، او في سوريا ، او في العراق ، او في نجد » .

ولا عجب : بعد هذه التصريحات المدهشة ، اذا تمت المبايعة بالخلافة . فبعد المآدب والاجتماعات العامة المتعددة ، وبعد الاجتماعات الخاصة ورؤساء الوفود ، وكبار موظفي الانكليز ،

نودي بالملك حسين بن علي خليفة المسلمين ، وامير المؤمنين ،
فبايعه السوريون والفلسطينيون الذين كانوا هناك ، ورؤساء عرب
الاردن ، والحجازيون الذين كانوا مع جلالته ، وفريق من العراقيين .

× × ×

وفي غرة ذي القعدة من هذا العام ، بعد ان عاد جلالة الملك
حسين الى مكة وقد اضاف الى لقبه الكبيرين اللقب الثالث الاكبر ،
اي خليفة المسلمين ، عقد في الرياض اجتماع عام برئاسة الامام
عبد الرحمن حضره العلماء ، ورؤساء القبائل ، والسلطان عبد
العزیز ، فافتتح حضرة الامام الجلسة قائلا :

« قد جاءني كتب عديدة من الاخوان وهم يبغون الحج . وقد
ارسلت هذه الكتب في حينها الى ولدنا عبد العزيز . وها هو امامكم
فاسألوه عما يبدو لكم » .

السلطان عبد العزيز : « وصلني كل ما كتبتموه واحطت علما
بكل ما شكوتموه . ان لكل شيء نهاية فلا تيأسوا ، وان الامور
مرهونة بأوقاتها » .

سلطان بن بجاد : « يا لامام حنا نبغي الحج ، ولا نريد ان
نصبر اكثر مما صبرنا على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا
عليه . ليست مكة ملكا لاحد ، ولا يحق لاحد ان يمنع المسلمين او
يصد المؤمنين عن اداء فريضة الحج . نريد ان نحج يا عبد العزيز ،
فاذا منعنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة . واذا كنتم ترون ان من
المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلا بد من غزو الحجاز لنخلص
البيت الحرام من ايدي الظالمين والمفسدين » .

السلطان عبد العزيز . « ان مسألة الحج من المسائل التي
يرجع الفصل فيها الى علمائنا . وها هم حاضرون ، فليتكلموا » .

الشيخ سعد بن عتيق : « ان الحج من اركان الاسلام ، ومسلمو نجد والحمد لله يستطيعون ان يؤدوا هذا الركن على الوجه الاتم بالرضى او بالقوة . ولكن من اصول الشريعة النظر الى المصالح والمفاسد . فالامر الذي قد يؤدي الى ضرر او مفسدة يدفع (يؤجل من اجله الحج) فهل هناك من مفسدة او مضرة قد تنتج عن السماح لمسلمي نجد بالذهاب الى بيت الله ؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على السياسة » .

في الاعوام الخمسة الماضية كان السلطان يجيب عن هذا السؤال بالاجاب ، فيمنع اهل نجد عن الحج خوف ان يحدث ما لا تحمد عقباه . وقد كان يعالج مشاكل نجد والحجاز بالطرق السلمية السياسية . اما في هذا الاجتماع فقد قال عظيما مخاطبا العلماء والاخوان :

« نحن لا نود ان نحارب من يسالنا ، ولا نمتنع عن موالاة من يوالينا . ولكن شريف مكة كان دائما ، كما تعلمون ، يزرع بذور الشقاق بين عشائرننا . وهو الوارث من اسلافه بغضنا . ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز بالتي هي احسن . وكنت كلما دنوت من الحسين تباعد ، وكلما لنت له تجافى . اي ورب الكعبة . لست ارى في تطور الامور ما ينعش الامل . بل ارى الامور تزداد شدة وارتباكا . ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا » .

وقف السلطان عند هذه الكلمة ، نهتف الجميع : توكلنا على الله ! الى الحجاز ! الى الحجاز !

الفصل الثامن والثلاثون

الاخوان على ابواب عمان

في الشهر الاول من عام ١٣٤٣ هـ (آب ١٩٢٤ م) مشيت جيوش نجد غربا من الجنوب ومن الشمال .
 ولكن السلطان عبد العزيز لفرض حربي ، امر بغزو الشرق العربي قبل الزحف الى الحجاز . ولم تكن هذه الغزوة بدون اسباب تبررها .

١٣٤٣ هـ
١٩٢٤-٢٥ م

قد اسلفنا البيان في ما كان بين حكومتي نجد وشرقي الاردن من النزاع بخصوص الجوف وقرايا الملح . ولكن جنود السلطان كانت قد احتلت تلك القرى . فما الداعي اذن الى تجاوزها الحدود — الى الغزو ؟

ان هنالك تعديات وتعويضات ذكرت في مطالب نجد في مؤتمر الكويت . فقد اغار وُلد سليمان بن حازي من شيوخ الحويطات على قافلة من تجار نجد في طريقهم الى الشام . فقتلوا ثمانية من رجالها ونهبوا ما يزيد على السبعمائة بعير .

وكانت قد تكررت الاغارات على اهل نجد من عربان الحويطات وبني صخر — اولئك الذين كان الامير عبد الله يقربهم منه ويجزل لهم العطاء — فبلغت المنهوبات ، بموجب اللائحة التي قدمت في المؤتمر ، الف جمل واربعين رأسا من الخيل ، ما عدا الاحمال التي تقدر بثمانين الف ليرة عثمانية (١) .

(١) ادعى ابن سعود بتعويضات قيمتها « ٨٠ » الف ليرة ومن بعد احتلال الجوف تموز سنة ١٩٢١ ، ١٨٠ الف ليرة . وقد نظرت المحكمة في مسألة التعويضات في شتاء ١٩٢٢ بالقدس .

لذلك طلب السلطان عبد العزيز ان تغرم قبيلة بني صخر بمئتي الف ليرة ضمانا لسلامة التجارة والتجار بين نجد وسوريا . وبما ان حكومة عمان لم تكثر لهذا الطلب عمد السلطان الى القوة . مشى الاخوان من اطراف وادي سرحان ، وعددهم يتراوح بين الالفين والثلاثة آلاف ، فالتقوا في طريقهم بثلة من جنود شرقي الاردن ، عددهم مع رجال الحملة خمسة وعشرون ، وهم سائرون الى قصر الازرق ، يحملون المؤن والذخيرة الى الحامية فيه ، فذبحوهم الا واحدا وغنموا الحملة كلها . ثم تقدموا غربا فهجموا على الطنيب ، وام العمدة ، والقسطل ويادودة ، وكادوا بعد ان اجتاز فريق منهم سكة الحديد ان يصلوا العاصمة .

كان الامير عبد الله يومئذ متغيبا ، فصدرت اوامر الحكومة بالدفاع ، فبادر العربان ، وفي مقدمتهم الصخور والحويطات ، الى محاربة اعدائهم ، فاشتبكوا واياهم في معركة دامية دامت بضع ساعات . وكان بيك باشا ، القائد الانكليزي للجند النظامي ، قد ارسل الطائرات والسيارات المدرعة على الاخوان ، فحطت الطائرات فوق العربان المتلاحمين ، وشرعت ترميهم كلهم بالقذائف . كما ان السيارات اطلقت عليهم نيران مدافعها الرشاشة . كاني باولئك الانكليز يقولون : من اين لنا ان نعرف النجدي من الاردني ، والعرب في القيافة لا يفرقون بعضهم عن بعض . نعم ، كلهم عرب . اغمض عينيك يا ابن جون بول واضرب .

قبل مجيء الطائرات والسيارات كان قد وقع في ساحة القتال نحو مئة رجل من الفريقين . وعند تشتتهم كان عدد القتلى من الاخوان وعربان عمان قد تجاوز الاربعمئة .

وكان بعض الاسرى من المتدينين يحملون علبا من التبنك انكليزية الصنع فيها لحم مقدد ، فقال اولئك الحكماء . دهاقنة السياسة ، في الصحافة وفي الدواوين : وهل من ينكر بعد هذا ان الانكليز يساعدون ابن سعود ؟ هذا لحمهم المقدد يأكله الاخوان .

وما تلك الملب غير قسم من الحملة التي غنمها الاخوان .
تلك الحملة التي كانت معدة لحامية الشرق العربي في قصر الازرق .
نعم ، هو لحم مقدد من بلاد الانكليز . ولكن السيارات والطائرات
الانكليزية امطرت الاخوان وعرب عمان على السواء وابلا من
القذائف والرصاص .

لولا هذه القوة الهائلة ، التي كانت تديرها الايدي الانكليزية ،
لاكتسح النجديون الشرق العربي ، ورفعوا فوق ربي عمان علم
ابن سعود .

اما سمو الامير عبد الله فعندما عاد الى عاصمته شكر الله
ولا شك وشكر ربة الجنود التي لا تزال تكلأ بعينها الزرقاء البيت
الهاشمي .

واما سيد هذا البيت الاكبر جلالة الملك حسين فقد كان في
قصره بمكة متوسدا وسادة الخلافة ، مطمئن البال ، واثقا بما
تضمه الايام ، وهو يدبج المقالات لجريدة القبلة .

— نحن نشكر كمالات حكومة بريطانيا العظمى على ما اظهرته
من الحمية في الشرق العربي . ولكننا مع ذلك لا نتنازل عن حق من
حقوقنا . . ان سوريا جزء من البلاد العربية وان فلسطين للعرب .
ولا نوقع معاهدة فيها ما ينفي هذا القول بل هذا الحق . . . ومن
اعرف منا بالبدو وبالمدينة ؟ قنبلة من مدفع تبدهم ، وطيارة واحدة
تشتت شملهم ، والبرهان في الشرق العربي . . .

وكان جلالته يومذاك يفكر في تعزيز ملكه في الشرق الاوسط
ايضا فعين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيرا للحجاز في
طهران .

الفصل التاسع والثلاثون

سقوط الطائف

يوم كان الملك حسين جالسا على فراش الملك والخلافة ، وهو يحلم بسيادة اعظم من السيادة العربية ، بسيادة اسلامية شاملة ، كان سلطان بن بجاد ، الملقب بسلطان الدين ، والشريف خالد بن منصور بن لؤي امير الخرمة ، زاحفين الى الطائف بجيش من الاخوان مؤلف من خمسة عشر لواء (١) من الوية الفطط والخرمة وتربة ورنية وعتيبة ومطحان وبني تميم . على ان هذا الجيش ، مع من انضم اليه بعدئذ من عربان الحجاز واشرافه كالحراث وبني ثقيف ، لم يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل .

ومشى الاخوان من مركز الاجتماع في تربة ، ولم يعلم بهم احد في مكة او في الطائف قبل ان اجتازوا الحدود . لم تعلم الحكومة بهجومهم قبل ان وصلت سرياتهم في اليوم الاول من صفر ١٣٤٣ (ايلول ١٩٢٤) الى قرية الحويّة التي تبعد بضعة اميال عن الطائف .

واستيقظت عندئذ الحكومة فأصدر ناظر الحربية الهاشمية امير اللواء صبري باشا اوامره الى جنود النظام بالدفاع ، فخرجوا من الطائف ، وهم نحو اربعمئة ومعهم بعض المدافع الجبلية والرشاشة . خرجوا الى الحوية يصدون الاخوان ، فاستعرت بينهم وبين سرايا الجيش هناك معركة دامت بضع ساعات كانت القلبة فيها للاخوان .

تقهقر النظاميون الى جهة الطائف ، فانضم اليهم جند من البدو ورباطوا معهم في الهضاب الغربية من البلاد الى الشمال والشمال الغربي منه . هناك وقفوا ثانية لسرايا الجيش الزاحف ، وشرعوا

(١) اللواء او البيرق يتراوح عدده بين المئة والخمسة مائة .

يطلقون عليهم المدافع ، فاستمروا في مناوشتهم ، دون ان يتمكنوا من ردهم ، ثلاثة ايام . اصف الى ذلك ان قسما من البدو الذين كانوا في المراكز الامامية انضم الى الاخوان وسلم الباقون .

عندما وصلت اخبار الهزيمة الاولى الى مكة امر جلالة الملك ابنه عليا بانجاد الجيش المدافع ، فجاء الامير مسرعا بسرية من الخيالة واخرى من الهجانة . اما النجدة التي مشيت في طريق السيل فلم تصل الا بعد سقوط الطائف .

وصل الامير يوم الخميس في ٦ صفر فدخل الطائف ليلا وخرج منها في عصر ذاك اليوم ليعسكر في الهدى (١) .

وكان الجيش النجدي يزداد عددا وقوة ، فاضطر الجنود النظاميون ان يتقهقروا الى المدينة في صباح يوم الجمعة . تقدم الاخوان . وصار رصاصهم ، قرب الظهر من ذاك النهار ، يقع داخل السور ، فاستحوذ الذعر والخوف على الاهالي ، وكان الاشراف في مقدمة الهاربين .

فقد خرج في اصيل يوم الجمعة امير الطائف الشريف شرف عدنان ، ووزير الحربية وجنوده النظاميون ، وسائر الامراء والموظفين . خرجوا من المدينة لانهم رأوا كما قيل انه خير لسلامتها ولسهولة استردادها ان يلحقوا بالامير علي .

وبعد خروج الاشراف والجيش بساعة او ساعتين ، في غسق ذاك اليوم ، اليوم السابع من صفر (٧ ايلول) دخل الاخوان الطائف كالسيل الجارف ، وهم يكبرون ويعتزون ، ويطلقون بنادقهم في الفضاء . ثم طفقوا يطلقونها في الاسواق ، وهم يطوفون في المدينة ، فقتلوا عددا من الابرياء الذين لم يسارعوا مثل غيرهم من الاهالي الى بيوتهم مستأمنين .

وكان قد تخلف في المدينة جماعات من عرب الحجاز من

(١) الهدى هي على اربع ساعات من الطائف .

الطويرق والنمور والبقوم وغيرهم ، ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو « نسور الجنة » رواد السلب والنهب . فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل ، وكانت ساعة الهول والفجع . راح العربان والاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها فيدخلون البيوت اما قهرا واما بعد ان يؤمنوا اصحابها ، ثم يعملون فيها ايدي السلب . وكانوا يقتلون في سبيل السلب . (١)

ولكنهم لم يقتلوا من النساء غير امرأة واحدة ، ولا كانوا يتعرضون لهن الا اذا ابين ان يدللنهم على الكنوز والسلاح . وهناك حقيقة اخرى يجب ان تسجل . كان بعض الاهالي يطلقون على الاخوان البنادق من شبابيك البيوت ونوافذها ، فيحملونهم على دخول تلك البيوت عنوة ، وعلى الفتك جزافا برجالها . كذلك كان قتلهم لمفتي الشافعية الشيخ الزواوي (٢) ولابناء الشيبى .

اما الشيخ عبد القادر الشيبى سادن الكعبة فقد نجى من الاخوان بحيلة ظريفة . بكى عندما وقع بين ايديهم ، فسأله احدهم وقد استل السيف فوق رأسه قائلا : « وليش تبتسى يا تسافر ؟ » فأجابه الشيخ : « ابكي والله من شدة الفرح . ابكي يا اخوان لانى قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر ، ولم يشأ الله ان اموت الا مؤمنا موحدًا . الله اكبر ! لا اله الا الله » ؟ قد اثر هذا الكلام في الاخوان ، فبكوا لبكاء الشيخ ، ثم طفقوا يقبلونه ويهنئونه بالاسلام .

هذي هي الحقيقة كلها في فظائع ليلة الفتح . وفي صباح يوم السبت دخل سلطان بن بجاد ببقية الجيش فكف الجنود عن القتل .

(١) كان لهذا الحادث الم في نفس السلطان عبد العزيز ، فأمر بتأليف لجنة لتقرير الخسائر والتعويض على المنكوبين من الاهالي ومن الهنود الجاويين . وقد دفع نحو عشرة الاف ليرة من التعويضات .

(٢) وقيل ان الزواوي قتل بمدفع من مدافع الاشراف .

ولكنه امر بجمع السلاح وبتفتيش البيوت ، فاضطر لذلك ان يخرج الاهالي منها ، فسيقوا نساء ورجالا الى حديقة شبرا ، وحبسوا هناك ثلاثة ايام . ثم اطلق سراحهم واذن لمن شاء منهم بالخروج من المدينة .

قلنا في مطلع هذا الفصل ان فريقا من عرب الحجاز واشرافه انضم الى الجيش النجدي نفرة من الحسين وابتغاء سقوطه . وقد كان اشراف الحرث في مقدمة الثائرين ، فتبعهم حتى من كان في الجيش الهاشمي من العربان . على ان ذلك لم يثبط من عزم الملك ولا حوله مقدار ذرة عن مقاصده . فعندما وصل الاشراف وغيرهم من الهاربين ، وعندما علم جلالتهم بوصول الامير علي الى عرفات ، غضب غضبة مضرية ، وشرع يعد العدة لاعادة الكرة على الاخوان ولاسترجاع الطائف . جمع شتات الجند ، وجمع من استطاع من البدو ، فكانت التجريدة الجديدة خمسمئة من النظام ، ونحو ستمائة من قبائل الحجاز المواليين ، اي من هذيل وقريش وبني سفيان ، ومثتين من اهل مكة . ثم امر الامير عليا بالرجوع الى ساحة الحرب .

مشى الامير علي على رأس هذا الجيش الى الهدى . وكان الاخوان قد علموا بذلك ، فحمل نحو الفين منهم على الحجازيين ، واشتبكوا واياهم في ٢٦ صفر (٢٦ ايلول) في معركة استمرت من نصف الليل الى الساعة العاشرة صباحا .

كان الامير علي يدير هذه المعركة من قصر يبعد الف وخمسمائة متر عن ساحة القتال . وفي هذا القصر هاتف يصله ، بواسطة مركز الارتباط في سفح جبل كرا ، بقصر جلالة والده .

— « هجم المتدينة علينا فرددناهم خاسرين » .

— « اعاد المتدينة الكرة فأمطرتهم مدافعنا وابلا من الرصاص

فعادوا مدحورين » .

ولكنهم في الهجمة الثالثة ، وعلى رأسهم سلطان الدين نفسه ، ضربوا الجبهة ضربة ثلثتها ، وكان في وسطها سرية من الفرسان من عرب عتيبة ، فتقهقروا ، فدخل الاخوان من تلك الثلثة . واول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان ، ثم اهل مكة ، ثم جنود النظام .

وفي تلك الساعة ، عند الفجر ، سكنت بنادق الاخوان ، فهتف موظف الهاتف يخاطب ضابط الارتباط في الكر بسفح جبل كرا وهذا يخاطب الديوان الهاشمي بمكة : — « انهزم المتدينة ! سكنت بنادقهم » !

ولكن السبب في سكوت تلك البنادق هو ان اصحابها توقفوا عن القتال ليصلوا صلاة الفجر ! ثم عادوا مستبسلين ، فتقهقر الامير علي بشرزمة من الجيش الى الكر . وعند وصوله الى سفح الجبل الساعة الثامنة صباحا ، امره جلالة الملك بالهاتف ان يرجع الى الهدى . — « الطاعة ولو ذبحت » قال هذا وعاد ورجاله ادراجهم ، فما كادوا يصلون الى منتصف الطريق حتى انهال عليهم رصاص الاخوان كالطر . وكان ضابط الارتباط في الكر قد الحقهم بنجاب يقول : « قد انقطع التلفون بيننا وبين الهدى » .

قفل الامير ورجاله راجعين ، وتوقف الاخوان بعد هذا النصر في الهدى ، فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي ، ولا هاجموا مكة يومذاك اجتنابا للقتال في ظلال الحرم .

الفصل الرابعون

يوم الانقلاب

في الاسبوع الذي تلا وقعة الهدى وتقدم اليوم الاخير — يوم الانقلاب — كان جلالة الحسين لا يزال يضرم في ديوانه ، وفي حكومته ، وفي حاشية قصره ، وفي بقية جيشه ، نار الشجاعة والامل . وكان لا يزال يظن انه يستطيع ان يخرج المدينة وابن سعود من الطائف ، بل من الحجاز . ولطالما قال ابن سعود من الدرجة الخامسة بين امراء العرب . غير ان احد رجال الديوان الهاشمي ، وقد غشيت الشجاعة في الساعة الاخيرة ، قال مخاطبا مولاه : « ومعنى الدرجة الخامسة يا مولانا هو ان ابن سعود صاعد الينا ، ولم يبق بينه وبيننا غير خمس درجات » .

خمس درجات ، او خمس ساعات ، او خمسة ايام — انها النتيجة واحدة . فقد جاء يوم الحجاز ، وهو المقدمة ليوم ابن سعود — جاء بعد اسبوع من وقعة الهدى ، وباسم الامة ، اذ اجتمع اعيانها في جدة ، ومنهم من فروا من الطائف ومكة ، من تجار وعلماء واشراف ، فأرسلوا الى الحسين في اليوم الرابع من ربيع الاول (٣ ت ١) البرقية الاتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة :

بما ان الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الان في الفوضى العامة ، بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال ، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة ، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعني امره جميع

المسلمين ، لذلك قررت الامة نهائيا طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الامير علي (١) ملكا على الحجاز فقط ، مقيدا بدستور وبمجلسين وطنيين الخ. والله الموفق لما فيه الصلاح . قد وقع هذه البرقية التي ارسلت بعد الظهر مئة واربعون من الاعيان والعلماء والتجار الحجازيين ، فجاءهم الجواب التالي :

« ادارة برقيات الحكومة الهاشمية .

في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ بواسطة قائمقام جده .

الى الهيئة الموقرة .

مع الممنونية والشكر . وهذا اساس رغبتنا التي اصرح بها منذ النهضة والى تاريخه . وقد صرحت قبله ببضع دقائق اني مستعد لذلك بكل ارتياح اذا عينتم غير علي . واني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح .

الامضاء : حسين »

لم يرض المجلس بهذا الجواب ، فعمد الى الهاتف وانااب احد اعضائه ليكلم الملك ، فرفض جلالته الكلام . — « انت من رجال حكومتي فليكلمني غيرك » . ورفض كذلك ان يكلم الثاني . ثم تناول الشيخ طاهر الدباغ الهاتف فكان مسموعا .

الدباغ : « مولاي ، بناء على المركز الحرج الذي وصلت اليه البلاد ، قررت الامة طلب تنازل جلالتك لسمو الامير علي » —

الملك (مقاطعا) : « انا وابني واحد ، واذا كنت انا قد صرت عندكم « بطل » فلا بأس . ولكني لا افهم ما القصد من هذا . لا يهمني امر الملك في اي شخص كان . ولكني لا اتنازل لولدي علي ابدا . لاني اذا كنت انا « بطل » فولدي « بطل » .

(١) كان الامير يومئذ في جدة .

الدباغ : « كلا يا مولاي . لا تنسب لجلالتكم شيئا من ذلك .
وانما نريد ان نسلك سياسة غير السياسة التي سرتم عليها ، عسى
ان نتمكن من تخليص البلاد من مأزقها الحرج . والامة قد اجمعت
على طلب ذلك من جلالتم ، وفرجو اجابة رغبتها » .

الملك : « يا ابني لكم ان تفعلوا ما تشاؤون . اما انا فلا اتنازل
لولدي علي ابدا . عندكم الشريف علي امير مكة السابق ، واخي
ناصر ، وعندكم خديوي مصر عباس حلمي ، وعندكم الاشراف
كثيرون اختاروا اي واحد تشاؤون ، وانا مستعد للتنازل له . اما
ولدي فلا يمكن لاني انا وهو شيء واحد . خيره وشره عائدان
لي » .

الدباغ : قد اجمعت الامة يا مولاي على اختيار الامير علي
ولا ترغب —

الملك : « لا يمكن ان اتنازل لولدي . اقول لا يمكن قطعيا » .
الدباغ : « سأخبر الهيئة ثم نعلم جلالتم » .

ومما هو جدير بالذكر ان هذه الهيئة الشرقية التي التأم
طيلة ذاك النهار والليل ، كانت في مناقشاتهما واعمالها — واجماع
رأيها — غير شرقية بل كانت في سرعة تقاريرها ، ومضاء عزمها ،
من اعجب ما دون في تاريخ الشرق والشرقيين . حتى انها اقفلت
ابواب المدينة اثناء هذه المفاوضات ليبقى الامير علي في جدة ويقبل
البيعة .

بعد المحادثة بالهاتف ارسلت البرقية التسالية وفيها البلاغ
النهائي ، وفيها التهديد :

« صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة :

الحالة حرجة جدا ، وليس الوقت وقت مفاوضات . فاذا كنتم
لا تتنازلون للامير علي فنسترحم بلسان الانسانية ان تتنازلوا لجلالتكم
لتمكن الامة من تشكيل حكومة مؤقتة . واذا تأخرتم عن اجابة هذا
الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم » .

اعاد صاحب الجلالة النظر في الامر فتحول بعد حديث الهاتف،
او بعد وصول هذه البرقية ، عن فكرته الاولى .

« مكة في ٤ ربيع الاول الساعة الرابعة (١٠ ليلا) .

لا بأس . قد قبلنا التنازل بكل ارتياح ، اذ ليس لنا رغبة الا في
سكينة البلاد وراحتها وسعادتها . فلان عينوا لنا مأمورين هنا
يستلمون البلاد بكل سرعة ، ونحن نتوجه في الحال . اذا تأخرتم
ووقع حادث فأنتم المسؤولون . والاشراف عندكم كثيرون (١)
ارسلوا واحدا منهم او من سواهم . وعلاوة على هذا اذا قبل منكم
علي الامر عينوه رأسا ٤

الامضاء : حسين

وفي اليوم التالي ارسل برقية اخرى الى « الهيئة الموقرة »
بواسطة قائمقام جدة ، اشد لهجة من الاخيرة ، فيها يكرر انه مصمم
على الاعتزال ، ويطلب تعيين من يستلم البلاد بكل سرعة . « فان
الفوضى التي ذكرتموها وقعت بداعي اشهاركم رغبة تنازلي . واني
لا اقبل اية مسؤولية تقع اذا لم تسرعوا اليوم في تعيين من يتولى
الامر ، لاتوجه في الحال الى الجهة التي يختارها الباري عن طريق
جدة . وهذا ليس هربا من اي شيء تتصورونه بل دفعا للظنون
والشبهات » .

اما الهيئة فقد اسرعت في العمل كما يظهر من تاريخ الجواب
وعنوانه :

صاحب الشرف الاسمى الشريف حسين المعظم .

جواب برقيتكم رقم ١٧ — بحمد الله ومساعي مولاي قد تمت
البيعة لجلالة نجلكم المعظم ، وقد فاض جلالته من يلزم في استلام
البلاد وادارة شؤونها . فالمنتظر من مولاي مبارحتها بكل احترام
تهدئة للاحوال .

عن الرئيس :

محمد طاهر الدباغ

(١) كانوا قد رحلوا من مكة كما رحلوا سابقا من الطائف .

وكانت الهيئة قد كتبت الى الامير علي تقول :

« بناء على طلب الامة قد تنازل جلالته والدمكم ، بموجب برقية رقم ١٩ المؤرخة في ٤ ربيع الاول ، وقررت الامة نهائيا البيعة لجلالتكم ملكا دستوريا على الحجاز فقط . . . وان يكون للبلاد مجلس نيابي وطني ، وقانون اساسي تضعه جمعية تأسيس المجلس الوطني النيابي ، فقد قررت الامة ان تشكل هيئة مؤقتة لمراقبة اعمال الحكومة . . . وانا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة رسوله »

في اليوم التالي للبيعة رجع الملك علي الى مكة . وبعد اربعة ايام ، في ليلة اليوم العاشر من هذا الشهر (٩ ت ١) وصلت الى جدة القافلة الحاملة امتعة الحسين ، وفيها عشرون جملا تحمل اربعين صفيحة من صفائح البترول مملوءة ذهبا وقد قدر هذه الاحمال احد العالمين بالتخزين بمئة وستين الف ليرة .

اقام الحسين ستة ايام في جدة ، وكان يرفض ان يقابل احدا من الناس ، فاثمرت هذه العزلة بلاغا ارسله الى « فخامة رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية » وفيه يحتج على الحكومة الدستورية ، ويعدد طغاوي ابن سعود ومطامع الامام يحيى بن حميد الدين .

قال الشريف : « اما الحكومة الدستورية ، سيما في الحرمين الشريفين ، فالعمل فيها ينبذ احكام كتاب الله وسنة رسوله . ان العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البشرية لما تاباه شعائر الاسلام ، وفرائض الدين ، والاخلاق الشريفة مادة ومعنى » .

وقد قال محتجا على حصر سلطة الحجاز بالحجاز : « لو لم يكن في هذا التحديد الا تأملنا ما في مساعي الحضرة السعودية من الاستيلاء على حائل ، قاعدة امارة الرشيد ، والجوف مقر الشعلان ،

وتثبته في ضبط الكويت ، وتعرضه في عسير لامارة آل عائض ، بل تجاوزه على مكة المكرمة ، ومساعي امام صنعاء لضم بلاد حاشد ، وتهامة الشوافع ، وحضرة الادريسي على الحديدية وما حولها . . . ها هنا قطع جواب الشرط على عادته ، ثم قال : « وعليه بلغوا الهيئة الموقرة احتجاجي القطعي اولا على تحديد نفوذ الحجاز ، وثانيا على ما فيه ابدال العمل بكتاب الله . ولذا فاني احفظ حقوق اعتراضى وانكاري بالمادة والمعنى لكما ذكر » .

تحرر في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

وفي ليلة اليوم التالي نزل وحرمه وعبيده الى البحر ، يرافقه للوداع السيد احمد السقاف ، رئيس ديوانه السابق . وناظر الجمارك الشيخ محمد الطويل .

قال احد الذين اشترىوا لحكومة الحجاز اليخت الذي اقل الشريف الى العقبة : « عندما وصلنا الى جدة نزل جلالة الملك ليفحص اليخت (الذي سماه بعدئذ الرقمتين) فقال معجبا به : « سنسافر فيه يوما من الايام سفرة بعيدة » .

سفرة بعيدة اذا كان البعد في الاسفار يقاس بمدة الرجوع فهذه السفرة الاخيرة من الحجاز هي التي نظر اليها الشريف حسين بعين الغيب .

الفصل الحادي والاربعون

الشريف حسين

ان لسقوط الشريف حسين اسبابا سياسية وادارية وخلقية .
اما السياسية فاهم ما فيها اغضابه الانكليز في رفضه المعاهدة
الانكليزية الحجازية التي استمرت المفاوضات بشأنها ثلاث سنوات
ثم اغضابه امراء العرب ، وفي مقدمتهم ابن سعود . فقد كان في
سياسته العربية يظهر غير ما يبطن ، فيقول مثلا انه مستعد للتنازل
عن عرشه ، ولتسليم زمام الامور الى من يستطيع ان ينهض
بالعرب ، وهو في اعماله غيره في اقواله . بل لم يكن ليرى في امراء
العرب الحاكمين غير من هو في الدرجة الثالثة او الرابعة . ولم
يكن ليرى في كل البلاد منقذا سواه . هذا ما كان من شعور الشريف
حسين . وان في هذا التاريخ من الادلة عليها ما يقنع اشد الهاشميين
نزعة واخلاصا .

لنعد اذن الى تلك المعاهدة المشؤومة . ما تفاضى الانكليز
عن الحسين بل عن الحجاز لغاية في النفس كما كان يظن بعض
السياسيين في سورية وفي مصر والهند ، وما اتخذت الحكومة
البريطانية بعد مؤتمر الكويت موقف الحياد الا مضطرة ، لان
سياستها العربية خلال الحرب العظمى وبعدها كانت تستوجب
ذلك ، بل كانت تحول دون كل عمل سوى الحياد .

ومع ذلك فقد قال بعض السياسيين هناك ، وقالت جريدة
« التيمس » الرسمية ، ان الحكومة البريطانية احسنت صنعا
بالوقوف موقف المتفرج بعد ان رفض الحسين ان يوافق على
اقتراحاتها . فلو فعل ذلك لكان في الامكان ايجاد الوسائل اللازمة
لتجنب تلك الحالة المضطربة ، اي لانقاذ الحسين .

وقد فاتهم ان يوم الطائف هو غير يوم تربة ، وانه بعد مؤتمر العقير الذي تسدد فيه الحساب بين حكومة بريطانيا العظمى وابن سعود ، وبعد مؤتمر الكويت الذي بدأ فيه عجزها عن التآليف بين ابن سعود والحسين ، لم يعد لكلمتها في البلاط السعودي ذلك النفوذ المعروف . لم يعد في امكانها ان تقول لعاهل نجد : افعل هذا او امتنع من هذا اكراماً لي . وليس في امكانها ، او في ارادتها ، ان ترسل الطائرات والسيارات المصفحة على الاخوان في الحجاز ، كما تفعل في العراق ، وكما فعلت في الشرق العربي . وهب انها امدت الحسين بالسلاح والذخيرة ، فهو لا يجد في البلاد من يلبون دعوته للدفاع .

واليك بعد هذا وذاك بالبرهان . قد قبل الحسين في الساعة الاخيرة ، اي في الايام التي تخللت الاستيلاء على الطائف ووقعة الهدى ، ان يفاوض الحكومة البريطانية في تعديل مطالبه ، فجاء وفد من مكة الى دار الوكالة البريطانية بجدة يعرض ذلك على الوكيل ، وعاد خائب الامل يقول : سبق السيف العذل . هذه هي الحقيقة في موقف بريطانيا العظمى تجاه الحسين وتجاه الحجاز بعده . فهي لو شاءت ان تنقذ « المنقذ الاكبر » بعد سقوط الطائف لما استطاعت . فانتخذت لذلك خطة الحياد تحفظ بها كرامتها في مدة الملك علي القصيرة .

نجيء بعد هذا على ذكر اسباب السقوط الخلقية والادارية . كان الشريف حسين الكل في الكل ، حتى في تحرير جريدة القبلة . فقد كان يظن ان مقالاته الافتتاحية تترجم الى اللغات الأوروبية فيطالعها ويهتم بها الوزراء ، وان آراءه في سياسة العالم وسياسة الحياة ، من اصغر الجزئيات الى اكبر النظريات ، هي وحي منزل ، وان تفسيره لبعض آيات القرآن هو اصح من تفاسير الائمة الكبار ، وانه في الفصاحة والبيان ، مثله في العلم ، امير اقارنه ، وفريد زمانه ، وانه اذا استصرخ العرب يجيئون من اقصى الجزيرة

سامعين لامعين ، وانه يستطيع ، وهو في « المخلوان » (١) ان ينقذ البلاد ويؤسس الدولة العربية . بل كان يظن ان العالم الاسلامي بأجمعه يبتسم لابتسامته ، ويغضب لغضبه ، وان الذين يخدمونه يخدمون العرب والاسلام ، ولا يبغون اجرا غير رضاه .

على ان الذنب في كل ذلك لم يكن ذنبه وحده . كان الحسين صلب العود ، قوي الشكيمة . وقد ولد في ظل الكعبة ، وفي اصفى فروع السلالة النبوية . بيد ان غيره ممن سعدوا بهذه التلائد كانوا معها حكماء ، او انهم في حياتهم سعدوا كذلك بمن يخلص لهم النصيحة ، فكانوا يسمعون وينتفعون . اما الحسين فقد كان في عنجهيته فريدا ، لا يسمع غير صوت نفسه وصداها ، ولا يقرب منه الا من كان صدى لصداه ، وصورة شمسية لما يبغيه ولما يأباه .

ان التبعة والحال هذه جزء كبير من غرور الحسين هي على اولئك الذين كانوا نظارا وقضاة وكتابا وضباطا في حكومته ، اولئك الذين زانوا الديوان الهاشمي بصورهم البهية — الناطقة بالتسبيح — فكانوا لصاحب الجلالة اعداء مدرعين ، مدرعين بالمداهنة والمداجاة ، يسبحون ويمجدون كلما ماه بكلمة ، وان كانت تافهة ، وكلما جاء بعمل وان كان سخيفا : — اي نعم سيدي — من احسن ما يكون سيدي — وحي منزل سيدي .

وكان كل من في الديوان و « المخلوان » يعرف الحقيقة الا جلالة الملك الذي كان يعرف ما فوق الحقيقة ، ولا يشاء ان يعرف سواها . ادرك الديوان حقيقة البدو مثلا ، ولم يدرك مثل جلالته حقيقة السيادة المرتكزة على نسب نبوي . وما ضر هذه السيادة اذا نكبت وقتا في الحجاز ؟ .

قد اجتمعت في الحسين الازداد ، فكان خيالها ، وكان عملها .

بل كان روحيا وكان ماليا ، يتعشق تارة ما فوق الحقيقة ، يسترسل الى الاوهام ، ويطورا يتمسك تمسك البخيل بحطام الدنيا . اجل ، قد كان محبا للمال حريصا جدا عليه ، فجاء الذهب يوازن ما تراكم من اوهامه ، وما اختل من احكامه ، وما اسود من ايامه . ولا غرو ، فقد كان هذا العربي في صفته شريف مكة ، من اكبر التجار . وقد كان في صفته ملكا من اكبر الظالمين . ظلم الرعية ، وظلم نفسه ، وظلم كل من في حكومته الا المنافقين ، المختلسين امواله واموال الامة .

في اللغة التركية مثل يقول : كل من له فم يأكل . وقد كان هذا المثل قاعدة الملك حسين في حكومته . ان الذي « يأكل » يشبع ، فيحسن عمله . والذي لا « يأكل » يظل جائعا . والجائع لا يستطيع ان يفيد احدا من الناس . انها لقاعدة في الاحكام تدهش حتى « مكياfli » امام المتفلسفين بالسياسة والرياء .

ان الرجل الصادق رجل مزعج ، فهو يقتصرح اقتراحات لا يرتاح اليها الملوك ، وهو لا يسهل الاعمال في كل حال ، ولا يقول دائما : اي نعم سيدي . بعدا للصادقين ، فانهم للملوك دواء مر جدا . وهم فوق ذلك يورثون صاحب الجلالة الصداق .

اما الذين يتكتفون ، ويطأطئون الرؤوس ، ويقولون دائما : اي نعم سيدي ، و « يأكلون » ثم « يأكلون » — على ان يكون اكلهم من فضلات الاسد — فهؤلاء من خير الناس ، ومن اقدر الموظفين ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قد امتازت حكومة الحسين بعدد من هؤلاء « الاكولين » الذين خرجوا من جدة قبل خروجه وبعده وفي حقائبهم ، او في المصارف خارج الحجاز ، ما اعدوه من الابيض والاصفر للايام السود .

ومن هؤلاء عبقري في الاختلاس ارسله الحسين الى اوروبا،

عندما قرب المتدينة من مكة ، ومعه عشرة آلاف ليرة ليشتري بها طائرات ودبابات . فراح حضرته الى مصر ، واشترى بالقيمة عقارات لنفسه .

ومن هؤلاء حامل ختم الوكالة الحجازية ، وتاجر الغنم ، وقيم المطوفين ، وسماسرة الجمال والشقادي . كان تاجر الغنم رجلا في مكة محترما معززا . ولكنه في البادية ملعونا مذموما . فقد كان يرهق البدو ليفني السيد الاكبر . ويريش نفسه . ويشترى من البدو اغنامهم بأرخص الاثمان ويبيعها من الحجاج بأغلاها . — الف رأس بثلاثة آلاف مجيدي . بعناها اليوم يا مولانا بعشرة آلاف . هذه ثلاثة آلاف لاصحاب المال ، وهذا يا مولانا الباقي .

ومن هذا الباقي يأخذ الاسد خمسة آلاف او اكثر ، ويعطي الجمل الفين او اقل . ان امر هذا الجمل لغريب عجيب . فقد كان في رأس المقربين من الديوان الهاشمي ، لا لعبقريته بتجارة الغنم و « بالاكل » فقط ، بل لتفنته بأخبار السوء عن نجد وابن سعود ، تلك الاخبار التي كان يتحف الملك بها .

— « السنة سنة جدد في نجد . قد جفت الآبار ، وهلك الوف من البـل (الابل) » .

— « صحيح ! سبحان الله . انت يا بني اعلم الناس باحوال نجد » .

— « ابن سعود » مصخن « سيدي ، مضروب بالرئة . يقول : السل . وصاحب هذا الداء لا يعيش » .

— « صحيح ؟ — صحيح ؟ — سبحان الله ! لا يصدقني الخبر غيرك » .

— « وقد خرجت عليه قبائل الحسا ، وهم يقولون انهم لا يبعون غير الملك حسين » .

— « هذا الذي اقله دائما يا ابني : ستخرج عليه القبائل كلها . وكلها تجيئنا ان شاء الله » .

ولم تكن تجارة الغنم بتجارة الشريف الوحيدة . ففسد كان يتقاضى المطوفين والخبازين والجمالة قسما من ارباحهم . ان هناك رسوما للحكومة يدفعها الحجاج ، وفوق تلك الرسوم كان الحسين يتقاضى المطوفين نصف ليرة عن كل حاج . جاءه احد اولئك المطوفين ذات يوم يقول : « حاجي كلهم فقراء لا يبذلون . . . ما في فلوس » وقصد المطوف ان يعنى من الضريبة الشريفة . فأجابه الشريف : « اي يا ابني كلهم اولادنا . والفقراء نساعدهم . لا تأخذ شيئا منهم . ولا تطالبهم بشيء . كلهم اولادنا ويجب ان نساعدهم » .

عمل المطوف بأمر مولاه فأعفى حاجه من الزيادات . ولكنه بعدئذ أمر بدفع الرسم نصف ليرة عن كل حاج ، فدفع المال من كيسه .

وهناك باب آخر من ابواب هذه التجارة الرخيصة . قد كان الحجاج الذين يبغون الزيارة يدفعون خمس عشرة ليرة اجرة الجمل من مكة الى المدينة المنورة ، يدفعونها لعمال الملك ، فيدفع جلالاته للجمال خمس او ست ليرات . اما ما تبقى فمعظمه للأسد ويسيره للاجقال .

كثيرة هي القصص التي تروى في الحجاز ، دليل حب الحسين للمال ، ودليل حرصه الشديد عليه . سألت مرة احد عبيد القصر عن الاجرة التي يتناولها فقال « قلما نقبض شيئا من المال . ونخشى ان نطلب لان جلالة الملك لا يجيب الطلب ، ويوبخنا . قد ردني مرة بلطف ونصحني الا احمل المال . هو يقول : المال يفسد الرجال . . . الحسين ؟ هذا الحسين !! » .

افصح العبد عن فكره بقبضة يده ، ثم قال : « ولكنه صاحب عقل والله . عقل كبير . هو يكتب في الجريدة اشياء عجيبة . . . وكلها من رأسه والله . هو من الدواهي وصاحب فراسة . فلا يمكنك ان تخفي شيئا عنه . يلقي عليك نظرة ، فتعطيه سرك حالا .

واذا ما اخذ شيئا من لسانك ، يستنطق اهداب عينيك والى .
ولكنه « — اعاد العبد تلك الاشارة وهو يهز قبضة يده . » وممع
ذلك هو يقول : المال يفسد الرجال . »

انى خاتم هذا الفصل بقصة اخرى قصها علي احد عمسالة
الكبار مما هو معروف ان الحكومة البريطانية كانت في الحرب
العظمى تمد الحسين بالمال ، ويرجح العالمون بشؤون الحجاز
والثورة العربية ان مجمل ما ارسلته اليه هو مليون ومئتا الف
ليرة . على ان الدفعات الاولى ، التي كانت الواحدة منها تبلغ مئة
 وخمسا وعشرين الف ليرة ، لم تكن حسب ادعائه كافية للتجنيد .
فأوفد احد وزرائه الى مصر ليقابل العميد البريطاني هناك ، يومئذ
السر ريجينلد ونفيت ، فيعلمه بالامر ويطلب ضعفي القيمة .

جاء الوزير ، وكان في طلبه بليغا . فأبرق العميد الى حكومته
بلفدن فسمعت الحكومة ، واجابت بعض الطلب ، فأضافت خمسا
وسبعين الف ليرة الى القيمة التي كانت ترسل الى جدة .

أبرق الوزير الى صاحب الجلالة الهاشمية ، وهو مسرور
بهذا الفوز لانه كان يرجو منه زيادة في راتبه القليل . وبعد ايام عاد
الى جدة على ظهر مدرعة انكليزية . هي ابهة الحرب . يا لها
من ابهة !

وعندما وصل الى جدة استقبلته الحكومة استقبالا فخما .
وسار في موكب عظيم الى مكة ، فوصلها قبل غروب الشمس ،
فأمره صاحب الجلالة ان يبقى خارج البلد ، لتمكن الحكومة في
صباح اليوم التالي من استقباله استقبالا يليق بمقامه .

وكان صاحب الاقبال الوزير المحترم يفكر دائما بما ستكون
قسمته من الخمس وسبعين الف ليرة . واحد بالمئة فقط ؟ او زيادة
قليلة في راتبه ؟ انه لراض بذلك .

دخل مكة دخول الفاتحين . وبعد ان قابل مولاه ، واستراح
من اتعاب السفر ، جاء الى زميله وزير المالية يسأله اذا كان جلالة
الملك امر بشيء . فأجابه الوزير : « قد امر بأن نحسم من حسابك
راتب شهرين مدة غيابك » .

الفصل الثاني والاربعون

الآباء يأكلون الحصرم

في الحديث الذي دار على الهاتف بين مكة وجدة يوم الانقلاب رفض الملك حسين بتاتا ان يتنازل لابنه علي . ويذكر القارىء قوله: اذا كنت انا لا انفع فعلي لا ينفع . وقوله: خير ابني وشره عائدان لي . والاصح ان تعكس هذه الكلمة . فان خير الحسين وشره عائدان لابنائيه ، وخصوصا في هذا الموقف لعلي . الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون .

اما اذا كان قد اشفق الوالد على ولده من هذا الارث المهلك الذي يدعى الملك الهاشمي فكلمته ثمرة عرفان يكاد يكون وحيا ، واشفاقه زهرة احسان طيبة . انها في هذه الحال الغريزة الابوية التي قلما تخطيء في حسها .

اقام الملك علي اسبوعا في مكة ، فأدرك ان قوات الدفاع لديه لا تكفي لرد جيش نجد ناهيك بغلبته . بل رأى جنوده مشتتين شاربين ولم يبق منهم غير مئتين كانوا في الدفاع مترددين .

وكان الاخوان قد وصلوا في ١٥ ربيع الاول
(١٤ ت ١) الى قرية الزيمه التي تبعد ست
ساعات عن مكة ، وهم مصممون على الحصار (١) فانسحب الملك
علي ليلة ذاك اليوم بنحو مئتين من الجنود ومئتين من الشرطة ،
ووصلوا في صباح اليوم التالي ، الاربعاء ، الى سهل جدة ، يوم

١٣٤٣ هـ

١٩٢٤-٢٥ م

(١) قد استفتت القيادة علماء الرياض في ان يحرم الجنود ويدخلوا مكة منكسي البنادق . فان لاقوا من صدهم من البيت قاتلوه ، وان لم يلقوا احدا دخلوا . ولكن العلماء منعوهم عن ذلك قائلين ان دخول الحرم بقصد القتال لا يجوز .

كان الشريف حسين يتأهب للرحيل . ولكن علينا ظل خارج المدينة فلم يجتمع بوالده ، ولا كان من المودعين .

وفي ليلة اليوم الذي دخل فيه الى جدة ، اي ١٧ ربيع الاول ، وصلت بئرازم من الجيش النجدي الى مكة . ثم مشى في صباح اليوم التالي الشريف خالد يقود بقية الجنود ، فدخلوها محرمين ، وطافوا ، وسمعوا ، واستولوا بعد فك الاحرام على البلد المقدس ، وهم ينادون فيه : الامان الامان ؟

لو استمرت يومئذ القيادة في الزحف غربا لدخلت جدة بسرية واحدة صغيرة دون ان تلقى من الحكومة فيها او من الاهالي اقل مقاومة . ولكنها وقفت في مكة عملا بالاوامر العالية التي كانت مجهولة في جدة . لذلك استحوذ على الناس وعلى الحكومة الذعر والخوف وكان الكثيرون حتى من الجنود ينتظرون الباخرة الاولى للفرار .

ولكن الباخرة الاولى التي وصلت في ١٩ ربيع الاول من العقبة كانت تحمل الى الملك علي نجدة من شرقي الاردن . جاءت « رضوى » تقل كتيبة من الجنود عددهم ثلاثمئة ، ومئة من عرب شمر النازحين الى الشرق العربي ، بقيادة امير اللواء تحسين باشا الفقير ، وقد جندهم الامير عبدالله بمساعدة بعض الانصار في فلسطين . انعشت هذه النجدة امال الملك علي ، وشدت ازر جنوده المهزومين . الا انها لم تغير في نفسية المدينة ، ولا اضرمت في الاهالي شيئا من الحماس .

— الاخوان قادمون ، والجنود منهزمون ، وعلي متأهب للرحيل . فما لنا غير التسليم . وخير البر عاجله . تألف لذلك وفد ليذهب الى مكة فيفاوض القائدين سلطانا وخالدا في شروط الصلح ، وكان الملك علي عالما بذلك . فسافر في ٢ ربيع الثاني الوفد المؤلف من عشرة وجهاء

جدة وبعضهم من المناوئين لبيت الحسين . هؤلاء ، عند وصولهم الى مكة ، بايعوا ابن سعود « ديتوا » ، وقد عاد الوفد يحمل شروط الصلح وهي : خلع الملك علي واخراجه من البلاد ، او اجباره على الخروج من المدينة للحرب .

لم يكن شيء من ذلك . ولكن القيادة النجدية انتفعت ولا ريب بمجيء هذا الوفد ، فعلمت اشياء كانت تجهلها . ومما لا ريب فيه ان جلالة الملك كان شديد الرغبة في مصالحة ابن سعود وموالاته . فقد ارسل بعد ان بويع بالملك بريقة عن طريق البحرين الى السلطان عبد العزيز جاء فيها : « ان اقصى رغبتي ان يسود السلام في الجزيرة ، وان تعود السكينة ما بين نجد والحجاز . واني باسط لك رأيي في السلم ، ومقترح عليك عقد مؤتمر للرجوع الى اتمام المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكويت ولازالة بواعث الخلاف » .

على انه اشترط في عقد المؤتمر جلاء الجنود النجدية عن الحجاز ، فاجابه السلطان بالايجاز : « ان شروطي الاخيرة هي ان لا صلح بيننا ما دام ابناؤنا ابكم يتوارثون الملك في الحجاز . وانتم تعلمون ان الحجاز للعالم الاسلامي ، فلا ميزة لطائفة من المسلمين على طائفة اخرى » .

وكان الحزب الوطني الحجازي برئاسة الشيخ محمد الطويل ، ناظر الجمارك يومئذ ، قد اصدر بلاغا عاما ينبيء بخلع الحسين ، وبيعة الملك علي على ان يكون ملك الحجاز فقط، وابرق الى جمعية الخلافة في الهند يقول : « قد ارسل الحجازيون كتابا رسميا الى الامام ابن سعود وطلبوا منه ان يرسل مندوبا لعقد الصلح . ان الحجازيين بعد نشرهم هذا الاعلان العام يلقون تبعة ما يحدث على عاتق العالم الاسلامي ، اذا كان لا يسعى لتخليص الارض المقدسة واهلها ، ويمنع جند نجد من التقدم » .

أما العالم الإسلامي الذي كانت تمثله يومذاك لجنة الخلافة حسب ادعائها ، فقد أبرق باسم رئيسها شوكت علي إلى سلطان نجد يخبره ببرقية أهل الحجاز وبلاغهم ، ثم يقول : « أن مسلمي الهند لا يوافقون على بقاء الشريف حسين ولا ابنائسه في الحجاز . وأن حكومة الحجاز يجب أن تكون حكومة ديمقراطية حرة ، خاضعة لرأي العالم الإسلامي ، وأن جمعية الخلافة لا تعترف بامارة الشريف علي » .

ولكن المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين ، الذي كان قد أبرق إلى السلطان عبدالعزيز متوسطاً بالسلم بينه وبين الملك حسين ، لم يكن من رأي العالم الإسلامي . وقد أرسل السلطان إلى سماحة المفتي رئيس المجلس الجواب الآتي :

« أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالقدس .

يحزننا أن تكون جاءت وساطتكم في وقت متأخر . فائتاً منذ سبع سنوات نتوسل بجميع الوسائل لأحلال الصلح والوفاق محل الجفاء والشقاق ، فلم تثمر مساعيها . وكنا كلما لنا للحسين تجافى فتصريحاته المتكررة في شرقي الأردن التي تبرهن عن نياته الأكيدة في بلادنا ، ومنعه رعايانا ست سنوات من أداء فريضة الحج ، وحركاته المستمرة لفتنها في بلادنا من عسير وغيرها ، ومعاملته حجاج بيت الله كافة ، وعجزه عن إقرار الأمن في الحجاز ، مما أجبرنا أن نتخذ التدابير الفعالة لتستقر الحالة في بلاد الحرمين وليؤمن مستقبل بلادنا . وائتاً نرغب في وجود إدارة في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساواة ، وتضمن راحة الحجاج ، وتزيل عنهم المظالم كلها » .

بعد هذه البلاغات والوساطات والرسائل رأى الملك علي أن يغير اللهجة في ما أبرقه إلى ابن سعود ، خصوصاً أن نجدات أخرى صغيرة تلت النجدة الأولى من الشرق العربي ، فكتب إليه هذه المرة يقول أنه

مستعد للحرب ، ويمكنه اخراج جنود نجد من مكة اذا رفضت حكومة نجد الصلح وكان جواب السلطان واحدا وما تقدمه: «الحسين مسؤول عن الحالة . ويجب اخلاء الحجاز من اولاد الحسين ، وانتظار حكم العالم الاسلامي الذي له الحق في الفصل في امر الاماكن المقدسة وطريقة ادارتها » .

هذه الوثائق تثبت اذن ما يلي: اولا — ان المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين سعى في سبيل السلم . ثانيا — ان الملك عليا عرض الطلح على السلطان عبدالعزيز . ثالثا — ان ابن سعود رفض السلم ما دام احد اولاد الحسين في الحجاز . رابعا — ان جمعية الخلافة في الهند كانت تتكلم باسم العالم الاسلامي ، وانها كانت معادية للحسين واولاده . خامسا — ان ابن سعود ، وقد استنصرته تلك الجمعية ، شرع يتكلم كذلك باسم العالم الاسلامي الذي يطلب اخراج الحسين واولاده من الحجاز . سادسا — ان الحزب الوطني الحجازي استصرخ العالم الاسلامي ووضع تبعة الحالة في الحجاز على عاتقه فالعالم الاسلامي ، والحال هذه ، كان ضائعا بين الهند ونجد والحجاز . ومع ذلك فقد وضع السلطان عبد العزيز الثقة التامة به ، وركن الى احكامه ، بدليل البرقية التالية:

« البحرين في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٤

الشريف علي بن الشريف حسين .

اني احترم شخصكم احتراماً عظيماً . ولكن معاملة والدكم لاهل نجد وسائر المسلمين هي التي جعلتنا نقف هذا الموقف . فاذا كنتم تحبون السلام ، وحقن الدماء ، اخلوا الحجاز ، وانتظروا حكم العالم الاسلامي . فان اختاركم ، او اختار غيركم ، فنحن نقبل حكمه بكل ارتياح . اما اذا بقيتم في ارض الحجاز فان مسؤولية ما قد يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا .

سلطان نجد

وهكذا تم فتح الحجاز عام ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م .

الاباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون !

الفصل الثالث والاربعون

رسل السلام

قد اسلغت القول ان جلالة الملك الحسين قبيل سقوط الطائف ، عين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيرا لدى حكومة ايران . فبادر السفير الجديد الى التاهب للسفر ، وهو مسرور بوظيفته هذه ، مغبوط من زملائه عليها ، وركب البحر من جدة مصحوبا بكاتب سره ، وترجمائه ، وياوره ، ومرافقه ، وعبيده . وقد لحق به القدر فأدركه في الشرق العربي . اذ ما كاد يصل الى عمان في طريقه الى بغداد فطهران حتى وصلتته دفعة واحدة اخبار الحجاز كلها ، من سقوط الطائف الى تنازل الحسين .

ثم جاءه امر من الحكومة الجديدة ، حكومة الملك علي ، بالرجوع الى وظيفته السابقة ، فقبل الشيخ فؤاد قسمة الجبار فيه وهو يقول : ساكون هذه المرة وزير الخارجية لا ترجمائها . وقد أوحى اليه انه بصفته هذه العالية يستطيع ، اذا استعان بصديقه مؤلف هذا التاريخ ، ان يسعى في سبيل السلم بين البلادين نجد والحجاز سعيا موفقا . لذلك ابرق اليّ يقول انه ينبغي مقابلتي ، وانه غير مأذون بالدخول الى سوريا فهل يمكنني ان اوافيه الى عمان .

تكررت البرقيات بيننا ، فاتفقنا على الاجتماع في حيفا . وبعد المفاوضة هناك زرنا سمو الامير عبد الله في مقره بعمان ، فرغب اليّ عقب المذاكرة بالتوسط بين جلالة اخيه وعظمة السلطان . وقد اطلعني الشيخ فؤاد في اليوم التالي على برقية جاءتته من الملك علي يرحب فيها برسول السلام .

قبلت المهمة لاسباب ثلاثة : اولا — لاني على اتصال بعظمة السلطان وعالم ببعض ما يرمي اليه في سياسته العربية . ثانيا : لاني منذ البدء في رحلتي العربية رسول السلم والتضامن بين ملوك العرب . ثالثا : لاني كنت اقترحت على عظمته اقتراحا لحل مشكل الحجاز سلما فجاءني منه جواب يستحسن الاقتراح ، ويشجع على السعي في سبيل تحقيقه . اصف الى ذلك ان عددا كبيرا من وجهاء المسلمين في بيروت اجمعوا على التوسط بين العاهلين العربيين وقرروا ان اكون رسولهم اليهما .

سافرت والشيخ فؤاد الخطيب الى السويس ، ومنها الى جدة ، فوصلناها في ٧ ربيع الثاني (٥ تشرين الثاني) . وكان قد سبقنا اليها رسول آخر من رسل السلام ، وهو المستعرب الانكليزي المستر فليبي (١) الذي كان سابقا وكيل دولته السياسي في شرقي الاردن .

قد كانت الاشاعات بخصوصه عديدة ، وظهرها انه قادم بصفة رسمية او شبه رسمية من قبل الحكومة البريطانية للتوسط بين علي وابن سعود . ولكن المعتمد الانكليزي بجدة المستر بولارد (٢) كذب هذه الاشاعة رسميا . وقد اكد لي ان المستر فليبي ، وان كان رغم اقالته من وظيفته لا يزال في سلك الموظفين ، هو متطوع للخدمة التي جاء من اجلها . وانه لا يمثل غير نفسه . وقد اثبت ذلك الملك علي اذ قال : « هو صديق لابن سعود وصديق لنا . وقد عرض خدمته بواسطة وكيل الحكومة العربية السابق بلندن فقبلناها » .

اجتمعت بزميلي بعيد وصولي ، ثم تكررت الاجتماعات والمباحثات فكنا في الموضوع متفقين — متفقين في وجوب التوسط بالسلم . بل في وجوب السلم لخير العرب بين نجد والحجاز .

(١) H. St. John Phillby

(٢) R. W. Bullard

ولكن الرجل الذي جئنا نفاوضه لم يكن قد وصل الى مكة ، ولا كان مقره يومئذ معروفا . هل هو باق في الرياض ام هو في الطريق الى الحجاز ؟ واذا كان لا يزال في الرياض فهل هو قادم الى مكة ام لا ؟ واذا كان ينوي القدوم فمتى يا ترى يتحرك من عاصمة نجد ؟

هذه الاسئلة كنا نتساءلها . ولم يكن في جدة ، لا في الحكومة ، ولا في دور القناصل ، ولا بين التجار ، من يستطيع ان يجيب عليها . لم يكن في جدة احد يعرف شيئا عن ابن سعود .

وكان المستر فلبى قد كتب الى احد قائدي الجيش النجدي بمكة مستخدرا ، فلم يحظ بجواب . وقد كتبت انا الى القائدين كليهما ، الى سلطان بن بجاد الذي يعرف اني صديق عظمة السلطان والى الشريف خالد ، فلا جاء الجواب من احدهما ، ولا عاد الرسول . ثم خطر لي ان ابرق الى عظمته بواسطة وكيله في البحرين . وقد كنا تباحثنا انا والمستر فلبى في السفر برا عن طريق الطائف الى الرياض ، فنجتمع بعظمته في العاصمة او في الطريق ، وعقدنا النية على ذلك . فابرقنا الى القصيبي في البحرين اولا وثانيا فاجابني منه جوابان الواحد بالعربية : — «ارسلنا برقيتك الى الامام» والاخر بالانكليزية : — «قد سافر الامام الى الحجاز» . وهذه البرقية الانكليزية اول نبا وصل الى جدة ينبيء بسفر السلطان ، فسر به الملك ، وسرت الحكومة والقناصل ، بل سرت المدينة بأسرها . كيف لا ولسان حالها وحالنا واحد — لا بد في قدوم السلطان ان تتغير الحال فيضع عظمته حدا لتلك الفظائع التي كانت تروى اخبارها في جدة . والسلطان رجل عاقل حكيم يمكننا ان نتفاهم واياه .

بتنا والحال هذه ننتظر وصول عبدالعزيز . وفي ذاك الحين علمنا ان رسولا آخر من رسل السلم قادم الى جدة ، وانه من كبار المسلمين . سرنا الخبر انه من المسلمين ، فيجيء موازنا لمسبحية

رميلي الانكليزية ومسيحيتي العربية . والظاهر ان الفكرة هذه خطرت
لجلالة الملك، فقبل بتوسط السيد طالب النقيب الذي كان يومذاك في
الاسكندرية والسيد طالب، الذي جاء ذكره غير مرة في هذا التاريخ، هو
صديق للسلطان عبدالعزيز . وهو كذلك صديق المستر فليبي الذي عرفه
في العراق يوم كان من المستشارين هناك ، وكان السيد وزيراً طالباً
للعرش . فاذا كان السلطان لا يقبل بتوسط المستر فليبي ولا بتوسطي، وهو
في البلد المقدس وفي ظل الكعبة ، فلا بد ان يأذن بالزيارة في الاقل لمن
اجتمع به مراراً في الكويت وفي البصرة ، وكان ضيفه في القصيم ، بل
لمن توسط مرة بينه وبين الترك، لصديقه الحميم السيد طالب النقيب .

عندما وصل السيد طالب كان خط الدفاع حول جدة، بما فيه من
الاستحكامات والمتاريس والخنادق والاسلاك الشائكة والالغام ، قد
تم كله . وهو في شكل هلال طوله من البحر الى البحر نحو ستة اميال .
وكان الملك علي قد استعاد شيئاً من الامل والاطمئنان ، بل كانت
ثقتة بالفوز، سلماً او حرباً ، تزداد يوماً فيوماً مع ازدياد عدد الجيش
النظامي وقوته . لان الشريف والده كان يبذل المال والامير اخاه
يبذل الهمة في سبيل التطوع في الشرق العربي « للدفاع عن بيت الله
الحرام » . . . وهذا خط الدفاع يا عبد العزيز ، وهؤلاء اصدقائك
واصدقائنا رسل السلام .

الفصل الرابع والاربعون الى مكة

في العشر الاول من ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ، يوم كانت جدة ودوائر السياسة فيها تجهل مقر السلطان عبدالعزيز، وتجهل مقاصده الحربية او السلمية ، كان هو في الرياض يتأهب للسفر الى الحجاز . وقد ام العاصمة في ذلك الحين رؤساء القبائل والاعيان ليودعوه فخطب فيهم قائلاً: «اني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم التي ارهقت كاهل العباد . اني مسافر الى مهبط الوحي لبسط احكام الشريعة وتأييدها . . . ان مكة للمسلمين كافة وسنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي، فنتبادل واياهم الراي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيدا عن الشهوات السياسية . . . وسيكون الحجاز مفتوحا لكل من يريد عمل الخير من الافراد والجماعات » .

وقد ارسل قبل السفر الى الامام يحيى وغيره من امراء الاسلام المستقلين الكتاب الاتسي : « اما بعد فقد استقبلت الطريق الى مكة غير باغ ولا آثم . فليتفضل الاخ العظيم بارسال من يمثله في مؤتمر مكة حبا بنشر السلام بين امم الاسلام . سلطان نجد: عبد العزيز » .

هذا فيما يختص بشؤون البلاد الخارجية . اما شؤونها الداخلية فقد جعل والده الامام عبد الرحمن مرجعها الاعلى ، وأتاب مكانه في العارض ابنه سعود على ان يعمل بمشورة جده . ثم كتب الى اهل بريدة وعنيزة والى بعض الهجر من الاخوان ان يوافوه بالويتهم وجمعهم الى اماكن عييتها .

وفي ١٣ ربيع الثاني (١١ ت ٢) خرج من العارض بكوكبة من

الفرسان وبحاشيته المؤلفه من كتاب السر وبعض العلماء، وفيهم من آل الشيخ عبدالله بن حسن قاضي جيشه، والشيخ عبد الرحمن ابن عبداللطيف امامه. وقد رافقه في هذه الرحلة اخواه محمد وعبدالله، وابناء محمد وخالده، وغيرهم من آل بيته، ونفر من آل السبهان والرشيد، وغيرهم من وجهاء نجد. ثم انضم الى الموكب الشاعر عبد الرحمن النفيسة وراوية نجد المشهور عبدالله العجيري. وكان مع عظمتهم من المستشارين السوريين الدكتور محمود حمدي ومحمد النحاس ويوسف ياسين وجمال الغزي .

اما الالوية التي لحقت بالموكب السلطاني في الطريق فعددها خمس عشرة لواء، خمسة الوية من اهل القصيم من بريدة وعنيزة والبكيرية والمذنب والخبراء — وهؤلاء من الحضر، وعشرة الوية من هجر الداهنة ودخنة ونفي والشبيكة وغيرها .

ان الطرق المعروفة بين نجد والحجاز كثيرة، اقصرها من الرياض بعد الخروج من وادي حنيفة، هي الطريق الجنوبية التي تبدأ من ضربة تمر بالركيبة، ومسافتها الى مكة نحو خمسمئة ميل، ولكن السلطان اختار الطريق الشمالية التي تمر بالوشم واطراف وادي السر، ثم بالشعرة، وهي تزيد نحو مئة ميل على الاولى، ويستغرق قطعها عشرين يوما للقوافل، ومن الخمسة والعشرين الى الثلاثين يوما للجند. اما النجائب حامل البريد فيمكنه ان يقطع المسافة بين مكة والرياض بعشرة ايام .

سار الموكب سيرا معتدلا، لا كالقوافل ولا كالجيش. وكان يقف يوما او يومين على بعض المياه القريبة من العمران فتجيء الوفود تسلم على الامام، وتجيء معهم في بعض الاحايين الشكاوى التي كان يسمعها ويمهد سبيل العدالة لاصحابها .

اربعة وعشرين يوما ظل الموكب في الطريق . وكان يمشي سيرا واسراء من الثماني ساعات الى الخمس عشرة ساعة كل يوم ، ويمشي حتى في البادية بنظام عسكري .

قد دون الاديب يوسف ياسين (١) بعض اخبار هذه الرحلة السلطانية ، ونشرها تباعا في جريدة « أم القرى » فذكر اسماء الاماكن التي مروا بها ، والهضاب والمياه والشعاب والودية ، وردھا الى ما جاء من ذكرھا في دواوين الشعر وكتب الاقدمين . وقد وصف الموكب من ساعة الادلاج الى ساعة الاناخرة الاخرة كل يوم فأخبرنا كيف كان السلطان ورجاله يقضون ساعات النهار والليل في السير والسرى .

قلت ان للموكب نظاما عسكريا في السير . وما سوى ذلك فلا دليل على الحرب في ما كان يحمل ، ولا اثر للحرب في ما كان يسمع في صفوفه . انما هو رهط من الناس خرجوا للسياحة ، وفي سياحتهم رياضة مزدوجة بل مثلثة اي رياضة روحية ، وجسدية ، وادبية .

يسيح الاوروبيون فيحملون في حقائبهم الكتب يطالعونها في ساعات السفر . وها نحن في البادية — عرب في فيافي العرب — ومعنا من الكتب الدينية والادبية والتاريخية للمطالعة في النهار وفي الليل . اجل ، ترانا نسهر ونحن في السرى . فاذا ما طال الليل وملّ الحادي ، سمعنا صوت السلطان ينادي العجيري وقد يكون راوية نجد معتزلا الركب كما هي عادته ، فيكرر احد الرجال كلمة السلطان : العجيري ! — يا عجيري تقدم . فيحث الراوية راحلته .

(١) يوسف ياسين عربي من اللاذقية ، أمّ شبه الجزيرة متطوعا لخدمة القضية العربية وابن سعود . فوصل الرياض قبيل خروج السلطان منها ، وكان من الرفاق المقربين في الرحلة . ثم تولى تحرير جريدة « أم القرى » بمكة ، ومين وكيل الخارجية بالنيابة اثناء تغيب الوكيل مع الامير فيصل في اوروبة .

وبعد ان يدنو من عبد العزيز يسلم ويشرع يقرأ ؟ اجل ، اذا كنت لا تراه تظنه يقرأ في كتاب من كتب الادب والشعر . ولكن العجيري لا يحمل كتابا . العجيري يحمل في رأسه « الاغاني » و « الكامل » و « البيان والتبيين » و « الكشكول » وبضعة دواوين من الشعر . له ذاكرة يقيّلها اذا كُتبتْ خاطر سريع ، وله ادب لا يقيدده بحرف ما يروي ولا يبعده عن معناه ، وله صوت ونطق وطريقة في الالتقاء تدهش اكبر الممثلين .

— ماذا ينبغي الامام ؟ فصلا في مكارم الاخلاق ؟ — فصلا في الشجاعة والاقدام ؟ — فصلا في البر والتقوى ؟ — فصلا من نواذر الملوك ؟

واذا ما بدأ في الرواية كان كالساحر يتمشى في حدائق الادب والشعر والتاريخ ، فينقلها بأزهارها ، وبطبيب شذاها ، الى البادية ، فتتعش الركبان ، وتطرد النعاس من الاجفان .

قال يوسف ياسين : « قد اقام لنا الدليل على ان ما روي عن اخبار الرواة الاولين ، وما كانوا يحفظونه من الشعر والنثر ، امثال حماد والاصمعي ، لم يكن خيالا شعريا . وان امالي ابي علي القالي واترا به لم تكن الا من قبيل ما كان يرويه لنا الشيخ العجيري في الطريق » .

وفي ساعة الادلاج ، بعد ان تمشي الحملة وامامها العلم والى جانبه راكب يحمل قنديلا منيرا ، نسمع الصوت ينادي : العجيري . فيدنو الراوية من عظمة السلطان ويطلق يرتل طائفة من آيات الذكر الحكيم ترتيلا جميلا انيقا « تكاد تعد منه حروفه » . ثم يؤذن المؤذن صلاة الفجر .

وبعد الصلاة والقهوة يستأنف الموكب السير فينادي السلطان: ابن الشيخ ، فيلبيه احد العلماء ويشرع يتلو شيئا من القرآن . ثم بعد الضحى يدعو ثانية ، او يدعو غيره من العلماء ، قارئ

الرحلة مثلاً ، فيسلم هذا قياد راحلته الى خادم يقودها ، ويتناول من حقيبته السيرة النبوية ، او صحيح مسلم ، او تاريخ ابن الاثير ، او كتاب الترغيب والترهيب ، فيطفق يقرأ ساعة او ساعتين بصوت عال يسمعه المتقدمون في الموكب والمتأخرون .

وبظل الموكب سائرا بنظام لا يخرج في الصورة الاجمالية عنه ، تتقدمه كوكبة الفرسان ، وتكاد احيانا تختفي عن الانظار ، فأحرى بها ان تدعى كوكبة الكشافة . ثم علم السلطان ووراءه الحملة ، اي حملة المؤن والامتعة والمواعين ، وهي تمشي قبل الموكب السلطاني بساعة او ساعتين ، فتختفي بعض الاحايين مثل كوكبة الفرسان . اما الموكب فتتقدمه الاعلام ، اعلام الجيوش المنضمة اليه ، وكلها تمشي في صف واحد ، وبعدها الموكب ، والسلطان حيناً على رأسه وحيناً في الوسط ، فيسير امامه او ورائه الكبير والصغير بدون تمييز وبدون نظام .

وها هوذا قد أناخ في مرات ، بلدة امرىء القيس ، فجاءته الوفود من الوشم وسدير مسلمة عليه . وها هو جالس في مسطاطه يسمع احد الشعراء يتلو قصيدة في مديح الامام وانتصار جيوش التوحيد في الحجاز . وها هوذا في صراحته المعتادة يقول للشاعر : « احب سماع الشعر ولكن نوعين منه لا احبهما ، الهجر والفلو في المديح » . ولا وقت لدينا لنقف نبكي من ذكرى الاحباء والمنازل ، ولكننا نمر بقسط اللوى ، والعجيري يتلو علينا شيئاً من اخبارك يا ابن حجر الكندي .

توكلنا على الله ! اركب يا ابن مطرف — اركب يا عبد الرحمن . وعبد الرحمن بن مطرف هو اول من يعلو راحلة في الموكب ، هو راعي الراية ، راية السلطان .

وها نحن بعد خروجنا من ديرة امرىء القيس نشرف على اماكن نشاطها ولو في الكتب جلال القدم والذكرى هذه الجبال

والشعاب والمياه — وضع الحمى والنير والخفاف — قد طالما زانت
في غابر الزمان قوافي الشعراء ، وافسدت عيش سادة العرب .
ها هنا كانت تتطاحن القبائل ، وها هنا كانت تندب الشعراء المنازل
والاحباب . وهوذا ريع الريان ، ذاك الشعب الخصيب الذي نخرج
اليه من الشعرة ، محط رحال التجار والقوافل بين الحجاز
والقصيم والعارض ، وما دون شعب الجبل الذي قال فيه جرير :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
وهو الذي حن كذلك الى اهله الشريف الرضي .

ايا جبل الريان تعر منهم فاني ساكسوك الدموع الجواريا
ولا نزال مسندين — مصعدين — من الريان الى وادي
الرشا ، بين جبال شهلان والخوار ، فتبدو اعالي نجد في ابهى
الحل من الاخضرار ، تلك البلاد التي يتغنى الشعراء بعراها ،
وبطيب هوائها ، وبفسيح ارجائها .

حنينا الى ارض كان ترابها ، اذا امطرت ، عود ومسك وعنبر
بلاد كان الاقحوان بروضه ونور الاقاحي وشي برد محبر
أحن الى ارض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر
في وادي الرشا نعلو نحو الف واربعمئة قدم عن البحر
ونستمر مسندين ، فنصل الى ما يدعى المصلوم (بالصاد) وهناك
يلتقي الركب بنجاب من مكة يحمل البريد الى السلطان وفي البريد
كتاب من قناصل الدول بجدة الى قواد الجيش النجدي بمكة يعلمونهم
بموقف دولهم الحيادي في النزاع بين نجد والحجاز ، فأرسل اليهم
السلطان الجواب الآتي :

» بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها

في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ (٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٤) عدد

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرات
الكرام قناصل الدول العظام في جدة ، معتمد الدولة البهية
البريطانية ، وقنصل جنرال الدولة الايطالية ، ووكيل قنصل جنرال
الجمهورية الفرنسية ، ونائب قنصل ملكة هولندا ، ووكيل قنصل
شاه ايران المحترمين .

بعد اهداء ما يليق بجنابكم من الاحترام ، نحيط علمكم بأننا
احطنا علما بكتابكم المؤرخ في ٤ ت ٢ المرسل الى امراء جيشنا
خالد بن منصور وسلطان بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم ازاء
الحرب الواقعة بين نجد والحجاز . كنت اود من صميم قلبي ان
تحقن الدماء ، وتنفذ رغائب العالم الاسلامي الذي ذاق المتاعب في
السنوات الثمانية الاخيرة . ولكن الشريف علي بن حسين بموقفه
في جدة لم يجعل لنا مجالا للوصول الى اغراضنا الشريفة . ولذلك
فاني حبا بسلامة رعاياكم ، ومحافضة على ارواحهم واملاكهم وما قد
يحدث لهم من الاضرار احببنا ان نعرض عليكم ما يأتي :

١ — ان تخصصوا مكانا ملائما لرعاياكم في داخل جدة او
خارجها وتخبرونا بذلك المكان لنرسل اليهم من رجالنا من يقوم
بحفظهم ورعايتهم .

٢ — اذا احببتم ان ترسلوهم الى مكة ليكونوا في جوار حرم
الله بعيدين عن غوائل الحرب واطارها فانتنا نقبلهم على الرحب
وننزلهم المنزلة اللائقة بهم . واننا نرجوكم ان ترسلوا كتابنا طيه
الى اهل جدة حتى يكونوا على بينة من امرهم . واننا لا نعد انفسنا
مسؤولين عن شيء بعد بياننا هذا وتقبلوا في الختام تحية خالصة
مني « .

الختم

وهذا نص الكتاب الى اهل جدة .

« من عبد العزيز آل فيصل آل سعود الى اهالي جدة كافة .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلا بد انه بلغكم

ان اغلب العالم الاسلامي قد ابدى عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين واولاده . وانا حبا بسيادة الاسلام ، وحقن الدماء ، نعرض عليكم انكم في عهد الله وامانه من اموالكم وانفسكم اذا سلكتم مسلك اهل مكة . وبالنظر الى وجود الامير علي بين اظهركم وخروجه على الراي الاسلامي ، فاننا نعرض عليكم الخروج من البلد والاقامة في مكان معين ، او القدوم الى مكة سلامة لارواحكم واموالكم ، او الضغط على الشريف علي واخراجه من بلادكم . فان فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور او بولائه فنحن معذرون امام العالم الاسلامي ، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون من المسببة والسبب . »

الختم

كان الذين يسافرون في البادية ، فينقلون بيوتهم كل يوم ، ينسون ان بيوت اهل الخضر من حجر وطين ، وان لمصالحهم وتجارتهم جذوعا متأصلة بين تلك الاحجار وتحت تلك البيوت . ومع ذلك فقد ارسل السلطان الكتابين الى القناصل والى اهل جدة بواسطةهم ، وامر ثلاثة من حاشيته بان يتقدموا الى مكة فيطمئنوا الناس ، فراحوا يبشرون بقدومه .

سار الموكب ، بعد ان اجتاز جبل النير ، جنوبا بغرب الى الدفينة ، وهي في رأس الحرّة التي تعلو نحو اربعة آلاف قدم عن البحر ، وفيها بقية طريق معبدة ، غير السكة السلطانية اي سكة زبيدة القديمة . وفي هذه الحرّة اعلام منصوبة تدل على الارض الوعرة التي لا تسلك ، بل تحذر القوافل من اخطارها . وهاك بعد ان نجتاز الحرّة سالمين بيوتا متهدمة في وسط بساتين من الاثل ونخيل الدوم . هي مران التي وصفها ياقوت بقوله أنها قرية غناء كبيرة ، كثيرة العيون والابار والنخيل ، وقد كانت لبني هلال . ولكنها اليوم للاضمحلال :

مررنا على مران ليلا فلم ننعج على اهل آجام بها ونخيل

وفي اليوم الثالث والعشرون وصل الموكب الى عشيرة التي
تتأهى اليها طرق نجد كلها ، والتي تعلو اربعة آلاف قدم عن البحر .
فأقام السلطان فيها يوما يستقبل الوفود التي جاءت من جهات
الحجاز للسلام ثم ادلج الراكب من عشيرة مصعدين الى قرية السيل
(٤٥٠٠) قدم اعلى نقطة في هذه الرحلة ، فأحرموا هناك وانحدروا
في وادي السيل بين جبال جرداء ملساء سحماء ، فمروا بقرية
الزيمة ، واناخوا في مكان يبعد ساعتين عن الاميال . ثم تقدموا
بعد الظهر مكبرين ملبين .

لبيك اللهم لبيك !

لا شريك لك لبيك !

مسلات هذه الجموع البيضاء الشعاب ، وتزاحمت بين
الهضاب ، وتصاعدت اصوات الملبين ، فتجاوبت في الفضاء ،
فرددت صداها الجبال والوهاد .

لبيك اللهم لبيك !

لا شريك لك لبيك !

الفصل الخامس والأربعون

اشاعات وحقائق

مرضنا ونحن في جدة ننتظر وصول السلطان عبد العزيز الى مكة . مرضنا حقيقة ومعنى — مرضنا كلنا ، الملك علي ، والسيد طالب ، والمستر فليبي ، والمؤلف — بالمalaria وغيرها من الامراض السارية . وكنا في ذلك الاثناء نسمع من الاخبار — اخبار الاخوان — ما لا يزيل الكربة بل يزيد بها .

يا لهول الاخوان ! ويا للفظاعة ويا للعار ! — قد عاهدوا « الجداعين » وامتوهم على حياتهم واموالهم ، ثم ذبحوهم عن بكرة ابيهم . — قد عاهدوا بني جابر وبعض الاشراف الذين « دينوا » وامنوهم ، ثم حملوا عليهم فذبحوهم كلهم الرجال منهم والنساء والاطفال — الاخوان يضربون اهل جاوه بمكة ويمنعونهم عن الصلاة ، وعن التدريس في الحرم . — الويل لمن يرى الاخوان سيكارة بيده ، فانهم يشبعونه ثمتها وضربا . — الاخوان يحجزون البيوت بمكة ويبيعونها . — الاخوان يهدمون بيت مولد النبي ، وبيت السيدة فاطمة الزهراء ، وضريح السيدة خديجة . — الاخوان هدموا كل قبور الصحابة والاولياء وآل البيت في المعلا . — وهدموا مسجد حمزة ، ومسجد ابي قبيس . وهدموا ...

مرحبا بالاشاعات . فانها مثل المصائب بعضها ينسي الناس البعض الآخر . وقد انساني الاخوان — الى حين — الخبر بسقوط حائل . قالوا انها سقطت بيد قبائل شمر ، وقالوا ان سلطان الدويش قد استولى بمساعدة شمر على حائل .

ومرحبا بالكذابين . لا صحة للاشاعة بان مشايخ رابغ « دينوا » وان رابغ اصبحت في حوزة الاخوان . كذلك كانت الاخبار

تترامى الينا ، ونحن على فراش الحمى نتململ ونقول : عجل الله قدومك يا عبد العزيز . . ولكننا في تجوالنا ايام النقه سمعنا من مصادر شتى ، وتحققنا بعدئذ ، ما يقرب من الحقيقة في ما تقدم من الاشاعات . وها نحن نعود اليها فنمحصها للتاريخ .

عندما دخل الاخوان مكة جاء عريان الجدعان وبني جابر وبعض الاشراف الى الامير خالد بن لؤي موحددين طائعين . دخلوا في دين التوحيد « دينوا » فأعطاهم خالد الامان على ارواحهم واموالهم ، واذن لهم بالرجوع الى منازلهم التي تبعد مرحلة ومرحلتين عن جدة الى الشرق الجنوبي .

ولكنهم بعد ان عادوا من مكة جاؤوا يقدمون الطاعة للملك علي ، وشرع بعضهم يقطع الطريق بين جدة ومكة . فأرسلت القيادة النجدية سرية عليهم للتأديب ولجمع السلاح . ابى الجدعان ان يسلموا سلاحهم ، فنشبت بينهم وبين الاخوان معركة دامية انتهت بهزيمة الجدعان وفرارهم في السنابيك الى جدة . اما بنو جابر فمنهم من سلموا سلاحهم ، ومنهم من فروا هاربين ، فركبوا البحر مثل الجدعان ، وجاؤوا جدة بحريمهم وعيالهم ، فأنزلهم الملك علي خارج السور ، وبذل في سبيلهم المستطاع .

اجتمعنا في قنصلية هولندا ببعض الجاويين العائدين من مكة ، فسألناهم ان يصدقونا الخبر ، فقال احدهم : « اقمنا حفلة لتتلو المولد النبوي ، كما هي عادتنا كل سنة ، فنصبنا قبة للاجتماع . وعندما حضر عالمنا لتلاوة سيرة المصطفى ، جاء الاخوان فطردونا ، وهدموا القبة — لا ، لم يضربوا احدا . ولكنهم كانوا يشتموننا ويدعوننا مشركين — نعم ، التدخين ممنوع في الاسواق . ولكني ما رأيتهم يضربون احدا يدخن . هم يشتمون من يدخن ، ويدفعونه جزاء ربيع مجيدي » .

التقينا ذات يوم عند السور باثنين عائدين من مكة ،
 الواحد ضابط تركي كان في خدمة الحسين ، والثاني عربي من
 البدو . فسألنا عن فظائع الاخوان فقال الضابط : « حجزوا البيوت ،
 ونهبوها ، وباعوها والله . وهدموا المقامات كلها ، حتى مقام سيدنا
 ابراهيم عليه السلام » . فقاطعه الاعرابي قائلا : « لا والله .
 الذنب ذنبنا نحن العرب ، والخيانة منا . يجيء الواحد الى خالد
 يقول : هذا بيت الشريف ، وهذا بيت عم الشريف ، وهذا بيت احد
 عبيد الشريف فيحتجز الاخوان هذه البيوت ، ويبيعونها بعد ان
 يخرجوا منها الاثاث . ما مستوا والله غير املاك الشريف ودور
 الحكومة » .

اما هدمهم القبور والمقامات فما انجلت الحقيقة فيها الا بعد
 ان زار وفد جمعية الخلافة مكة فراوا باعينهم ما هدم منها ، وما لم
 يهدم . وقد قال السيد سليمان الندوي رئيس الوفد في تقريره :
 « ان القباب والبيبان التي كانت على القبور هدمت وكسرت .
 ولكن القبور موجودة سالمة كما شاهدنا . والقبة التي كانت على
 قبر حمزة هدمت والمسجد نسالم » . اما مسجد ابي قبيس فقد
 هدم قسم منه ، فأسف السلطان عبد العزيز لذلك ، وامر بترميمه .

لا ثار للاخوان على المساجد . ولكن في القباب مصيبة الدين
 الكبرى . قال محمد بن عبد الوهاب : « المشاهد التي بنيت على
 القبور التي اتخذت اوثانا تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد
 للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض
 مع القدرة على ازالته » . وقصد ذكر بالحديث : خير القبور
 الدوارس .

ولكن السخافة في الناس لا تتغير الا في شكلها . ان هادمي
 القبور ومقدسيها لمن امة واحدة ، وان غضبة للحجارة مثل غضبة
 عليها لا تصلح الامم . كيف لا نستأنس اذن بالاشاعة التي تنسينا

اشاعات القبور ؟ كل من في جـدة صدق الخبر بسقوط حائل الا
المستر فلبى والمؤلف . واظن ان بعض الناس شاركونا في الريب ،
واستمروا مع ذلك في نشر الاشاعة . فقد سمعنا جلالة الملك في
مجلسه ذات ليلة يقول لقائد فرقة النصر تحسين باشا الفقير :
« الخبر بسقوط حائل صحيح ، جاءنا اليوم الاثبات من عمان » .
اي من المصدر الاعلى في ما كان يروى عن نكبات نجد وابن سعود .
ولكن عليا من الناس الذين لا يحسنون التمويه ، فقد خانتة اللهجة
التي ظهر فيها انه مشكك بما يقول .

وقد كان يشكك حتى بمن يقسمون اليمين المغلظة من
البدو — والله بالله نحن رجالك يا علي ونفديك بدمنا ! فهل يقال
بعد هذا ان ابن مبيريك صاحب رابغ ومشايخه كلهم « دينوا » ؟
وان رابغ اصبحت في حوزة الاخوان ؟

هاكهم في القصر يقدمون الطاعة للملك .

وهاكهم في مكة يبايعون ابن سعود !

اشاعات وحقائق ، تتلو الواحدة الاخرى كأدوار من الحمى .
وقد كنا ، بين الحمى وبينها ، نسترحم الله للعرب اجمعين .

الفصل السادس والاربعون

الكتاب والسنة والسيف

اوضحت في ما تقدم خطة السلطان عبد العزيز السياسية والدينية ، النجدية والحجازية . فقد ارسل من البادية ، وهو في الطريق الى مكة ، يؤمن الاجانب في جدة ، ويعرض الامان على اهلها اذا هم اخلدوا الى السكينة . وكتب قبل ان غادر الرياض الى امراء الاسلام الحاكمين يدعوهم لعقد مؤتمر في ام القرى ، ثم مهد سبل الحج وامن الطرق الى الحرمين . الا ان هذا التطور في الحكم السعودي خلق لصاحبه مشاكل جديدة ، فعالج بعضها علاجاً عسرياً ، وحل بعضها حلاً مرضياً ، وهو لا يزال في منتصف الطريق ، وراءه ماضٍ مجيد ، وامامه مستقبل نصفه مكتوب وان بدا غامضاً ، والنصف الآخر صفحة بيضاء .

على ان المؤرخ لا يسبق التاريخ ، وليس من شأنه النظر في المستقبل قبل ان يدون في الاقل المهم من حوادث الماضي . نعود اذن الى حيث تركنا الموكب السلطاني . فعندما وصل الى الابطح مساء اليوم السابع من جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ هـ ، ٤ كانون اول ١٩٢٤ ، انماخ السلطان عبد العزيز ذلوله وركب حصاناً ، ونزل تتبعه حاشيته الى قلب المدينة ، فترجلوا عندما قربوا من المسعى ، ومشوا الى الحرم ، فدخلوه من باب السلام وطافوا ، وصلوا ، وسعوا تلك الليلة ، ثم عادوا الى المخيم في المعابدة .

وفي صباح اليوم التالي — الجمعة — استعرض السلطان الجيش من خيالة ومشاة ، ثم جلس في السراشق الكبير الذي نصبته البلدية ، وفرشته بالطنافس وحرقت فيه البخور ، فاستقبل اولاً الاخوان ، وكان بينهم كثيرون لا يعرفون الامام ، فكانت المشاهدة

الاولى ، وقد تهافتوا عليه يضافحونه ، ويقبلونه في خشمه وفي جبينه ، وهم يكون من شدة الفرح . ثم جاء من اهل مكة بعض اعيانها وتجارها يسلمون ، فبادروا الى يده يريدون تقبيلها فمنعهم قائلًا : « المصافحة من عادات العرب . اما عادة التقبيل فقد جاءتنا من الاجانب ، ونحن لا نقبلها » . وقد خطب فيهم خطبة صغيرة فأعاد ما قاله في خطبة الوداع لرؤساء نجد قبل سفره من الرياض .

بعد ذلك طلب اليه امين مفتاح الكعبة الشيخ عبد القادر الشيباني ان يعين وقتا للاجتماع بعلماء مكة ، فضرب لهم موعدا في اليوم التالي ، وكان الاجتماع في الحميدية ، حضره علماء البلد الحرام من اهله ومن المجاورين له ، فخطب فيهم السلطان عبد العزيز خطبة دينية ، اجتماعية ، سياسية ، خطبة طويلة بليغة نقتطف منها ما يلي :

— « ان افضل البقاع هي البقاع التي يقام فيها شرع الله ، وافضل الناس من اتبع امر الله . وان لهذا البيت شرفه ومقامه ، منذ رفع سمكه سيدنا ابراهيم عليه السلام . وقد عظم العرب امره في جاهليتهم ... فتعالوا نتعاقد ونتحد .

ان الفضول تعاهدوا وتعاهدوا ان لا يقر ببطن مكة ظالم

والله وبالله وتالله ورب هذا البيت ! لقد كان من احب الامور عندي ان يقيم الحسين بن علي شرع الله في هذا البيت المبارك ولا يعمل لابطادتنا من الوجود ، فاجيئه مع الوافدين احب (اقبل) على يده واساعده في جميع الامور ... لا ينفعنا غير الاخلاص في كل شيء . الاخلاص في العبادة لله وحده ، والاخلاص في الاعمال كلها . والذي ابغيه في هذه الديار ان يعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه في الامور الاصلية . اما في الامور الفرعية فاختلاف الائمة

فيها رحمة » الى ان قال وفيه غاية الاخلاص : « والآن انا بذمتكم وانتم بذمتي . ان الدين نصيحة . وانا منكم وانتم مني . وهذه عقيدتنا في الكتب التي بين ايديكم . فان كان فيها ما يخالف كتاب الله فردونا عنه ، وسلونا عما يشكل عليكم فيها . والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة . . . اننا لم نطع ابن عبد الوهاب وغيره الا في ما ايدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله . اما احكامنا فهي طبق اجتهاد الامام احمد بن حنبل . اذا كان هذا مقبولا عندكم تعالوا نتبايع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده . »

بعض الحضور : كلنا نبايع .

السلطان : قولوا لنا بصريح القول ما عندكم .

بعض الحضور : ما عندنا غير هذا .

السلطان : اعيزكم بالله من التقية ، فلا تكتموا علينا شيئا .

احد العلماء : اجمعنا بعلماء نجد يا حضرة الامام فنتباحث

واياهم في الاصول والفروع ونقرر ما نتفق عليه ان شاء الله .

السلطان : زين ، قريبا تجتمعون .

وبعد يومين ، في ٢١ جمادى الاولى ، اجتمع خمسة عشر من علماء مكة بسبعة من علماء نجد ، فتباحثوا في الاصول والفروع ، ثم اصدر علماء مكة بيانا جاء فيه : « قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل اصولية . منها : من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه ، يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع او دفع ضرر ، فهذا كافر يستتاب ثلاثا فان تاب والا قتل . ومنها : تحريم البناء على القبور واسراجها واقامة الصلاة عندها لان في ذلك بدعة محرمة في الشريعة . ومنها : من سأل الله بجاه احد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراما . في هذه المسائل تباحثنا واتفقنا فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين اخواننا اهل نجد » .

اي انهم اقروا المسائل الجوهرية في المذهب الحنبلي الوهابي وقبلوها . وفي يوم اجتماع العلماء صدر البلاغ الآتي مطبوعا في مطبعة جريدة القبلة : (١)

« لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحضر منهم والبدو :

لم نقدم من ديارنا اليكم الا انتصارا لدين الله الذي انتهكت محارمه ، ودفعا لشروع كان يكيدها لنا ولبلادنا من استبد بالامر فيكم .

كل من كان من العلماء في هذه الديار ، من موظفي الحرم الشريف او المطوفين ، ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ان لم نزره . الا رجلا اقام الناس عليه الحجة انه لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع مما كان له من قبل . وكل من له حق ثابت في بيت مال المسلمين اعطيناه حقه ...

لا كبير عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له . ولا ضعيف عندي الا الظالم حتى آخذ الحق منه . وليس عندي في اقامة حدود الله هوادة ولا اقبل فيها شفاعاة » .

في هذا البلاغ ، وفي بيان العلماء ، حل للمشكل الديني مبني على القاعدة ان الجزاء من نفس العمل . ولا فرق اي من الاثنين ، البيان او البلاغ ، صدر قبل الآخر . كان احد الفريقين قال : لا نمس حقوقكم التقليدية . فقال الثاني : انن نقبل اركان مذهبكم ونعمل بهما .

بعد هذه الاجتماعات الخاصة بين السلطان والعلماء عقد اجتماع عام حضره العلماء والاعيسسان والتجار ، فخطب فيهم السلطان ، فقال :

« اريد رجالا يعملون بصدق وعلم واخلاص ، حتى اذا اشكل علي امر من الامور رجعت اليهم في حله وعملت بمشورتهم ، فتكون ذمتي سالمة ، وتكون المسؤولية عليهم . واريد الصراحة في القول .

(١) قد كانت هذه المطبعة للاتراك يطبعون فيها جريدة الحجاز الرسمية، فاستولى عليها الحسين في بداية الثورة وشرع يطبع فيها جريدة القبلة ، ثم استولى عليها ابن سعود واصدر جريدة ام القرى .

ثلاثة اكرههم ولا اقبلهم ، رجل كذاب يكذب علي تعمدا ، ورجل ذو هوى ، ورجل متملق . هؤلاء ابغض الناس عندي .

بهذه الخطبة الوجيزة الصريحة افتتح عظمتة الاجتماع لتأسيس مجلس اهلي شوري . فاجتمع الناس ثانية في دار البلدية، وانتخبوا من الاعيان والعلماء والتجار مجلسا مؤلفا من اربعة عشر عضوا برئاسة عبد القادر الشيبى .

على ان هناك مشاكل لا تحل بتأسيس مجلس الشورى ولا باتفاق العلماء ، كالمشكل الاقتصادي مثلا ، وقد حال خط الدفاع في جدة دون تهوين مكة من ثغرها الاول او الاقرب . ولم يقطع الملك علي الاقوات عن « جيران بيت الله الحرام » الا عندما تم ذاك الخط . لان بدو حرب ، من الذين كانوا يجيئون صباحا كل يوم الى القصر بجدة ، او من اولئك الذين « دينوا » ، كانوا يقطعون الطريق الى مكة وينهبون القوافل . هو بعض السبب في حمل الاخوان عليهم .

وقد كان السلطان عبد العزيز اصدر الاوامر ، حتى قبل ان يسافر من الرياض ، الى عماله وقواده بفتح طريق بل طريقين الى البحر ، وكانت القنفذة اول الثغور التي احتلتها جيوشه من عسير . ولكن القنفذة تبعد اكثر من مئتي ميل عن مكة ، والليث اقرب منها (١) . لذلك بادرت القيادة في الحجاز الى احتلالها . على ان السرية التي مشيت الى ذاك الثغر لقيت من اشراف « ذو حسن » بعض المقاومة ، فاشتبكت واياهم في معركة دامت بضع ساعات ، وكانت الغلبة فيها على « ذو حسن » ، ففر منهم كثيرون ، وسلم الآخرون ، واصبحت الليث في حوزة ابن سعود.

اما هرب رابع (٢) فقد اشرنا في الفصل السابق الى ما كان من

(١) الليث على مسافة تسعين ميلا من مكة غربا بجنوب .

(٢) رابع تبعد تسعين ميلا عن جدة الى الشمال ومئة وعشرة اميال عن مكة الى الغرب الشمالي .

سلوكهم سلوك الثعالب . والحقيقة انهم عصوا حكومة جدة فأرسلت عليهم خمسين جنديا بقيادة حمدي بك . ركبوا باخرة الطويل التي قد سلحت بثلاثة مدافع صغيرة ، وابتحروا الى رابغ ، فنزلوا الى البر ولم يلقوا من عربائها او مشايخها شنيئان المقاومة . بل سلم المشايخ ومعهم ابن عم عامل رابغ ابن مبيريك وجاؤوا مع الجنود الى جدة ، فأقسموا يمين الطاعة لعلي فعفا عنهم ، واذن لهم بالرجوع الى بلدهم . وفي اثناء ذلك تصادم الاخوان وغريقا آخر من العربان ، في الطريق بين مكة ورابغ تصادما يستوجب البيان . في تهامة الحجاز يقطن بطون من حرب تمتد ديارهم الى المدينة المنورة . وقد كانت هذه القبائل في مواسم الحج تعتدي على الحجاج ، وتنهب القوافل ، وتتقاضى الحكومة ، فوق ذلك ، رواتب معلومة . فعندما دخل الجند النجدي مكة جاء بعضهم الى الشريف خالد يطالبون بما ادعوا انه حقهم الشرعي ، فقال لهم خالد : « اذا » دينتم « كنتم وكافة المسلمين سواء . والا فعندنا الكتاب والسنة ، وعندنا السيف » .

استمر هؤلاء الحروب عامين ، فأرسل خالد عليهم سرية من الاخوان فالتقوا بجماعة منهم في عسفان (١) بين مكة ورابغ ، على طريق المدينة ، فضربوهم ضربة شديدة وازالوهم من ذاك الطريق . وفي حملتهم هذه قرب الاخوان من رابغ ، ففكر العامل اسماعيل بن مبيريك في امره ، وجاء مكة اولا وثانيا يعاهد الشريف خالدا ويعاهد الله ، فلبث ينتظر قدوم السلطان الذي عين له ولمشايخه رواتب على شرط ان يمنعوا التعدي على الحجاج ، ويحموا الطريق من البحر الى مكة . هذه هي قصة رابغ وعربائها الذين جاؤوا جدة وراحوا الى مكة ، واقسموا اليمين ، وفاوضوا وساموا الفريقين ، ثم تبعوا الاقوى والاكرم .

(١) ثنية عسفان وهي من امكن في الحجاز .

وما كان ابن مبيريك فريدا في سلوكه ، فقد تبع الاقوى والاكرم كثيرون غيره من العرب . ومنهم من الاشراف الحرث والفعور الذين تهافوا على السلطان عبد العزيز عند وصوله الى مكة . ولكنهم رغم تزلفهم منه عوملوا معاملة السوى . وقد ارضى السلطان الجميع في تأليفه مجلس الشورى الذي سيأتي ذكره في ما بعد . على انهم جاؤوه شاكين قلة الاقوات وغلاءها ، وما يعانيه الاهالي بسبب ذلك من الشدة والضيق . فقال لهم انه قد اتخذ التدابير لمنع الاحتكار اولا ، ولجلب الاقوات عن طريق الليث . وانه ورجاله وجيوشه لا يكفونهم من هذا القبيل شيئا ، لان الاقوات تجيئهم من نجد . هي قليلة ، ولكننا اهل نجد نكتفي بالقليل . . . عليكم بالصبر وقريبا ترد الارزاق من الثغور التي بيدنا ان شاء الله . ثم استأذنوه بأرسال كتاب الى الملك علي عليه يسمع شكواهم فلا يمنع عنهم الارزاق . فقال السلطان : « هذا لا يفيد . علي لا يسمع شكواكم وقد يظنها شكوانا ملبسة . ومع ذلك هاتوا كتابكم ارسله » .

وفي هذا الكتاب ، المذيل بامضاءات ستين من اهل مكة ، لوم وتعنيف ، ورجاء بان لا يمنع الارزاق عنهم وهم جيران بيت الله الحرام الذين قال فيهم تعالى (اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) . « وما السبب في التضيق علينا ؟ فان كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية فلسنا المسؤولين في دخولها مكة ولا قوة لنا على اخراجها . . . اننا نسالكم واحدا من امرين : اما ان تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى تفتح لمكة طريق رزقها ، او ترتأوا شيئا من الاسباب التي تمكنا من جلب معاشنا » .

فاجابهم الملك علي : « لم نمنع الارزاق عنكم الا مكرهين . فالقواعد الحربية تقتضي ذلك ، ولا قصد لنا غير احراج مركز العدو وعدم تموين جيوشه » .

وقد شكوا الاهالي الى السلطان عبد العزيز امر الاخوان ، وتضييقهم على الناس ، وشتيمهم وضربهم الاهالي في بعض الاحايين . فطيب السلطان بالهم ، ولكنه سمع من الاخوان ايضا

كلمة لا ترد : « هم يدخنون ، يا عبد العزيز ، ولا يصلون . لا يصلون » ! فأمر السلطان بأن يغرم كل من يدخن غرامة مالية - الشتم ممنوع والضرب ممنوع . وان ينبه ذوو الامر الى وجوب المواظبة على الصلاة . فأخرجت البلدية منادياً ينادي بوجوب اجابة داعي الله . « فاذا سمع الناس المؤذن يبادرون الى الصلاة في الحرم الشريف ، ومن كان بعيدا عن الحرم فليصلي في اقرب مسجد منه . وقد جعلنا من رجال البلدية وغيرها من يناظر المتأخر عن الصلاة لتقرير الجزاء الشرعي عليه » .

ثم ولت عظمة السلطان الشريف خالدا ، الذي كان يقيم في قصر الحسين شؤون الاخوان ، وأمر الشريف هزاع من العبادلة على بدو الحجاز ، واقام بينه وبين اهالي مكة احد مستشاريه يعاونه بعض السوريين ، الذين اتخذوا سراي الحميدية مقرا لهم .

بمثل هذا نظم عظمته بعض الشؤون الداخلية وحل بعض المشاكل الدينية والسياسية في مكة . اما شؤونه الخارجية فأهمها يومذاك كان يتعلق بقناصل الدول بجدة . وقد جاءه منهم بغير وصوله جواب الكتاب الذي ارسله اليهم من البادية . وهذا نصه :

« من ممثلي الدول الموقعين ادناه الى حضرة صاحب العظمة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود سلطان نجد الاكرم . بعد تقديم واجبات الاحترام . قد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢٤ ربيع الثاني عدد ١١٤ وما ذكرتموه صار معلوما لدينا . اما بخصوص الاقتراحات المتعلقة بحفظ رعايانا وتأمينهم من خطر الحرب نرى من اللازم ان نذكر عظمتكم بأن احترام رعايانا مبني على حقوق دولية متبعة في ايام الحرب . فبناء عليه ندعوكم باسم حكوماتنا جميعها الى احترام اشخاص رعايانا مع اموالهم . والا

تكونون مسؤولين بجميع ما يقع عليهم في اي وقت وفي اي مكان كان . اما بخصوص الكتاب المرسل باسم اهل جدة فنحن لا يمكننا تسليمه نظرا لقاعدة الحياد التي نتبعها والتي لا تسمح لنا بالتدخل في اي وجه كان . فعليه نعيده اليكم .

وفي الختام تقبلوا فائق الاحترام .

القائم بشؤون القنصلية وكيل قنصل جلالة معتمد وقنصل
الافرنسية شاه ايران بريطانيا العظمى

قنصل جنرال وكيل قنصل

ملك ايطاليا هولاندا

اما فحوى الكتاب الى اهل جدة فقد كان حديث السوق يوم وصوله . وقد نشر بعدئذ رسميا في جريدة « أم القرى » فما هم السلطان ان القناصل ارجعوه .

ولكنه قُطِبَ وتضجّر عندما فُضَ الكتب التي جاءت مع كتاب القناصل . — وهذا كتاب من المستر فليبي . وآخر من السيد طالب النقيب . وثالث من امين الريحاني . ما الذي جاء بهم الى جدة في هذه الايام ؟ وما الذي ييغونه غير السلام ؟!

الفصل السابع والاربعون المفاوضات

الحارس على الباب الشرقي لخط الدفاع يكلم بالهاتف القيادة في الجبهة : « عاد النجائب من مكة ومعه كتب الى القناصل والى السيد طالب والريحاني وفلبي » . القيادة بالهاتف الى القصر : « عاد النجائب من مكة » . رئيس الديوان الهاشمي بالهاتف الى رسل السلام : « عاد النجائب » ...

بادرنا الى القصر ، فادخلنا الحاجب غرفة الملك علي الخاصة ، فاستقبلنا فيها وزير الخارجية . ثم دخل جلالته متعمما بعمامته البيضاء ذات الذؤابة ، لابسا جبة سوداء فوق قنباذ من الحرير ، وبيده ثلاثة كتب اعطانا اياها مختومة ، فقال احدنا : الملك اليوم موزع بريد . فضحك جلالته وامر بالقهوة .

قرأ كل منا كتابه ، وقدمه للملك فقرأه واعاده دون ان يفوه بكلمة . ثم تبادلنا الكتب كذلك ساكتين . فاطلع كل منا على ما كتبه السلطان عبد العزيز الى الآخر .

قال في كتابه الى « الصديق العزيز المستر فلبي » :

« اذا كنتم حضرتم لمقابلتنا ومباحثتنا في بعض الشؤون الخاصة بنا فعلى الرحب والسعة . وسنسهل الطريق للاجتماع بكم خارج الحرم . اما اذا كنتم تنوون التدخل في مسائل الحجاز فلا ارى في البحث فائدة ... وانه ليس من مصلحتي الخاصة ومصلحتك يا صديقنا جعلكم وسيطا في هذه المسألة الاسلامية المحضنة » .

وجاء في كتابه الى « حضرة الاخ المحترم السيد طالب النقيب » :

« لقد ذكرتم انكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم . ولكن يجب ان نعرف هل المقابلة شخصية ودية أم هي للوساطة في مسألة

الحجاز . فاذا كان الغرض من الزيارة التوسط في هذه المسألة فاني لا ارى فائدة من ذلك واذا كان الشريف علي يود حقيقة حقن الدماء فعليه ان يتخلى عن جدة . اما اذا قبله العالم الاسلامي وانتخبه حاكما للحجاز فمحله غير مجهول » .

وقال في جوابه على كتاب المؤلف :

« ذكرتم انكم موفدون من قبل جماعة في سوريا ولبنان وانكم تحملون كتابا منهم الينا . ارحب في كل حال بصديقنا العزيز امين الريحاني ، ولكن احب ان الفت نظركم الى امر هام . وهو اذا كان البحث يتناول المسألة الحجازية فلا ارى فيه فائدة ، لان مشكل الحجاز يجب ان يحله المسلمون وترك الامر لهوى انفسنا ليس مما تجيزه المصلحة الاسلامية ولا العربية . وفي كل حال اني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة » .

لا سبيل اذن للتوسط . ولكن طريقة السلطان في رد كل منا اختلف باختلاف الصفات والاحوال . فالمستر فلبى تأكد ان عظمته لا يمانع اذا غادر جدة في اول باخرة — « ان المسألة اسلامية محضة وليس من مصلحته ولا من مصلحة ابن سعود ان يتدخل بها » . وكان للسيد طالب بصفته مسلما بقية من الامل — « وكيف لا يسمح ابن سعود بزيارة في الاقل بمكة ؟ ومتى تواجهنا تباحثنا ، والمواجهة نصف الحجة في الاقناع » . اما المؤلف فالسلطان ترك له بابا مفتوحا اذ قال : « انني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة » .

اعدنا الكرة على العظمة السعودية ، فكتب المستر فلبى مودعا ، وكتب السيد طالب مستأذنا بزيارة « شخصية ودية » وملحا بالاسراع لانه مضطر ان يعود الى مصر قريبا . وكتب المؤلف كتابا يستوجب بعض البيان .

قد أسر الي احد الاصحاب في القصر شيئا عن السيد طالب مستغربا مضحكا ، واكد لي انه جاد في ما قال . أليس السيد خصم

الملك فيصل شقيق الملك علي ؟ اوليس السيد صديق ابن سعود ؟ فلا يستغرب اذا اتفق الاثنان علي خصميهما مليكي العراق والحجاز . قلت لصديقي ان تصويره وان كان سياسيا تصور شاعر . ومع ذلك فقد وضعت ارتيابه موضع الجد . وبما اني ظننت انه اسهل على السلطان ان يقابل طالب بمكة من ان يخرج في تلك الاحوال الى حذاء مثلا ليقابل صديقه العربي المسيحي ، صممت على ارسال رسول مسلم لاصل اليه برسالتي قبل السيد . وفي كل حال لم يكن في الامكان ان اؤدي كتابة الرسالة كلها . لذلك كتبت الي عظمته اقول :

« ان لصديقي حسين العويني التاجر اللبناني (١) في جدة علاقات تجارية في مكة المكرمة ، وهو يحضر للتجارة وللزيارة ، فيتشرف بمقابلتكم اذا اذنتم ويجمل الي عظمتكم بعض خبري . اني اثق بحسين افندي كل الثقة . وفي اليسر الذي سينوب عني به ما يعني عن البيان . فاذا اذنتم بقدومه مروا من يلاقيه الي منتصف الطريق ويصاحبه محافظا الي مقامكم العالي » .

ارسلنا الكتب هذه في ١٢ جمادي الاولى وبتنا ننتظر الاجوبة . فمر الاسبوع ولم يعد النجاب . عندئذ ارسل الملك علي يدعونا للمفاوضة فحضرنا نحن الثلاثة ، ولم يكن غيرنا في المجلس ، ففتح جلالتة الحديث قائلاً : « دعوتكم لأبسط ما جد في الحالة

(١) حسين العويني لبناني ووطني عربي ، صريح الكلمة ، صادق اللهجة ، صلب العود . وقد ادت به وطنيته العربية ، في عهد الفرنسيين في سوريا ولبنان ، الي المنفى بالكورة ، فمضى وبعض وجهاء بيروت في الاسر هناك بضعة اشهر . ثم جاء الحجاز نتجاذبه السياسة والتجارة ، فتعاطى الثانية ولم يهجر كل الهجر الاولى . كان اول من اجتمعت بهم من الوطنيين عند وصولي الي جدة ، فدعاني للطعام في اليوم التالي ، فلقيت بيته رحبا ، وكل ما فيه من فرش وذوق لامعا ، فنزلت ضيفا عليه . وكنت كل يوم لما بدا لي من اخلاصه وصديقي وطنيته ، ازداد حبا له ، واعجابا به . فتآخينا وتعاوننا في سبيل السلم والعرب .

(عاد حسين العويني للعمل السياسي فيما بعد واصبح رئيس وزراء الحكومة اللبنانية - الناشئ) .

واستشيركم . قد جئتم ايها الافاضل الى جدة لخير الفريقتين ، بل لخير العرب . ويمسوني والله ان تمس كرامتكم من اجل احد منا — انا والله مخجول . قد مر الاسبوع ولم يجئكم الجواب من ابن سعود . والرجل متحرك ، فهو الان يفسد القبائل علينا . ورجاله منعوا عرباتنا من ارسال الفحم كالعادة الى جدة . ونحن هنا ماسكون انفسنا . خط الدفاع يزداد منعة كل يوم ، وجنودنا مستعدون للحرب ، والطائرات كلها اصبحت سالحة للعمل . لذلك قد قررنا ان نرسل غدا بلاغا الى اهل مكة بالطيارة ، ثم نرسل سرب الطائرات لرمي القنابل في الابطح ، عل ذلك يوصلنا الى نتيجة فاصلة . وقد دعوتكم لاستشيركم في المسألة » .

تكلم السيد طالب اولا فقال : « هل قنابلكم سالحة ؟ هل انتم متأكدون انها تنفجر . فاذا كانت قديمة ولا تنفجر تعود بالضرر عليكم ، فلا يخشى العدو بعدئذ الطائرات . يجب ان تجربوها قبل ان تقدموا على العمل ، فاذا كانت سالحة فلا بأس » .

ثم تكلم المستر فليبي : « من رأيي يا جلالة الملك ان تنتظروا الى ان يجيء الجواب . ومثل هذا العمل الحربي قبل ذلك في الاقل لا يأتي بفائدة » .

اما المؤلف فلم ير من الحكمة ان ترسل الطائرات الى مكة بصفة حربية . « انكم وان امرتم برمي القنابل في الابطح فقط تضرون بمصلحتكم حتى وان تقيد الطيارون بأمر القيادة العليا . نحن نعرف ان الابطح ساحة خارج مكة الى الشمال الشرقي منها ، ولكن العالم لا يعرف ذلك . واول قنبلة تقع هناك يطير البرق خبرها ، فتنتشره الجرائد خصوصا المعادية لكم بالقلم العريض . — الملك علي يمطر مكة نارا من الطائرات — طائرات الملك علي تطير فوق الكعبة وترمي قنابلها في قلب المدينة ! وهذا مضر باسم

جلالتكم ومضر بالمصلحة العربية .

وافق المستر فليبي على رأيي وأوما الملك برأسه انه مقتنع . ولكنه ظل متمسكا بنظريته ان الطيارات تخرج ابن سعود من مكة ، وتحمله على الفصل في الامر . فطلبنا تأجيل العمل ثلاثة ايام ، فأجاب جلالتك الطلب . ثم قال السيد طالب : « واثناء ذلك جربوا القنابل » .

ولكن التجربة لم تكن ضمن خط الدفاع بل في الطريق الى مكة ، فوق بحرة ، وقبل ان تنتهي مدة الانتظار . فغضب المستر فليبي غضبة انكليزية وقلنا على الصلح السلام . على ان النجائب عاد صباح اليوم التالي ، اي العاشر ، يحمل الاجوبة من السلطان ، وفيها لصديقه المستر فليبي الدعاء بالسفر الميمون — بأمان الله . وفيها للاخ المحترم السيد طالب ان مكة في حال من الاضطراب لا تجوز معها المخاطرة براحته . « وستصلكم وانتم في مصر اخبارنا الطيبة ان شاء الله » . وفيها في جوابه على كتابي :

« قد سمحت لصديقكم حسين العويني بالقدوم الينا ، فزودوه بكل ما لديكم من الكتب والافكار والآراء واننا نرجو ان يحسن نقل افكار صديقنا امين الريحاني واني اشكرك على تجشحك المشاق الجسيمة في خدمة العرب وفي سبيل قضيتهم » .

قد جلا الجواب جو القصر فبش الملك واستبشر الوزراء ، كما انه لطف بروح الجندية خارج السور . والجندية طبعا وصفة عدوة السلام .

بادرنا الى الجواب والعمل ، فكتبت الى عظمة السلطان اقول : « اني مرسل مع العويني كتابا من وجهاء المسلمين في بيروت ، ومذكرة ضمنيتها ارائي في الحالة الحاضرة ، واشرت الى نقاط يتوسع في شرحها العويني . فاذا كنت مصيبا فمولاي وصديقي عبد العزيز لا يتبع غير الصواب . وان كنت مخطئا فحبي واخلاصي يشفعان بيا قد يعد نقصا في علمي . اما اذا كان في

ما قدمت مزيج من الخطأ والصواب فأنا اول من يرغب في التمحيص . علموني يا طويل العمر اذا كنت مخطئا ، واسمعوا لي اذا كنت مصيبا .

لم يشأ العويني ان يسافر من جدة الا محرما ، فاشفقنا عليه من برد كانون الاول ، خصوصا في الليل ولكنه اصر على الاحرام وهو يقول : « لوجه الله وللقضية العربية » .

ثم اعطاني ساعة الوداع غلافنا مختوما وقال : « اذا لم ارجع يا امين فهذا الغلاف لامي في بيروت » . عندئذ ادركت حقيقة الخطر ، خطر الطريق في الاقل ، واحسست بشيء ثقل حل في قلبي . ولكني موهت ما بي وانا اسر اليه الكلمة الاخيرة .

ودعناه امام القصر ، بعد ان ودع جلالة الملك ، فركب الدابة التي كانت تحمل حقائبه وسار بعد الغروب بأمان الله . يصحبه خادمه والنجاب ورفيق آخر . بأمان الله . ولكن الطريق لم تكن آمنة . فقد اتقي صديقي ورفاقه في بحرة تلك الليلة ، في القهوة المهجورة المظلمة التي آووا اليها ، ما يروع حتى البدو . دخلوا بعد منتصف الليل ليناموا ، او يستريحوا قليلا ، فأحس العويني عندما القى بيده الى الارض ان هناك شيئا مائعا لزجا ، فأشعل عودا من الكبريت فاذا به دم واذا بالدم لا يزال طريا ، فأشعل عودا آخر فاذا بالجثة — جثة اعرابي — قريبة منه ! ولكنه ورفاقه ، بعد استراحة قصيرة في العراء ، ادلجوا من ذلك المكان سالمين ، فوصلوا في ظهر اليوم التالي الى المخيم السلطاني بالشهداء (١) وكان العويني رسولا مكرما ، وفي احاديثه مع السلطان مقنعا ، فلم

(١) كان قد نقل المخيم من المعابدة بالابطح الى الشهداء خارج مكة في طريق جدة . والشهداء سهل يبعد عن جرجول اي طرف مكة الغربي نصف ساعة .

يبطئ عظمته هذه المرة بالجواب . غاب العويني ثلاثة ايام فقط ، فعاد في الخامس والعشرين من شهر كانون الاول . وصل الى جدة مساء ذلك اليوم ، فوقف في باب الردهة التي كنا ننتظره فيها ، وهو يحمل حقييته ويبتسم ابتسامة خفقت لها القلوب فرحا . وقد كان ساعتئذ مع الملك رئيس الحكومة الشيخ عبد الله سراج ، وزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب ، ورئيس الديوان الهاشمي السيد احمد السقاف . سلم العويني وجلس على السجادة افاخرج من حقييته كتاب السلطان ودفعه الي فقراته وقدمته لجلالة الملك ، فطالعه ونور الجذل يكسو محياه .

« قضي الامر . وما تبقى غير الجزئيات . بارك الله فيك يا حسين . بارك الله فيك يا امين » . قال هذا وقبلنا نحن الاثنين . ثم نزع عن رأسه العقال والكوفية ونادى : « هاتوا شاي ... يشهد الله اني لا احب ان تهرق نقطة واحدة من دم العرب » .

كان جلالته تلك الليلة في بهجة قلما شاهدناه في مثلها . ولا غرو ، فمن سجاياه الشريفة انه رجل مسالم محب للسلم .

الفصل الثامن والاربعون

الطائرات

كان هناك اناس لا يرضون بالسلم ، منهم في مكة الاخوان وبعض الاشراف ، ومنهم في جدة الجندية وجماعة من وجهاء الاهالي المناوئين للبيت الهاشمي . وقد كان لكل فريق من هؤلاء في مكة وفي جدة ، غرض خاص في مقاومة المتوسطين وافساد مساعيهم . على ان غرض الاخوان اطهرها لانه ناشيء عن عقيدة راسخة في النفس ، ومجرد عن المنافع الشخصية . اما الآخرون ، اي الجندية والمناوئون للبيت الهاشمي في جدة ، فقد كانوا ينشدون اما الشهرة ، واما الانتقام واما المنفعة . وسنسردها الحوادث تبينا وبرهانا .

عندما جاء الاذن من السلطان عبد العزيز بارسال رسولي المعويني اليه ، كرر الملك علي اوامره السى القيادة العالية في ان تؤجل ارسال المنشور الحربي الى اهالي مكة الى ان يصدر امر آخر بخصوصه ، وان تحتفظ بالنسخ فلا تأذن بنشر نسخة واحدة منه ، وان تشدد على الطيارين بأن لا يتجاوزوا في استكشافهم بحرة .

ولكن القيادة العالية تجاوزت الامر الملكي . ففي اول جمادى الثانية (٢٧ كانون الاول) اي بعد يوم من سفر النجباء وهو يحمل الى عظمة السلطان جوابي وفيه التمس ان يعين مكانا لاجتماع وفود السلم ، بعد ظهر ذاك اليوم طارت طائرة الى مكة ، ورمت في الابطح وفي المخيم السلطاني بالشهداء نسخا من منشور الملك علي ، المنشور الحربي الى الاهالي (١) . وكانت قد طارت منذ

(١) جاء في هذا المنشور : « لقد جمعنا شعثنا واقبل اخوانكم الينا في كل حذب وصوب حتى اصبح لدينا والحمد لله من الرجال والعتاد ما يرد كيد العدو في نحره . ولقد جهزنا جندنا بكل الوسائل الفنية والمعدات الحربية ، وها نحن على اهبة الرحيل اليكم ونطهر بلادنا من المغتصب لها . ستبدأ طياراتنا بالتحليق في جوكم لتمطر العدو وابلا من القذائف النارية . كونوا على ما نعهد فيكم من الثبات والطمأنينة والشجاعة ولا تجعلوا للعدو سبيلا الى الفرار . . . واعملوا لتخليص وطنكم بكل ما اوتيتم ،

يومين ، اي قبل انقضاء مدة التأجيل التي امر بها الملك ، فشاهدها العويني بعد خروجه ذاك اليوم من المخيم السلطاني وعند وصوله الى الشميسة . سارعت الى القصر واجه الملك ، فادهشني منه انه جهل الامر . وما كان الوزراء ولا رئيس الحكومة عالين به . فترع جلالته الجرس الصغير على المائدة الصغيرة امامه ، وجاء احد كتبة الديوان فقال له : « ناد تحسين باشا ليحضر فوراً » . جاء تحسين واقتر ان الطائرة تجاوزت بحرة ، ولكنه انكر انها رمت نسخا من المنشور .

اما السبب في تجاوز الاوامر - كلام الباشا - هو ان خلا صغيرا في المحرك حمل السائق على الاسراع في السير ليقى الطائرة من السقوط الى الارض ، فطارت بحكم الاستمرار في خط مستقيم طيرة طويلة ، فلم يتمكن اثناء ذلك من ضبطها وردّها . لم يفه جلالته بكلمة . انما اوما برأسه انه مقتنع ، فقلت وفي صدري غضب مكوم : « لا اظن يا باشا ان هذا السبب كاف لتبرير التجاوز . وانت ادرى بنتيجة المخالفة للاوامر العالية في ايام الحرب » .

فقال تحسين : « ما هو بالامر المهم » .

فقلت : « كل امر ملكي مهم يا باشا » .

فتكلم اذ ذاك جلالته مخاطبا القائد بالتركية ، فنهض مسلما وانصرف .

فالوطن اعلى من كل شيء لديكم » .

وفي جواب الملك علي علي كتاب اهل مكة الذي يطلبون فيه الارزاق ، المؤرخ في ٢٥ جمادي الاولى ، ما يلي : « فان كان هو (ابن سعود) واذا به يحترمون حرم الله وجيرانه ويعملون مثل عملي ويخرجون الى خارج الحرم فهناك نظهر حقائهم ان شاء الله . ويرون كيف يكون الذود من الحياض والدفاع عن الحوزة . وان لم يخرجوا ولبثوا مكانهم جامدين فاننا سنوافيهم من بين ايديهم ومن خلفهم ومن فوقهم (الطائرات) حتى تكون كلمة الله هي العليا » .

قد كان في العصر كما كان في المركز اناس لا يملك الملك علي قيادهم .

وفي اليوم التالي جاعتنى تفاصيل الحادث ، فأثبتت ظني ان تحسينا لم يصدق الملك الخبر ، فبادرت الى القصر وكلمت جلالته قائلاً : « ماذا يقول السلطان بعد ان يقرأ كتابي ثم يشاهد طيارتكم ويقرأ منشوركم الحربى ؟ لا شك انه يقول انى اما مخدوع واما مخادع ، ان هناك مؤامرة يا مولاي لافساد مساعيها السلمية ، ونقطة الدائرة لتلك المؤامرة هي القشلة . نعم ان هناك زمرة من الضباط وغيرهم لا يريدون السلم . وانا اسعى بكل ما عندي من القوة ، ومن الحب والاخلاص لكم ولابن سعود ، في سبيل السلم . فاذا كنتم حقاً تبغون السلم فعليكم بالشـدـة في تنفيذ اوامركم . القيادة العليا لجلالتكم لا لتحسين الفقير واركان حربه . ويجب ان توقفوهم عند حدودهم . يجب ان تتخفوا خطة العزم والشدة في تنفيذ اوامركم . ومن حقى ان اطلب ذلك ما زلت ساعياً في سبيل السلم وما زلت انتم راضين بمسعاى » .

عند ذلك اخذ جلالته يدي بيده وقال : « انى اميل الى حسن الظن بالناس ، ولا اسـيـء الظن الا بعد التثبت والتحقيق . وقد تحققت اشياء — تحققتها يا امين — وسيسافر فلان وفلان وفلان في الباخرة القادمة . وسأوبخ تحسين باشا ، ولكننى افضل ان يكون ذلك في مجلس خاص له » .

خرجت والشيخ مؤاد اذ ذاك من المجلس وعرجنا على مكتب رئيس الديوان . ثم جاء تحسين امثالاً لامر جلالته وخرج من المجلس الخاص متغيظاً . وفي ذاك اليوم صدر امر ملكى بنقل اعداد المنشور كلها من القشلة الى القصر وبحبس ضابط المراقبة عشرة ايام .

اجتمعت بعدئذ بهذا الضابط ، وهو عبد الفتاح اللاذقى ، فسألته ان يصدقنى الخبر ، فقال : « عملت والله بأوامرى . نعم طرنا فوق الابطح والشهداء ورمىنا المناشير » .

- اعود الى مذكراتي في تلك الايام .
 ٣ جمادى الثانية (٢٩ كانون الاول) .

لم يعد النجائب . اخشى ان يكون المنشور قد اثار غضب السلطان فيعدل عن خطته السلمية .

وكنتي احسست وانا في جدة بما هو جار في مكة . فقد عقد في ٤ جمادى الثانية بالشهداء مجلس حربي ترأسه السلطان وحضره جمع من القواد والاخوان ، فتكلم فيه ابو حميد ابن بجاد مخاطبا الامام عبد العزيز :

« اننا نعلم ان لا صلاح في امر دين ودنيا للمسلمين عموما ولهذا البيت واهله خصوصا بوجود الحسين واولاده في الحجاز ، فاذا كان هذا ثابتا عندنا ونعتقد دينا فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم ؟ فان كنت تخاف على احد من رعايا الاجانب او احد من اهل جدة فلك منا العهد والميثاق اننا لا نمسهم بشئ - الا من برز منهم لقتالنا او بلانا بنفسه ، ونحن كما تعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه . . . والآن فلا بد لنا من احد امرين : الاول ان تعلمنا الطريق الذي يجب ان نسير فيه ونحن نكفيك مؤونة الامر . الثاني اذا كنت لا توافق على الزحف لما تراه من الامور التي انت اعلم بها منا ، فلا يجوز ان نظل بعيدين عن اعداء الله هذا البعد . بل يجب ان نقرب منهم ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم . اما الامر الاول فهو مرادنا ، واما الثاني فليس الا مرضاة لخطرنا «ياالامام» لان الله اوجب علينا طاعتك » .

ثم تكلم خالد بن لؤي فقال :

« يا عبد العزيز اني اقول كلمة وان كانت تغيظك . كنا نتحدث فيما بيننا ونقول : قد بدل عبد العزيز الشجاعة بالجبانة وكنا قبل قدومه نتمنى قدومه . اما اليوم فصرنا نقول : ليتة ظل في بلده بعيدا عنا فان كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن القوم فبينه لنا حتى نتبعه . وما نحن الا اخدام الشرع . واذا كان لا قصد لك غير

الشبح بأنفسنا عن الموت فما من احد يموت قبل يومه . وما نتمنى والله ان نموت الا شهداء . فأني قتال تراه افضل من قتال الحسين واولاده ؟ واي عمل جاء فيه الضرر للاسلام والمسلمين اكثر من عمل الحسين واولاده ؟ » .

هذه هي اخبار مكة الرسمية . اعود الآن الى مذكراتي .

٧ جمادى الثانية (٢ كانون الثاني ١٩٢٥)

غيمة سوداء في سماء السلم . كنت في مجلس الملك صباح اليوم عندما وصل رسول من مكة يحمل الى جلالته كتابا سرىا من احد انصاره هناك ، فأخبر الرسول ان جنود خالد نقلت من الابطح، ولا يدري احد اين توجهت ، وان خالدا هو عند السلطان بالشهداء، وان السلطان يتأهب لنقل المخيم الى بحرة .

كان الملك قد قرأ الكتاب ووضعه في جيبه وهو عابس مضطرب ثم اخرجه واعاد قراءة شيء منه على مسمع رئيس الحكومة ووزير الخارجية ومسمي . — اجتمع ابن سعود بالاشراف — اشراف الحسرت والفور والعبادلة . وتباحثوا في انتخاب ملك الحجاز . وكان الاجتماع في قصر الملك حضره من المعروفين الشريف شرف عدنان والشريف باشا العبدلي والشريف هزاع بن هتن بن منصور .

هؤلاء اعداء السلم في الجهة الاخرى بمكة ، فنراهم وقد ناصروا ابن سعود ، يخافون على انفسهم اذا عاد علي . وقد قالوا للسلطان عبد العزيز : « اتصالح من عاديناه من اجلك ؟ اتركنا في بلادنا ينكل بنا ونحن الآن من رجالك ؟ »

٧ جمادى الثانية مساء الجمعة .

وصل جماعة من اهل جناوه من مكة فآخبروا ان ابن سعود ومعه نحو الف من جنوده وصلوا الى حداء .

في مجلس الملك : دخل تحسين باشا الفقيه وعارف باشا الادلي وزير الحربية والبحرية وعلى وجهيهما سيماء الغضب والاضطراب .

احد الوزراء : « علمنا ان الاخوان مشوا من بحرة ، وقريبا يصلون الى الرغامة » .

الوزير الآخر : يجب ان نرسل عليهم الطيارات ، لعنهم الله ولعن اجدادهم » .

الوزيران : « غدا صباحا نرسل الطيارات كلها عليهم فتمطرهم النار والرصاص وتفنيهم ان شاء الله » .

ثم احتدم الجدل ، فقال وزير الحربية : « هذه المساعي السلمية تحول دون تنفيذ خطتنا العسكرية » .

وزير البحرية : « بل افسدت علينا خطتنا واضرت بمصلحة جلالتك ومصالح البلاد » .

فقلت : « ومن افسد المساعي السلمية يا باشا ؟ والله لو كنتم مخلصين لمصلحة جلالة الملك ومصالح البلاد لتقيدتهم باوامره العالية » .

الملك : « قد تغيرت الوضعية يا استاذ ، ويجب ان نحتاط للامر . يجب ان نباشر الآن بالدفاع » .

الوزيران : « غدا صباحا تطير الطيارات » .

— « قبل ان يعود النجاب ؟ » .

— « النجاب لا يعود » .

— « قلتم هذا القول في المرة السابقة . ثم عاد النجاب وسركم الجواب » .

طلبت ان تؤجل الحركات العسكرية يومين آخرين ، الى الاحد ، فاجيب طلبي على شرط ان اكتب في تلك الساعة الى ابن سعود استعجل جوابه . فكتبت اقول : « علمت هذا المساء ان

رجال عظمتكم وصلوا الى حدّاء في صورة حربية ، فاخذني من ذلك العجب . وارجو ان يكون الخبر مكذوبا . في كل حال التمس الجواب العاجل » . ثم كتبت الحاشية الآتية : الطيارة التي اشرفت على مكة تجاوزت الاوامر فعوقب الطيار بالحبس .

السبت في ٨ جمادى الثانية :

طار الطيار الروسي صباح اليوم الى وادي فاطمة ، فخلق فوق بحرة وحدّاء والشميسة ، وعاد يقول انه لم ير ابن سعود ولا جنوده ولا احدا من البشر او الحيوان في الطريق . - اين الاخوان الزاحفون من بحرة ؟

الاحد في ٩ جمادى الثانية صباحا :

نائب قنصل هولندا على الهاتف : « وصل جماعة من مكة في هذه الساعة ولك ان تستخبرهم اذا شئت » . . . بادرت الى القنصلية فعلمت انهم عادوا من مكة يوم الجمعة بعد الصلاة في الحرم ولم يكن هناك كثيرون من المصلين ، وانهم عند خروجهم من جرول رأوا قافلة من الجمال وفيها بين الاحمال ثلاثة مدافع ، وانهم عند وصولهم الى حدّاء رأوا فيها خياما عديدة ، نحو مئتي خيمة . هناك وقفت القافلة وهناك بات الجاويون . وفي صباح اليوم التالي السبت ، رأوا طيارة تطير فوق حدّاء وقد اطلق عليها الاخوان بنادقهم (هي الطيارة التي طارت الى الشميسة كما ادعى الطيار والمراقب وقالوا انهما لم يريا احدا في الطريق) .

جئت من القنصلية الى القصر . فقال الملك بعد ان اخبرته عن الطيارة التي اطلق الاخوان عليها الرصاص : « قد تكون الغيوم حالت دون رؤيتهم » . وكيف انها لم تحل دون الطيارة ونظر الاخوان ؟

دخل اذ ذاك الحاجب يقول : « الوكيل الانكليزي » . وكان الوكيل قد جاء يهنيء الملك بصحته . وبعد قليل دخل تحسين باشا فدق مهمازي جزمته دقة سريعة شديدة ، وسلم ، ثم استأذن بكلمة

خاصة . فقال الملك : مهمة ؟ فأجابه : مهمة جدا ، ومشى وراء جلالته الى الغرفة المحاذية للمجلس . وما هي الا دقيقة حتى عاد الاثنان يبتسمان والملك يقول : « جاؤوا — نحو مئتي خيال منهم . رأتهم القيادة خارجين من بين الجبال » . وقال تحسين يخاطب الوكيل الانكليزي : « انا رأيتهم بعيني . صاروا في السهل » .

صدر الامر باطلاق المدافع عليهم ، وبادر كل من في القصر ، من الشريف محسن الى اصغر العبيد ، الى البندقية وزنار الخرطوش ، ووقف جلالته وبعض حاشيته في شرفة القصر يراقبون السهل بالنظارات .

دعاني الوكيل الى دار الوكالة لان له منظره تشرف على السهل كله ، فخرجنا من القصر ونحن نلامس ، رغم الاستعداد ، الخوف والذعر . وقد ظن الناس ان الاخوان يهاجمون خط الدفاع في ذاك اليوم ويخترقونه فيدخلون المدينة . لذلك اقفلت المخازن ولجأ الاكثرون الى بيوتهم .

وكانت المدافع تطلق الطلقة تلو الاخرى على الاخوان . واين الاخوان ؟ كنا نرى من منظره دار الوكالة البريطانية غبارا هنا وهناك ، في اطراف السهل ، غبارا تثيره القنابل المتفجرة ، ولا احد في جوارها .

ثم خرجت الخيالة من بين الجبال ، فعدت تجاه الخط الى الجنوب . وظهرت فرقة اخرى في الشمال الشرقي من السهل هي خيالة التوحيد ! نحو ثلاثمئة منهم ، جالوا في ذاك السهل في رابعة النهار جولات عدة ، وقنابل المدافع تثير الغبار بينهم حيننا وحيانا وراءهم . وقد كان هناك قطيع من الغنم فساقوه امامهم وهم يتراجعون . وكان قد خرج اليهم ثلاثون من خيالة الدروز في الجيش الحجازي ، فجالوا مثلهم بضع جولات ، ووصلوا الى نزلة بني مالك التي ظنوها مكمنا لبعض الاخوان فلم يجدوا احدا هناك .

وفي ذاك اليوم ساعة الظهر ، وصل النجباء عائدا من مقر السلطان يحمل اليّ جوابا هو ، لما تقدم من الاسباب ، عكس جوابه الاول .

الفصل التاسع والاربعون

علينا وعلى رسل الرحمة

عاد السيد طالب النقيب من جدة حائقا على ابن سمود .
وعاد المستر فلبي مريضا فكان حنقه على جدة وكل من فيها .
سافرت وانا احمل في حقيبتى قنبلة من قنابل المدفعية النجدية .

ولكني . قبل ان ظفرت بها عرضت نفسي لقنابل الغضب
السلطاني . ذلك لاني لم اقطع الامـل وازمـع الرحيل قبل ان
استنفدت كل ما في الوسع ، واغتثمت كل فرصة سنحت ، في
سبيل ما جئت جدة من اجله .

نعم ، كنت اعتقد واتيقن ان الخير كل الخير في الصلح بين
نجد والحجاز . وما همني ان تجرح كرامتي في هذا السبيل . لا
والله . فما كرامة المرء اذا قيسـت بكرامة الامة ؟ وما ضر امرىء
اذا صدّ في سبيل وطني شريف . بل ما ضره اذا استطاع ولو في
تعريض نفسه للاهانة ، ان يحقن دماء المتحاربين من اهل وطنه ،
ان اصالة الرأي في مثل هذه الحال لفي التوضيحية الشخصية ، والذي
يحزن المجاهد المخلص هو اخفاق السعي لا امتهان الحرمة .

كتبت الى عظمة السلطان عبد العزيز مظهرا دهشتي من
الانقلاب السريع في خطته ، كتبت اليه مكلوما ، وكتبت اليه ملوما .
فاجابني بلهجة فيها اثر للغيظ ولكنها لا تخلو من العطف ، ولا تخلو
حتى من امل كنت اقراه بين السطور . فلم يقفل الباب على الثالث
من رسل السلام الا في كتابه الاخير . وقد كان يكرر قوله : « ان
الشريف علي دعانا للمناجزة (١) فلبيناها . . لم نشأ ان نحمل
الشريف علي مؤونة القدوم الى الحرم ، فزحفنا اليه وامرنا ان

(١) اشارة الى المنشور الحربي الذي رمته الطائرات في الابطح بمكة وفي المخيم
السلطاني .

يكون قسم من جندنا على كذب منه . فليبر بوعده اذا كان من الصادقين » .

ومع ذلك ظلت مقيما على ظنسي ان الصلح ممكن حتى بعد المناوشات الاولى خصوصا لان في العشرة الايام التي تلت الهجوم الاول لم تبد من الاخوان حركة ما ، ولا ظهر شيء من طلائعهم في سهل جدة . وعندما حضر طبيب التكية المصرية بمكة وهو عائد بالاجازة الى مصر ، اجتمعت به في مخيم الهلال الاحمر فظهر لي من حديثه انه عالم بشيء مما كتبت الى عظمة السلطان ونقل الي بعض كلمات دلت على انه من الذين يحضرون مجلس عظمته الخاص . ومما قاله : « السلطان يحترمكم وينوه دائما بذكركم ، فاكتبوا اليه مرة اخرى ولكن لطفوا اللهجة » . ثم تطرق الى ذكر الهلال الاحمر وسألني بل الح علي ان اسعى لدى الحكومة لتأذن بارسال قسم من البعثة الى مكة .

الهلال الاحمر المصري يستوجب كلمة في هذا التاريخ . فقد ارسلت الجمعية المركزية في القاهرة بعثة الى الحجاز مؤلفة من ستة اطباء وصيدي وثمانية ممرضين واربع ممرضات وحكيمة واحدة ، وكانت البعثة مزودة بكمية وافرة من الادوية والعقاقير ، وبمستشفى متنقل مؤلف من ستين سريرا بمعدات اللازمة .

نصبت هذه البعثة خيامها في الطرف الجنوبي من جدة عند وصولها ، ثم نقلت الى الطرف الشمالي ، الى مكان انظف وافسح من الاول ، على شاطئ البحر ، وراء القنصلية الافرنسية ، وامام البيت الذي كنت مقيما فيه . فكنت ورئيسها الدكتور حسن حلمي كرامة نتزاور من حين الى حين .

وعندما ظهرت طلائع الجيش النجدي في ٤ ك ٢ ، وقطع الناس الامل بمفاوضات الصلح ، طلب الدكتور كرامة من الحكومة ان تأذن بارسال قسم من البعثة الى الجهة الاخرى لتتسم وظيفتها ،

فرفضت الحكومة قائلة ان الطريق غير آمن وانها لا تستطيع تأمينه . فجاء رئيس البعثة يسألني ان اعرض المسألة على الملك فوعده بذلك . وفي ذاك الصباح ، بعد خروج الدكتور ، زارني رئيس الحكومة فكلمته في الموضوع وبينت لـه الخطأ في رفض الطلب ، لان المشروع انساني ولا دخل فيه للسياسة ، الى ان قلت : « هؤلاء رسل الرحمة فلا يجب ان يقال فيكم انكم صددموهم عن العمل الذي انتدبوا له » .

وعدني عطوفة الرئيس خيرا ، ولكنه بعد يومين ، عندما راجعته في الموضوع ، قال معذرا : « لا جمال عندنا لنقل البعثة واحمالها » . ففهمت من لهجته ان هناك غير هذا العذر مما لا يجوز التصريح به .

ثم جاء طبيب التكية بمكة يجدد الطلب ، فسألته : « وهل يرسل السلطان الى منتصف الطريق جمالا تنقل احمال البعثة ؟ » فأجاب : « نعم هو يرسل خمسين جمالا » فذهبت اذ ذاك الى القصر وعرضت الامر على الملك علي . سألته باسم الانسانية ان يأذن بارسال جزء من البعثة الى ما دون الخط ، وقلت انها فرصة اغتنمها لاكتب الى السلطان مرة اخرى في موضوع السلم . بل هي فرصة يجب ان يغتنمها جلالته ليظهر ان لا حقد في قلبه على المصريين . واذا لم تأت بفائدة سياسية فلا اظن انه يحول دون فائدتها الاصلية الشريفة . الهلال الاحمر خير محض ، لا سياسة له ، ورجاله رسل الرحمة .

فقال الملك ، وقد وضع يده بلطف على يدي : « هل هو محض خيري يا استاذ ؟ » ثم اسر الى السبب الحقيقي في رفض الطلب : « قد جاءتني كتب من مصر يحذرنني اصحابها من هذه البعثة الخيرية . اكدوا استاذ انها ليست محض خيرية . ان لها صبغة سياسية ، وان لم تظهر للعيان . وانت تعلم موقف مصر السياسي تجاه الحجاز في السنين الاخيرة . فهل الام ، والبلاد في حرب ، اذا

تحذرت ؟ وهل كنت انت تتساهل في الامر لو كنت من المسؤولين في الحكومة ؟ » .

سمعت كلام الملك ولكني لم اقتنع . وحزنت لاني لم استطع ان اقنع جلالته بما اعتقده في تجرد البعثة عن السياسة . وهب ان ما جاء الملك عليا من المعلومات هو محقق كله افما كان في وسعه وهو المعروف بكرم الاخلاق ، المتصف بالشهامة ، ان يحسن معاملة اعضاء البعثة فيستميلهم اليه ؟ لم ار مرة في مجلسه احدا من الاطباء المصريين . وما علمت انه مرة دعا رئيسها للطعام مثلا في القصر .

نعم قد كان في امكانه ان يكتسب ثقة رجالها ويستخدمهم ، اذا فرضنا ان ذلك ممكن ، لفرضه . قد كان في امكانه ان يصلح من هذا القبيل ما افسده والده ، فيفتنم الفرصة التي سنحت للبعثة بها ليعقد حبل الولاة بينه وبين مصر ، وليفتح بابا جديدا للسلم بينه وبين ابن سعود .

عدت من القصر يائسا . ولكني مع ذلك كتبت الى السلطان عبد العزيز كتابا آخر اقول فيه اني لا ازال في جدة ولعل في بقائي ، نظرا لتطور الامور ، فائدة لعظمته ، فجاءني منه الجواب الذي فيه فصل الخطاب .

ثم ختمه في صباح اليوم التالي بقنبلة انفجرت في الشارع امام البيت الذي كنت مقيما فيه . وتلتها قنبلة انفجرت خارج السور ، في مخيم الهلال الاحمر ! ان الحرب قائمة ، وهذه قنابلها تنذر رسل السلام ورسل الرحمة معا ! ..

الفصل الخمسون

المناجزات والمكالمات

قبل ان نسرد المهم من حوادث هذه السنة ، سنة الحصار ، اي بعد ظهور الاخوان للمرة الاولى في سهل جدة الى يوم التسليم ، يجب ان نحيط القارئ علما بقوات الفريقين وبخططهما الحربية .

عندما بويح الامير علي بالملك ، بعد تنازل الملك حسين ، ارسلت الحكومة الهاشمية الى الامير عبد الله في عمان اربعين الف ذهابا ليبدلها في التجنيد ، وفي شراء العدد الحربية من اوروبا ، خصوصا الطائرات والسيارات المصفحة .

بأمر الامير التجنيد بمساعدة بعض الزعماء
بفلسطين ، فجاءت فرقة المتطوعين الاولى في
ربيع الاول من هذا العام ، كما اسلفنا القول ، وتلتها فرق اخرى حتى
بلغ الجند النظامي نحو الف جندي يوم كنت هناك . ثم جاء في شهر
رجب فرقة عددها مئتان وثلاثون رجلا . وفي رمضان فرقة اخرى
عددها خمسمئة .

ولكن هذا الجيش كان معرضا لعاملين مستثمرين في تنقيص
عدده المالاريا والذنتاريا ، ثم الوفيات والاصابات في
المناجزات . والذي يقال في النظام يصح في البدو وعددهم في اعلى
درجة لم يتجاوز الالف والخمسمئة مقاتل .

اما المال فلم يكن للحكومة ، بعد ان نفذت خزينتها ، غير
مصدر واحد هو الحسين في العقبة . فقد جاءت « الرقمتين » في
شهر رجب تحمل صندوقين فيها خمسة عشر الف ذهابا ، وجاءت
في رمضان بخمسة آلاف اخرى ، ثم في شوال ابهرت الباخرة
« رضوى » من العقبة وهي تحمل لمساعدة الجيش عشرين
الفا من الذهب . وفي هذه الاثناء فرضت الحكومة على

التجار قرضا قيمته اثنا عشر الف ليرة .

ثم نقل الحسين من العقبة — بعد عن جدة والبعد جفاء — فلم يرسل بعد ذلك غير دفعة واحدة صغيرة اي خمسة آلاف ليرة . فآخذ العسر المالي منذ ذاك الحين يشتد يوما فيوما ، حتى اضطر الملك علي في صيف هذا العام ان يرهن املاكه الخاصة في مصر لقاء قرض قيمته خمسة عشر الف جنيه .

ومع ان مجموع ما صرف في سنة واحدة من الحرب لا يتجاوز المئتي الف ليرة ، فلولا الاسراف — والاختلاس — في شراء العدد الحربية والذخيرة لكان العجز المالي اخف على الملك وحكومته . لا نذكر غير مثل واحد من الفحش في ارباح الوكلاء والسماسرة . فقد دفعت الحكومة سبعة آلاف ليرة انكليزية ثمن ثلاث طائرات قديمة جاءت من لندن ، وهي لا تساوي بالاكثر غير الف وخمسمئة ليرة . قبل ان جاءت هذه الطائرات كان عند الحكومة الهاشمية خمس ايطاليات لا يصلح منها للعمل غير واحدة . ثم جاءها من المانيا في الصيف ست طائرات جديدة تحمل الواحدة من البنزين ما يكفيها لتطير ست ساعات ، وهي مجهزة بالمدافع الرشاشة ، ومعها قنابلها الخاصة بها .

اما الطيارون فقد كانوا في اول الحرب روسيين من الحزب القيصري ، وكانوا في آخرها من الالمان . ولكن فترة تخللت مجيء هؤلاء وذهاب اولئك فتوقفت فيها حركة الطيران . وهناك اسباب اخرى لما كان في هذا السلاح الحربي من النقص وعدم الكفاية . فالطيار الاجنبي حريص على حياته فلا يطير واطئا ليصيب اذا رمى ، او ليرى اذا طار مستكشفا . ولم يكن لدى القيادة العامة في بادئ الامر قنابل خاصة ، فاصطنعت من القذائف ما لا تأثير كبير له ، اللهم اذا انفجرت طبق الحساب ، ولكن اكثرها كان ينفجر قبل او بعد

الوقت المعين . ناهيك بالبنزين فلم يكن لدى الحكومة دائما الكمية الكافية منه . وقصة المصفحات شبيهة بقصة الطائرات من وجهين هما غلاء الثمن وقلّة الفائدة . فالسيارات الخمس الاولى ، التي خاضت معارك الحرب العظمى ، جاءت وصفائحها مفككة ، فظل العمال في « الورشة » يشتغلون شهرا في تأليفها وتركيبها . وهي لا تسير غير ساعتين سيرا متواصلا فتحتاج اذ ذاك الى الماء . اما الاثنان اللتان جاءتا بعدئذ فجدیدتان ، ومجهزتان بالرشاشات . وقد كانت القيادة تبني عليهما امالها العالية .

ولكن السيارات التي افادت اكثر من سواها هي تلك النقالة من صنع « فورد » فكانت تنقل الذخيرة من المدينة الى القشلة والى الخط ، وتنقل الجنود المصابين بالمalaria والذرناتريا ، وبعدئذ الجرحى من الخط الى المستشفى في المدينة .

اما المدفعية فكان في الاستحكامات ، يوم كنت في جدة ، اثنا عشر مدفعا صغيرا وكبيرا ، وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل . ثم جاء من ينبع ومن العقبة مدافع اخرى صحراوية وجبلية واثنا عشر رشاشا ، وجاء من المانييا مع المصفحتين عشر رشاشات والـف وخمسمئة بندقية مع حرابها ، فاصبح على الخط نحو عشرين مدفعا واكثر من ثلاثين رشاشا .

وقد كان لدى الجيش الهاشمي القنابل الكشافة التي تنير المكان الذي تنفجر فيه ، كما انه استخدم الانوار الكشافة لكشف حركات العدو في الليل . اصف الى ذلك كله ما وضع عند ابواب خط الدفاع امام الاسلاك الشائكة من الالغام ، ثم الاسلاك نفسها .

وقد مدت هذه الاسلاك على عمد من خشب طولها متر واحد في خط مفرد من البحر شمالا الى الكندرة شرقا بجنوب ، ومنها جنوبا ثم

غربا بجنوب الى البحر ، فبلغ طوله في هذا الشكل ، شكل الهلال ، نحو ستة اميال . ثم حفرت وراء اسلاك الخنادق ، و اقيمت الاستحكامات وبين الخنادق ووراءها ربي ومكان استخدمت للكشف والدفاع . وقد قسم هذا الخط الى مراكز ستة ، مرتبطة كلها بواسطة الهاتف بالقيادة العامة في القشلة . وهذه المراكز هي ابو بصيلة ، والشرفية ، والكندرة ، والمشاط ، والعقم ، والطابية اليمانية . فالطابية هي جناح الجيش الايمن وابو بصيلة جناحه الايسر .

وهناك خارج الخط النزلة اليمانية ، وهي قرية مهجورة على مسافة ميلين من جدة الى الشرق الجنوبي ، وفيها حامية من البدو صغيرة ، مئة جندي لا غير . ونزلة بني مالك على مسافة ميلين من جدة الى الشمال الشرقي ، وفيها حامية اخرى صغيرة من البدو ، ثم الرويس وهي اقرب القرى الى جدة من الشمال .

هذه هي قوات الجيش الهاشمي وعدده في الدفاع . اما عدد الجيش النجدي فقد كانت محصورة بالمدفعية والبنادق والرشاشات . ان في القصر بالرياض مدافع كثيرة من انواع مختلفة ، ولكن السلطان عبد العزيز لم يأمر بجلب شيء منها الى الحجاز . اما المدافع التي استخدمها في هذه الحرب فقد غنم جيشه بعضها في الطائف والهدى ، ووجد اكثرها في مكة ، وكلها صالحة للعمل . وهي من المدافع الصحراوية والجبلية من عيار ٦ و ٧ ، وعددها لا يقل عن العشرين مدفعا ، كانت تظهر تدريجيا ، او بقدر ما يمكن الاستعمال منها في وقت واحد . وكان لدى الجيش النجدي رشاشات كثيرة وكمية وافرة من الذخيرة وجدوا اكثرها في قلعة جياذ بمكة .

اما الجنود فقد كانت القوة في المعسكر يوم الزحف الاول اربعة الاف ، والقوة الزاحفة مثلها ، وفيها من الاخوان الفطط ، واهل

ساجر ، واهل دخنة ، وقحطان ، والداهنة ، وركبة ، وغيرهم وفيها من الحضر الوية من اهل القصيم ، واهل العارض .

ثم جاء في رمضان فيصل الدويش امير الارطاوية بجيش من مطير ، وتلاه اهل سبيع والسهول . وبعد هؤلاء وصل الامير فيصل عائدا من نجد بنجدة كبيرة فبلغ عدد الجيش في الجبهة ووراءها نحو عشرة الاف . اصف الى ذلك الجنود الذين كانوا محاصرين المدينة والسراي التي كانت مرابطة حول ينبع والوجه والعلاء ، فيدنو مجموع الجيوش النجدية في الحجاز من الاثني عشر الف مقاتل . وقد كان توزيع الجيوش في جبهة جدة على الشكل الاتي :
عسكرت فرقة الغطف في الجناح الايمن (جناح الحجاز الايسر)
واهل دخنة في الجناح الايسر (جناح الحجاز الايمن) ، واهل ساجر في جبهة معاونة للجناح الايسر . وعسكر في القلب لواء قحطان من الهياثيم ، ووراء هؤلاء كلهم سرية من الخيالة . ثم التحق بهم الجيش الذي كان في اليمن من اهل الداينة وركبه ، فاصبح في الجبهة نحو اربعة الاف مقاتل .

مشى هذا الجيش من مكة ومعه الاوامر بان يحيط بجده ويهاجم خط الدفاع فيناوش الجنود هناك . اما الهجوم بقصد اختراق الخط والدخول الى المدينة فلم يكن ليقدّم عليه بدون اذن من القيادة العليا . مشى بموجب اوامره ، فاحتل في اواخر جمادي الثانية النزلة اليمانية ونزلة بني مالك ، والرويس . ولكن الاخوان الذين احتلوا النزلة اليمانية اخلوها مرتين بعد وقعات مع جنود الحجاز ، ثم عادوا فاستولوا عليها . وبعد ان خربت — ضربها تحسّين باشا بالمدافع وحرّق الاخوان قسما منها — اخلاها الفريقان .

على ان الاخوان ظلوا مرابطين في الجبهة الجنوبية امام الجناح الايمن من خط الدفاع ، وقد اصطدموا مرارا بمفرزات من الجيش

حصنوها باكياس من الرمل ، فصاروا يحاربون الجنود النظامية بالرشاشات والبنادق معا . هي اول مرة على ما نعلم حارب الاخوان بطريقة منظمة حرب الخنادق . وكانت قد بدأت في آخر جمادى الثانية حرب المدفعية ايضا ، فلم يتفرد فريق من الفريقين بالمفاجآت .

ولكن الحكومة الهاشمية في هذا الشهر خسرت في ما سیرت للدهشة والارهاب خسارة تعد في البلاد العربية جسيمة . ففي اصيل اليوم الثالث والعشرين من جمادى الثانية طارت الطائرة التي كان يسوقها الطيار الروسي « تشاريكوف » وفيها المراقب الضابط اللاذقي ، والكاتب عمر شاكر الذي دخل الى المطار خلسة ، كما قالت القيادة العامة ، فحشر نفسه مع الضابط السوري في مجلس واحد . وقد نزا بشاكر قلبه الى ضرب الاخوان من عل ولو بقنبلة واحدة . فعندما دنوا من المعسكر في الرغامة انفجرت القنبلة في الطائرة وهي تعلو نحو الفي قدم عن الارض فتحطمت في الجو . وقد شاهدناها من القشلة تطيح ومن فيها بين يدي الموت والفناء . ذهب هؤلاء الثلاثة ضحية الاهمال في تنفيذ الاوامر العسكرية . وكان تشاريكوف الطيار الروسي الثاني الذي مات هذه الميته الفظيعة في الحجاز . اما الاول فهو الذي طار الى الطائف عندما دخلها الاخوان فسقطت طائرته بينهم ، فكانت خاتمة الوجود له ولها محزنة مرعبة .

لنعد الى حرب الاخوان . الذين كانوا يهجمون غالبا في الليالي المظلمة . وذلك لفرضين : ليلقوا في قلوب الاهالي الرعب والذعر فينهضوا على الحكومة ، او يهاجروا ، وليحملوا الجنود على الاسراف بالذخيرة . وقد نجحوا في هذه الخطة بعض النجاح . على انهم كانوا يهجمون غالبا هجمات هوجاء ، مستبسلين مستشهدين ، فلم تصرف عبثا في كل حال ذخيرة الجنود الهاشمية . وقد كانوا يقربون جدا من الخط . حتى ان رصاص بنادقهم وقع قرب قصر الملك ،

وحتى انهم قطعوا بعض الاسلاك واخذوها الى المعسكر العام .

اما الاهالي فقد كان الرعب في تلك الليالي سميرهم ، والذعر جليسههم ، لانهم جهلوا القصد الحقيقي من الاغارات ، فظنوا ان الاخوان يحاولون اختراق الخط ، لذلك كانوا يسمرون كل ليلة ليلاء على انغام الرشاشات والبنادق وهم يقولون : الليلة يدخلون البلد .

على انهم كانوا يشاهدون لأول مرة اشياء جديدة في الحرب البدوية الفنية معا ، خصوصا عندما كانت المدافع تطلق على العدو القنابل الكثافة فتتير في سهل جدة ظلمات تبدو هنيهة كالاقمار المكسرة . عدا الانوار الكثافة التي كانت ترسل في ذاك السهل اسهما بيضاء من اشعتها ، فيهتدي بها الاخوان الى طريقهم — الى الابواب في الاسلاك الشائكة ، والى الالغام ! — والى الواقفين في الخنادق هناك كنت تسمعهم ينادون : « يا اخوانا يا اهل الشام ، ويا شهر ، ويا حرب ، ويا عقيلات ، اخرجوا من الخط وائتم في وجه الله ووجه ابن سعود . لا تخافوا . والله ما نريد لكم غير الخير تعالوا الينا ونحن اخوانكم والله بالله ! »

ولكن كثيرين من اولئك الجنود كانوا يحاربون عملا باعتقادهم ان النهضة العربية لا تقوم الا بالبيت الهاشمي . اما الآخرون الذين اصطيدوا في عمان والعقبة ، والذين جاؤوا جدة مرتزقين ، فقد كانوا بين نارين ، ولم يكن لهم يومئذ ان يختاروا اصغر الشرين .

والى القارىء ، اتماما لصورة الحوادث في تلك الايام والليالي ، امثلة نقتطفها من التقارير الرسمية :

« تعرضت قوة من البدو على جناحنا الايسر في الساعة الخامسة (افرنجية) من الليل فأصلتها مدافعنا ورشاشاتنا نارا شديدة ، فانهزمت من حيث انت تاركة عددا من القتلى » .

« بدأت مدافع العدو ساعة الفجر بالرمي المعتاد فقابلتها مدافعنا قدر ساعتين واسكتتها » .

.....

« طارت الطائرة الساعة ١ صباحا لضرب معسكرات العدو وموضع مدافعه ، فألقت اربع قنابل وعادت » .

.....

وهاك امثلة من تقارير القيادة النجدية :

« في هذه الليلة سرت طائفة من جندنا الى حدود العدو ، فاطلقت عليه النار فظن ان الاخوان يهاجمون على طول الجبهة ، فاخذ يوالي اطلاق المدافع والرشاشات والبنادق من جميع المراكز واستمر كذلك ثلاث ساعات دون ان يصيب احدا من المهاجمين » .

.....

« اخرجت القيادة الهاشمية مفرزة لكشف مراكز الاخوان فخرجوا من مكانهم اليها ، واعملوا فيها النار ، فسقط منها سبعة قتلى وفر الباقون » .

.....

كذلك في شهري رجب وشعبان كانت الليالي المظلمة بين المتحاربين . اما في النهار فقد استعرت بينهما حرب المدفعية التي استغوت في بادئ امرها اهل جدة فكانوا يسارعون الى خارج السور ليشاهدوا قنابلها تنفجر عند الاسلاك الاشائكة ، وفي اطراف السهل بظل الجبال .

هناك شرقي الكندرة ، وعلى طريق مكة ، نصبت المدافع السعودية في الاشهر الاولى من سنة الحصار . فكانت تصل قنابلها في البدء الى ما بين مئة ومئتي متر من الاسلاك ، ثم داخل الاسلاك وهي تنقل الى الامام بعد حفر الخنادق ، ثم عند سور المدينة ، ثم داخل السور ، فحرم اهل جدة اذ ذاك مشاهدة نارها ، ولكنهم لم يحرموا مفعولها . وقد كانت مسافة الرمي تتراوح بين الثلاثة والاربعة اميال .

حلقت القنابل فوق خط الدفاع فتساقطت في قلب البلد ، وقد اصيب مرتين بيت الوكالة البريطانية ، فاخترقت قنبلة جدار غرفة النوم وقنبلة دخلت مكتب الوكيل . وقد اصيب ايضا بيت وكالة السوفييت فتكسر العلم فوق السطح . واستمرت تتقدم في تقدم المدفعية حتى وصلت الى الطرف الغربي من المدينة اي شاطئ البحر ، فاصابت القنصلية الافرنسية وتفجرت في مخيم الهلال الاحمر !

عندما اصيبت الوكالة البريطانية والوكالة الروسية ، عقد القناصل مجلسا للبحث في المسألة فقرروا ان يظلوا رغم هذه الحال على الحياد . وقد ابرق رئيس الهلال الاحمر الى الجمعية المركزية في القاهرة يستأذن بالرحيل ، فلم تأذن الجمعية بذلك .

كان الضرب يبدأ صباحا فيصلي الفريقان الفجر ويتبادلان بالقنابل السلام ساعتين او ثلاثة ساعات ، ثم يستأنف العمل بعد الظهر فيستمر حتى غروب الشمس ، فيوكل اذا ذاك كبير المخربين بالوداع . وهذه قنبلة من « الاوبوس » يا اخوان ! — وهذه من عيار ٢٢ يا ايها الشوام ! .

عندما اشتدت هذه الحرب المدفعية في شهر رجب وشعبان ، نصب النجديون مدفعا في الرويس ، فصارت قنابلهم تقع في الجهة البحرية من المدينة وفي قلبها ، فجرح وقتل عدد من الناس ، واستولى العرب على الاهالي فشد كثيرون منهم للرحيل . بدأت الهجرة الى سواكن ومصوع وعدن في المراكب التجارية ، ثم طفق الناس يرحلون في السنابيك الى الليث ، ومنها يرجعون الى مكة . وكانت الحكومة راضية بهذه الهجرة لما فيها من التوفير بالماء والزاد للجنود .

على ان تلك الحرب المدفعية التي كان يتفرج اهل جدة عليها ثم صاروا يفرون منها ، وتلك المناوشات في ظلمات الليالي ، لم

تكن غير مقدمات الموقعة الكبيرة التي يجب ان تدعى بوقعة المصفحات وهي المرة الاولى والاخيرة التي برز فيها في رابعة النهار القسم الاكبر من الجيش الحجازي لمنازلة الاخوان .

في ضحى اليوم الثامن عشر من شعبان (١٤ اذار ١٩٢٥) شرع الخط يطلق مدافعه الكبيرة والصغيرة على الرويس ، وبعد نصف ساعة من هذا الضرب الشديد المتواصل خرجت خمس مصفحات من بوابة الكندرة فسارت ثلاثة منها تجاه نزلة بني مالك واثنان تجاه الرويس . ثم مشى من مركزي الكندرة وابي بصيلة نحو الف من جنود النظام والبدو مقسومين الى ثلاثة اقسام ، تتبعهم سرية من الخيالة .

اما الاخوان فقد كانت فرقة من اهل دخنة في الرويس ، وفرقة اخرى من بني مالك . وكان اهل العارض والغطف في الخط الثاني ، كما انه كان من الفريقين في الجبهة الامامية اي في الخنادق ، وعدد الجميع لم يتجاوز يومذاك الالفين . عندما خرجت المصفحات تقدمت القوة الاحتياطية النجدية نحو مراكز الجيش المربط ، ولكنهم لم يباشروا الرمي لاهم ولا المخندقون حتى خرجت العساكر الهاشمية كلها الى السهل وكادت المصفحات تصل الى النزلة ، فدارت عندئذ رحى الحرب في الناحيتين ، تجاه الرويس وتجاه بني مالك ، ودوت البنادق والرشاشات .

اما المصفحات فقد كان من مهمتها ان تمنع وصول المدد الى الجبهة الامامية فسارت شرقا بشمال ، تاركة النزلة الى يسارها لتصد اهل الغطف والعارض عن الهجوم ، فاشتبكت واياهم في قتال عنيف ، ولكنها لم تتمكن من صددهم ، وقد رأى من شاهدوا المعركة من جدة كيف كان الاخوان يصارعون هذه المصفحات مستشهدين « فيدورون حولها وهم يطلقون البنادق عليها وعلى من فيها ، وهي ترش الرصاص من رشاشاتها في كل جانب . حتى ان

عبدا من العتارييس دنا من احداها . بعد ان جال حولها كأنها فارس من الفرسان ، فتمسك بها وصعد الى سطحها وهو يطلق مسدسه ، فأصيب وهو هناك برصاصة ، فهوى الى الارض صريعا .

ظل الاخوان يعاركون هذه المصفحات حتى ابطلت الرشاشات فصار الجنود داخلها يطلقون الرصاص من مسدساتهم . وقد أصيب بعضهم برصاص العدو الذي كان يدخل من الكوى ، وجرح جراحا بليغة اثنان من السائقين الروس . تراجعت المصفحات ، وقد تمزقت وتكسرت جوانب بعضها ، وسارع اهل الغطفط والعارض الى نجدة اخوانهم ، فحاضوا معركة دامت ساعتين في اشد حالاتها ، ثم ساعتين في قتال متقطع ، حتى انتهت ، الساعة الثالثة بعد الظهر ، في رجوع الجنود الحجازية والمصفحات الى داخل الاسلاك ، ورجوع الاخوان الى مراكزهم . اما من بقي في ساحة القتال ، وهم القتلى ، فلا يقل عددهم عن الثلاثمئة .

جاء في التقرير الحجازي الرسمي : « خسر العدو بين قتيل وجريح اكثر من مئتين ، وخسر جيشنا خمسة عشر قتيلا واصيب منه خمسون » .

وجاء في التقرير النجدي الرسمي : « قد تحقق ان خسارة العدو كانت في الاقل ثلاثمئة وعشرين قتيلا ، بدليل بنادقهم التي غنمها رجال جيشنا واحضروها الى المعسكر العام . اما خسائرنا فقد كانت خمسة قتلى وخمسة جرحى فقط » .

ومما لا ريب فيه ان قد قتل في معركة المصفحات لا اقل من ثلاثمئة من العرب ! ومن المحقق ايضا ان المصفحات لم تنجح في مهمتها الاولى وهي قطع الطريق على المدد ، ولا كانت في مهمتها الثانية اشد فعلا من الجيش المهاجم . فقد شغلها رجال الغطفط والعارض حتى نفذ الماء والذخيرة فيها ، فرجعت اذا ذاك ادراجها .

أخفقت القيادة الهاشمية في هذا الهجوم العام . فقد كانت خططها ان تضرب الاخوان المرابطين امام جناحها الايسر فتقضي عليهم ، ثم تعود شرقا بجنوب ، وقد امنت مؤخرها ، فتزحف الى المعسكر في الرغامة ، فتستولي عليه ، وتستمر في خطة الهجوم ، فتمشي ظافرة الى مكة : سنعيد رمضان بمكة ! كانت كلمة الجيش الهاشمي في تلك الايام . وقد كتب احد ضباطه الى المؤلف ، قبيل هذه الواقعة ، يقول : « وغدا ندعوك لزيارتنا في الطائف » .

واذا فرضنا ان الاخوان امتنعوا عن اختراق الخط ومهاجمة المدينة لعجز موهوه بالاغارات والمناوشات ، فقد كان العجز اظهر في خطة الجيش الهاشمي بعد وقعة المصفحات .

وبعد هذه الواقعة خمدت في الجانبين نار الحرب . خف ضرب المدافع وقل الهجوم في الليل وكان في شهر رمضان شبه هدنة تبعها في شوال مناوشات في الليالي المظلمة . ومع انه كان قد شاع في جدة ان المعركة الفاصلة ستكون في شوال فقد ولى شوال والتقارير الرسمية تقول : « سكون تام على الخط » .

على ان القتال استؤنف في الشمال . فالقيادة النجدية ارسلت حملة الى ينبع لتأديب بعض عربان جهينة الذين اعتدوا على قوافل تحمل ارزاقا الى مكة . وكان ابن رفادة الشيخ ابراهيم ، كبير مشايخ جهينة ، قد خرج على الملك علي وعاهد ابن سعود على الطاعة والتوحيد ، فارسلت حكومة جدة الى قائمقام الوجه الشريف حامد ثلة من الجنود النظامية وبعض الرشاشات لتأديب ابن رفاده وجماعته . وكانت قد ارسلت الامير شاكرا الى ينبع ليحمل على الاخوان في بدر ويستردها .

اما في المدينة المنورة فقد كان صالح بن عدل معسكرا في الحناكية . وقد التحق بجيشه لواء جاء من جهة حائل . وكان قسم من هذا الجيش ، واكثره من الحضر بقيادة ابراهيم النشمي وكيل ابن عدل ، مرابطا حول المدينة ، وهو مأمور بان يحاصرها فقط ، وان لا يدخلها بدون امر من القيادة العليا .

اما وقد علمت ذلك فسنطلبك على بعض البرقيات التي كانت ترد الحكومة الهاشمية في تلك الايام :

« المدينة ٢١ ذي العقدة .

جلالة الملك المعظم . جهزنا عبدكم ولدنا مع عسكره وبعض من حرب على النشمي فكسروه واسروا اربعة انفار من جماعته . ابشركم بذلك سيدي . قائمقام المدينة : شحات »

« العلاء ٢٧ ذي العقدة .

جلالة الملك المعظم . صباح اليوم الجمعة هجمت على مداين صالح ثلاثة بيارق ودامت الحرب بينهم وبين العدو الى العصر والحمد لله انقلب خاسرا تاركا جرحاه وقتلاه مولاي . قائمقام العلاء »

« ينبع ٢٦ ذي القعدة .

جلالة الملك المعظم . احتلنا بدرا وغنمنا جميع ما فيها . انهزم احمد سالم (صاحب بدر) ومعه اربعون بعيرا محملة . الامضاء : شاكر »

ولكن السلطان عبد العزيز جهز في هذا الشهر حملة الى الشمال بقيادة ابن عمه سعود بن عبد العزيز المعروف بسعود العرافة والامير خالد بن لؤي . فالتقت هذه الحملة في طريقها من رابغ باحمد بن سالم ، فقص على القيادة قصته ، فحوقل خالد وامر سالما بالرجوع . فمشى مع الحملة التي استمرت في طريقها الى بدر ، وبعد ان ضربتها واشتبكت في وقعة مع المدافعين ، رجال الامير شاكر فيها ، كتب لها النصر واستولت عليها ثم اعادت احمد بن سالم الى مركزه ، ومشت الى ينبع النخل فمعسكرت هناك تنتظر

الاورامر الجديدة من القيادة العليا . وكانت قد ارسلت تلك القيادة فيصل الدويش ايضا الى الشمال فاحتل بجيشه العوالي ، حول المدينة ، بدون مقاومة .

اذن قد كانت الحالة في الشمال في آخر هذا العام ، عام ١٣٤٣ ، حالة حصار يتخللها شيء من القتال . فكان الاخوان مرابطين حول الوجه وينبع ، وكان جيش من الحضر محاصرا المدينة ، وكان سعود العرافة وخالد بن لؤي معسكرين في ينبع النخل ، وفيصل الدويش في العوالي وصالح بن عدل في الحناكية . والغرض الاكبر من هذه التعبئة هو الضغط على اهل المدينة ليحملوا اولياء الامر فيها على التسليم . ذلك لان القيادة العليا فضلت الحصار على القتال ، ولم تكن الجيوش هناك مسلحة بغير البنادق .

اما حكومة الملك علي فقد استبشرت بهذه الحال في الشمال ، وعزت سكون الجنود النجدية الى العجز . ومما اثبت ظنها وزادها املا بالفوز ، رغم ما كانت فيه من العسر ، هو ان السلطان عبد العزيز امر جنوده بالانسحاب من جبهة جدة ليتمكنوا من الحج . فلم يبق هناك غير قوة صغيرة من الخيالة والهجانة لتشرف على الرغامة .

كان اهتمام السلطان بالحج في ذينيك الشهرين اكثر من اهتمامه بالحرب . بل كان قد بدأ منذ ثلاثة اشهر يمهّد للحج السبل ، فارسل في غرة شعبان نداء «الى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها» يخبرهم بان النظام قد ساد في البلدة المقدسة ، واستتب الامن فيها . وانه يرحب بحجاج بيت الله الحرام من المسلمين كافة في موسم هذه السنة ، ويتكفل بتأمين راحتهم ، والمحافظة على جميع حقوقهم ، وبتسهيل سفرهم الى مكة المكرمة من احد الموانئ الثلاثة اي رابغ والليث والقنفذة . وقد كانت تجيء هذه الموانئ كل خمسة عشر

يوما بواخر هندية وخطوية وايطالية ، تجيئها من عدن ومصوع والسويس ، حاملات الارزاق . لم تتمكن الحكومة الهاشمية التي ضربت في اول الحرب نطاقا بحريا من القنفذه الى رابغ ، وحاولت تنفيذه بواسطة الباخرة المسلحة « الطويل » ، ان تصدر الا قليلا مما كان يصل من هذه الثغور الى مكة . وما كانت دائما موفقة حتى بذاك القليل .

فقد صادرت « الطويل » مرة خمسة سنابيك ايطالية مشحونة من مصوع الى الليث وجاءت بها الى جدة . ولكن الحكومة الايطالية احتجت بواسطة قنصلها السنيور فارس على هذا العمل ، وانذرت الحكومة الهاشمية بانها تسحب قنصلها من جدة ، وتتخذ الطرق القانونية لحفظ حقوقها ، اذا كانت لا تعيد كل ما صادرته من السنابيك الرافعة العلم الايطالي . فعقد الوزراء مجلسا للنظر في الامر ، وقرروا بعد البحث ان يجيبوا طلب الحكومة الايطالية .

عد هذا الحادث نصرا سياسيا لابن سعود . كما ان مجيء ثلاثة آلاف من حجاج الهند ، ورجوعهم بعد الحج سالمين عن طريق رابغ هو نصر سياسي آخر . وهناك حادث ثالث ، حدث في ذلك الصيف ، لا يقل اهمية من الوجة السياسية عن الحادثين الاولين ، الا وهو نقل الملك الحسين من العقبة الى قبرص . وقد يكون اهم الحوادث لما كان فيه من الفائدة لابن سعود ، لانه اقصى عن الملك علي ذاك المورد الذي كان عليه يتكل كل الاتكال . اجل ، فقد اشتدت الازمة المالية في حكومة جدة بعد سفر الحسين الى قبرص . وهناك خسارة اكبر للحجاز كانت تتعلق بسفر الحسين ، وكان الامير عبد الله يسعى لها . فهو الذي اقنع اخاه وحكومة اخيه بان يسلموا بضم العقبة ومعان الى شرقي الاردن وقد ضرب الامير يومئذ على الوتر الحساس اذ قال في احدي مذكراته الى جلالة اخيه ما معناه :

سلموا بضم العقبة ومعان وانا اضمن لكم من الانكليز ما يأتي ، اي ثلاثمئة الف ليرة تعويض الضم ، ومئتا الف ليرة ثمن الاملاك غير المنقولة ، وقرض قيمته خمسمئة الف ليرة يعقد حالا . ثم ابعاد ابن سعود عن الحجاز حتى تربة والخرمة ، وجعل الخط الحجازي رهن اشارتكم في كل وقت .

اية حكومة في موقف تلك الحكومة الهاشمية لا تقبل ببيع قطعة من املاكها بهذا الثمن ؟ واي ملك في مركز الملك علي لا تغره تلك الارقام ؟ ولكنها ارقام ، في كتاب الاحلام .

لم تنحصر انتصارات ابن سعود في اواخر تلك السنة وطلائع سنة ١٣٤٤ بالحوادث الثلاثة التي تقدم ذكرها . فقد فتح ابوابه للوفود ، وبدت منه رغبة في المكالمات لغرض من الاغراض الحربية والسياسية التي يجهلها الناس ايام الحرب ، ولا يقيمون لها وزنا بعدها . على ان عظمة السلطان كان المجيب لا الطالب . واول من استأذن في رمضان بزيارة الحرم والحج بالعمرة ، وطى القصد الديني قصد حسن آخر ، هم القناصل المسلمون في جدة ، اي عبد الكريم حكيموف معتمد حكومة السوفييات ، ورادين براويرا نائب قنصل هولانده ، واحمد افندي لاري وكيل قنصل ايران ، فاذن السلطان ودعاهم بعد زيارتهم الحرم لزيارته في مقره بالوزيرية .

وبينما كانوا هناك يتكالمون بالصلح هجم الاخوان في الليل كالعبادة على جناح خط الدفاع الايسر ، من البحر الى الكندرة ، هجمة هوجاء ، واستمرت البنادق والرشاشات تدوي دويا متقطعا حتى الفجر . وما معنى زيارة القناصل ؟ ان ابن سعود سر من اسرار السلم والحرب يعجز عن كشفه الانس والجن !

القناصل : « اننا نتكلم مع عظمتكم في هذه المسألة بصفتنا

الشخصية ، لا بلسان حكوماتنا ، لاننا شرقيون يهمننا الاصلاح والاتفاق بين الشرقيين » .

السلطان : « كأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غايتنا ومرامنا . فما دام الشريف علي في جدة فلا سبيل الى الصلح . اما اذا اخلاها وترك المسألة للعالم الاسلامي ، فنحن نقبل بما يقرره بشأن الحجاز » ثم سئل عظمته اذا كان يأذن بقدوم وزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب للبحث في المسألة ، فاجاب يرحب بمن اراد القدوم اليه سواء اكان الشيخ فؤاد ام غيره .

وعند رجوع القناصل المسلمين الى جدة كتب وزير الخارجية الى عظمة السلطان يقول ان بعض الاصحاب انبأه : « بما حقق الامل المعقود » ويطلب منه تعيين يوم للمقابلة . فاجاب عظمته بالاجاب على شرط ان يكون سعادة الوزير مفوضا ليوافق على ما يملي عليه من الشروط . « ثقلت وطأتها ام خفت » . فرد الشيخ يقول ان المأمول من قدومه « اولا — شرف التعرف الى شخصكم الجيل المعظم . ثانيا — التمهيد ليجاد جو صالح تسود فيه الطمأنينة المنشودة ليكون محور الاعمال في ما يحسن التفاهم عليه » . فقال عظمته في كتابه الاخير : « اكون مسرورا بمواجهتكم » .

نظن ان الشيخ فؤاد شعر بمثل هذا السرور بالرغم عن عقم تلك المحادثة في المخيم السلطاني بالوزيرية ، تلك المحادثة التي تحولت الى استنطاق من قبل السلطان ضاقت فيه لدى الوزير الشاعر حيل السياسة كلها .

— « ومن هو الضامن لهذه التعهدات ؟ »

— « انت الضامن » .

— « وكيف يكون ذلك ؟ انت تقبل بالشروط وانا اضمن التنفيذ »

الشيخ فؤاد : « اطلب الضامن الذي تريده ونحن نقدمه لك » .

السلطان : « لا اعلم ضامنا له سلطة واثق به يتكفل بما اطلب .

فالدول كلها على الحياد ، ولا تقبل تدخلها في الاماكن المقدسة كما ترى » .

تحول الحديث بعدئذ الى مواضيع اجتماعية وادبية ، فكان الشيخ فؤاد فيها لامعا باهرا . ثم عاد من الوزيرية راكبا بغلته ، حاملا مظلته ، والقناصل والحكومة والجنود في جدة يتساءلون : ماذا عسى ان يكون تحت تلك المظلة من الامل ؟ لم يكن تحتها غير شاعر ابهر في احاديثه الادبية في المخيم السلطاني ، وغلب في المكالمات السياسية .

عندما سافر القناصل المسلمون للحج بالعمرة قلق زملاؤهم المسيحيون ، فارسل الوكيل الانكليزي كاتبه الهندي المسلم منشيء احسان الله الى مكة لمهام تختص بالحجاج الهنود ، فاقام هناك اسبوعا ، وعرج في رجوعه على المقر العالي بالوزيرية ، فنزل ضيفا على السلطان . اما المكالمة فقد كانت ولا تزال سرية .

بيد انه كان معلوما ان الحكومة البريطانية كانت تفكر يومئذ في احتلال العقبة ومعان ، وان ابن سعود كان يفكر في ارسال حملة الى تلك الناحية لخراج الحسين منها .

— نحن ننقل الحسين من العقبة ولا نكلفك مؤونة الحملة عليه

— الحملة ماشية فعليكم ان تعجلوا .

وفي الحقيقة كانت الحملة قد مشت من حائل ، فامر عظمته قائدها بان يتوقف عن الزحف .

وقد تلت المكالمات بالوزيرية محادثات اخرى في مكة ، وكتب في لائحة المتوسطين الطويلة اسم كبير من حكام العرب . اجل ، قد جاء من صنعاء اليمن ، من حضرة الامام يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله ، بواسطة قنصل ايطاليا بجدة ، برقيتان الواحدة الى الملك علي والثانية الى السلطان عبد العزيز ، يطلب منهما ايقاف القتال ، واحترام الاراضي المقدسة ، وقبوله حكما بينهما . فجاوب الملك علي بالايجاب وارسل السلطان جوابا مآله اننا دعونا المسلمين لمؤتمر يبحث في امر الحجاز فنرجو ان يحضر مندوبكم معهم .

وفي الأشهر الثلاث الأولى من هذا العام جاء السلطان عبد العزيز ثلاثة وفود من المسلمين والمسيحيين ، ما عدا الوفدين اللذين جاءا مع الحجاج من الهند . أما الوفد الأول فقد جاء من مصر ، من قبل الملك فؤاد ، للتحقيق في ما شاع من اخبار المدينة والطائف ، وللتوسط كما قيل في امر الصلح . كان هذا الوفد مؤلفا من الشيخ محمد مصطفى المراغي قاضي قضاة القطر المصري ومحمد بك عبد الوهاب كاتب سر الملك الخاص ، وكان ولا شك له غير ما ذكر من الاغراض . فان الخلافة كانت تثقل يومذاك بال الملك فؤاد ، وقلبه ، فاحب ان يستطلع في امرها رأي ابن سعود .

أما الوفد الإيراني الذي كان مؤلفا من سفير مصر وقنصل سوريا العام فقد كان غرضه ظاهرا وباطنا التحقيق في مسائل الطائف والمدينة . وبعد ان زار الوفد مكة ، وباحث السلطان عبد العزيز في ما انتدب له ، عاد السفير الى مصر وسافر القنصل حبيب الله خان عين الملك الى المدينة ليتم مهمته .

وقد جاء ايضا في هذا الشهر ، اي في ربيع الثاني الوفد الانكليزي ، او بالحري السر غلبرت كلايتن (١) وكاتب سره وترجمانه وتوفيق بك السويدي مستشاره العراقي ، فاجتمع بهم السلطان في بحرة . وهناك كان المؤتمر الذي استمر خمسة وعشرين يوما ، اي من ٩ ت ١ الى ٣ ت ٢ ، فعقدت اتفاقيتان سميت الأولى اتفاقية بحرة وهي بين العراق ونجد ، والثانية اتفاقية حداء ، وهي بين نجد وشرقي الاردن (٢) .

وعندما كان السلطان عبد العزيز في بحرة جاءه من المدينة المنورة

Sir Gilbert Clayton (١)

(٢) في الملحق نص هاتين الاتفاقيتين .

رسول اسمه مصطفى عبد العال يحمل كتابا من امير المدينة الشريف شحات يعرض فيه التسليم ، على شرط ان يؤمن الاهلون والموظفون على ارواحهم واموالهم ، ثم يسأل السلطان ان يرسل احد افراد العائلة السعودية لهذه الغاية .

عاد عظمتة الى مكة فجهز نجله الصغير الامير محمد الذي مشى بفرقة من الجند الى المدينة في ٢٣ ربيع الثاني . وعندما دنا من اسوارها عرض على الحكومة والاهالي ما كان قادما من اجله ، فأبّت قيادة الحامية التسليم لانها كانت تنتظر المدد من جدة ، وقد ابرقت في ٥ جمادي الاولى الى جلالة الملك تقول : « السذي يهمننا الارزاق للجند . وعدتمونا بارسال الدراهم المتيسرة بالطيارة . الى الان لم نر اثرا لها . دبروا وارسلوا لنا دراهم ولو ببيع احدى البواخر فتروا منا ما يسركم » .

وكان الامير الصغير محمد يشدد الحصار على المدينة بدون قتال ، عملا باوامر والده ، فابرقت القيادة في ١٣ من هذا الشهر الى جلالة الملك بجدة تقول : « انقضى الامر ، ولم يبق في اليد حيلة . الجنود ما عندهم ارزاق الا لثلاثة ايام . اذا لم تصل الطيارة غدا الظهر سنفاوض العدو . الامضاءات : عزت . عبد الله عمير . عبد المجيد حمد »

فجاء الجواب انه يستحيل ارسال الطيارة قبل عشرة ايام لعدم وجود بنزين . مرت الايام الثلاثة فنفتت مؤونة الحامية . ومع ذلك فقد صبر الجنود ثلاثة ايام آخر ، ثم في صباح الجمعة بعث القائد عزت ورئيس ديوان الامارة عبد الله كتابا الى الامير محمد بن عبد العزيز بن سعود يطلبان ملاقاته ، فارسل الامير خيالة لاستقبالهما . وقد فاضاه بالتسليم على شرط ان يعطي الجنود والضباط والاهالي الامان ، ويعلن العفو العام .

وفي صباح اليوم التالي ، اي يوم السبت الواقع في ١٩ جمادي الاولى (٥ كانون اول ١٩٢٥) سلمت المدينة بعد حصار دام عشرة اشهر .

الفصل الحادي والخمسون

الملك علي يرحل

قبل ان سقطت المدينة المنورة بشهرين كانت الحالة في جدة تزداد عسرا من كل الوجوه ، فضربت الفوضى اطنابها في الجند ، وعرا الحكومة الانحلال ، وعم الضنك والبؤس الاهالي . فلا مال ، ولا ذخيرة ، ولا زاد يكفي لحفظ شبه السيادة والقوة ان في الملكية او في الجندية . ولا مال في السوق ، ولا آمال تقوم مقامه . فقد كادت تنفذ الارزاق لان التجار في الخارج توقفوا عن التوريد . فخيبت المجاعة في اطراف المدينة بين مضارب البدو واعشاش التكارنة ، ومدت يدها الى القلب ، فامست على الاهالي اشد ويلا من الحرب .

وبما ان السلطان عبد العزيز كان قد اعلن في ربيع الاول العفو العام — كل من كان في خدمة الحسين او غيره هو في امان الله اذا اراد ان يرجع الى مكة — وبما ان الطريق انفتحت بين ام القرى وجدة بعد الحج ، اخذ يزداد عدد الفارين عن طريق الليث ورابع الى ام القرى ، وعدد القادمين منها . فكان هذا الاتصال بين المدينتين خير واسطة لتعجيل العمل الذي فيه الفرج .

واننا نعيد ما طالما قاله السلطان في مجالسه الحربية التي كان يحضرها امراء الجيش والعلماء : ثلاثة اخرته عن الهجوم ، وحملته على تفضيل الحصار على القتال ، وهي الحرص على جنوده وسمعتهم ، والمحافظة على الاجانب ، والفرصة المنتظرة . اصف الى ذلك ثقته بالنتيجة المرغوبة في ما اقدم عليه ، ثقته بولاء الفرصة المنتظرة .

وها قد دنت تلك الفرصة ودنا يومها . كيف لا وفي منتصف

جمادي الثانية بلغت الحالة في جدة اشدها، فنفذ المال، ونفذ الزاد، ونفر الجند، خصوصا الفرقة اليمانية، الى التمرد والعصيان. وكان السلطان عبد العزيز شأنه في مثل هذه الاحوال، متتبعا حوادث التطور متنبها لما فيها مما يمكنه الانتفاع به، فنشر في هذا الوقت بلاغا عنوانه « لبراءة الذمة » عرض فيه الامان على من في جدة من ضباط وجنود اذا هم احبوا الخروج الى معسكره، وعرض فوق ذلك المساعدة المالية على من احب منهم السفر الى وطنه. كان لهذا البلاغ التأثير السريع المطلوب، فسرحت القيادة الهاشمية عددا كبيرا من الجنود الفلسطينيين الذين سافروا في الباخرة « الطويل » الى العقبة.

لا مال ولا زاد، و « فرقة النصر » تنقص يوما فيوما. وها قد عاد الاخوان الى معسكرهم في الرغامة وفي سفح الجبال، عادوا بامر السلطان عبد العزيز، يقودهم اخوه الامير عبد الله وابنه الامير فيصل.

هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها. وهل يجيء هذا اليوم بالسلم ام بالهجوم العام؟ لم يكن بوسع احد ان يجيب على هذا السؤال غير واحد في القيادة العامة كلها، هو السلطان عبد العزيز. ومما بات في قيد اليقين انه كان مصمما على الهجوم ليخلص جدة من المجاعة والفوضى والخراب التي كانت تنذر الحالة بها.

اما الملك علي فقد كانت حواسه في اضطراب دائم، وكانت اعصابه في هياج مستمر مما كان يسمعه ويشاهده في قصره، وفي حكومته، وفي جنده، وفي بلده كل يوم، بل كل ساعة. فلم يرى مهربا والحالة هذه من ذاك العمل الاخير الذي فيه راحة باله، في الاقل، وصون صحته وشرفه.

هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها، بل قد دنت ليلتها فقد جاء الملك علي مساء الثلاثاء في ٢٩ جمادي الاولى الى دار الاعتماد

البريطانية يعرض على المعتمد ، حقنا للدماء ودفعا للعسر المستحوذ على البلد والاهالي . . . ثم ذكر جلالته شروط التسليم ، فابرق المعتمد الى حكومته في الحال يستأذنها بالتوسط .

وفي ظهر اليوم التالي الواقع في ٣٠ جمادي الثانية (١٦ ك ١) ركب السلطان عبد العزيز سيارته وخرج من مكة ، تتبعه الحاشية وفصيلة من الجند ، يقصد الى الرغامة . وقد بدت ، وهو في منتصف الطريق ، نتيجة الزيارة الملكية الى دار الاعتماد البريطانية في تلك الليلة ، بدت في سيارة قادمة من جدة ، التقى بها الموكب في بحرة وهي تنشر العلم البريطاني وفيها رجل يلوح بالعلم الابيض . وقفت سيارة السلطان ، ونزل الرجل من سيارته فاذا هو المنشىء احسان الله — وقد كان في تلك الساعة احسانا من الله يحمل من المعتمد بجدة الكتاب الآتي :

« جدة في ١٦ كانون اول ١٩٢٥ »

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود سلطان نجد .

بعد الاحترام . مراعاة للانسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية بالحجاز اكون مسرورا اذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتي في الرغامة غدا يوم الخميس قبل الظهر او بعد ذلك باسرع ما يمكن .

هذا وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام .

نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى

وكيل قنصل ، جوردن »

فامر عظمته عند وصوله الى الرغامة بكتابة الجواب الآتي :

« الرغامة في ٣٠ جمادي الاولى سنة ١٣٤٤ »

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى سعادة المعتمد البريطاني المستر جوردن المفخم .

تحية وسلاما . قد تناولت كتابكم المؤرخ في ١٦ ك ١ سنة ١٩٢٥ وفهمت ما تضمنه . وقد حضرنا لمقابلتكم في المحل الذي يخبركم به المنشىء احسان الله . هذا وتقبلوا فائق احترامي .

عاد احسان الله مسرعا الى جدة ، وفي الساعة العاشرة من صباح الخميس وصل المعتمد البريطاني الى مقر السلطان ، وقال بعد السلام ان الحكومة البريطانية لا تزال مقيمة على الحياد في قضية الحجاز . ولكنه بالنظر لما تجسم من حالة جدة ، وبالنظر لمعرفة ان عظمة السلطان يفضل السلم على الحرب ، ويرغب في راحد المسلمين وحقق دمائهم ودماء الاجانب ، يتقدم الى عظمته بناء على طلب الملك علي وحكومته في التسليم . وان توسطه في تقديم هذه الشروط انما هو لغاية انسانية صافية . فأجاب السلطان قائلا : « هذا احب ما عندي على شرط ان تكون الشروط موافقة لنا » .

عرضت الشروط فقبلها السلطان مبدئيا بعد شيء من التعديل . واهم ما فيها ان الملك علي يتنازل عن الملك ويفادر الحجاز ، ولا يأخذ معه غير امتعته الشخصية ومنها سيارته وسجاجيده وخيوله ، وان كل ما في الحجاز من الاسلحة ، والعدد الحربية ، والذخائر ، والطائرات وغيرها ، تسلم الى السلطان عبد العزيز ، وان البواخر التي هي ملك الحجاز تصير ملكا له .

ولقاء ذلك يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والعسكريين والاشراف والاهالي عموما سلامتهم الشخصية وسلامة اموالهم ، ويعلن العفو العام ، ويتعهد ان يرحل الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ، وان يوزع بنسبة معتدلة على جميع الضباط والعساكر الموجودين بجدة خمسة آلاف جنيه .

قد امضى السلطان هذه الاتفاقية (١) في عصر ذاك اليوم ، وامضاها الملك علي في المساء ، فاعتبرت نافذة منذ تلك الساعة . هي الفرصة المنتظرة . وقد تلا يوم الاتفاقية ثلاثة ايام هادئة رائقة استعدت فيها جدة للتسليم . ومساء الاحد عاد المعتمد البريطاني الى الرغامة ليخبر السلطان ان الملك علي قد اقام في البارجة البريطانية « كورن فلاور » وانه قرر السفر الى عدن ومنها الى العراق . ثم جاء صباح اليوم التالي ومعه رئيس الحكومة المؤقتة القائمقام عبد الله زينل ، ورئيس العسكرية الضابط صادق بك ، فخطب السلطان بقوله ان مهمته في التوسط قد انتهت ، وانه يقدم رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين امام عظمتهم .

عاد حضرة الوكيل الى جدة محبورا مشكورا . وظل الرئيسان عند السلطان للمذاكرة في شؤون الحكومة وتسليم ممتلكاتها . ثم في صباح اليوم التالي ارسل عظمتهم طليعة من حاشيته الى جدة لمباشرة العمل في ما يختص بالمهمات العسكرية وامور الجنود والضباط .

وفي ذاك الصباح ايضا ، يوم الثلاثاء في ٦ جمادي الثانية ، ابحرت البارجة « كورن فلاور » تقل الملك علي الى المنفى الذي اختاره لنفسه .

اما السلطان عبد العزيز فلم ينقل من مخيمه في الرغامة حتى صباح اليوم التالي ، فتقدمه فريق من جند المشاة ورهط من الخيالة بقيادة اخيه الامير عبد الله الى الكندرة لاستقباله فيها . وهناك امام ذاك البيت القائم على طرف من خط الدفاع المحاذي للاسلاك الشائكة ، امام ذاك البيت الذي كان يجتمع فيه رسل السلام الثلاثة الاولون ليتباحثوا في خير الطرق التي تضمن للعرب السلام والفلاح . حيث البلاد السلطان عبد العزيز بمئة طلقة مدفع ومدفع .

(١) اثبتناها كاملة في الملحق

وفي البيت ذاته جلس عظمته لسوفود المسلمين المهنيين ،
 فاستقبل معتمدي الدول والقناصل ، ثم ضباط الجند ، ثم اعيان
 المدينة . وقد تكلم قنصل ايطاليا السنيور فارس باللغة العربية مهناً
 السلطان فقال : « نظرا لكوني كبير القناصل سنا اتقدم بالنيابة عن
 نفسي وبالوكالة عن رفاقي بتقديم تهنئتنا لعظمتكم بدخولكم جدة في
 هذه الطريقة السلمية التي حققت بها الدماء . ونتمنى لعظمتكم
 التوفيق الدائم والسعادة » . فأجابه السلطان قائلاً انه لم يبطيء في
 الاعمال الحربية الا لهذه النتائج السلمية . ثم شكر للمعتمد البريطاني
 مسعاه ، واعرب للقناصل عن سروره بما كان من موقفهم في الانقلاب
 الاخير فتم سلما كما تمناه .

وبعد ان اقام يومه في الكندرة دخل جدة في صباح الخميس ،
 في ٨ جمادي الثانية (٢٤ ك ١) ، بعد سنة واحدة من يوم اشرف
 عليها للمرة الاولى من الرغامة ، ونزل في بيت الوجيه العالم الشيخ
 محمد نصيف ثم باشر العمل في اعادة اليسر والطمانينة الى الحجاز .

الفصل الثاني والخمسون

عبد العزيز ملك الحجاز

قبل ان غادر السلطان عبد العزيز الرياض ، في ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ، دعا العالم الاسلامي لعقد مؤتمر في مكة يقرر مصير الحجاز . وقد كرر هذه الدعوة بعد ذلك ، ثم عززها في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ بكتاب خاص ارسله الى الحكومات والشعوب الاسلامية ، فكانت صرخة في واد ، لم يلبها غير فريق من مسلمي الهند وجمعية الخلافة هناك . ولكن اولئك المسلمين يريدون للحجاز ما لا يريد اهلها . هم يرتأون في حكم البلاد المقدسة رأيا لا يوافقهم عليه اهل الحجاز وقد قاوموه عندما جاء الوفد الاسلامي الهندي الاول الى جدة ، واستمروا في مقاومته حتى نهاية الحرب : الشريفيون والسعوديون على السواء . الحجاز للحجازيين ، هي كلمة الجميع . ولا نزن احدا في الحجاز يرغب في هيئة تحكمه مؤلفة من ممثلي الشعوب الاسلامية في العالم .

لذلك طلبوا من السلطان عبد العزيز ، بعيد دخوله جدة ، ان يكون لهم الحرية ، تلك الحرية التي وعد بها العالم الاسلامي ، والحجاز ركن منه ، ليقرروا مصير البلاد بلادهم ، فأجاب السلطان الطلب .

عندئذ تألف في جدة لجنة من اعيانها عددها عشرون ، فسافروا الى مكة واجتمعوا هناك بلجنة من اهلها عددها ثلاثون . وفي ٢٢ جمادي الثانية عقد اعضاء اللجنتين مجلسا قرروا فيه بأجماع الرأي مبايعة السلطان عبد العزيز ملكا على الحجاز ، واتفقوا على شروط البيعة ونصها . ثم قدموها الى عظمة السلطان ليرى رايه فيها ، وطلبوا منه ، اذا حازت القبول ، ان يعين الوقت لعقد البيعة فأجاب الطلب .

وبعد صلاة الجمعة ، في ٢٥ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤
١٠ ك ١٩٢٦/٢ اجتمع الناس في المكان المعد للحفلة عند باب الصفا

من المسجد الحرام ، وجاء عظمة السلطان في موكبه في الساعة الواحدة بعد الظهر . كان المشهد عربيا صافيا اي بسيطا ديمقراطيا . فلم يكن هناك غير سجادة وقف عليها السلطان وكرسي للخطيب الذي تقدمه المنادي قائلا : ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . ثم اعتلى الكرسي الخطيب فحمد رب البيت المعظم ، وشكر ، وسبح ، وبعد ذلك قال :

« ايها الاخوان : ان الله سبحانه وتعالى قد انعم علينا بالامن بعد الخوف ، وبالرخاء بعد الشدة . فقد انقشعت غيمة الحروب ، وقد توحدت الكلمة بحول الله تعالى وقوته ، فتعطف علينا عظمة هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة الواجبة علينا واني اتلوها على مسامعكم :

باسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . نبأيعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود على ان تكون ملكا على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح والائمة الاربعة رحمهم الله ، وان يكون الحجاز للحجازيين ، وان اهله هم الذين يقومون بادارة شؤونه ، وان تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم » .

وعندما كان الخطيب يتلو البيعة كانت قلاع مكة تطلق مدافعها ، اطلقت مئة مدفع ومدفع . وكان الناس اثناء ذلك يتزاحمون حول تلك السجادة الواقف عليها السلطان ليتقبل البيعة . فتقدم اولا الاشراف ، ثم الوجهاء والاعيان ، وتلاهم المجلس الاهلي ، فالمحكمة الشرعية ، فالائمة والخطباء ، فالمجلس البلدي ، فأهل المدينة المنورة ،

فأهل جدة ، فبقية خدم الحرم ، فالمطوفون والزمازمة ، فمشايخ جاوه ، فأهل الحرف ، فمشايخ الحارات وأهل المحلات (١) . وبعد الحفلة مشى جلالة الملك الى البيت الحرام فطاف به سبعا ، وصلى في المقام ، ثم جلس في سرادق دار الحكومة للمهنيين والخطباء .

— « لا بد للبلاد من ملك مستقل يكون قادرا على صيانة الحجاز من الداخل والخارج . والذي يستطيع القيام بهذا الامر هو عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود » . « وما اعطاك الله يا عبد العزيز الا لانك سائر في مرضاته » . وقال آخر بعد اطرائه الامة العربية في زمن السلف الصالح : « علينا ان نتمسك بذلك الحبل المتين ليرجع للمسلمين ما كان لهم من السؤدد والعز » .

ان في هذه الكلمات الثلاثة مثالا من عقلية القوم ونزعتهم السياسية والدينية . ثم خطب الملك السلطان فقال : « اسمع خطباءكم يقولون : هذا امام عادل . وهذا كذا وكذا — فاعلموا ان ما من رجل ، مهما بلغ من المنازل العالية ، يستطيع ان يكون له اثر وان يقوم بعمل جيد ، اذا كان لا يخشى الله . واني احذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا . واحثكم على الصراحة والصدق في القول ، وعلى ترك الرياء والملق في الحديث . لم يفسد الملك الا الملوك واحفادهم ، وخدامهم ، والعلماء المملقون واعوانهم . ومتى اتفق الامراء والعلماء ليستر كل منهم على صاحبه ، فيمنح الامير المنح والامراء يدلسون ، ضاعت حقوق الناس وفقدنا العياذ بالله الاخرة والاولى » . الى ان قال خاتما

(١) وقد جاءت بعدئذ برقيات بالمبايعة من المدينة المنورة ومن ينبع والوجه وضبا والعلاء . وكانت حكومة السوفيت (الروسية) اول الدول التي اعترفت بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، ثم اعترفت به حكومات بريطانيا العظمى ، والجمهورية الفرنسية ، وهولندا ، والجمهورية التركية .

كلامه « واني احمد الله الذي جمع الشمل وأمن الاوطان : ولكم علي عهد الله وميثاقه اني انصح لكم كما انصح لنفسي واولادي » .
فهتف الناس اذ ذاك قائلين : « جزاك الله خيرا ، جزاك الله خيرا ! »

وفي مساء ذاك اليوم دعا جلالته الى بيته اعضاء المجلس الاهلي ، والوفد الذي قدم من جدة ، وبعض اهل الوجاهة في ام القرى ، فخطبهم بما معناه :

اننا الان في وقت العمل وفي ساعة التأسيس . ولا يستقيم الامر الا بحسن التدبير وبالصدق والنزاهة . انتم ارباب الراي والفكر في بلادكم فعليكم ان تقرروا شكل الحكومة ، وتضعوا دستورا لها ، وتحددوا العلاقات بين نجد والحجاز ، وتبحثوا في ما ينبغي ان يكون موقف الحجاز تجاه الدول .

ثم امر بأن يؤلف من مندوبي مكة وجدة مجلس تأسيسي ، فينضم اليه مندوبون من بلدان الحجاز الاخرى ، للنظر في ما ذكر من المسائل وتقريرها .

وبعد ان تألف هذا المجلس انتخب بالاقتراع السري لجنة لوضع القانون الاساسي ، ثم عرض اسماءها على جلالة الملك ، فأمر بأن يرأس اللجنة الشيخ عبد القادر الشيبني ، حامل مفتاح بيت الله الحرام ، وان يضم اليها خمسة آخرون ، انتخبهم جلالته ، من الاشراف والتجار .

كذلك في هذا الشرق الجديد يصلح التعيين الاقتراع ، ويكمل الحاكم الفرد ما ينقص في حكم الشورى .

انتهى

اهم الوقعات وتواريخها

- وقعة الصرف في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨ (١٦ شباط ١٩٠١)
 احتلال الرياض في ٥ شوال ١٣١٩ (١٥ كانون الثاني ١٩٠٢)
 فتح عنيزة في ٥ محرم ١٣٢٢ (٢٣ اذار ١٩٠٤)
 وقعة البكيرية في ١ ربيع الاول ١٣٢٢ (١٦ ايار ١٩٠٤)
 وقعة الشنانة في ١٨ رجب ١٣٢٢ (٢٩ ايلول ١٩٠٤)
 وقعة روضة مهنا (ذبحة ابن الرشيد) في ١٨ صفر ١٣٢٤
 (١٤ نيسان ١٩٠٦)
 وقعة الطرفية في ٥ شعبان ١٣٢٥ (١٤ ايلول ١٩٠٧)
 احتلال بريدة وكسرة ابي الخيل في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢٦
 (٢٣ ايار ١٩٠٨)
 وقعة هدية في ١ جمادي الثانية ١٣٢٨ (١٠ ك ٢ — ١٩١٠)
 فتح الحساء في ٥ جمادي الاولى ١٣٣١ (١٣ نيسان ١٩١٣)
 وقعة جراب في ٧ ربيع الاول ١٣٣٣ (٢٤ تشرين اول ١٩١٥)
 وقعة تربة في ٢٥ شعبان ١٣٣٧ (٢٥ ايار ١٩١٩)
 الاستيلاء على عسير في شوال ١٣٣٨ (تموز ١٩٢٠)
 وقعة الجهرى في ٢٦ محرم ١٣٣٩ (١١ تشرين اول ١٩٢٠)
 سقوط حائل في ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ تشرين الثاني ١٩٢١)
 سقوط الطائف في ٧ صفر ١٣٤٣ (٧ ايلول ١٩٢٤)
 احتلال مكة في ١٨ ربيع الاول ١٣٤٣ (١٨ تشرين اول ١٩٢٤)
 وقعة المصفحات في ١٨ شعبان ١٣٤٣ (١٤ اذار ١٩٢٥)
 تسليم المدينة (بعد حصار دام عشرة اشهر) في ١٩ جمادي
 الاولى ١٣٤٤ (٥ كانون اول ١٩٢٥)
 تسليم جدة (بعد حصار استمر سنة كاملة) في ٦ جمادي
 الثانية ١٣٤٤ (٢٢ كانون اول ١٩٢٥)

الملحق

- فتوى علماء نجد في تعصب بعض الاخوان .
- الامر السلطاني المبني على فتوى العلماء .
- اتفاقية بحرة .
- اتفاقية حداء .
- اتفاقية مكة المكرمة .
- المعاهدة بين بريطانيا العظمى والحجاز ونجد .
- اتفاقية تسليم جدة .
- لائحة الهجر .
- النقود السعودية .

فتوى علماء نجد

في تعصب بعض الاخوان

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عبد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وعمر بن محمد سليم وعبد الله بن عبد العزيز العنقري وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن بلهيد وعبد الرحمن بن سالم الى الاخوان كافة من اهل الهجر وغيرهم ، وفقنا الله واياهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا من حزبه واوليائه . آمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ذلك انكم تفهمون ما من الله به علينا وعليكم من نعمة الاسلام وتجديد هذه الدعوة ، والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع اوامره ، واجتناب نواهيه . ولا يخفى عليكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبه وهي على ثلاثة امور :

الاول — وهو الاكثر طلب الخير والاجتهاد ووقوع الناس في امور تخل بدينهم ودنياهم ، لانهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل . الثاني — لا بد ان في بعض الاخوان المتقدمين شدة وتعصبا بغير دليل . فلما تبين له الامر وسأل طلبة العلم ، وتحقق عنده ان تعصبه خطأ ، استنكر منه اخوانه وصار بينه وبينهم اختلاف بغير سؤال ولا تبين حقيقة ما عنده .

الثالث — اتوا به اناس من الذين يدعون طلب العلم من الخضر وهم جهال يدخلون على بعض الاخوان امورا مشتبهة .

يريد احدهم الحق وهو مخطئه وآخر يرغب في معرفة الامور المخالفة.

فلما تحقق ذلك عند اولي الامر وعند العلماء احبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم وولاة الامر منهم . فلما حضروا سمع الحاضر بنفسه ، والغائب نبغفه بهذا الكتاب . فقد سألنا الامام عبد العزيز بحضرتهم عن امور هي :

الاول : هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين باوامر الله ونواهيه ام لا ؟

الثاني : هل من فرق بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحدا ام لا ؟

الثالث : هل في الحضر الاولين وفي المهاجرين الآخرين فرق ام لا ؟

الرابع : هل في ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ، ودربه دريهم ومعتقده معتقدهم ، وفي ذبيحة الحضر الاولين او المهاجرين فرق حلال او حرام ام لا ؟

الخامس : هل للمهاجرين امر او رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا ، فيضربوهم او يؤدبوهم او يهددوهم او يلزموهم بالهجرة ام لا ؟ وهل لاحد ان يهجر احدا بدويا كان او حضريا بغير امر واضح او كفر صريح او شيء من الاعمال التي يجب هجره عليها بغير اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي ؟

فاجبناه بحضور الحاضر من المسلمين ان كل هذه الامور مخالفة للشرع ، وما امرت بها الشريعة . وان الذي يفعلها ينهى عنها ويزجر ، فان تاب وأقر بخطئه فيعفى عنه . وان استمر على امره وعاند ، فيجب عليه تأديب ظاهر بين المسلمين . وان لا يعادي ولا يصادق الا على ما امرت به الولاية او حكم به حاكم الشرع . والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين . وهذا الذي ندين به ، ونشهد الله عليه ، ونرجوه ان يوفقنا واياكم للخير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ، سنة ١٣٣٧

الامضاءات والاختتام

الامر السلطاني

المبني على فتوى العلماء

باسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز آل فيصل الى الاخوان كافة وفقنا الله واياهم
لفعل الخيرات وترك المنكرات . آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك تفهمون ان الله
سبحانه انعم علينا بنعمة الاسلام ومنّ علينا ان جعلنا من اهله .
ولا يخفى عليكم ما مضى على اسلافكم من الامور التي تغضب الله
وتخالف الشريعة . وحيث ان الله منّ عليكم بهذا الامر فيجب عليكم
ان تذكروا ذلك بالشكر واعظم الشكر واكبره هو ان تتقيدوا باتباع
اوامر الله واجتناب نواهيه . ثم لا يخفى عليكم ما جرى من النزاع
والاختلاف الذي يخشى علينا منهما اخفاق الاعمال والفتنة . وليس
قصدنا غير تقويم الشريعة ، ونجاة انفسنا من عذاب النار . ولا
يتم هذا الا بالاقتصاد واتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم ، وعلماء المسلمين اولهم وآخرهم .

وربما يلتبس عليكم الامر في بعض ائمة المسلمين واعتقاداتهم،
فاحببت لذلك ان اشرح لكم العقيدة التي ذكرها المشايخ في فتواهم .
وهو ان معتقد المسلمين واحد حضرهم وبدويهم . وتعلمون ان اصل
المعتقد كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم ، ثم السلف الصالح من بعدهم ، وثم ائمة المسلمين
الاربعة ، الامام مالك والامام الشافعي والامام احمد والامام ابو
حنيفة . فاعتقاد هؤلاء واحد في الاصل ، وهو انواع التوحيد الثلاثة،
توحيد الربوبية ، وتوحيد الالهية ، وتوحيد الاسماء والصفات كما

هو مقرر في كتب العلماء ، التي يمكنكم مراجعتها والحمد لله في كل ساعة . فهم في هذا الاصل سواء . قد يكون بينهم اختلاف في الفروع وكلهم ومن هذا حذوهم على حق ان شاء الله الى يوم القيامة .

ونحن يا اهل نجد كافة على مذهب الامام احمد بن حنبل في الفروع . واما في الاصل فنحن والمذكورون اعلاه على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . على انه في اخر الامر اظهر الله شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم ثم من بعدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله ونفع بهم الاسلام والمسلمين ، ارسلهم كلهم ، وخصوصا محمد بن عبد الوهاب ، عندما اندرست اعلام وكثرت الشبهات والبدع .

فلما رأى اسلافنا موافقة اقوالهم وافعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قبلوا ذلك وقاموا بما اظهره الله على ايديهم . ونحن ان شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم ، نرجو ان يحيينا على ذلك ويميتنا عليه . وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد والعمدة على ما ذكروه . فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقصده في هجرته وانتسابه الى الخير دورة ما عند الله ، فليعتمد على ذلك قولا وفعل . ولا يحيط فيه لبس . وليترك مخالفه . ومن اشكل عليه شيء من الامور فليرده الى طالب العلم المنصوب عندكم بامر الولاية ورضى المشايخ . ونحن نعتقد ان ليس عندكم ما يخالف ذلك ان شاء الله ، وان قصدكم رضى الله . انما من الشفقة عليكم احببنا التبیین لكم بذلك انذارا للمخالف او المتكلم بضده . وان من خالف ذلك بقول او بفعل فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ، ولا يأمن البطش بنفسه وبحلاله . هذا حقكم علينا . ومن انذر فقد اعذر . نرجو الله ان يوفقنا واياكم للخير ، وينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويجعلنا واياكم من انصار دينه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . سنة

اتفاقية بحرة

نظرا للمعاهدة المعقودة بين حكومتي العراق ونجد ابتغاء تأمين الصلات الحسنة بينهما والمعروفة بمعاهدة المحمرة التي قد وقعت في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٠ الموافق ٥ نوار سنة ١٩٢٢ ،

ونظرا للبروتوكولين المعروفين بالبروتوكول رقم ١ والبروتوكول رقم ٢ اللذين اضيفا الى معاهدة المحمرة المذكورة اعلاه والموقع عليهما في العقير في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الثاني المبارك سنة ١٣٤١ الموافق ٢ كانون اول سنة ١٩٢٢

ونظرا لابرام المعاهدة والبروتوكولين المذكورين آنفا طبقا للعادة من قبل حكومتي العراق ونجد

ونظرا لما تعهد به كل من حكومتي العراق ونجد في المادة الاولى في معاهدة المحمرة المذكورة بان يمنع كل منهما عشائره عن التعدي على عشائر الحكومة الاخرى ، وان يعاقب كل من الحكومتين من يتعدى من العشائر التابعة للحكومة الاخرى ، وان تتذاكر الحكومتان اذا حالت الظروف دون قيام احدهما بالتأديب اللائق في امكن اتخاذ تدابير مشتركة طبقا للصلات الحسنة السائدة بينهما .

ونظرا لاعتقاد حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومتين المذكورتين بانه يحسن لهاتين الحكومتين ، حرصا على الصداقة وحسن الصلات بين العراق ونجد ، وضع اتفاقية بخصوص بعض المسائل المعلقة بينهما .

نحن الموقعين ادناه سلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود والسر جلبرت كلايتون المندوب

المفوض من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية والمخول بان ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع قد اتفقنا على المواد الآتية :

المادة الاولى — تعترف كل من دولتي العراق ونجد ان الغزو من قبل العشائر القاطنة في اراضيها على اراضي الدولة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقابا صارما من قبل الحكومة التابعة لها وان رئيس العشيرة المعتدية يعد مسؤولا .

المادة الثانية — (١) تؤلف محكمة خاصة ، بين حكومتي العراق ونجد ، تلتئم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل اي تعد يقع من وراء حدود الدولتين ولاحصاء الاضرار والخسائر وتعيين المسؤولية ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساو من ممثلي حكومتي العراق ونجد وتعهد رئاستها الى شخص اخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونامذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والخسائر الناشئة عن الغزو ، واصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقا لعادات العشائر ، وبمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الاولى من هذه الاتفاقية .

المادة الثالثة — لا يجوز لعشائر احدى الحكومتين اجتياز حدود الاخرى الا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدى الحكومتين ان تمتنع عن اعطاء الرخصة او الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى عملا بمبدأ حرية الرعى .

المادة الرابعة — تتعهد حكومتا نجد والعراق بان تقفا بكل ما لديهما من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة او فخذ من احد القطرين الى الآخر ، الا اذا جرى

هذا الانتقال بمعرفة حكومتهما ورضاها ، وتتعهد الحكومتان بان تمتنعا عن تقديم الهدايا ايا كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى ، وبان تنظرا بعين السخط على كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعة للحكومة الاخرى ، او تشجيعها على الانتقال من بلادها الى البلاد الاخرى .

المادة الخامسة — ليس لحكومتى العراق ونجد ان تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الدولة الاخرى في الامور الرسمية او السياسية .

المادة السادسة — لا يجوز لقوات العراق ونجد ان تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقب المجرمين الا برضى الحكومتين (١) .

المادة السابعة — لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية او لهم رايات تدل على انهم قواد لقوات مسلحة ان يظهروا راياتهم في اراضي الدولة الاخرى .

المادة الثامنة — اذا طلبت احد الحكومتين من عشائرها النازلة في اراضي الدولة الاخرى تجريدات مسلحة فالعشائر المذكورة حرة في تلبية دعوة حكومتها على ان ترحل بعائلاتها واموالها بكل سكينه .

المادة التاسعة — اذا انتقلت عشيرة من اراضي احدى الحكومتين الى الاراضي التابعة للحكومة الاخرى ، وشنت الغارات بعد انتقالها على البلاد التي كانت تقطن فيها ، يحق للحكومة التي تقيم العشيرة في اراضيها ان تأخذ منها ضمانات كافية ، حتى اذا تكرر منها مثل ذلك الاعتداء تكون هذه الضمانات عرضة للمصادرة ، وذلك عدا العقاب المنصوص عليه في المادة الاولى ، وعدا ما قد تفرضه المحكمة المنصوص عليها في المادة الثانية من هذه الاتفاقية .

(١) وفي بروتوكول العتير المادة الثالثة « تتعهد الحكومتان كل من قبلها الا تستخدم الابار الموجودة على اطراف الحدود لاي غرض حربي كوضع قلاع عليها ، وان لا تعبى جنودا في اطرافها »

المادة العاشرة — تتعهد حكومتا العراق ونجد بان تقوموا
بمذكرات ودية ، لعقد اتفاقية خاصة بشأن تسليم المجرمين ، طبقا
للعادات المرعية بين الدول المتحابّة وذلك في مدة لا تتجاوز السنة
اعتبارا من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة من قبل حكومة العراق .
المادة الحادية عشرة — النص العربي هو النص الرسمي الذي
يرجع اليه في تفسير مواد هذه الاتفاقية .

المادة الثانية عشرة — تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية بحرة .
وقعت هذه الاتفاقية في مخيم بحرة في الرابع عشر من شهر
ربيع الثاني ١٣٤٤ الموافق اول كانون الاول سنة ١٩٢٥

الامضاءات

اتفاقية حداء

نظرا للعلاقات الودية السائدة بين الحكومة البريطانية السامية من جهة وسلطنة نجد وملحقاتها من جهة اخرى ، ونظرا لرغبتها في تعيين الحدود بين نجد وشرقي الاردن وتسوية بعض المسائل المتعلقة بذلك ، اختارت الحكومة البريطانية السامية السر جلبرت كلايتون ، كي ، بي ، اي . سي ، بي ، سي . ام ، جي . وعينته مندوبا مفوضا عنها ليعقد اتفاقية في هذا الشأن مع السلطان عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود والسر جلبرت كلايتون وتعاهدا على المواد الآتية :

المادة الاولى — يبتدىء الحد بين نجد وشرقي الاردن في الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩ (شرقي) ودائرة العرض ٣٢ (شمالي) حيث تنتهي الحدود بين العراق ونجد ويمتد على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ ، ٣١ (شمالي) فيتبع دائرة الطول ٣٧ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٢٥ ، ٣١ (شمالي) ثم يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ (شمالي) تاركا ما برز من اطراف وادي سرحان لنجد ثم يتبع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٣٥ ، ٢٩ (شمالي) اما الخارطة التي يرجع اليها في هذه الاتفاقية فهي الخارطة المعروفة بالدولية « اسيا مقياس واحد على مليون » .

المادة الثانية — تتعهد حكومة نجد بان لا تقيم اي حصن في (كاف) والا تستعمله والمنطقة من جوارها كنقطة عسكرية .

اما اذا رأت حاجة في حين من الاحيان الى اتخاذ تدابير استثنائية بجوار الحدود للمحافظة على الامن ، او لاي غرض اخر يستوجب حشد القوات العسكرية المسلحة ، فتتعهد بان تخبر حكومة صاحب

الجلالة البريطانية بذلك في اقرب وقت . وعلاوة على ذلك تتعهد بان تمنع قواتها من التعدي على اراضي شرقي الاردن بكل ما لديها من الوسائل .

المادة الثالثة — منعا لسوء التفاهم الذي قد يحصل في الحوادث التي تقع قرب الحدود ، وتوثيقا لعرى الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون الكلي بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة نجد، يتفق الطرفان على القيام بمذاكرات متواصلة بين المعتمد البريطاني في شرقي الاردن او مندوبه وبين حاكم وادي السرحان .

المادة الرابعة — تتعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي سرحان القبائل غير التابعة لنجد سواء كانت حقوق الرعي او السكن او الملكية او ما يشبه ذلك من الحقوق الثابتة بشرط ان تخضع تلك القبائل ، ما دامت نازلة ضمن حدود نجد ، للقوانين الداخلية التي لا تمس هذه الحقوق . وتعامل حكومة شرقي الاردن نفس المعاملة رعايا نجد المتمتعين بحقوق ثابتة في شرقي الاردن شبيهة بالحقوق المذكورة .

المادة الخامسة — تعترف كل من نجد وشرقي الاردن ان الغزو من قبل العشائر القاطنة في اراضيها على اراضي الحكومة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقابا صارما من قبل الحكومة التابعة لها ، وان رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولا .

المادة السادسة — (١) تؤلف محكمة خاصة ، بالاتفاق بين حكومتي نجد وشرقي الاردن ، تلتئم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل اي تعد يقع من وراء الحدود ولاحصاء الاضرار والخسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساو من ممثلي حكومتي نجد وشرقي الاردن ، وتعهد رئاستها الى شخص اخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان . وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية وناقذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والخسائر الناشئة عن الغزو ، واصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقا لعادات العشائر ، وبمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية .

المادة السابعة — لا يجوز لعشائر احدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الاخرى الا بعد الحصول على رخصة من حكومتها ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدى الحكومتين ان تمتنع عن اعطاء الرخصة او الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى ، عملا بمبدأ حرية الرعي .

المادة الثامنة — تتعهد حكومتا نجد وشرقي الاردن بان تقفا بكل ما لديها من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة او فخذ من احد القطرين الى الآخر ، الا اذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومته ورضاها ، وتتعهد الحكومتان بان تمتنع عن تقديم الهدايا ايا كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى وبان تنظر بعين السخط الى كل شخص من رعاياهما يسمى لاستجلاب العشائر التابعة للحكومة الاخرى ، او تشجيعها على الانتقال من بلادها الى البلاد الاخرى .

المادة التاسعة — ليس لحكومتى نجد وشرقي الاردن ان تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الحكومة الاخرى في الامور الرسمية او السياسية .

المادة العاشرة — لا يجوز لحكومتى نجد وشرقي الاردن ان تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين الا برضى الحكومتين .

المادة الحادية عشرة — لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية او لهم رايات تدل على انهم قواد قوات مسلحة ان يظهروا راياتهم في اراضي الحكومة الاخرى .

المادة الثانية عشرة — على كل من حكومتي نجد وشرقي الاردن ان تمنع حرية المرور لجميع المسافرين والحجاج ، بشرط ان يخضع هؤلاء للقوانين الخاصة بالسفر والحج المرعية في نجد وشرقي الاردن ، وعلى كل من هاتين الحكومتين ان تخبر الحكومة الاخرى باي قانون قد تسنه في هذا الخصوص .

المادة الثالثة عشرة — تتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان تضمن حرية المرور في كل حين للتجار من رعايا نجد لقضاء تجارتهم بين نجد وسوريا ذهابا وايابا ، وان تحصل على الاعفاء من الضرائب الجمركية وغيرها لجميع الاموال التي تجتاز منطقة الانتداب في مرورها من نجد الى سوريا او من سوريا الى نجد ، على ان يخضع التجار وقوافلهم لما قد يلزم من التفتيش الجمركي ، وان يكونوا حاملين وثيقة من حكومتهم تشهد انهم تجار مشروعون ويشترط ان تتبع القوافل التجارية ذات الاموال المحملة طرقا معروفة سيتفق عليها فيما بعد للدخول في منطقة الانتداب والخروج منها ، مع العلم ان هذه القيود لا تسري على القوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الابل والحيوانات ، ولا على العشائر التي تنتقل بمقتضى المواد السابقة من هذه الاتفاقية . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان تحصل على غير ذلك من التسهيلات الممكنة للتجار من رعايا نجد المارين بمنطقة انتدابها .

المادة الرابعة عشرة — تبقى هذه الاتفاقية نافذة ما دامت حكومة صاحب الجلالة البريطانية مكلفة بالانتداب على شرقي الاردن .

المادة الخامسة عشرة — قد دوت هذه الاتفاقية باللغة الانكليزية واللغة العربية ، ووقع كلا الطرفين المتعاقدين نسختين من النص العربي ونسختين من النص الانكليزي ، ويكون للنصين قيمة رسمية واحدة . ولكن اذا وقع اختلاف بين النصين في تفسير مادة من مواد هذه الاتفاقية فيرجع الى النص الانكليزي .

المادة السادسة عشرة — تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية حداء.

وقعت هذه الاتفاقية في حداء في الخامس عشر من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤ الموافق ٢ تشرين الثاني ١٩٢٥

التواقيع

معاهدة مكة المكرمة

الحمد لله وحده

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين الامام السيد الحسن ابن علي الادريسي .

رغبة في توحيد الكلمة : وحفظا لكيان البلاد العربية ، وتقوية للروابط بين امراء جزيرة العرب ، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وصاحب السيادة امام عسير السيد الحسن بن علي الادريسي على عقد المعاهدة الآتية :

المادة الاولى : يعترف سيادة الامام السيد الحسن بن علي الادريسي بان الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الامام السيد محمد بن علي الادريسي والتي كانت خاضعة للدراسة في ذلك التاريخ ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة .

المادة الثانية : لا يجوز لامام عسير ان يدخل في مفاوضات سياسية مع اي حكومة ، وكذلك لا يجوز ان يمنح اي امتياز اقتصادي الا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الثالثة : لا يجوز لامام عسير اشهار الحرب او ابرام الصلح الا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الرابعة : لا يجوز لامام عسير التنازل عن جزء من اراضي عسير المبينه في المادة الاولى .

المادة الخامسة — يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية امام عسير الحالي على الاراضي المبينة في المادة الاولى

مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الادارسة واهل العقد والحل
التابعين لامامته .

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها
بان ادارة بلاد عسير الداخلية ، والنظر في شؤون عشائرها من
تنصيب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق امام عسير
على ان تكون الاحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها
بدفع كل تعد داخلي او خارجي يقع على اراضي عسير المبينة في
المادة الاولى ، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الاحوال
ودواعي المصلحة .

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة
والقيام بواجبها .

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق
عليها من الطرفين الساميين .

المادة العاشرة : دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين
تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقبتين .

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة
المكرمة .

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥
الموافق ٢١ تشرين اول سنة ١٩٢٦ .

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

الختم الملكي

امام عسير

الحسن بن علي الادريسي

الختم

تم ذلك بحضور راقم هذه

الاحرف خادم الاسلام

احمد الشريف السنوسي

الختم

المعاهدة

بين بريطانيا العظمى والحجاز ونجد

جلالة ملك بريطانيا وارلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وامبرطور الهند من جهة ، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة اخرى

رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها ، وتأمين مصالحهما وتقويتها ، قد عزمنا على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم . لذلك اوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السر جلبرت فلكنجهام كلايتون مندوبا مفوضا عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز نجلة ونائبه في الحجاز مندوبا مفوضا عنه بناء على ما تقدم

وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها قد اتفقا ، سمو الامير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السر جلبرت كلايتون ، على المواد الآتية :

المادة الاولى — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

المادة الثانية — يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ويتمهد كل من الفريقين المتعاقدين بان يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر ، وبان يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر .

المادة الثالثة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل اداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والاشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين اسوة بسائر الحجاج ، ويعلن جلالته الملك بانهم يكونون آمنين على اموالهم وانفسهم اثناء اقامتهم في الحجاز .

المادة الرابعة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفا ، والذين ليس لهم في بلاد جلالته اوصياء شرعيون ، الى المعتمد البريطاني في جدة او من ينتدبه لهذا الغرض ، لايصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين ، بشرط ان لا يكون تسليم تلك المخلفات الى الممثل البريطاني الا بعد ان تتم المعاملات بشأنها امام المحاكم المختصة ، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية او النجدية .

المادة الخامسة — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية او البلاد المشمولة بحماية جلالته . وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، على ان تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة .

المادة السادسة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على الصلات الودية والسلمية مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني ، الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

٤٥٠ المعاهدة بين بريطانيا والحجاز ونجد

المادة السابعة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بان يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق .

المادة الثامنة — على الفريقين المتعاقدين ابرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام باقرب وقت .

وتصير المعاهدة نافذة اعتبارا من تاريخ تبادل قرارات الابرام، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ . وان لم يعلن احد الفريقين المتعاقدين الفريق الاخر ، قبل انتهاء السنوات السبع بسنة اشهر انه يريد ابطال المعاهدة ، تبقى نافذة . ولا تعتبر باطلة الا بعد مضي ستة اشهر من اليوم الذي يعلن فيه ابطالها من احد الفريقين الى الفريق الآخر .

المادة التاسعة — تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ت الاول سنة ١٩١٥ يوم كان جلالتة حاكما لنجد وما كان ملحقا بها اذ ذاك ملغاة ابتداء من تاريخ ابرام هذه المعاهدة .

المادة العاشرة — دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية ، وللنصين قيمة واحدة . اما اذا وقع اختلاف في تفسير اي قسم منها فيرجع الى النص الانكليزي .

المادة الحادية عشرة — تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة . وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية الموافق عشرين ايار سنة ١٩٢٧ .

التواقيع

اتفاقية تسليم جدة

بالنظر لتنازل الملك علي ، ومبارحته للحجاز ، وتسليم بلدة جدة ، يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين والاشراف واهالي جدة عموما والعرب والسكان والقبائل سلامتهم الشخصية وسلامة اموالهم .

٢ — يتعهد الملك علي ان يسلم في الحال اسرى الحرب الموجودين بجدة ان وجد .

٣ — يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين اعلاه .

٤ — يجب على جميع الضباط والعساكر ان يسلموا في الحال الى السلطان عبد العزيز بجميع اسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطائرات وخلافه وجميع المهمات الحربية .

٥ — يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بأن لا يخبروا اي شيء من الاسلحة والمهمات الحربية جميعها او يتصرفوا بها .

٦ — يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يرسل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ويتعهد باعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم .

٧ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه .

٨ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يبقي جميع موظفي الحكومة الملكيين الذين يجد فيهم الكفاية في تأدية واجباتهم بامانة في مراكزهم .

٩ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح الملك علي الحق ان

يأخذ معه الامتعة الشخصية التي في حوزته بها في ذلك سيارته وسجاجيده وخيوله .

١٠ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط ان تكون هذه الممتلكات من الموروثة فعلا، ولا تشتمل على الاملاك الثابتة المحولة من الاوقاف بمعرفة الحسين الى شخصه ، ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في اثناء ملكه لما كان ملكا على الحجاز .

١ — يتعهد الملك علي ان يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء .

١٢ — جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي (الطويل ورشدي والرقمتين ورضوى) تصير ملكا للسلطان عبد العزيز ، ولكن السلطان يسمح ان لزم الامر للباخرة رقمتين ان تستعمل لنقل الامتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع .

١٣ — يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بأن لا يبيعوا او يخرجوا اي شيء من املاك الحكومة مثل اللنشات والسنايك وخلافه .

١٤ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين في ينبع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقا الا فيما يختص بتوزيع النقود .

١٥ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح العفو للأشخاص المذكورة اسماؤهم ادناه ايضا ضمن العفو العام وهم : عبد الوهاب ومحسن وبكري ابناء يحيى قزاز ، وعبد الحي بن عابد قزاز ، واحمد وصالح ابناء عبد الرحمن قزاز ، واسماعيل ابن يحيى قزاز ، والشيخ محمد علي صالح بتاوي واخوانه ابراهيم وعبد الرحمن بتاوي ابناء محمد علي صالح بتاوي وابنائهم وابناء عمهم حسن وزين بتاوي وابناء محمد نور الشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس بن يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيوني والسيد احمد السقايف وعائلات واموال جميع المذكورين آنفا .

١٦ — ان كان الملك علي او رجاله في حال من الاحوال يخالفون او يقصرون في تنفيذ اي مادة من المواد التي تقدم ذكرها فان السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولا عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية .

١٧ — يتعهد الطرفان السلطان عبد العزيز والملك علي ان يكفيا عن اي حركة عدائية اثناء سير هذه المفاوضات .

الخميس في ١ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤ الموافق ١٧ كانون اول ١٩٢٥ .

التواقيع

لائحة الهجر

١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م

كل عدد من الاعداد المذكورة ادناه ، اي عدد من يلبون دعوة
الجهاد من كل قرية ، يضاف اليه ضعفه ، والضعف الاول وهم
البدو اي الذين يرعون المواشي ، والضعف الاخر المحترفون اي
الذين يبقون في البلدة ليقوموا بصناعتها وتجاريتها وزراعتها .
والمجموع عدد سكان الذكور في كل هجرة .

بلاد نجد وضعا هي من القصيم الى وادي حنيفة .

يلبي الجهاد من نجد فقط اربعة آلاف . وهؤلاء مسلحون
متأهبون دائما ، وهم بمثابة العسكر النظامي ، يدفع لهم السلطان
كل ثلاثة اشهر قيمة مرضية غير معينة من المال . وكذلك المجاهدون
من هجر حرب .

هجر قحطان

عدد المجاهدين

الهيائم	٨٠٠
الهيائم — بادية	١٠٠٠
الجفير	٣٠٠
الحصاة	٨٠٠
الربن الاسفل	٢٠٠٠
الربن الاعلى	٢٠٠٠
	<hr/>
	٦٩٠٠

هجر الدواسر

مشيرقة	١٥٠٠
الوسيطه	٨٠٠
	<hr/>
	٢٣٠٠

هجر مطير

يلبي الجهاد منها

الارطاوية	٢٠٠٠
مبايض	١٠٠٠
فريثان	١٠٠٠
مليح	٧٠٠
العمار	٧٠٠
الائلة	١٠٠٠
الارطاوي	٦٠٠
مسيكه	٨٠٠
ضريه	٨٠٠
قرية العليا	١٥٠٠
قرية السفلى	١٠٠٠
	<hr/>
	١١١٠٠

حليفة	٠٣٠٠
حنيظل	٠٧٠٠
البرود	١٠٠٠
قبة (تلفظ اجبه)	٢٠٠٠
الفواره	١٠٠٠
	١٠٨٠٠
هجر العوازم	
ثاج	١٥٠٠
الحسي	١٠٠٠
الحنات	١٠٠٠
العتيق	٠٧٠٠
	٤٢٠٠
هجر بني مره	
الشباك	١٠٠٠
أبرق	١٥٠٠
عين دار (بنو هاجر)	١٠٠٠
	٣٥٠٠
هجر ثمر	
الاجفر	٢٠٠٠
بنوان قبيلة هتيم	١٥٠٠
القطيم	٠٦٠٠
القصير	٠٩٠٠
الحفير	٠٩٠٠
البلازيه	٠٥٠٠
الخبه	٠٨٠٠
الفيضة	١٢٠٠
بيضة نثيل (عنزي)	١٥٠٠

هجر الروقة من (عتيبة)

الداهنا	٢٠٠٠
الصوح	٠٣٠٠
ساجر	٠٨٠٠
عرجا	٢٠٠٠
عسيلة	٠٣٠٠
نفي	١٥٠٠
	٦٩٠٠

هجر برقة من (عتيبة)

عروة	١٠٠٠
السنام	١٠٠٠
الروضة	٠٧٠٠
	٢٧٠٠

الفطط (من عتيبة)**هجر العجمان**

الصرار	٢٠٠٠
حنيد	١٠٠٠
الصحاف	٠٨٠٠
العقير	٠٧٠٠
عريرة	١٣٠٠
	٥٨٠٠

هجر حرب (حرب نجد)

دخنة	٢٥٠٠
الشبيكة	١٠٠٠
الدليمية	١٠٠٠
القرين	٠٧٠٠
الساقية	٠٦٠٠

لائحة الهجر

٤٥٦

الهجر التي في الخرج

الضبيعه	٨٠٠
البدع	٨٠٠
المنيف	٦٠٠
الاخضر	٥٠٠
طبيسم	٤٠٠
الروضة	٤٠٠
	٣٥٠٠

التيم	٦٠٠
ام القلبان	٥٠٠
الشقيق	٤٠٠
خريفط (هتيم)	١٣٠٠
المصاع	٧٠٠
المرير (هتيم)	٤٠٠
	١٣٨٠٠

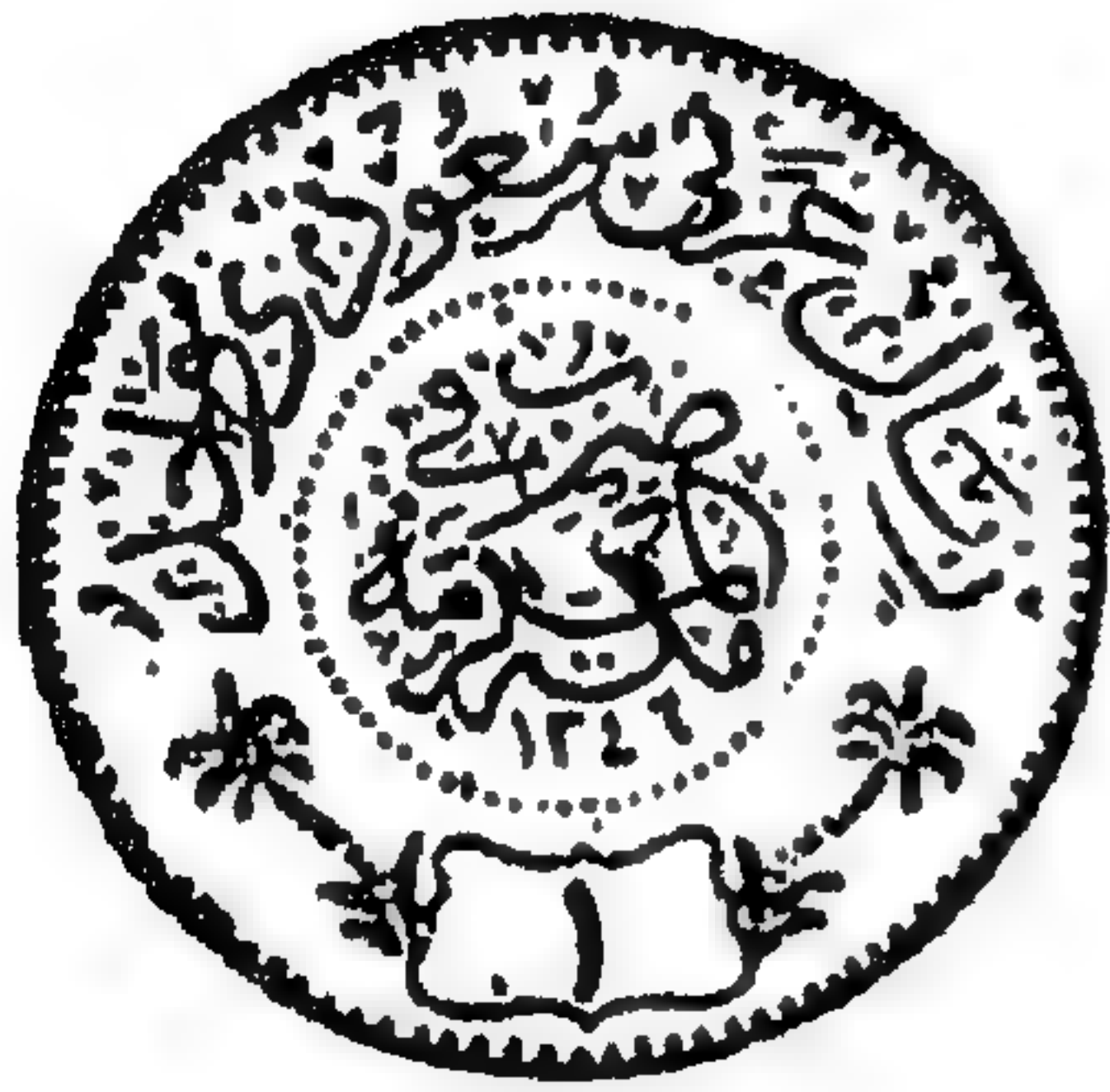
مجموع المجاهدين من الهجر

عام ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م

حرب نجد	١٠٨٠٠
العوازم	٤٢٠٠
بنو مرة	٣٥٠٠
شمر	١٣٨٠٠
الخرج	٣٥٠٠
	٧٦٥٠٠

مطير	١١١٠٠
قحطان	٦٩٠٠
الدواسر	٢٣٠٠
الروقة — عتيبه	٦٩٠٠
برقه — عتيبه	٢٧٠٠
القطط — عتيبه	٥٠٠٠
العجمان	٥٨٠٠

بعض النقود العربية السعودية



ريال وربع ريال فضة حجم الاصل
١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

فهرس الإللام

تارلخ نلء ومللقاته

راجل اسلاء اللدان فل النبلء الاولى (نوالى نلء) بلن صلفاء ٢٠ — ٣٠
ورالجل فل النبلء الاللى ملء بن عبء الوهاب والواىبل بلن صلفاء ٣١ — ٥٧
ورالجل اسلاء افراد آل سلوء فل النبلء الاللى بلن صلفاء ٥٩ — ١٠٨ وامراء
لالل اى آل الرلللء ونسلهم فل صلفلى ٢٩٦ و ٢٩٧ وتوارلخ الولفاء فل صلفا
٤٣١ . وراجل اسلاء الللر فل لالء الللر بلن صلفاء ٤٥٤ — ٤٥٦ . اما اسم
الملل عبء العزلل سلوء واسلاء الرلاض ونلء والعرب لمل نلءلرل فل الال فهرس
لالل وارءة فل اكءر صلفاء الكساب .

— ملاحظا —

(—) ملل وءرء الالء بلن الرلملل ءل على ولب ءلءاء الارقام المفلء بلنلما
مءلا : ١ — ٥ لعلل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ،
٣٦٥ ، ٣٩١
ابن بللى ، سلء ٧
ابن بشر ، علان بن عبء الله ١٠ ،
١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ٣٧ ،
٤١ ، ٤٢ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٢ ،
٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١
ابن بللء . عبء الله ٤٣٣
ابن بلشار ، سللء ٧
ابن ءركى ، عبء العزلل بن عبء الله ٧
ابن ءوئى ٤٣
ابن ءللمل ٥ ، ١٤ ، ١٧ ، ٤٧ — ٤٩ ،
٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٤٣٦
ابن ءانى ، اءلء ١٥٤ ، ١٥٥
ابن ءانى ، قاسم امئر قءر ١٠٦ ،
١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٥٤ ،
١٥٥ ، ١٩٥ ، ٢١٢

ابا اللل ، طام ٧
ابراهم ٣٧٠
ابراهم باشا ، ابن ملء على ١٣ ،
٤٣ ، ٧٧ ، ٨٤ — ٨٦ ، ٨٨ —
٩١ ، ٩٤ ، ١٤٣
الابلء ٣٧٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ،
٣٩٢ ، ٣٩٦
ابن الالر ٣٦٢
ابن الامام سلوء ، عبء الله ١٤ ،
٧٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ — ٩١
ابن الامام فلصل ، ملء ١٢
ابن ابى سفلان ، معاوىة ٢٩٩
ابن ابى طالب ، على ٥٣ ، ١١٢ ،
٢٤٩
ابن بلء ، سلطان ١٤٦ ، ٢٥٣ —
٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ،

ابن ثعلبة ٦٩

ابن ثنيان ، احمد ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٠٧

ابن جبر ، عبد العزيز ١٤١

ابن جراد ، حسين ١٣٧

ابن جريس ، عبد الله ٧

ابن جلوي ، سعد ١٣٠

ابن جلوي عبد العزيز ٧

ابن جلوي ، عبد العزيز بن مساعد

٣٠٠ ، ٣٢٣

ابن جلسوي ، عبد الله ٧ ، ١٢٤

١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥

١٣٨ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢٠٨

٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٧٠

ابن جوهر ، عائض ٢٤٧

ابن حازي ، ولد سليمان ٣٢٨

ابن حجر ، الكندي ٣٦٣

ابن الحسن ، صالح ، راجع الحسن

صالح

ابن حسن ، عبد العزيز ١٧٠

ابن الحسين ، الامير زيد ٣٢٢

ابن الحسين ، الامير عبد الله ١٨١

٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ — ٢٥٤

٢٥٦ — ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠

٣٢٣ ، ٣٢٨ — ٣٣٠ ، ٣٥١

٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٤٠٠ ، ٤١٥

ابن الحسين ، الامير فيصل ٢٣٤

٢٧٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٤

٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٨٣

ابن حسين ، حسن ٤٣٣

ابن الحسين ، الشريف والملك علي ٦٩

٧٠ ، ١٨١ ، ٢٤٥ ، ٣٠٤

٣٠٥ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

٣٢٧ — ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥

٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١

٣٧٦ — ٣٧٨ ، ٣٨١ — ٣٨٦

٣٨٨ ، ٣٨٩ — ٣٩١ ، ٣٩٤

٣٩٦ ، ٣٩٨ — ٤٠١ ، ٤٠٧

٤١٢ — ٤١٧ ، ٤٢٠ — ٤٢٥

٤٥١ — ٤٥٣

ابن حمزه ، منصور بن محمد ٧

ابن حمود ، سلطان ، راجع ابن

الرشيدي ، سلطان بن حمود

ابن حميد الدين ، الامام يحيى ١٤٨

١٥٠ ، ٢٠١ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩

٤١٨

ابن حنبل ، الامام احمد ٣٦ ، ٣٧

٤٨ ، ٤٩ ، ٤٣٦

ابن الخطاب ، الخليفة عمر ٥ ، ٥٧

١٨٣

ابن خنيزان ، عبد الله ٧

ابن دجين ، سعدون بن هريعر ٦٥

ابن دجين ، هريعر ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٣

٦٥ — ٦٨

ابن داوس ، دهم ٤٣ — ٤٥ ، ٦٢ —

٦٥ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ٢٥٩

ابن الدويش ، راجع الدويش

ابن ربيعان ١٢٨

ابن رخيص فهاد ١٠٤

ابن الرشيد ، الامير طلال ٩٦ ، ١١٠

١١١

ابن الرشيد ، الامير عبد العزيز بن

متمب ١١٢ ، ١١٦ — ١٢٣ ، ١٢٧

١٢٨ — ١٤٠ ، ١٥٩

ابن الرشيد ، بدر بن طلال بن عبدالله
بن علي ٢٨٧
ابن الرشيد بندر ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١٠ ،
١١١ ، ١٧٨
ابن الرشيد ، بندر بن طلال بن عبدالله
بن علي ٢٨٧
ابن الرشيد جبر آل علي ٢٨٥
ابن الرشيد ، رشيد آل علي ٢٨٥
ابن الرشيد ، سعود بن حمود بن عبيد
٢٨٩ ، ٢٩٠
ابن الرشيد ، سعد بن عبد العزيز
٢٦٧ — ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ —
٢٩٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٣
ابن الرشيد ، سعود بن عبيد ١٧٨ ،
١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ ،
١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ،
٢١٨ ، ٢٢٠ — ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ —
٢٤٣ ، ٢٥٩
ابن الرشيد ، سلطان بن حمود ١٤٣ ،
١٥٣ ، ١٦٨ — ١٧٥ ، ١٧٨
ابن الرشيد ، سلطان بن عبيد ١٧٨
ابن الرشيد ، طلال بن عبد الله بن علي
٢٨٧
ابن الرشيد ، عبد العزيز ٢٧٤
ابن الرشيد ، عبد العزيز بن متعب
٢٨٨ ، ٢٩١
ابن الرشيد ، عبد الله ٩٣ ، ٩٤
ابن الرشيد ، عبد الله آل علي ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٩
ابن الرشيد ، عبد الله بن طلال
٢٦٩ ، ٢٧٩

ابن الرشيد ، عبد الله بن طلال آل
عبيد ٢٩٢ ، ٢٩٣
ابن الرشيد ، عبد الله بن متعب ٢٦٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،
٢٨٣
ابن الرشيد ، عبد الله بن متعب بن
عبد العزيز ٢٩٣
ابن الرشيد ، عبيد ١٧٨
ابن الرشيد ، عبيد بن علي ٢٨٦ ،
٢٨٩
ابن الرشيد ، فيصل بن حمود ١٧٤ ،
٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥
ابن الرشيد ، ماجد آل حمود ١٣٧ —
١٣٩ ، ١٤١ ، ١٨٠
ابن الرشيد ، متعب بن عبد العزيز
٩٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٥٩ —
١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ — ١٧٠ ،
١٧٥ ، ٢٨٨
ابن الرشيد ، متعب بن عبد الله
بن علي ٢٨٧ ، ٢٨٩
ابن الرشيد ، محمد ١٠ ، ١٢
ابن الرشيد ، محمد (الملقب بالكبير)
١٠١ — ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٦ ، ١٧٨
ابن الرشيد ، محمد بن طلال ٢٧٩ —
٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
ابن الرشيد ، محمد بن عبد العزيز
٢٨٨ ، ٢٨٩
ابن الرشيد ، محمد بن عبد الله بن
علي ٢٨٧

ابن الرشيد ، بدر بن طلال بن عبدالله
بن علي ٢٨٧
ابن الرشيد بندر ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١٠ ،
١١١ ، ١٧٨
ابن الرشيد ، بندر بن طلال بن عبدالله
بن علي ٢٨٧
ابن الرشيد جبر آل علي ٢٨٥
ابن الرشيد ، رشيد آل علي ٢٨٥
ابن الرشيد ، سعود بن حمود بن عبيد
٢٨٩ ، ٢٩٠
ابن الرشيد ، سعد بن عبد العزيز
٢٦٧ — ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ —
٢٩٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٣
ابن الرشيد ، سعود بن عبيد ١٧٨ ،
١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ ،
١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ،
٢١٨ ، ٢٢٠ — ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ —
٢٤٣ ، ٢٥٩
ابن الرشيد ، سلطان بن حمود ١٤٣ ،
١٥٣ ، ١٦٨ — ١٧٥ ، ١٧٨
ابن الرشيد ، سلطان بن عبيد ١٧٨
ابن الرشيد ، طلال بن عبد الله بن علي
٢٨٧
ابن الرشيد ، عبد العزيز ٢٧٤
ابن الرشيد ، عبد العزيز بن متعب
٢٨٨ ، ٢٩١
ابن الرشيد ، عبد الله ٩٣ ، ٩٤
ابن الرشيد ، عبد الله آل علي ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٩
ابن الرشيد ، عبد الله بن طلال
٢٦٩ ، ٢٧٩

ابن الرشيد ، مشعل بن عبد العزيز

٢٨٨ ، ٢٨٩

ابن رفادة ، الشيخ ابراهيم ٤١٢

ابن رميح ، عيسى ٤٧

ابن زيد ، زيد ٧

ابن سالم ، احمد ٤١٣

ابن سالم ، عبد الرحمن ٤٣٣

ابن سبعان صالح ٧

ابن سالم ، احمد ٤١٣

ابن السبهان ، راجع السبهان ، زامل

ابن سحمان ، سليمان ٤٣٣

ابن سحيم ، سلمان بن محمد ٤٣

ابن سحيم ، عبد الله ٥٣

ابن سحيم ، محمد ٤٣

ابن سرور ، الشريف يحيى ٧٤

ابن سعد ، فيصل ١٣٩

ابن سمود ، ابراهيم ٩١

ابن سمود ، الامام سمود بن عبد

العزيز بن محمد (الملقب بسمود

الكبير) ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٦٣ ،

٦٦ — ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ،

٩١ ، ٩٢ ، ١٩٢ ، ٢٥١ ، ٢٨٥ ،

٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤

ابن سمود ، الامام عبد الله ١١٢ ،

١١٣ ، ٢٨٧ ، ٣٦٠ ، ٤٢٢ ،

٤٢٥

ابن سمود ، الامام عبد العزيز بن

محمد ٦٣ — ٦٨ ، ٧٤

ابن سمود ، الامام فيصل ٨٢ ، ٨٨ ،

٩١ — ٩٧ ، ١٠١ ، ١٩٥

ابن سمود ، الامير محمد ٤٠ ، ٤٤ ،

٤٦

ابن سمود ، تركي بن عبد العزيز بن

عبد الرحمن ٢٦٥

ابن سمود ، تركي بن عبد الله بن محمد

٩١ — ٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٢٣

ابن سمود سمود ، ثنيان ٣٨ ، ٤٠ ،

٦٣

ابن سمود ، خالد ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥

ابن سمود ، خالد بن عبد العزيز بن

عبد الرحمن ٣٦٠

ابن سمود ، سعد ٩١

ابن سمود ، سعد بن سعد بن فيصل

١٠٤

ابن سمود ، سعد بن عبد الرحمن بن

فيصل ١٨٦ ، ١٩٠ — ١٩٢ ،

١٩٤ ، ٢٢٥

ابن سمود ، سمود بن عبد العزيز

(المعروف بالعرافة) ٤١٣ ، ٤١٤

ابن سمود ، سمود بن عبد العزيز بن

عبد الرحمن ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٦ ،

٢٧٠ ، ٢٧٧ — ٢٧٩ ، ٢٨١ ،

٣٥٩

ابن سمود ، سمود بن عبد الله ١٩٦

ابن سمود ، سمود بن فيصل ٩٧ —

١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٩٤ ، ٢٣٣

ابن سمود ، سلمان بن محمد ١٨

ابن سمود ، عبد الرحمن بن فيصل

٩٧ ، ١٠١ — ١٠٦ ، ١١٧ —

١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ،

١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٨ ،

١٨٠ ، ١٨٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ،

٢٤٥ ، ٢٧٠ ، ٣٢٦ ، ٣٥٩

ابن سعود ، عبد العزيز بن سعود بن
 فيصل ١٠٤
 ابن سعود ، عبد العزيز بن عبد الرحمن
 بن فيصل ، (صاحب السيرة)
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 هذه الأرقام انزلت لمراجعة نشأته
 أما الصفحات التي ورد فيها اسمه
 فكما سبق وذكرنا هي في أغلب فصول
 الكتاب ولا داعي لذكرها
 ابن سعود ، عبد العزيز بن محمد ٩٢ ،
 ٩٥
 ابن سعود ، عبد الله بن تركي ١٠٠ ،
 ١٠٣
 ابن سعود ، عبد الله بن ثنيان بن
 إبراهيم بن ثنيان ٩٥
 ابن سعود ، عبد الله بن سعود بن
 فيصل ١٠٤ ، ١٥٤ ، ٣٠١
 ابن سعود ، عبد الله بن فيصل ٩٧ —
 ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٧٣ ، ١٩٤
 ابن سعود ، عبد الله بن محمد ٩٢ ،
 ٩٥
 ابن سعود ، فرحان ٦٣
 ابن سعود ، فيصل ابن الامام تركي
 ٢٨٥ ، ٢٨٦
 ابن سعود ، فيصل بن عبد العزيز بن
 عبد الرحمن ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٦١ ، ٤٠٤ ، ٤٢٢ ،
 ٤٤٨
 ابن سعود ، محمد بن سعود بن
 فيصل ٤١ ، ٦٣ ، ١٠٣
 ابن سعود ، محمد بن عبد الرحمن بن
 فيصل ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٥٥ ،
 ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٦٠

ابن سعود ، محمد بن عبد العزيز بن
 عبد الرحمن ٣٦٠ ، ٤٢٠
 ابن سعود ، محمد بن فيصل ٩٧ —
 ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤
 ابن سعود ، مشاري ٣٨ ، ٤٠ ،
 ٦٣ ، ٩١ — ٩٤
 ابن سعود ، مشاري بن معمر ٦٣
 ابن سعود ، ناصر ٩١ ، ٢٢٤
 ابن السعدون ، عجيبي ١٠٠ ، ١٨٤ —
 ١٨٩ ، ١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٠٤ —
 ٢٠٦ ، ٢٤٠
 ابن السعدون ، يوسف بك المنصور
 راجع السعدون يوسف بك
 ابن سليم ، أمير عنيزة ١٧٠
 ابن سليم ، عمر بن محمد ٤٣٣
 ابن سليمان ٢٧٤ ، ٢٧٥
 ابن سويط ، حمود ١٩٧ — ١٩٩
 ابن سويلم ، احمد ٤٠
 ابن سويلم ، عبد الرحمن ١٨ ، ٢١٠ ،
 ٢١٢
 ابن سويلم ، مساعد ١٣٤ ، ١٣٥
 ابن سويلم ، يوسف ٢٠٨
 ابن شامان ، ناصر ٧
 ابن الشعلان ، راجع الشعلان
 ابن شعيب ، طامي ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
 ٨٣
 ابن شعيل ، محمد ٧
 ابن الشيخ خزعل ، الشيخ كاسب
 ٢٧٦
 ابن الشيخ ، الشيخ عبد الرحمن بن
 عبد اللطيف ٣٦٠

ابن سعود ، عبد العزيز بن سعود بن
 فيصل ١٠٤
 ابن سعود ، عبد العزيز بن عبد الرحمن
 بن فيصل ، (صاحب السيرة)
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 هذه الأرقام انزلت لمراجعة نشأته
 أما الصفحات التي ورد فيها اسمه
 فكما سبق وذكرنا هي في أغلب فصول
 الكتاب ولا داعي لذكرها
 ابن سعود ، عبد العزيز بن محمد ٩٢ ،
 ٩٥
 ابن سعود ، عبد الله بن تركي ١٠٠ ،
 ١٠٣
 ابن سعود ، عبد الله بن ثنيان بن
 إبراهيم بن ثنيان ٩٥
 ابن سعود ، عبد الله بن سعود بن
 فيصل ١٠٤ ، ١٥٤ ، ٣٠١
 ابن سعود ، عبد الله بن فيصل ٩٧ —
 ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٧٣ ، ١٩٤
 ابن سعود ، عبد الله بن محمد ٩٢ ،
 ٩٥
 ابن سعود ، فرحان ٦٣
 ابن سعود ، فيصل ابن الامام تركي
 ٢٨٥ ، ٢٨٦
 ابن سعود ، فيصل بن عبد العزيز بن
 عبد الرحمن ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٦١ ، ٤٠٤ ، ٤٢٢ ،
 ٤٤٨
 ابن سعود ، محمد بن سعود بن
 فيصل ٤١ ، ٦٣ ، ١٠٣
 ابن سعود ، محمد بن عبد الرحمن بن
 فيصل ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٥٥ ،
 ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٦٠

ابن الشيخ ، عبد الله بن حسن
٣٦٠ ، ٣٦٢

ابن الصامت ، عباده ٥١

ابن صامل ، فيحان ٢٥٢

ابن الصباح ، راجع الصباح

ابن صويط ، حبود ٣٠٥ ، ٣٠٦

ابن طلال ، راجع ابن الرشيد محمد
بن طلال

ابن طوالة ، برفش ١٧٥

ابن طوالة ، ضاري ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧

ابن عائض ، حسن ٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠

ابن عائض ، حسن بن علي بن محمد
٣٠٠ — ٣٠٣

ابن عائض ، محمد ٢٩٩ — ٣٠٣

ابن عبد الرحمن سعود ، مشاري ٩٢

ابن عبد اللطيف ، الشيخ عبد الله
١٠٤ ، ٢٣٥ ، ٤٣٣

ابن عبد اللطيف ، محمد ٤٣٣

ابن عبد الله ، تويني ٦٨

ابن عبد الوهاب ، سليمان ٤٣

ابن عبد الوهاب ، الشيخ محمد ١٤

١٥ ، ٣١ ، ٣٥ — ٣٨ ، ٤٠ —

٥٥ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ —

٦٧ ، ٢٥٩ ، ٢٩٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ،

٤٣٦

ابن عبيد ، عبد الله ٧

ابن عتيق ، سعد ٣٢٦

ابن عتيق ، سعود بن حمد ٤٣٣

ابن عجيان ، مطلق ٧

ابن عجيل ، عقال ٢٦٩

ابن عجيل ، ماجد ٢٤٠ ، ٢٤١

ابن عدل ، صالح ٤١٢ — ٤١٤

ابن عريعر ، سعدون ٤٦ ، ٢٥٩

ابن العزيز ، سعود ١٣٩

ابن عسكر ، عبد الله ٧

ابن عفيصان ٣٠٣

ابن عقيل ، عبد الله بن محمد ٣٢٣

ابن علي ، الشريف او الملك حسين

٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٩ — ١٩٣ ،

١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ —

٢٠٥ ، ٢٠٧ — ٢٠٩ ، ٢١٨ —

٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ — ٢٣٩ ،

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ — ٢٥٢ ،

٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ — ٢٦٩ ،

٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩ ،

٣١٢ ، ٣١٨ — ٣٢٦ ، ٣٣٠ ،

٣٣١ ، ٣٣٤ — ٣٥٥ ، ٣٥٨ ،

٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ،

٣٧٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٠ ،

٤٠١ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤٢١

ابن علي ، الشريف ناصر ٣٣٨

ابن عنيز ، خالب ٢٤٧

ابن عون ، الشريف عبد الله ٣٠١

ابن عيسى ، ابراهيم ٩٩

ابن عيسى ، الشيخ ابراهيم بن صالح

١٢

ابن غنام ١٤ ، ١٧ ، ٦٣

ابن لغتن ، هزاع بن منصور ٣٩٢

ابن مسيب ٢٥٢
 ابن مشخص ، يوسف ٧
 ابن مضيان ، هانم ٨٥
 ابن مطرف ، عبد الرحمن ٣٦٣
 ابن معمر ، عبد الرحمن ٣٠٦
 ابن معمر عثمان ٣٨ — ٤١ ، ٦٢ ، ٦٣
 ابن معمر ، نهد ٧ ، ١٩١ ، ١٩٤
 ابن معمر ، محمد بن مشاري ٩١ ، ٩٢
 ابن مخلق ٤٣
 ابن مقرون ، محمد بن سعود بن محمد
 ٤٤ ، ٦٢ ، ٢٥٩
 ابن منصور ، الشريف خالد ٢٥٠ —
 ٢٥٢
 ابن مهزي ٢٤٧
 ابن ناصر ، مشاري ٢٥٣
 ابن هاشم ، عون ٢٥٦ ، ٢٥٩
 ابن هذال ٤٥ ، ١٨٢
 ابن هذال ، نايف ، راجع هذال
 ابن هزاع ، محمد ٧
 ابن هذان ، مذكر ٢٢٣
 ابن هنيئان ، عبد الله ٧
 ابن وائل بكر ٢٦
 ابن الوليد ، خالد ٣٥
 ابو بكر ٢٦٢ ، ٢٦٣
 ابو بكر ، دياب ١٦١
 ابو ثايه ، عودي ٢٦٨
 ابو جنان ١٢٣
 ابو حنيفة ، الامام ١٦ ، ٥١ ، ٢٢٦
 ٤٣٥
 ابو الخليل ، حسن آل مهنا ١٠٢

ابن فريج ، منصور ٧
 ابن قاعد ، ماضي ٢٥٣
 ابن القصيبي ٢٠٨
 ابن القيم ٤٣٦
 ابن لؤي ، الشريف خالد ٧٠ ، ١٩٢ ،
 ١٩٣ ، ٢١٩ ، ٢٥٣ — ٢٥٧ ،
 ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ ،
 ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ،
 ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ،
 ابن مبريك ، اسمعيل ٣٧١ ، ٣٧٧
 ابن متعب ، عبد الله ، راجع ابن
 الرشيد ، عبد الله بن متعب
 ابن مجتل ٢٩٩
 ابن محمد ، الامير عبد العزيز ٤٥
 ابن محمد ، الامير عبد الله بن علي
 ٢٤٧
 ابن محمد ، خالد ١١٧
 ابن محمد ، سعود ١٣٩
 ابن محمد ، الشيخ عبد العزيز ٩٠
 ابن محمد ، غازي ٢٥٣
 ابن مرخان ، مقرون ٦٢
 ابن مرداو ، الشيخ خزعل امير
 المحبرة ، راجع الشيخ خزعل
 ابن مرعب ، ماجد ٧
 ابن مرعي ، هانض ٩٦
 ابن مزروع ، الامير محمد ٨٦
 ابن مساعد ، الشريف عبد العزيز ٤٤ ،
 ٦٧ ، ٦٩
 ابن مساعد ، الشريف غالب ٦٧ ،
 ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٣ ،
 ٨٤
 ابن مسفر ، عبد الله ٣١٤

ابو الخيل ، محمد آل عبد الله ١٥٩ ،
 ١٦٦ - ١٧٠ ، ١٧٣ - ١٧٧
 ابو الخيل ، محمد آل علي ١٤٩
 ابو الخيل منها ١٠٢ ، ١٥٤
 ابو ذراع ٣٠٦ ، ٣٠٧
 ابو زرعة ، زيد بن موسى ٤٤
 ابو شهر ١٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٧٤ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨
 ابو طاهر ٢٥٩
 ابو مجيمي ، سعدون باشا ١١٧ ،
 ١١٨
 ابو الفار ٣٠٦ ، ٣٠٧
 ابو قبيس ٣٧٠
 ابو الكبا ٢٥
 ابو مغير ١٥٩
 ابو نقطة ، عبد الرحمن ٧٠ ، ٧٨
 ابها ٩٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣
 ابرق ٤٥٥
 ابرى ، قرية من قرى الملح ٣١٩
 الالة ٤٥٤
 اجا ، جبل ٢٧٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
 ٢٩٨
 الاجير ١٥٦ ، ٤٥٦
 احسان الله ، المنشىء ٤٢٣ ، ٤٢٤
 احمد ، الامام ٤٣٥
 احمد الثالث ، السلطان ٦١
 الاخضر ١٧٥ ، ٤٥٦
 الادارسة ، راجع آل ادريس
 الادريسي ، الامام السيد الحسن بن
 علي ٤٤٦ ، ٤٤٧
 الادريسي ، السيد محمد ٢٠١ ، ٢٢٩

٢٣٢ ، ٣٠٠ ، ٣٤١
 الادلي ، عارف باشا ٣٩٣
 الارطاوية ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٥٦ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٣٠٦ ،
 ٤٠٤ ، ٤٥٤
 الارطاوي ٤٥٤
 ارلندة ٤٤٨
 الاستانة ١٤ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١١٦ ،
 ١٢٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٠٣
 الاسكدرية ٨٤ ، ٨٩ ، ٣٥٨
 آسيا ٤٤١
 الاسياح ١٥٦
 الاشعلي ١٧٩ ، ١٨٠
 اشيتر ١٢
 الاصمي ٣٦٢
 الاعشى ، الشاعر ٢٥
 الانلاج ٢٢ ، ٦١ ، ١٠٠ ، ١٢٨ ،
 ١٩٥ ، ١٩٧
 آل ابراهيم ، يوسف ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١٢٠ ، ١٥١
 آل ابي الخيل ١٠١ ، ١٣٦
 آل ادريس او الادارسة ٢٠١ ، ٤٤٦ ،
 ٤٤٧
 آل بسام ١٣٨ ، ٢١١
 آل جعفر ٢٨٥
 آل حارث ، غازي ٢٤٧
 آل حسان ، عبد العزيز ٢١٦
 آل الحسين ٤٥٢
 آل ختلان ١٨٠
 آل خليفة ١١٣ ، ٢١١ ، ٣٠٣
 آل خليفة ، الشيخ عيسى ١٨ ،
 ١١٢ ، ٢١١

آل خليل ٢٨٥
 آل او بيت الرشيد ٩٣ ، ٩٨ ، ١٥٩ ،
 ١٦٨ ، ١٩١ ، ٢٢١ ، ٢٦٩ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
 ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٦٠
 آل الرشيد ، محمد بن طلال ، راجع
 ابن الرشيد ، محمد بن طلال
 آل زايد ١٨
 آل سبهان ١٧٨ ، ٢٦٩ ، ٢٩١ ،
 ٣٦٠
 آل سعود ١٥ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٦١ ،
 ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ،
 ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ — ٩٣ ، ٩٧ ،
 ٩٨ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ،
 ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،
 ١٩٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ — ٢٨٧ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ،
 ٣٢٠
 آل سقران ١٩٨
 آل سليم ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨
 آل سيف ، الشيخ عبد الله بن
 ابراهيم ٣٧
 آل الشيخ ٩١ ، ١٠٥
 آل صباح ٢٣٦ ، ٢٧٠
 آل طوالة ٣٠٦
 آل عائض ٩٦ ، ٩٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ،
 ٣٤١
 آل عبد الله ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤
 آل عبده ٣١٦

آل عبيد ٢٨٨ ، ٢٨٩
 آل عفيصان ٣٠٣
 آل علي ٩٣ ، ٢٨٥
 آل عليان ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٥٤
 آل علي ، جبر راجع ابن الرشيد ،
 جبر آل علي
 آل علي ، رشيد راجع ابن الرشيد ،
 رشيد آل علي
 آل علي ، عبد الله ، راجع ابن
 الرشيد ، عبد الله آل علي
 آل او ابن قمرطال ، عبد الوهاب ٢١٥ ،
 ٢١٦
 آل لبده ١٢٣
 آل محمد ، سليمان ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣
 آل مقرن ٢٤٨
 آل مهنا ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٤٩ ،
 ١٥٤ ، ١٧٣
 آل هذال ١٠١
 آل هزان او الهزازية ١٨٠ ، ١٨١ ،
 ١٩٤ ، ١٩٦
 آل يحيى ١٣٨
 آل يزيد ٢٩٩
 البا ، جزيرة ٨٣
 الباني البانيون ٨٥ ، ٨٨
 آل النبي الجنرال ٢٤٣
 الالمان ، الالمانى ٢١٢ ، ٢٤٣ ، ٢٨٨ ،
 ٤٠١
 المانيا ٤٠٢
 الملح ، قبيلة ٧٠ ، ٧٣

٢٤٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ،
 ٣٠٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ،
 ٣٤٢ ، ٤١٥ ،
 انور باشا ٢١٣
 الاهرام ، جريدة ١٦
 الاهواز ٣٥
 اوروبا ٨٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٢ ، ٣٤٦ ،
 ٤٠٠
 اون ، الكولونيل ٢٣٨ ، ٢٣٩
 ايران ٣٥٥ ، ٣٦٥ ، ٤١٦
 ايطاليا ٢٠١
 الايوبون ٦

الالوسي ، محمود شكري ١٥ ، ٢١ ،
 ٢١٨ ، ٢١٩
 ام جريف ٢٨٠
 ام العميد ٣٢٩
 ام القرى ٣٧٢ ، ٤٢١ ، ٤٣٠
 ام القلبان ٤٥٦
 امرىء القيس ٣٦٣
 الامويون راجع بنو امية
 الاميال ٣٦٧
 الانتكسارية ٦١
 الانكليز ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

ب

البحيري ٤٢
 البحر الاحمر ٢١ ، ٨٥ ، ٢٣٠
 بحرة ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ،
 ٣٩٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٣٧ ،
 ٤٤٠
 البحرين ١٨ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١٥٥ ،
 ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ،
 ٣٥٧ ، ٤٤٩
 بدر ٤١٢ ، ٤١٣
 البدع ٤٥٦
 البدور ١٨٦
 البديع ، قرية ٢٤٦ ، ٢٤٧
 براويرا ، رادين ٤١٦
 البره ٩٩
 بركة ٢٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦

بادبا اي لبلخ ، المعروف بعلي بك
 العباسي ١٣ ، ١٤ ، ٧٧ ، ٧٩ ،
 ٨٠ ، ٩٧
 بارق ٣٠٣
 باريس ٧٨ ، ٨٥
 الباطن ٤٢ ، ٢٥٥
 بالاهمر ٢٩٩
 بالاسمر ٢٩٩
 بتاوي ، ابراهيم محمد علي صالح
 ٤٥٢
 بتاوي ، حسن ٤٥٢
 بتاوي ، زين ٤٥٢
 بتاوي ، الشيخ محمد صالح ٤٥٢
 بتاوي ، عبد الرحمن محمد علي صالح
 ٤٥٢
 البتراء ٧٠

١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ،
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،
 ٢١٢ ، ٢١٥ — ٢١٩ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٣٠٦ ،
 ٣٥٨

البطينيات ١٣٧

بغداد ١٦ ، ٦٨ ، ٩٩ ، ١٠٦ ،
 ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ ،
 ١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩٠ ،
 ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ، ٢٧٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ،
 ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
 ٣٥٥

البغدادي ، ابراهيم نصيح الحيدري
 ١٧

بقعة ، قرية ٢٨٠

البقوم ٢٥١ ، ٣٣٣

البقيعة ١٥٥

البكيرية ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٤ —
 ١٧٦ ، ٣٦٠

بلبول ٢٧١ ، ٢٧٢

بلغراف ، ولیم ٩٦ ، ٩٧

البلازيه ٤٥٦

بمخروق ، ضلع ١٣٤ ، ١٦٣

البنجية ١٥٦

بنوان ٤٥٦

بنو اسرائيل ١٤٤

بنو امية ٦

بنو تميم او التميمي ١٠ ، ٣٣١

بنو ثقيف ٣٣١

بركات ٩٧

بركهارت ، المعروف بالحاج عبد الله
 ١٣ ، ٨٠

بريده ١٢ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٧ ،
 ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٨ ،
 ١١٩ ، ١٣٧ ، ١٣٩ — ١٤١ ،
 ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ —
 ١٥٦ ، ١٥٨ — ١٦٠ ، ١٦٣ ،
 ١٦٥ — ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٢ ،
 ٢٨٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

بريطانيا العظمى ، او الحكومة او
 الدولة البريطانية او انكلترا ١٦ ،
 ٢١ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٢٠ ،
 ١٢٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ،
 ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠ ،
 ٣٣٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ،
 ٣٦٥ ، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،
 ٤٢٩ ، ٤٤٨

البريمة ٦٩

البسام ، عبد الله بن محمد عبد العزيز
 وآل

١٥ ، ١٧ ، ٢١٠

بسسل ٨٢

بسيون ٤٥٢

البشوك ١٥٦

البصر ١٤١

البصرة ١٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ،
 ٤٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ١١٦ ،

بنو مقرن ٦٢
 بنو هاجر ٢٢ ، ١٣٣ ، ٤٥٥
 بنو هاشم ٢٤٨
 بنو هلال ٣٦٦
 بور سودان ٢٣٤ ، ٢٣٥
 بو كمال ٣٢٠
 بولارد ، المستر ٣٥٦
 بولس ، الرسول ٤٩
 بونايرت ، راجع نبوليون الاول
 بونايرت ، يوسف ٧٨
 بيت الفقيه ٧٠
 بيروت ٣٢٤ ، ٣٥٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ،
 ٣٨٦
 بيضة ٦٩ ، ٨٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠٢
 بيضة نثيل ٤٥٦
 بك باشا ٣٢٩

بنو جابر ٣٦٨ ، ٣٦٩
 بنو خالد ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٦ ، ٨٨ ،
 ٩٧ ، ١٣٣ ، ٢٢٣
 بنو دليم ٢٩٩
 بنو زيد ٢٩٩
 بنو سالم ٨٢
 بنو سفيان ٣٣٤ ، ٣٣٥
 بنو شهر راجع ابو شهر
 بنو صخر ٣٢٨
 بنو العباس ٦
 بنو لوي ٢٥٠
 بنو مالك ٢٢٩ ، ٣٩٥
 بنو مرة او آل مرة ٢٢ ، ٩٧ — ١٠٠ ،
 ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ،
 ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٠٥ ، ٤٥٥ ،
 ٤٥٦
 بنو مغيط ٢٩٩

ت

١٤٥ — ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ،
 ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
 ١٦٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٨ — ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ —
 ٢٤٤ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨ —
 ٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٥٨ ،
 ٣٧٥

تربه ٦٩ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ — ٢٥٨ ،
 ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
 ٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٤١٦
 الترك او الاتسراك او الحكومة او
 الدولة التركية ١٧ ، ٦١ ، ٧١ ،
 ٧٢ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ،
 ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،
 ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،

التميمي ، سليمان بن علي ٣٦
تهامة ٧٠ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ،
٣٤١ ، ٣٧٧
تودشيني ٨٥
التويم ، قرية ١٣٦
التميم ٤٥٦

ترمدا ١٠١
تشاريكوف ، الطيار الروسي ٤٠٦
تشرشل ، المستر ٢٧٧ ، ٣١٤
تعز ٧٩
تمير ٢٧
التميمي ، راشد الدريبي العنقري
١٠١

ث

الثوير ١٥٧
الثبي ، عبد القادر ٣٧٣

ثاج ٤٥٥
ثادق ١٣٦ ، ١٣٨
ثرمدا ١٣٥

ج

٣٩٧ ، ٣٩٩ — ٤٠٤ ، ٤٠٧ —
٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤ — ٤١٨ ،
٤٢٠ — ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٩٩ ،
٤٥٢
الجدعان ٣٦٨ ، ٣٦٩
جديلة ٦٢
جراب ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،
٢٤٢ ، ٢٨٢
الجريا ، امير جبل شمر ٢٨٥ ، ٣٠٤
جروول ٣٨٦ ، ٣٩٤
جرير ٣٦٤
الجريجيري ، البطريك بطرس ٩٧
الجريفة ٢٧
الجزائر ٧٨
الجزعة ١٠٠
الجمدة ٢٤٧

الجامعة الاميركية ١٤
جاوه ٣٦٨ ، ٣٩٢ ، ٤٢٩
الجبرتي ١٤
جبل الدروز ٣١٩
الجبيل ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٧١
الجبيلة ٣٨ ، ٦٣ ، ٨٨
الجتامية ٢٨٠ ، ٢٨٢
جده ١٥ ، ٢١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ،
٧٥ ، ٧٨ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ١٨١ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ،
٢٣٧ — ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
٣٠٤ ، ٣٣٦ — ٣٤١ ، ٣٤٣ ،
٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ — ٣٥٢ ،
٣٥٥ — ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،
٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،
٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ،
٣٨٢ — ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ،

الجملة ١٦٩

الجنير ٤٥٤

جلاجل ٢٧ ، ٩٣ ، ١٣٦

جلايتون ، السر جلبرت راجع كلايتون
السر جلبرتجمال باشا ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ،
٢٣٤

جميه ١٨٨

جنتيلي ٨٥

الجهري ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ٢٠٠ ،
٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

جهينه ، عرب ٧٣ ، ٤١٢

الجوده ٩٩

الجوف ٧٠ ، ١٧٤ ، ٢٠٥ ، ٢٦٨ ،

٢٧٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ،

٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

٣١٩ — ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٨ ،
٣٤٠

الجومي ١٤٥

جومار ا. ف. ١٤

جيرين ، واحة ١٢٣ ، ٢٠٦

جكران ٢٢٩ ، ٢٣٢

ح

الحجاز ٥ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٣٧ ،

٤١ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ —

٧٤ ، ٧٧ — ٨٤ ، ١١٦ ، ١٢٤ ،

١٤١ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،

١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،

٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ،

٢٣٧ — ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ،

٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٩٨ ،

٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،

٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،

٣٢٥ — ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،

٣٣٤ — ٣٣٧ ، ٣٤٠ — ٣٤٥ ،

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ — ٣٥٧ ،

٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ — ٣٦٧ ،

٣٧٥ — ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ —

٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ —

٣٩٨ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ،

٤١٥ — ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،

٤٢٦ — ٤٣٠ ، ٤٤٦ — ٤٥٢

حاتر سبيع ٦٥ ، ١٣٠ ، ٢٥٠

حاتل ٢٢ ، ٦٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٢ —

١٠٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦ ،

١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٨ ،

١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

١٧٨ — ١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٢١ ،

٢٤٠ — ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ،

٢٧٠ — ٢٧٧ ، ٢٨٢ — ٢٨٤ ،

٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ،

٣٤٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٤١٢ ،

٤١٨

الحازمية ١٢٢

حاشد ، بلاد ٣٤١

حامد ، الشريف ٤١٢

١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٢ —
 ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ،
 ١٥٥ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ —
 ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٦ — ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،
 ٢١٧ ، ٢٢٣ — ٢٢٧ ، ٢٣٣ ،
 ٢٥٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٥ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٤ ، ٣٤٦
 الحسن ، صالح ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 ١٥٤ — ١٥٧ ، ١٥٩ — ١٦١
 الحسن ، عبد العزيز ، ٢٠٠ ، ٢٧٢
 الحسي ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٩ ، ٤٥٥
 الحسين ٦٦
 الحسين ، بيت ٣٥٢
 حسين ، الملك ، راجع ابن علي ،
 الملك حسين
 الحسيني ، المفتي امين ٣٥٣
 الحصاة ٤٥٤
 حضن ، جبل ٢١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٢٤٩ — ٢٥١
 الحفر ١٢ ، ١٢٠ — ١٢٣ ، ١٢٧ ،
 ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ،
 ١٩٨ ، ٢٤١ ، ٢٧٦ ، ٣٠٦
 حفز المعج ٢٧٦
 الحفير ٤٥٦
 حكيموف ، عبد الكريم ٤١٦
 حليان ١٢٨
 الحلوة ٢٤
 حلمي ، عباس خديوي مصر ٢٣٨
 حليفة ٤٥٥
 حماد ٣٦٢

الحجر ٢٤٢
 حجلة ٣٠٠ ، ٣٠٢
 حذاء ٣١٥ ، ٣٨٣ ، ٣٩٢ — ٣٩٤ ،
 ٤١٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٥
 الحديد ٧٠ ، ٣٤١
 حرب ، عرب ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ،
 ١٠٢ ، ١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ،
 ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ،
 ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،
 ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤٥٥ — ٤٥٦
 حرة خيبر ١٤٠
 الحرة الصغيرة ٢١ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
 ٢٥٢ ، ٣٦٦
 الحرث ، الشريف ٣٣١ ، ٣٣٤ ،
 ٣٧٨ ، ٣٩٢
 حرض ١٢٣
 الحرم او الحرمين ٧٢ ، ٨١ ، ١١٢ ،
 ١١٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٣ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ،
 ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤١٦ ،
 ٤٢٩
 حرملة ٣٠١ ، ٣٠٣
 الحريق ٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
 ١٨٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ — ١٩٦ ،
 ٢٠٣
 حريملة ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٦٣ ،
 ١٠٠ ، ١٣٥
 الحساء او الاحساء ٦ ، ١٧ ، ١٨ ،
 ٢١ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،
 ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٦١ — ٦٣ ،
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٩٦ ،
 ٩٨ — ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

الحنبلي ، الشيخ القاضي احمد بن
 رشيد ٩٠
 حنيذ ٤٥٥
 حنيظل ٤٥٥
 حنيفة ، وادي ١٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٩ ،
 ٣٦٠
 حوران ٧٠ ، ٣١٩
 الخوطة ٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ — ١٣٢ ،
 ١٨١ ، ١٩٤ ، ١٩٥
 الحويره ١٠٠
 الحويطات ٣٢٨ ، ٣٢٩
 حيفا ٣٥٥
 حيوة ، الشيخ محمد ٣٧
 حوية ، قرية ٣٣١

الحماده ١٠٢
 الحمادي ، سلطان ١٨
 حمد ، عبد المجيد ٤٢٠
 حمدي بك ٣٠٣ ، ٣٧٧
 حمدي ، الدكتور محمود ٣٦٠
 حمزة ٣٧٠
 حمض ٢٧٢
 الحميدان ١٥٥
 الحميدية ٣٧٣
 الحنات ٤٥٥
 الحناكية ١٦٣ ، ٤١٢ ، ٤١٤
 حنبل ، الامام احمد ٢٦٦ ، ٣٧٤
 الحنبلي ، حسين بن غنام ١٠
 الحنبلي ، راشد بن علي ١٥

خ

١٧٨ ، ١٨٤ ، ٢١٥
 خثيرم ، الشيخ عباس بن يوسف ٤٥٢
 خثيرم ، محمد نور الشيخ يوسف
 ٤٥٢
 الخطيب ، الشيخ غواد ٣٣٠ ، ٣٥٥ ،
 ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٤١٧ ، ٤١٨
 الخفاف ٣٦٣
 الخفس ، راجع ماء الخفس
 خميس مشيط ٢٩٩ — ٣٠٢
 الخميسية ١١٨
 الخوار : جبل ٣٦٤
 خورشيد باشا ، القائد ٩٤
 خير ٣٢١ ، ٣٢٣
 الخيف ٧٢

خالد راجع ابن لؤي ، الشريف خالد
 الخبه ٤٥٦
 الخبراء ١٤٠ ، ١٤٣ ، ٣٦٠
 خديجة ، السيدة ٣٦٨
 الخرج ٢٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٦٥ ،
 ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ،
 ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٣٠ — ١٣٣ ، ١٩١ ، ١٩٤ ،
 ١٩٨ ، ٢٢٦ ، ٤٥٦
 الخرمة ٧٠ ، ١٩٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٤٩ — ٢٥١ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
 ٣٣١ ، ٤١٦
 خريغله ٤٥٦
 خزمل ، امير المحبره ١١٠ ، ١١٢ ،

الدليبية ٤٥٥
 دمشق ٧٠ ، ٨٧
 الديمولوجي ، عبد الله ١٥
 الدهنا ، صحراء ٢٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
 ١٠٠ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٣٣
 الدوامر ٢٢ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
 ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٩٧ ، ٢٤٢ ،
 ٤٥٤ ، ٤٥٦
 الدوسري ، حزام العجاليين ٧
 الدوسري ، فلاج بن مشتار ٧
 دوطي ، شارل ١٧
 الدويش ، فيصل ٨٥ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ،
 ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٧ ،
 ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٧٢ —
 ٢٧٥ ، ٢٧٩ — ٢٨١ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٧ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٦٨ ،
 ٤٠٤ ، ٤١٤

دارين ٢٣٠ ، ٢٣٢ — ٢٣٤ ، ٣١٢
 السدام ٢٣
 الداهنة ٩٣ ، ٣٦٠ ، ٤٠٤ ، ٤٥٥
 الدباغ ، الشيخ طاهر ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،
 ٣٣٩
 دخنا ، عبد ٢٥٤
 دخنة ، قرية ٢٦٣ ، ٣٦٠ ، ٤٠٤ ،
 ٤١٠ ، ٤٥٥
 الدرعية ٣٨ ، ٤٠ — ٤٣ ، ٤٥ —
 ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ — ٦٨ ،
 ٧٤ ، ٨٧ — ٩٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٣
 درويش ، بثر ٢٤٤
 دمنية ٣٦٦
 دكسون ، الميجر ٣١١
 الدلم ٦٥ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٣٠ —
 ١٣٢
 الدليم ، لواء ٢٠٥ ، ٢٠٦

الذويبي ، ناهش ١٥٩

ذو حسن ٣٧٦
 ذو النون ٢٠٠

الربع الخالي ٢١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
 ٢٠٦
 الرين الاسفل ٤٥٤
 الرين الاعلى ٤٥٤
 ربيعه ١٠ ، ١٥ ، ٦٢

رأس السيل ٢١
 رايغ ٣٦٨ — ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،
 ٤١٣ — ٤١٥ ، ٤٢١
 الرافدين ٦٦
 الرباعي ، عبد العزيز ٣١٧

الرقيمة ٧٥
ركبه ٤٠٤
الركيبة ٣٦٠
الرمادي ٢٠٥
الرمة ، وادي ١٤٧ ، ١٤٠
رنية ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،
٢٥٣ ، ٣٣١
الروس ٤١١
الروضة ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٤٥٥
الروقة ، عرب ٩٣ ، ٢٤٨ ، ٤٥٥ ،
٤٥٦
الروله ، عرب ١٨٢ ، ٣١١
الروم ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٢
رومه ٤٢
الرويس ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٠
الرويضة ٤٥٦
الريحاني ، امين ١٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
٣٠٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ،
٣٨٢ ، ٣٨٥ — ٣٨٧ ، ٣٩٠
ربيع الريان ٣٦٣

الرحا ١٥٩
رديف باشا ، المشير ٢٩٩
الرس ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٤٠ ،
١٤٣ — ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٧٤
الرشا ، وادي ٣٦٤
الرشودي ، عهد ١٤٤
الرشيد ، سعود بن عبيد ، راجع ابن
الرشيد ، سعود بن عبيد
الرشيد ، سلطان بن حمود راجع ابن
الرشيد ، سلطان بن حمود
الرشيد سلطان بن عبيد راجع ابن
الرشيد ، سلطان بن عبيد
الرشيد ، عبد العزيز ١٦
الرشيد ، عبيد راجع ابن الرشيد ،
عبيد
الرضي ، الشريف ٣٦٤
الرفاعة ٣٠٦ ، ٣٩٣ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ،
٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦
الرفيه ٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣
الرفاعي ، هاشم ١٠ ، ١١

ز

زهران ٨٢ ، ٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠٢
الزواوي ، الشيخ ٣٣٣
الزوبع ، قبيلة ٢٠٥
زويمر ، الدكتور ٦٩
زيتسن ، الريخ (المعروف بالحاج
موسى) ٧٩ ، ٨٠
الزيمة ، قرية ٣٥٠ ، ٣٦٧
زينل ، عبد الله ٤٢٥

الزبادة ١١٣ ، ٣٠٣
زبيد ٤٢
الزبير ٣٨ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٩٩ ، ٢١٧
الزرقاء ١٧٣
الزلفي ٦٣ ، ١٠٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٢٠
زمزم ٧٩

ساجر ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٥٥
 ساسيو ٨٥
 الساقية ٤٥٥
 سالم ، احمد راجع ابن سالم ، احمد
 سالونيك ٨٤
 السباعي ، محمد ١٢
 السبهان ، ابراهيم ٢٨٤
 السبهان ، زامل ١٩١ ، ٢٦٧ ،
 ٢٩٠
 السبهان ، سالم ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢٩
 السبهان ، فاطمة ٢٦٩ ، ٢٧٨ ،
 ٢٩٣ — ٢٩١
 السبهان ، نهد ١٣٨
 سبيع ٨٢ ، ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٣٣ ،
 ١٨٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ،
 السبيعي ، عبد الرحمن ١٢
 السبيعي ، مسلم بن مجفل ٧
 ستورس ، رونالد ٢٧٧
 سدير ١٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٨٨ ،
 ٩١ — ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ،
 ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
 ١٦٩ ، ٣٦٣
 السديري ، احمد ١٣٠ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦
 السر ، وادي ٦٧ ، ٨٧ ، ١٢٧ ،
 ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ٣٦٠
 سرة ، جبل ٢٩٨
 سراج ، الشيخ عبد الله ٣٨٧
 سراط ٢٩٩ ، ٣٠٠
 سرحان ، وادي ٢٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢
 سعدون باشا ، راجع ابن السعدون
 السعدون ، عبد المحسن بك ٣١٧
 السعدون ، يوسف بك المنصور ٣٠٥ —
 ٣٠٧
 سعود الكبير راجع ابن سعود ، سعود
 بن عبد العزيز
 السعود ، فرحان ٧
 السعود ، نهد بن جلوي ٧
 سعيد الحميد ، العبد ٢٩١ ، ٢٩٢
 سفوان راجع ماء سفوان
 السقاف ، السيد احمد ٣٤١ ، ٣٧٨ ،
 ٤٥٢
 سكاكه ٣٢٠
 سكو تو ٨٥
 سلمي ، جبل ١٧٥ ، ٢٨٢
 سليم الثالث ، السلطان ٧٠
 سليمان باشا ٦٨
 سليمان العنبر ، العبد ٢٩١ ، ٢٩٢
 السليمية ١٣٢
 السماوة ٤٦ ، ٦٦ ، ١١٨
 سمير ١٦٠
 السميظ ، عبد الله ٢٧٢
 السنم ٤٥٥
 سهل الوشم راجع الوشم
 السهول ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ٢٥٠ ،
 ٤٠٤
 سواج ، جبل ١٧٤

ساجر ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٥٥
 ساسيو ٨٥
 الساقية ٤٥٥
 سالم ، احمد راجع ابن سالم ، احمد
 سالونيك ٨٤
 السباعي ، محمد ١٢
 السبهان ، ابراهيم ٢٨٤
 السبهان ، زامل ١٩١ ، ٢٦٧ ،
 ٢٩٠
 السبهان ، سالم ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢٩
 السبهان ، فاطمة ٢٦٩ ، ٢٧٨ ،
 ٢٩٣ — ٢٩١
 السبهان ، نهد ١٣٨
 سبيع ٨٢ ، ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٣٣ ،
 ١٨٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ،
 السبيعي ، عبد الرحمن ١٢
 السبيعي ، مسلم بن مجفل ٧
 ستورس ، رونالد ٢٧٧
 سدير ١٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٨٨ ،
 ٩١ — ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ،
 ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
 ١٦٩ ، ٣٦٣
 السديري ، احمد ١٣٠ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦
 السر ، وادي ٦٧ ، ٨٧ ، ١٢٧ ،
 ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ٣٦٠
 سرة ، جبل ٢٩٨
 سراج ، الشيخ عبد الله ٣٨٧
 سراط ٢٩٩ ، ٣٠٠

السوفييت ٤١٦ ، ٤٢٩
السويدي ، توفيق بك ٤١٩
السويدي ، عبد الرحمن ٥٤
السويس ٧٢ ، ١٣٤ ، ٣٥٦ ، ٤١٤
سويد ٩٣ ، ٩٤
المسيل ، قرية ٣٦٧
السيح ١٩٥ ، ١٩٦

سواكن ٤٠٩
السودان ١٣ ، ١١٤
سوريا ٧١ ، ٨٠ ، ٩٧ ،
٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٣١١ ،
٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ،
٣٥٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٤١٩ ،
٤٤٤

ثس

الشعري ١٦ ، ١٢٨ ، ١٩١ ، ٣٦٠ ،
٣٦٤
الشعلان ، الامير نوري ١٨٢ ، ١٨٨ ،
١٨٩ ، ٢٦٨ ، ٣٤٠
الشعلان ، نواف بن نوري ٢٦٨
الشعيب ١٢٨ ، ١٣٤
الشعبية ، وادي ١٧٩ ، ٢٧٠
شفيق كمالي باشا ١٦
الشقة ، قرية ١٦٥
الشقيق ٤٥٦
شقراء ١٢ ، ٨٧ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ،
١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٤ ، ٣٠٧
شلهوب ١٦٥ ، ١٦٦
شمر ٢٢ ، ٢٨ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٦٨ ،
٦٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١١ ،
١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ،
١٥٨ — ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٩٧ ،
٢٢٠ — ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٤٠ ،
٢٤٣ ، ٢٦٧ — ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،
٢٨٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ،
٢٩٤ ، ٣٠٤ — ٣٠٦ ، ٣٠٨ ،
٣١٦ — ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٥١ ،
٣٦٨ ، ٤٠٧ ، ٤٥٦

الشافعي ، الامام ٥١ ، ٢٢٦ ، ٤٣٥ ،
شاطر ، الشريف ٢٥١ ، ٢٥٦ ،
٤١٣ ، ٤١٢
شاطر ، صهر ٤٠٦
الشام ٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٦١ ، ٧٠ ،
٧١ ، ١٤٠ ، ٢٠٥ ، ٢٣٤ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٩٩ ،
٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، ٤٠٧
الشامري ، فهد بن الوبير ٧
الشامري ، مقصد بن خرصان ٧
الشاوي ، الوبير ٧
الشباك ٤٥٥
الشبيكة ، ٣٦٠ ، ٤٥٥
شحاب ، الشريف ٤١٣ ، ٤٢٠
شرف عدنان ، الشريف ٣٣٢
الشرق الادنى ٧٩ ، ٢٧٧
شرقي الاردن او الشرق العربي ٢١
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،
٣١٨ — ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ،
٣٣٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ،
٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٤١٥ ،
٤١٩ ، ٤٤١ — ٤٤٤
شعاف ، وادي ٢٩٩

الشوكي راجع ماء الشوكي
 شيبى ٣٣٣
 الشيبى ، الشيخ عبد القادر ٣٣٣ ،
 ٣٧٦ ، ٤٣٠
 الشيحية ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٦٢
 شيكسبير ، سائح ٢١٢ ، ٢١٨ —
 ٢٢٢ ، ٢٤٢

الشميسة ٣٨٩ ، ٣٩٤
 الشنانه ١٤٣ — ١٤٥ ، ١٤٧
 الشهداء، ٣٨٩ — ٣٩٢
 شهدان ، وادي ٢٩٨
 شهلان ، جبل ٣٦٤
 الشوامع ٣٤١
 شوكت علي ٣٥٣

ص

١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ —
 ١٥٣ — ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٢ —
 ١٨٩ ، ١٩٨ — ٢٠٠ ، ٢١٢ —
 ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ —
 ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٧٠
 الصباح ، الشيخ محمد ١٠٦ ، ١٠٩
 صبري باشا ٣٣١
 الصبيحية ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ ، ٢٧٣ — ٢٧٥ ، ٣٠٧
 الصحاف ٤٥٥
 الصخور ٣٢٩
 صدقي باشا ، الفريق ١١٢ ، ١٤٨ —
 ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠
 الصرار ٤٥٥
 الصريف راجع وقعة الصريف
 الصعيد ٨٥
 الصغرى وادي ٧٢
 الصفوف ٧٣
 صلاح الدين ٦

صادق بك ٤٢٥
 الصباح ، الشيخ احمد الجابر ٢٧٦ ،
 ٢٧٨ ، ٣١٨
 الصباح ، جابر بن مبارك ١٣٣ ،
 ١٨٥ — ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢١٤ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠
 الصباح جراح ١٠٩
 الصباح ، حمود ١٨
 الصباح ، دميح ٢٧١ — ٢٧٣
 الصباح ، سالم بن مبارك ٢٢٦ —
 ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٧٠ — ٢٧٦ ،
 ٢٨٠
 الصباح ، سعد بن عبد الرحمن ١٢٨
 الصباح ، سليمان الحمود ١٩٨
 الصباح ، علي الخليفة ١٩٨
 الصباح ، الشيخ مبارك ٩٩ ، ١٠٩ ،
 ١١٢ ، ١١٦ — ١٢١ ، ١٢٣ ،
 ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،

٤١٨ ، ٣٤١	الصبان ٢٢ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٣٣ ،
الصوح ٤٥٥	١٣٤
الصويغ ، الامير ١٣٤ ، ١٣٥	صنعاء ٤٢ ، ٧٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،

ض

١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٩١ ،	ضناري ، الشيخ ٢٠٥ ، ٢٠٦
٣٦٠	ضبا ٤٢٩
ضرية ٤٥٤	الضبيعة ٤٥٦
ضلاع ، وادي ١٨٦	ضرمى ٢٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٠ ،
الضويحي ١٥٢ ، ١٨٦	

ط

الطنيب ٣٢٩	الطائف ١٣ ، ٢١ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
طهران ٣٥٥	٧٤ ، ٨٠ — ٨٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ،
طوسون باشا ابن محمد علي ١٣ ،	٢٩٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ،
٧٢ — ٧٤ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٣ ،	٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،
٨٤ ، ٨٦	٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤١٢ ، ٤١٩ ،
الطويرق ٣٣٢	طرابلس الغرب ٢٠١
طويق ، جبل ٢٢ ، ٣٥ ، ١٣٣	الطرنية ١١٩ ، ١٧١ — ١٧٤
الطويل ، الشيخ محمد ٣٤١ ، ٣٥٢	الطريف ٤٢
طيبسم ٤٥٦	الطعام ٢٥٢

ظ

٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،	الظهير ، قبيلة ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٨٦ ،
٣١٤	١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٢٥ ،

ع

٤١٠ ، ٤١١	العارض ١٥ ، ٢١ — ٢٣ ، ٣٦ ،
عازار ، الدكتور زخور ١٠٥	٣٩ ، ٤٤ ، ٦٢ ، ٩١ ، ٩٦ ،
عاكف باشا ١٠٥	١٤١ ، ٢٢١ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤ ،
العادلة ٣٧٩ — ٣٩٢	٣٠٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٤٠٤ ،

٤١٤ ، ٤٢٥
عدنان ، الشريف شرف ٣٩٢
العدوة مزرعة ٦٨
العذل ، صالح باشا ١٥٥ ، ١٦٣ ،
١٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٤
عرجا ٤٥٥
العراق ١٦ ، ٢١ ، ٤١ ، ٤٦ ،
٥٤ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧١ ،
١٠٠ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،
١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ،
١٦٣ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،
١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ،
٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ،
٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
٢٣٧ — ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ — ٢٨٥ ،
٣٠٤ — ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ،
٣٤٣ ، ٣٨٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ،
٤٣٧ ، ٤٤١
العرض ١٢٢ ، ١٧٠
عرفان ٧٨ ، ٣٣٤
عرقه ٢٥
عروة ٤٥٥
عزيرة ٤٥٥
عريدار ١٢٢ ، ١٣٣ ، ٢٧١
العزير ، فيروز العيد ٧
عساف ٣٧٧
العساف ، حسين ١٥٥
العسكر ، حيد ١٣٥
عسير ١٦ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٨١ — ٨٣ ،
٩٦ ، ٢٩٨ — ٣٠٢ ، ٣٤١ ،
٣٥٣ ، ٣٧٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧
عسيلة ٤٥٥

عباس الاول ٩٦
العباس عم النبي ٥٥ ، ٥٧
العباسي ، علي بك ، راجع باديا
العباسيون ، راجع بنو عباس
عبد الحميد ، السلطان ١٦٣ ، ١٨٤ ،
١٩٠
عبد العال ، مصطفى ٤٢٠
عبد مناف ٢٤٨
عبد الوهاب ، محمد بك ٤١٩
العبدية ، قبيلة ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٨٥ ،
٣٠٤
العبدلي ، الشريف باشا ٣٩٢
عبوش ، آغا ٩١
عتيبة ، عرب ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
١٠١ — ١٠٣ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ،
١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ،
١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ،
٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦
العتيق ٤٥٥
مجلان ، الامير ١٢٣ — ١٢٦
المعجم او بلاد الفرس ١٨ ، ٣٥ ،
٢٢٣ ، ٢٣٩
المعجمان ١٨ ، ٩٧ — ١٠١ ، ١٠٦ ،
١١٠ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٩ ،
١٣٣ ، ١٥٤ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ،
١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ — ٢٢٩ ،
٢٣٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٤٥٥ ،
٤٥٦
المعجيري ، عبد الله ٣٦٠ — ٣٦٣
عدن ٧٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٤٠٩ ،

عمان ١٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦٩ ، ٧١ ،
٩٨ ، ٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ،
٣٢٤ ، ٣٥٥ ، ٣٧١ ، ٤٠٠ ،
٤٠٧

عمير ، عبد الله ٤٢٠

منزى ٤٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٨٠ ،
١٨٢ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٤٥٦

العنقري ، امير ثرمدا ، ١٣٥

العنقري ، عبد الله بن عبد العزيز
٤٣٣

منيرة ١٢ ، ١٥ ، ٢٨ ، ٨٣ ، ٨٧ ،

٩١ ، ٩٥ ، ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٤٠ —

١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،

١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٣٥٩ ،

٣٦٠

العوازم ١٣٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦

العوالي ٤١٤

العوجا ٢٢١ ، ٢٨٨

العونية ٣١٣

العويني ، حسين ٣٠٤ ، ٣٨٣ ،

٣٨٥ — ٣٨٩

عين دار ٤٥٥

عين الملك ، حبيب الله خان ٤١٩ ،

عين النجا ١٠٦

العيننة ٣٧ — ٤١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٨

عشير ١٢٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣٦٧

العظم ، عبد الله باشا ٧١

العقبة ٣١٥ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ، ٤٠٠ —

٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ،

٤٢٢

عقدة ٢٨٢

العقير ٤٥٥

العقير ١٠ ، ١١ ، ١٨ ، ٢١ ، ٩٩ ،

٢١٠ — ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ ،

٣٠٤ ، ٣٠٧ — ٣١٠ ، ٣١٣ ،

٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ،

٣٤٣ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩

العقيلات ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٤٠٧

العلاء ٤٠٤ ، ٤١٣ ، ٤٢٩

علي الشريف ، امير مكة ٣٣٨

علي ، الملك ، راجع ابن الحسين

عليه ، ضلع ١٣٠ ، ١٣١

العماد ١٤٩ ، ١٥٠

العمادية ٦٦

العمار ٤٥٤

العمارات ١٨٢ ، ٣٠٨ — ٣١١ ،

٣١٤

عمان (قطر) ٢٠٦ ، ٢٣١ ، ٢٩٨ ،

٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ — ٣٣٠ ،

٤٤٩

عمر الخليفة ٦ ، ٧

العمر ٤١٨

غ

غالب الشريف ، راجع ابن مساعد

الغالي ، ابو علي ٣٦٢

الغاط ١٣٥ ، ١٣٦

غالب باشا ٢٣٤ ، ٢٣٥

الغطف ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ،
 ٣٣١ ، ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ،
 ٤٥٥ ، ٤٥٦
 غوان ، ادوار ، مؤلف ١٤ ، ٨٥
 الفيضة ٤٥٦

غالية ، امرأة شيخ من مشايخ سبيع
 ٨١
 غامد ، عرب ٨٣
 غدير ١٦٥
 الغزي ، جمال ٣٦٠

ف

فريشان ٢٦ ، ٤٥٤
 الفريكة ١٥
 الفطيم ٤٥٦
 الفهر ، الشريف عبد الله بن حمزة
 ٣٠٢ ، ٣٠٣
 الفهور ، الشريف ٣٧٨ ، ٣٩٢
 الفقير تحسين باشا ١٤١ ، ٣٥١ ،
 ٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ —
 ٣٩٥ ، ٤٠٤
 فلبى ، الحاج عبد الله ، او المستر
 ١٧ ، ٢٣٨ — ٢٤٢ ، ٣٥٦ —
 ٣٥٨ ، ٣١٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ —
 ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦
 فلسطين ٧٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٣٢٥ ،
 ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٤٠٠
 الفلوجة ٢٠٥
 فؤاد ، الملك ٤١٩
 الفؤارة ٤٥٥
 الفيصل ، محمد بن عبد الرحمن ٧
 فيضي باشا ، المشير احمد ١٤٨ ،
 ١٥٠ ، ٢٠٧
 الفيلىة ٢١٦

فارس ، بلاد راجع العجم
 فارس ، السنيور ، قنصل ايطاليا
 ٤٢٥ ، ٤٢٦
 العربي ، الخليج ٢١ ، ٦٩ ، ٧٩ ،
 ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٠ ،
 ١٥٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ ،
 ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٧١ ، ٣٠٧
 الفاروقي ، سامي باشا ١٦٠ — ١٦٣
 فاسبيه ، مهندس ٨٥
 فاطمة الزهراء ٣٦٨
 فاطمة ، وادي ٣٩٤
 فخري باشا ٢٤٤
 فرات ، نهر ٣٢٠
 فرساي ٢٤٣
 الفرخان ، سعود بن ناصر ٧
 الفرخان ، ناصر بن سعود ٧
 فرعون ١٤٤
 الفرعة ٢٣
 الفرنسي او الفرنسيون ٣١١ ، ٣٢٥ ،
 ٣٨٣
 غروق ١٩٠

القاهرة ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٨ ، ٢٧٧ ، ٣٩٧ ، ٤٠٩ ،
 تبرص ٢٣١ ، ٤١٥
 تبه ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٨٠ ، ٤٥٥
 تحطان ٢٢ ، ٦٧ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
 ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ١٣٦ ، ١٧٠ ، ١٨٩ ، ٢٢٣ ،
 ٢٦٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٣١ ،
 ٤٠٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦
 القدس ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥٣
 القرامطة ٣٥ ، ٢٥٨
 القرعا ١٠٥ ، ١٤١
 القرم ، حرب ٢١٣
 القرمطي ، الشيخ طاهر ٢٥٨
 قرية ، راجع ماء قرية
 قرية السفلى ٤٥٤
 قرية العليا ٤٥٤
 قريات الملح ٢٩ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨
 القريتين ٢٥٢ ، ٢٥٤
 قريش ٢٤٨ ، ٣٣٤
 القرين ٤٥٥
 القرينة ٢٦
 القزاز ، احمد بن عبد الرحمن ٤٥٢
 القزاز ، اسماعيل بن يحيى ٤٥٢
 قزاز ، بكري يحيى ٤٥٢
 القزاز ، صالح بن عبد الرحمن ٤٥٢
 القزاز ، عبد الحي بن عابد ٤٥٢
 قزاز ، محسن يحيى ٤٥٢

القسطلي ٣٢٩

القسماني ٢٤٩

القصبية ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦٩

القصيبي ٣٥٧

القصر ٨٥ ، ٤٥٦

التصميم ١٥ ، ٢٢ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
 ٨٣ ، ٨٧ — ٨٩ ، ٩١ ، ٩٥ —
 ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،
 ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ،
 ١٣٣ — ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
 ١٤٨ — ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،
 ١٥٨ — ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،
 ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٨ ،
 ٢٨٨ ، ٣٢٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٤ ، ٤٠٤

قطر ١٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،
 ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٥٤ ،
 ١٥٥ ، ١٩٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ،
 ٣٠٣ ، ٤٤٩

التطيف ١٨ ، ٤٣ ، ٦٢ ، ٩٣ ،
 ٩٦ ، ٩٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ — ٢١٤ ،
 ٢٣٠ ، ٢٧١

تنا ٨٥

القنصلية راجع ماء القنصلية

التنغزة ٨١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤١٤ ،
 ٤١٥

الكورة ٣٨٣

كوكس ، السر برسي ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
 ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ،
 ٢٨٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ — ٣١٠ ،
 ٣١٢ — ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧

كوهن ٩٧

الكويت ٥ ، ١١ ، ١٦ ، ٦١ ، ٩٨ —
 ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٩ — ١١٢ ،
 ١١٤ — ١١٧ ، ١١٩ — ١٢٣ ،
 ١٢٧ — ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ،
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ،
 ١٥٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٢ ،
 ١٨٤ — ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ١٩٥ ، ١٩٨ — ٢٠٠ ، ٢١٣ —
 ٢١٧ ، ٢٢٧ — ٢٣٠ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٦ — ٢٣٨ ، ٢٤٠ — ٢٧٠ ،
 ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٤٤٩

الكويمية ١٩١

كيث ، ثوماس ٧٧

الكابدة ، راجع ماء كابدة

كاف ، قرية من قرى الملح ٣١٩

كربلاء ٦٦ ، ٣٠٧

كرارة ، الدكتور حسن حلمي ٣٩٧ ،
 ٣٩٨

كرا ، جبل ٣٣٤ ، ٣٣٥

كرد علي ، محمد ٧١

الكر ٣٣٥

الكرك ٧٠ ، ٣٢٠

الكمبة ٣٦ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٣٣٣ ،

٣٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ،

كلايتن ، السر غربرت ٤١٩ ، ٤٣٧ ،
 ٤٤٨ ، ٤٤١

كمالي سليمان شفيق باشا ١٧ ،

٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٣٠٠

الكدرة ٤٠٢ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٦ ،
 ٤٢٥ ، ٤٢٦

كزان ٢٢٥

الكمة ، قرية ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٠ ،

١٧٥

الكوت ٢٠٨ — ٢١٠

لبلخ ، دومنفو باديا اي ، راجع باديا
 لبنان ٧٩ ، ٨٠

اللاذقي ، عبد الفتاح ٣٩٠

اللاذقية ٣٦١

لاري ، احمد إبندي ٤١٦

الliche ٧٠

لندن ١٣ ، ١٧ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤ ،

٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٤٠١

لوزان ٢١٣

المأمون ٦

ماء بنبان ١٣٠

مالك ، الامام ٤٣٥

ماء الحسي ، راجع الحسي

ماء الحفر ، راجع حفر

ماء الخفس ٢٠٥ ، ٢٠٦

ماء سفوان ١٩٩ ، ٢٠٠

ماء الشريميه ١٣٨

ماء الشوكة ٢١٨ ، ٢٤١

ماء معلوم ٣٦٤

ماء طوال ١٣٤

ماء العرجاء ١٩١

ماء عهد ١٧٥

ماء قرية ٢٧١ — ٢٧٣

ماء القنصلية ٢٥٧

ماء كابد ١٩٩

ماء ياطب ٢٤٢ ، ٢٨٠

مالك ، الامام ٢٦٦

مانجن ، نيلكس ، مؤلف ١٤

مانع ، الامير ٦٢

ماوان ١٣١

ليتشمين ، جيرار ٢٠٥ ، ٢٠٦

الليث ، بلد ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٤٠٩ ،

٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢١

ليخا ١٨

ليلا قاعدة الانلاج ١٩٥

البرز ٦٨ ، ١٠٦ ، ٢١٠

مبايض ٤٥٤

المبروك ، مسعود ٧

المتني ١٥٠

الجمعة ١٠٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٦٩

الجبوعي ، الشيخ محمد ٣٧

محسن ، الشريف ٣٩٥

محمد علي باشا ١٣ ، ١٤ ، ٧١ ،

٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ —

٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ،

٩٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩

الحبرة ١١٠ ، ٢٧٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ،

٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٣ ، ٤٣٧

الحبل ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،

١٣٤

المخا ٢٢٩

مدائن صالح ٣٢٠

مدحت باشا ٩٩

الدينة المنورة ١٣ ، ٢٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ،

٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ — ٨٦ ،

٨٨ ، ٩٠ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣

١٩٧ ، ٢٠٤ — ٢٠٦ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
 ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٤٠٤ ، ٤٥٤

المعاينة ٣٧٢ ، ٣٨٦

معان ٤١٥ ، ٤١٨

معاوية ٨

المعتلا ٦٨

المعرب ، زيد ١٥٣

المعشوق ، عبد اللطيف ٧

المعشوق ، مهيد ٧

المعشوق ، محمد ٧

المعلا ٣٦٨

مغربي ، مغاربة ٨٥ ، ٨٨

المغربي ، مطلق ٧

المفجر ٢٤ ، ١٩٥

مكة ٧ ، ١٣ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٦٧

٦٩ — ٧٥ ، ٧٧ — ٨١ ، ٨٣

٩٦ ، ١١٦ ، ١٨١ ، ١٨٩

١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤

٣٠١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ —

٣٣٦ ، ٣٤١ — ٣٤٣

٣٤٥ — ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩

٣٦١ ، ٣٦٤ — ٣٦٦ ، ٣٦٨ —

٣٧٩ ، ٣٨١ — ٣٨٦ ، ٣٨٨

٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤

٣٩٦ — ٣٩٨ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤

٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٤

٤١٥ ، ٤١٨ — ٤٢١ ، ٤٢٣

٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٤٦

٤٤٧

مكيافلي ٣٤٥

ملح ٢١٣

مليح ٤٥٤

١٦٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩

٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٨٠

٢٩٠ ، ٣٤٧ ، ٣٧٧ ، ٤١٢

٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٩

المذنب ٨٧ ، ١٧٠ ، ٣٦٠

مرات ، بلدة ٣٦٣

المرافي ، الشيخ محمد مصطفى ٤١٩

مران ، قرية ٣٦٦ ، ٣٦٧

المربط ١٣٨

المزير ٤٥٦

المزاريب ٨٩

مسقط ١٨ ، ٦٩

مسيكه ٤٥٤

مسييلة ٣٥ ، ٢٧٨ ، ٢٥٩

المشاري ، مهد بن ابراهيم ٧

مشرقة ٤٥٤

المصاع ٤٥٦

مصر ١٤ ، ١٥ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٨

٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠

٩١ ، ٩٤ ، ١٣١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦

٣٢٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨

٣٨٢ ، ٣٩٧ — ٣٩٩ ، ٤٠١

٤١٩

مصري ، مصريون ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٧

٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ — ٨٩

مصطفى بك ٨١

مصوع ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤١٥

المضايقي ، عثمان بن عبد الرحمن ٦٩

مضر ١٥ ، ٤٧ ، ٤٥٦

مطير ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٧

١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٢

١٣٣ — ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣

١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٦٧ —

١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨٨ — ١٩٠

المنصور ، سعدون ١٨٣
 منفوحة ٢٥ ، ٣٨ ، ٦٢ ، ٦٣
 المنيف ٤٥٦
 مهزي راجع ابن مهزي
 مهنا ، روضة ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٨٨ ،
 مور الماجر ٢٧٥ ، ٣١٠ ، ٣١٣
 الموصل ٦٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٣١٦ ،
 ٣١٧
 ميخائيل ، الاب ٩٧

المليدا ، راجع وقعة المليدا
 الممالك ٧١ ، ٧٢
 المناجج ، ٢٣
 المناصير ١٣٣
 المنتفق ٤٧ ، ٦٨ ، ٩٨ ، ١١٧ ،
 ١٨٣ ، ١٨٥ — ١٨٧ ، ١٩٧ ،
 ١٩٩ ، ٢٤٠ ، ٣٠٥
 المنديل ، عبد اللطيف باشا ١٨٩ ،
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
 ٣١١

ن

نعجان ١٣١
 النفوذ ٢٢ ، ٦٥ ، ١٣٨ ، ١٧٩
 النفيسة ، عبد الرحمن ٣٦٠
 النفيسي ، ابراهيم ٧
 نفى ٣٦٠ ، ٤٥٥
 النقيب ، طالسب ١٨٤ ، ٢١٣ —
 ٢١٨ ، ٣٥٨ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ —
 ٣٨٥ ، ٣٩٦
 نقيش ، محمد ابرق ٢٥٣
 نلسن ، هارولد ٧٩
 النمر ٣٢٣
 نوكتس ، الكولونل ٣١٨ ، ٣١٩ ،
 ٣٢١
 النصية ، قرية ٢٨٠ ، ٢٨٢
 النيل ٨٥
 النير ٣٦٣ ، ٣٦٦

الناصر ٢٤٠ ، ٣٠٦
 نبوليون الاول ١٣ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٣ ،
 ٩٧
 نبوليون الثالث ٩٧
 نجران ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٨ ، ٢٢٣
 النجف ٣٥ ، ٦٦ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢ ،
 ٣٠٧
 النحاس ، محمد ٣٦٠
 الندوي ، السيد سليمان ٣٧٠
 نزلة بني مالك ٤٠٣ — ٤٠٥ ، ٤١٠
 النزلة اليمانية ٤٠٣ ، ٤٠٤
 نشأت ، صبيح بك ٣١٠
 النشمي ، ابراهيم ٤١٣
 نصيف ، الشيخ محمد ٣٠٤ — ٣٠٥ ،
 ٤٢٦
 نعام ، قرية ٢٤ ، ١٩٥

هزيل ٣٣٤ ، ٣٣٥
 الهلوف ٦٨ ، ١٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ،
 ٢٢٦ ، ٢١١
 همدان ٢٢٣
 الهند ١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٧٤ ، ٣٤٢ ،
 ٣٥٢ — ٣٥٤ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ،
 ٤٢٧ ، ٤٤٨
 هوغارث ، دي . دجي ١٧ ، ٧٤ ،
 ٧٧ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٢٣٧ ، ٢٨٦
 هولنده ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٩٤ ، ٤١٦ ،
 ٤٢٩
 الهياثم ٤٥٤
 الهياثم ، بادية ٤٥٤

هاردنغ ، اللورد ٢١٩
 الهاشمي ، البيت ٣٢١ ، ٣٣٠ ،
 ٣٨٨ ، ٤٠٧
 هاملتن ، الكولونل ٢٣٨ ، ٢٣٩
 هتيم ٤٥٦
 الهدار ، قرية
 الهدى ٣٣٢ — ٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٤٠٣
 الهذال ، عهد ٣٠٨ — ٣١٠ ، ٤٠٣
 الهذال ، نايف ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٨٨ ،
 ١٨٩
 هزاع ، الشريف ٣٧٩
 الهزاني ، راشد ١٩٦ ، ٢٠٣
 الهزاني ، عبد العزيز ١٩٦
 الهزاني ، عبد الله ٧

٣٦٣
 الوسيطة ٤٥٤
 وضع الحمى ٣٦٣
 وقعة البكيرية ١٤٠
 وقعة الشنائة ١٤٠
 وقعة الصريف ١١٩ ، ١٢٠
 وقعة المليدة ١٠٥ ، ١٣٧
 وقعة الهدى ، راجع الهدى
 ونغيت ، السر روجينلد ٣٤٨
 الوهاب ، محمد بن عبد ١٠

واحة جبرين ، راجع جبرين
 وادي الدواسر ، راجع الدواسر
 وادي سرحان ، راجع سرحان
 والن ، جورج ٢٨٦
 الوجه ٣١٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٤ ، ٤٢٩
 الوزيرية ٤١٦ — ٤١٨
 الوسم ، سهل ٢٢ ، ٤٥ ، ٦٣ ،
 ٧٨ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٢ ،
 ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،
 ١٣٨ ، ١٩١ ، ٢٥٠ ، ٣٦٠ ،

ي

اليمامة ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٦٢
 اليمن ٤١ ، ٥٦ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
 ٨٢ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٣ ، ٢٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤١٨
 ينبع ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٣٠٣ ،
 ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٢ — ٤١٤ ،
 ٤٢٩ ، ٤٥٢

يادودة ٣٢٩
 ياسين ، يوسف ٣٦٠ — ٣٦٣
 ياطب ، راجع ماء ياطب
 ياقوت ٣٦٦
 الياور ، الشيخ عجيل ٣١٦ ، ٣١٧
 اليمام ، قبيلة ٧٠

الفهرس

٨	تقدمة الكتاب
١٠	المراجع والاسانيد
٢٠	النبذة الاولى
٣١	النبذة الثانية
٣٣	نسب محمد بن عبد الوهاب
٥٨	النبذة الثالثة
٥٩	جدول امراء آل سعود
٦١	الدور الاول الفتوحات
٧٧	الدور الثاني الفوضى
٩٣	الدور الثالث الحروب الاهلية
١٠٧	سيرة الملك عبد العزيز
١٠٨	نسب آل سعود
١٠٩	تمهيد
١١٦	الفصل الاول
١٢٠	الفصل الثاني
١٢٧	الفصل الثالث
١٣٣	الفصل الرابع
١٤٠	الفصل الخامس
١٤٧	الفصل السادس
	نواحي نجد
	محمد بن عبد الوهاب والوهابية
	آل سعود منذ نشأتهم الى حين
	استيلاء محمد بن الرشيد
	على نجد
	وقعة الصريف
	احتلال الرياض
	الحرب في الخرج
	الاستيلاء على القصيم
	البكيرية
	الاتراك يفاوضون ويتفرجون

كبوات الشيخ مبارك	الفصل السابع	١٥١
ذبحه ابن الرشيد	الفصل الثامن	١٥٤
الأتراك يرحلون	الفصل التاسع	١٥٩
ليلة الظافر	الفصل العاشر	١٦٥
تعددت الاعداء	الفصل الحادي عشر	١٦٨
كسرة ابي الخيل	الفصل الثاني عشر	١٧٣
الاقارب والعقارب	الفصل الثالث عشر	١٧٨
الشيخ مبارك يستغيث	الفصل الرابع عشر	١٨٤
الشريف حسين يشتم الاردان	الفصل الخامس عشر	١٩٠
العرائف والهزازنة	الفصل السادس عشر	١٩٤
لا نصر ولا انكسار	الفصل السابع عشر	١٩٧
الترك والوحدة العربية	الفصل الثامن عشر	٢٠١
فتح الحساء	الفصل التاسع عشر	٢٠٥
المفاوضون يتسابقون والشيخ مبارك يتعثر	الفصل العشرون	٢١٢
هادمة العهود ومفرقة الوفود	الفصل الحادي والعشرون	٢١٧
يوم جراب	الفصل الثاني والعشرون	٢٢٠
العجمان	الفصل الثالث والعشرون	٢٢٣
الانكليز والعرب	الفصل الرابع والعشرون	٢٢٩
هدايا وتعنيف من بلاد الشريف	الفصل الخامس والعشرون	٢٣٤
وقعة تربة ومقدماتها	الفصل السادس والعشرون	٢٣٧
البدو والهجر	الفصل السابع والعشرون	٢٤٤
صلح صغير	الفصل الثامن والعشرون	٢٥٨
الاخوان في الكويت	الفصل التاسع والعشرون	٢٦٧
فتح حائل	الفصل الثلاثون	٢٧٠
	الفصل الحادي والثلاثون	٢٧٧

٢٨٥	الفصل الثاني والثلاثون	مأساة بيت الرشيد
٢٩٦		جدول امراء حائل
٢٩٧		نسب بيت الرشيد
٢٩٨	الفصل الثالث والثلاثون	آخرة آل عائض
٣٠٤	الفصل الرابع والثلاثون	الاخوان في العراق
٣٠٨	الفصل الخامس والثلاثون	مؤتمر العقير
٣١٦	الفصل السادس والثلاثون	النكاس ، والذي يوسوس في صدور الناس
٣٢٤	الفصل السابع والثلاثون	ذروة المجد والخطر
٣٢٨	الفصل الثامن والثلاثون	الاخوان على ابواب عمان
٣٣١	الفصل التاسع والثلاثون	سقوط الطائف
٣٣٦	الفصل الاربعون	يوم الانقلاب
٣٤٢	الفصل الحادي والاربعون	الشريف حسين
٣٥٠	الفصل الثاني والاربعون	الآباء يأكلون الحصرم . . .
٣٥٥	الفصل الثالث والاربعون	رسل السلام
٣٥٩	الفصل الرابع والاربعون	الى مكة
٣٦٨	الفصل الخامس والاربعون	اشاعات وحقائق
٣٧٢	الفصل السادس والاربعون	الكتاب والسنة — والسيف !
٣٨١	الفصل السابع والاربعون	المفاوضات
٣٨٨	الفصل الثامن والاربعون	الطيارات
٣٩٦	الفصل التاسع والاربعون	علينا وعلى رسل الرحمة
٤٠٠	الفصل الخمسون	المناجزات والمكالمات
٤٢١	الفصل الحادي والخمسون	الملك علي يرحل
٤٢٧	الفصل الثاني والخمسون	عبد العزيز ملك الحجاز
٤٣١	جدول اهم الوقعات في هذا التاريخ	

المحقق وفيه فتوى العلماء ونصوص المعاهدات	٤٣٢
لائحة الهجر	٤٥٤
فهرس الاعلام	٤٥٩
الفهرس	٤٩١

